# المُصطفى


من الفكر الإسلامي المعاصر

السنة الثالثة؛ ربيع - صيف؛ 2022 م/ ١٤٤٤ هـ

٤

مجلة متخصّصة نصف سنويّة


ملفّ العدد

## الإمام الحُسين عليه السلام ومَلحمة عاشُوراء

- الافتتاحيّة؛ المبادئ القرآنيّة للحركة الحسينيّة
- الجذورُ الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة لقيامِ الإمامِ الحسينِ عليه السلام
- الإمام الحسين عليه السلام ونهضة الفكر الأخلاقيّ
- الملحمة الحسينيّة تحت مجهر التحقيق العلميّ
- حركة الإمام الحسين عليه السلام والتضامن الإسلاميّ
- تقييم مدى تناسب "شرط عدم الضرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" مع "حركة الإمام الحسين عليه السلام" (بالتأكيد على نظريّة الإمام الخميني قدس سره)
- القراءة السياسية لحركة عاشوراء من منظار الإمام الخميني قدس سره
- نظرة على أسلوب الإدارة في ضوء تعاليم النهضة الحسينيّة
- تحليلٌ سياسيٌّ لحركة عاشوراء من وجهة نظر المستشرقين الألمان والإنكليز
- دراسة تاريخ تطوّرات مراسم العزاء في محرّم
- الإماميّة والمأتم الحسينيّ؛ من الصفوية حتى العصر الحديث
- إحياء الشعائر الحسينية؛ قراءة تاريخية
- دراسة أنثروبولوجيّة للكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم


# المصطفى

من الفكر الإسلامي المعاصر

مجلة متخصّصة نصف سنويّة ■ السنة الثالثة؛ ربيع – صيف ٢٠٢٢ م/ ١٤٤٤ هـ

٤

ISSN: 2783- 4298



**صاحب الامتياز:**

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله الدولي للدراسات والبحوث (جميع الحقوق محفوظة لجامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة)

بالتعاون مع ممثلية جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية في سوريا

| | |
|---|---|
| **المشرف العام:** | د. الشيخ علي عبّاسي |
| **المدير المسؤول:** | د. الشيخ حسن الرضائي |
| **مدير التحرير:** | السيّد رسول العلوي |
| **مدير الشؤون التنفيذيّة:** | السيد جعفر الهاشمي |

**الهيئة الاستشاريّة:**

- د. الشيخ نبيل الحلباوي (سوريا)
- د. الشيخ هبة الله‌صدرالسادات (سوريا)
- د. علي الشعيبي (سوريا)
- د. علي الشيخ (العراق)
- د. الشيخ محمدعلي محسن زاده (العراق)
- د. السيد علي الموسوي (لبنان)
- د. الشيخ محمد حسن زراقط (لبنان)
- د. الشيخ عبدالمحسن البقشي(السعودية)
- د. الشيخ محمد علي ميرزائي (إيران)
- د. الشيخ حسن بسطامي (الخليج الفارسي)
- د. . محمد الصادق بوعلاق (تونس)
- د. عادل لغريب (الجزائر)
- د. سيدي محمد جعفر (موريتانيا)
- د. أحمد المجذوب (السودان)
- د. الشيخ عبدالله الدقاق (البحرين)
- د. سوسن الفضلي (اليمن)



Fax: 00982532133340 ■ Tel: 00982532133428 ■ WhatsApp: +989123535176

http://j.journals.miu.ac.ir ■ E-mail: j.journals@miu.ac.ir

■ المراسلات توجّه باسم مدير التحرير على العنوان التالي:

**إيران، قم، شارع الأمين، مجمَع الأمين، مركز المصطفى صلى الله عليه وآله الدولي للدراسات والبحوث، الطابق الثالث، أمانة مجلة «المصطفى»**

| | |
|---|---|
| **معتمد الترجمة العربيّة:** | الشيخ حسن عالمي بكتاش |
| **محرّر المقالات:** | الشيخ محمد حسين خليق (سوريا) |
| **تقويم المقالات:** | الشيخ نجف العرفاني |
| **الإخراج الفني و تصميم الغلاف:** | الشيخ حسين حاجي‌زاده |


**يمكنكم الحصول على هذا العدد من المجلة في المراكز و المواقع التالية:**

- **إيران، انتشارات المصطفى صلى الله عليه وآله**
- **العراق، ممثلية جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية**
- **سوريا، ممثلية جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية**
- **لبنان، ممثلية جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية**

**السعر:**

**داخل إيران: (٤٠٠/٠٠٠ ريال)** **خارج إيران: (١٠ دولار)**

## شروط النشر:

تُرحِّبُ مجلّة المصطفىﷺ بالإخوة والأخوات الباحثين والمتخصّصين من الأساتذة والطلاب والموظّفين في جامعة المصطفىﷺ العالميّة الذين يرغبون بنشر بحوثهم ودراساتهم العلميّة والأكاديميّة المتنوّعة في هذه المجلّة، وفقًا لرسالتها وسياساتها وعلى أساس المعايير التالية:

- المجالات العلميّة التي تتناولها المجلّة، هي: (العلوم الإسلاميّة)، (العلوم الإنسانيّة من منظور إسلاميّ)، (نقد الكتب والتقريض بها)، (المناقشات العلميّة المرتبطة) و ...
- يشترط في المادة المرسلة أن تلتزم بأصول البحث العلميّ على مختلف المستويات من: المنهج، والمنهجيّة، والتوثيق و ... وأن تكون متسمة بالعمق والأصالة وحسن الأسلوب ووضوحه، وأن تسلم من الأخطاء اللغويّة والنحويّة، وتكون موثقةً من الناحية العلميّة بالمراجع والمصادر والوثائق.
- على الباحث أن يقدّم سيرةً ذاتيّةً موجزةً مع البحث بالإضافة إلى ملخصين باللغة العربيّة والإنجليزيّة، على ألّا يزيد كلّ منهما عن مئتي كلمة.
- يتراوح عدد صفحات البحث ما بين ٢٠ إلى ٢٥ صفحة، والمقال يجب أن يكون مطبوعًا بخط traditional arabic مقاس ١٤.
- إنّ الهوامش توضع في أسفل كلّ صفحة، ويجب أن تكون مطبوعة بخط traditional arabic مقاس ١٢.
- القائمة المنسقة بالمصادر والمراجع تأتي في آخر البحث.
- لا تنشر المقالات إلا بعد تحكيمها من ذوي الخبرة والاختصاص، ولا تعاد أصول البحث أو المقالات إلى صاحبها، نشرت أو لم تنشر.
- لا تدفع المجلّة مكافآت، ولا تتقاضى أيّة مبالغ مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكريّة، ما لم تكن بتكليف.
- يخضع ترتيب الموادّ المنشورة لاعتبارات فنّيّة بحتة.
- يحقّ للمجلّة إعادة صياغة النصوص التي ترد إليها إذا اقتضت الضرورة ذلك، شرط ألّا يؤدّى إلى الإخلال بمقصود الكاتب.
- للمجلّة حقّ إعادة نشر المواد المنشورة، منفصلة أو ضمن كتاب.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلّة.

**بيان المجلة:**

مجلة «المصطفى صلى الله عليه وآله» العلميّة، هي مجلّة نصف سنويّة متخصّصة، تتناول قضايا متنوّعة في مجالات (العلوم الإسلاميّة) و (العلوم الإنسانيّة من منظورٍ إسلاميٍّ)، وتهتمّ بنشر المقالات والآثار العلميّة التي تمّ تأليفها من قبل منتسبي جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، سواء من أعضاء الهيئة العلميّة وأساتذتها، أم من خريجي الجامعة وطلابها، أم من الموظفين العاملين فيها. وعلى هذا الأساس، ستكون هذه المجلّة مرآةً لآراء وأفكار المنتسبين للجامعة، وستنشر حتى الآثار المنشورة سابقًا باللغة العربيّة، أو غيرها، طبعًا بعد تحديثها، أو ترجمتها، أو إعادة صياغتها من جديد.

والجدير بالذكر هو أنّ مجلة «المصطفى صلى الله عليه وآله» ستنشر بلغاتٍ مختلفةٍ، ولكن هذا الأمر لا يستلزم تشابه ووحدة المقالات في جميع المنشورات التي تحمل اسمها.

# المحتويات


- **الافتتاحيّة؛ المبادئ القرآنيّة للحركة الحسينيّة / ٧**
  السيّد رسول العلوي
- **الجذورُ الثقافيّةِ والسياسيّةِ والاجتماعيّةِ لقيامِ الإمامِ الحسينِ عليه السلام / ١٥**
  حسين عبد المحمدي
- **الإمام الحسين عليه السلام ونهضة الفكر الأخلاقيّ / ٥١**
  علي الشعيبي
- **الملحمة الحسينيّة تحت مجهر التحقيق العلميّ / ٧٧**
  محمد الصادق بوعلاق
- **حركة الإمام الحسين عليه السلام والتضامن الإسلاميّ / ١١٥**
  علي رضا عالمي
- **تقييم مدى تناسب "شرط عدم الضرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" مع "حركة الإمام الحسين عليه السلام" / ١٣٥**
  مهدي بورحسين
- **القراءة السياسية لحركة عاشوراء من منظار الإمام الخميني قدس سره / ١٥٥**
  السيد آصف كاظمي
- **نظرة على أسلوب الإدارة في ضوء تعاليم النهضة الحسينيّة / ١٨٥**
  عبد المؤمن حكيمي
- **تحليلٌ سياسيٌّ لحركة عاشوراء من وجهة نظر المستشرقين الألمان والإنكليز / ٢٢٣**
  السيد محسن شيخ الإسلامي/ أمير تيمور رفيعي/ السيد حسن قريشي كيرين
- **دراسة تاريخ تطوّرات مراسم العزاء في محرّم / ٢٥٣**
  السيد لطف الله جلالي
- **الإماميّة والمأتم الحسينيّ؛ من الصفوية حتى العصر الحديث / ٢٧٧**
  محمد رضا ضيائي
- **إحياء الشعائر الحسينية؛ قراءة تاريخية / ٣٠١**
  غلام حسن محرّمي
- **دراسة أنثرُوبُولوجيّة للكوفة / ٣٢٥**
  نعمة الله صفري فروشاني

# الافتتاحيّة
# المبادئ القرآنيّة للحركة الحسينيّة

**السيّد رسول العلوي**[1]

إنَّ النهضة الحسينيّة وحركة عاشوراء الحسينيّة، هي من أهمّ القضايا التاريخيّة التي كانت دائمًا محور اهتمام العلماء والباحثين المسلمين في تاريخ العالم بأكمله، ولا سيّما تاريخ الإسلام، وقد جرى حولها الكثير من النقاش، وكُتب فيها العديد من الكتب والرسائل والمقالات، كما يجري في هذا العصر بالذات العديد من التحليلات والخطب فيما يتعلّق بهذا الأمر، ولكن موضوع نهضة عاشوراء هو من العظمة والأهمّيّة بمكانٍ لا تزال بحاجة للتحليل والتحقيق في العديد من جوانب هذه الحركة الخالدة.

يرى علماء الشيعة أنّ قول الإمام المعصوم وفعله وسيرته حجّة؛ إذ هو يقوم على الأسس والتعاليم الإلهيّة والقرآنيّة؛ فإنَّ القرآن الكريم كدستور الحياة الفرديّة والاجتماعيّة للمسلمين، قد شرح بوضوح مسار حياتهم، وبناء على ذلك لا شكّ أنَّ الحسين بن عليعليه السلام قد استند في حركته إلى تعاليم القرآن الكريم؛ نظرًا لمكانة هذا الكتاب السماويّ في حياة المسلمين، وقد بدأت انتفاضته الكبرى في ضوء تعاليم كتاب الوحي.

---

١. مدير تحرير مجلة (المصطفى)، جامعة المصطفىصلى الله عليه وآله العالميّة، قم، إيران. البريد الإلكتروني: alavi1403@yahoo.com.

فإذا ما قمنا بتحليلٍ شامل لحركة عاشوراء الحسينيّة، وفحصنا تصريحات ذلك الإمام الهمام ووصاياه منذ أوّل يوم من خروجه وحتّى لحظة شهادته، لرأينا بوضوح آثار التعاليم القرآنيّة فيها، وأدركنا حقيقة أنّ حركة عاشوراء هي في الحقيقة مرآة صافية تعكس تعاليم القرآن العظيم، وفيما يلي نشير بإيجاز إلى بعض الأُسس القرآنيّة لحركة عاشوراء، والتي يمكن أن تكون قدوة لأتباع القرآن وأهل البيت عليهم السلام وجميع الأحرار في كلّ مكانٍ وزمانٍ.

**الأوّل: حفظ دين الإسلام وإحياؤه**

كان من أهمّ أُسس حركة عاشوراء وأعظمها حفظ الدين الإسلاميّ وإحياؤه، وقد خاض الإمام الحسين عليه السلام ميدان القتال بناءً على أمر الله الذي قال: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ**﴾[1] للقضاء على فتنة الأشرار وأعداء الدين، ولأجل إحياء دين الإسلام وحفظه، وإنّ المبدأ الأساس لهذه الحركة حسب الآية الكريمة، هو الدفاع عن مصالح دين الله واعتلاء كلمة الله العليا، وقد قال سبحانه: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ...**﴾.[2] وعلى الرغم من أنّ هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، إلّا أنّها تَصدق على أمثال يزيد وأتباعه لا محالة، ولمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام أنّ يزيد رغم أنّه يدعو نفسه مسلمًا بل خليفةً للمسلمين، إلّا أنّه في الواقع لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يمت بالإسلام بصلة؛ إذ يحلّ ما حرّمه الله ورسوله، ولا يدين بدين الحق، فلا بدّ من الوقوف في وجهه؛ لتظهر كلمة الحقّ على كلمة يزيد، ويتمّ إحياء دين الإسلام، وقد أشار الإمام عليه السلام يوم عاشوراء إلى هذه النقطة خلال قصيدةٍ قصيرة:[3]

**إن كان دين محمد لم يستقم  إلّا بقتلي، فيا سيوف خذيني**

١. البقرة: ١٩٣.

٢. التوبة: ٢٩.

٣. السيد جعفر، مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ١١٢/٣.

**الثاني: طلب الإصلاح**

والإصلاح ضدّ الإفساد، كما ورد في القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾،[١] ويتّضح من آيات القرآن الكريم أنَّ دافع جميع أنبياء الله وأوليائه وغرضهم الأساس من الدعوة هو الإصلاح على صعيد الحياة الماديّة والمعنويّة للبشر، فقد ورد في قصة النبي شعيب عليه السلام أنّه قال: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾،[٢] وكذلك ورد في قصّة النبي موسى عليه السلام أنّه عندما أراد الذهاب إلى جبل طور، جعل أخاه هارون خليفةً له وقال له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.[٣]

وقد جعل الإمام الحسين عليه السلام بناءً على هذه الآيات الكريمة وأهداف الأنبياء عليهم السلام، إصلاح الأمّة أساسًا لانتفاضته؛ حيث أعلن عن هذا المبدأ بصراحة في انطلاقة قيام عاشوراء، من خلال وصيّته لمحمد بن الحنفية:

> **وإنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا ظالمًا ولا باغيًا ولا مفسدًا، ولكن خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي.**[٤]

وفي خطبة أخرى، ذكر الإمام الحسين عليه السلام أساس حركة عاشوراء، مشيرًا إلى أبعاد الإصلاحات التي يتطلّع إليها:

> **اللّهُمَّ إنّك تعلم إنّه لم يكن ما كان منّا تنافسًا في سلطان... ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامكَ.**[٥]

فيمكن الاستنباط من تصريحات الإمام الحسين عليه السلام هذه، أنّه قد اتّخذ مبدأً مهمًّا

---

١. البقرة: ١١.
٢. هود: ٨٨.
٣. الأعراف: ١٤٢.
٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤؛ الشيخ الشريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٢٩١.
٥. المجلسي، بحار الأنوار: ٨٠/٩٧؛ الشريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٢٧٦.

وأساسيًّا من مبادئ القرآن الكريم - أي إصلاح الأمّة - كركيزة من ركائز انتفاضته، وسار على هذا المبدأ إلى الأخير.

**الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**

قد اعتبر القرآن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات الأمّة الإسلاميّة، بل وصفها بـ(خير أمّة)؛ حيث قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾،[١] كما اعتبر سبب هلاك الأمم السابقة وانقراضهم نسيان هذه الفريضة المهمّة قائلًا: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾.[٢]

ومن خلال تفحّص تاريخ حركة عاشوراء ومراجعة خطب سيد الشهداء عليه السلام ووصاياه، نجد أنّه قد اتّخذ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» مبدأ خروجه منذ البداية؛ حيث أشار إليه في وصيته: «وإنّي لم أخرج أشرًا... أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي رسول الله وأبي علي بن أبي طالب»،[٣] وكذلك عند موادعته لمرقد رسول الله صلى الله عليه وآله الشريف:

**اللّهُمَّ إنّي أحبّ المعروف وأنكر المنكر، وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومَن فيه إلّا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى.**[٤]

**الرابع: الغلبة الدائمة للحقّ على الباطل**

ومن منظور تعاليم القرآن الكريم السامية، فإنَّ الحقّ هو المنتصر والباطل هو المنهزم دائمًا، فقد أعلن الله بوضوح انتصار الحقّ دومًا على الباطل بقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى

١. آل عمران: ١١٠.
٢. هود: ١١٦.
٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤؛ الشريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٢٩١.
٤. المجلسي، بحار الأنوار: ٣٢٨/٤٤؛ العاملي، محسن الأمين، لواعج الأشجان في مقتل الحسين: ٢٧.

**الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾**.[١] وقال أيضًا: **﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾**.[٢]

وكذلك وعد القرآن الكريم المؤمنين أنَّ نصر الله مع المؤمنين في مواجهة الباطل، في هذه الدنيا فضلًا عن الآخرة، وسوف ينتصرون على الباطل حتمًا، بقوله: **﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾**.[٣]

فكان سيد الشهداء عليه السلام يؤمن بحقيقة أنّ الباطل في نظام الكون زاهقٌ على الدوام وإن كان قويًّا ظاهرًا، بخلاف الحقّ إذ كان ثابتًا ومستقرًا دائمًا حتّى لو كان ضعيفًا ظاهرًا، وقد استخدم الإمام عليه السلام هذه الآيات القرآنيّة أساسًا لحركته، ومنذ بداية قيامه أعلن أنّ حركته حركة منتصرة؛ لأنّه كان يعتقد أنّه لا يوجد هزيمة حيث يوجد الحقّ والإيمان، والمؤمن لا يقهر أبدًا، فقد صرّح الإمام عليه السلام في رسالة إلى بني هاشم بمبدأ قيامه قائلًا:

> **بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى بني هاشم، أمّا بعد فإنّه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام.**[٤]

ويتّضح من تصريح الإمام الحسين عليه السلام هذا أنّه على الرغم من علمه باستشهاده، إلّا أنّه اعتبر النصر المحتَّم من نصيبه والهزيمة من نصيب العدوّ على أيّة حال.

### الخامس: الاستقامة على صراط الحق

وقد وصف القرآن الكريم الذين جعلوا الاستقامة ركنًا لحياتهم كما يلي: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**،[٥] ووصف الذين يبلّغون الرسالات الإلهيّة هكذا: **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ﴾**.[٦]

---

١. الأنبياء: ١٨.
٢. الإسراء: ٨١.
٣. غافر: ٥١.
٤. المجلسي: ٤٤/ ٣٣٠؛ البحراني، عبدالله / العوالم الإمام الحسين: ص ١٧٩.
٥. الأحقاف: ١٣.
٦. الأحزاب: ٣٩.

وكان سيد الشهداء عليه السلام يرمي إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ حيث اعتمد الإمام عليه السلام دائمًا على هذا المبدأ المهمّ في خطبه وتصريحاته إبّان حركة عاشوراء، واستقام عليه مصرّحًا: «ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنَّ الباطل لا يُتناهى عنه»،[١] وقاوم على هذا المنوال حتّى استشهد دون أن يتخلّى عنه.

**السادس: رفض الذُّل**

ومن منظور تعاليم القرآن الكريم السامية، يختصّ تاج العزة والكرامة بذات الله تبارك وتعالى؛ إذ قال الله في محكم كتابه: ﴿الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾،[٢] وقال أيضًا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾،[٣] وبما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين هم أولياء الله وخلفاؤه على الأرض، فقد أنعم الله عليهم بحصّة كبيرة من العزّة والكرامة؛ حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾،[٤] وعلى هذا الأساس، لا يجوز أبدًا للمؤمنين قبول الذلّ والتخلّي عن العزّة والكرامة الموهوبة لهم، بل يجب عليهم تجنّب أيّ عملٍ مؤدٍ للذلّ وكلّ ما يمسّ من عزّتهم وكرامتهم الإنسانيّة، وألّا يسمحوا لأحدٍ بإهانة كرامتهم.

فمن خلال تتبع كلمات الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّ قائد حركة عاشوراء قد عمل بهذا المبدأ، أي التمسّك بالعزّة ورفض الذلّ، وهو من أسّس انتفاضته على هذا الأساس؛ حيث قال: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركّز بين اثنتين بين القتلة والذلّة وهيهات منّا الذلة»،[٥] بل اعتبر البيعة ليزيد مرادفًا للذلّ؛ حيث قال: «فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برمًا»،[٦] وهكذا رأى سيد الشهداء عليه السلام أنّ الموت بكرامة أفضل من الحياة في الذل؛ حيث قال: «موتٌ في عزّ خيرٌ من حياة في ذلّ».[٧]



---

١. المجلسي: ٤٤/ ١٩٢.
٢. النساء: ١٣٩؛ يونس: ٦٥.
٣. فاطر: ١٠.
٤. المنافقون: ٨.
٥. المجلسي: ٧٤/١٦٢.
٦. المصدر نفسه: ٤٤/١٩٢.
٧. المصدر نفسه؛ الشريفي: ٤٩٩.

**السابع: رفض الظلم**

ولقد حرّم الله في القرآن على المؤمنين قبول حكم الطغاة والظالمين، وقد أرسى في سورة البقرة مبدأً مهمًّا في العلاقات الاجتماعيّة الإنسانيّة قائلًا: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾؛[١] لذلك فإنّ القرآن الكريم يأمر المسلمين بالمقابلة بالمثل تجاه المعتدين؛ حيث يقول: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.[٢]

**الثامن: الوقوف ضدّ الأنظمة الفاسدة**

ولقد حرّم الله تعالى طاعة الكفار والملحدين والتعاون مع أهل الإثم والفسوق بشكلٍ عامٍّ ومطلقٍ، حتّى ولو كان الفاسق شخص الخليفة والسلطان؛ كما يقول: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾.[٣] وقد نهر سبحانه وتعالى بشدّة الذين خضعوا لحكم الطغاة والجبابرة قائلًا: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾،[٤] كما أنّه – عزّ وجلّ – نهى عن طاعة الآثمين والكفار؛ حيث قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.[٥]

وقد اتّخذ سيد الشهداء عليه السلام هذه الآيات القرآنيّة أساس انتفاضته، فخرج للقيام على الظلم والظالم وأراد الإطاحة بسلطة الملحدين، وقد خاطب وليد بن عتبة قبل خروجه من المدينة، مشيرًا إلى أساس قيامه ضد الحكومة الفاسقة بقوله:

> **أيّها الأمير! إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الرحمة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجلٌ شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة معلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبِح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة.**[٦]

---

١. البقرة: ٢٧٩.
٢. البقرة: ١٩٤.
٣. الأحزاب: ٤٨.
٤. هود: ٥٩.
٥. الإنسان: ٢٤.
٦. علي بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧؛ المجلسي: ٣٢٥/٤٤؛ البحراني: ١٧٤.

**التاسع. إحياء القيم الإنسانيّة والارتقاء بها**

إنّ الإنسان من المنظار القرآنيّ، هو موجودٌ صاحب كرامة، ويتمتّع بشرفٍ ذاتيّ، وقد فضّله الله تعالى على كثير من مخلوقاته؛ حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[١]

وقد خرج الإمام الحسين عليه السلام في وقتٍ كان فيه القيم الإنسانيّة تُنتهك وتُداس تحت الأقدام، وعلى هذا الأساس جعل الإمام عليه السلام إحياء القيم الإنسانيّة وتعزيزها وترسيخها أساس قيامه، بل ربّما لا نجد مدرسةً في تاريخ البشريّة تكون قد تمكّنت من إحياء القيم الإنسانيّة، وهي في ورطة البلاء والمحن كمدرسة الحسين بن علي صلى الله عليه وآله..



١. الإسراء: ٧٠.

# الجذورُ الثقافيّةِ والسياسيّةِ والاجتماعيّةِ لقيامِ الإمامِ الحسينِ عليه السلام

**حسين عبد المحمدي**[1]

**خلاصة البحث**

إنَّ عوامل نهضة عاشوراء وخلفياتها - باعتبارها أهمّ حدث في صدر الإسلام - هي من القضايا التي ورد بشأنها آراء ووجهات نظر مختلفة، وقد اعتبر بعض الباحثين أنّ السبب الرئيس لقيام الإمام الحسين عليه السلام هو دعوة أهل الكوفة، ورآى آخرون أنّ إصرار يزيد عليه بالبيعة هو العامل الأهمّ، بينما ذهب بعض آخر إلى أنّ الانحرافات السياسيّة والثقافيّة هي العلّة التامّة لحركة عاشوراء، وقد ذكر بعضهم أسبابًا أُخرى كالعوامل العرقيّة والقبليّة، وقد أمعن الجميع النظر في هذه الحركة الإلهيّة من زاويةٍ معيّنةٍ وعبّروا عن آرائهم الخاصّة، ولا خلاف بين الباحثين والكتّاب من حيث قبول تأثير العوامل المذكورة في وقوع النهضة الحسينيّة أساسًا، لكنّهم يختلفون في مدى التأثير والدور الذي كان لكلٍّ من هذه العوامل في أصل نشوء حركة عاشوراء، وأما ما يُستنبط من التقارير التاريخيّة وكلمات قائد النهضة هو أنّ أهمّ سبب لقيام الإمام الحسين عليه السلام هو تعرّض جوهر الإسلام لخطر التحريف، وابتعاد المجتمع الإسلامي عن المثل السامية التي بُعث به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله،

١. قسم التأريخ، مجمع الإمام الخميني قدس سره، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، قم، إيران. البريد الإلكتروني: hoseinmohammadi31@yahoo.com.

فكان الهدف الأساس من القيام منع الشقاق وسدّ فجوة الانحراف التي ظهرت في الفكر الديني منذ السقيفة، كما أنّ ثمة عوامل أُخرى إلى جانب هذه الأسباب كانت مؤثّرة في حركة عاشوراء، وقد تمّ البحث في المقال في أسباب قيام سيد الشهداء عليه السلام وعوامله؛ استنادًا إلى المصادر التاريخيّة القديمة وخطابات وكلمات الإمام الحسين عليه السلام.

**المفردات الرئيسة:** قيام الإمام الحسين عليه السلام، الجذور الثقافيّة، الجذور السياسيّة، الجذور الاجتماعيّة، عوامل قيام الإمام الحسين عليه السلام.

**المدخل**

لا شكّ ولا ريب أنَّ "قانون العلّيّة" يسري في الأحداث والظواهر السياسيّة والاجتماعيّة، مثلما يسري في الظواهر الفيزيائيّة؛ ومع أنّ الكشف عن أسباب الظواهر الأعمّ من الطبيعيّة والبشريّة هي مهمّةٌ بالغةُ الصعوبةِ، لكنّ هذه المهمّة تبدو أدقّ وأعمق في البحث عن جذور الأحداث الاجتماعيّة، وفيما يلي نشير إلى بعضها:

١. تتجذّر الأحداث الاجتماعيّة في القيم والمطالب البشريّة؛ ولأنّ هذه المطالب ليست في حوزة الباحثين وخبرتهم مباشرة، ولا يتسّنى كشف أهداف ودوافع اللاعبين في ساحة حدثٍ معيّنٍ من الأحداث الاجتماعيّة بسهولة لمراقبيها، فلا بدّ من محاولة عدّة أجيال لاستكشافها، وقد لا تُكتشف هذه العوامل كاملةً أبدًا.

٢. إنّ العديد من الأحداث الاجتماعيّة - وخاصّة ما يحمل من طابع الاحتجاج والعنف - هي في الواقع ردّ فعل للظروف المعاكسة السائدة في المجتمع، والظروف التي يرتبط بعضها عادةً بقضايا ثقافيّةٍ واقتصاديّةٍ وسياسيّةٍ؛ ولأنّ مسار هذه الشؤون مصحوب بسياسات محدّدة - وعادةً ما تكون غير معلن عنها - فهي أكثر تعقيدًا من الظواهر الفيزيائيّة؛ ونتيجةً لذلك، فإنّ اكتشاف هذه السلسلة من العوامل والأسباب التي تلعب دورًا محوريًّا في ظهور الأحداث الاجتماعيّة هو مهمّة حسّاسة وصعبة.

٣. قد تكون أسباب وخلفيات حدث اجتماعيّ متنوّعة جدًّا ومتعدّدة لدرجة أنّه يكاد يكون من المستحيل تشخيصها على وجه التحديد، ولتوضيح هذا الأمر يكفي النظر في سلسلة من الأحداث المشابهة، فمثلًا يمكن أن تحدث ثورة وحركة إصلاحيّة بسبب الضغوطات الاقتصاديّة أو القضايا السياسيّة والثقافيّة، أو تحت تأثير العوامل العرقيّة والقوميّة، أو مزيج من هذه العوامل، كما أنَّ في بعض الحالات تكون الظروف الإقليميّة والأحداث الجانبيّة الطبيعيّة والبشريّة مؤاتية أو غير متؤاتية، ممّا يؤدّي إلى تسريع أو إبطاء سير وقوع الحادث، وكذلك يلعب الذكاء الشخصيّ وإدراك اللاعبين في

ساحة الحدث، دورًا فعّالًا في تكوين الظواهر البشريّة كمًّا وكيفًا؛ فإنَّ تنوّع هذه العوامل يعتبر مشكلة تجعل النمذجة الدقيقة للظواهر البشريّة أمرًا صعبًا.

وبالإضافة إلى الجوانب الثلاثة المذكورة أعلاه، والتي هي من بين مشاكل البحث في العلوم الإنسانيّة، هناك موضوع آخر يتعلّق بالأحداث التاريخيّة، وهو موضوع المصادر والمآخذ من حيث الصحّة والسُّقم، أمرٌ يُصعب تحليل جميع جوانب الحدث أكثر، بما في ذلك العوامل والخلفيّات المسبّبة في ظهورها.

فوفقًا لما ذُكر آنفًا، في تحليل أيّ حدث تاريخيّ، قد تُؤخَذ بعض الأسباب الممهِّدة بمثابة العلّة التامّة، أو قد تُظهَر بعض العوامل المهمّة ذات الدوافع السياسيّة والدينيّة الخاصّة وما إلى ذلك أقلّ مما هي عليه، أو لا تُذكَر أساسًا؛ فإنّ البحث والتحليل حول الأحداث التاريخيّة بشكلٍ مستمرٍّ لهو أمرٌ مهمٌّ وضروريٌّ.

وفي هذا المقال، تمت دراسة عوامل وخلفيّات حركة عاشوراء وتحليلها، مع العلم بأنّ هناك نقاشات وآراء كثيرة متنوّعة حول هذا الموضوع، وقد اعتبر بعض الباحثين أنّ السبب الرئيس لقيام الإمام الحسين عليه السلام هو دعوة أهل الكوفة، ورآى آخرون أنّ إصرار يزيد عليه بالبيعة هو العامل الأهمّ، بينما ذهب بعض آخر إلى أنّ الانحرافات السياسية والثقافيّة هي العلّة التامّة لحركة عاشوراء، وقد ذكر بعضهم أسبابًا أُخرى كالعوامل العرقيّة والقبليّة، وقد أمعن الجميع النظر في هذه الحركة الإلهيّة من زاويةٍ معيّنةٍ وعبّروا عن آرائهم الخاصة، ولا خلاف بين الباحثين والكتّاب من حيث قبول تأثير العوامل المذكورة في وقوع النهضة الحسينيّة أساسًا، لكنّهم يختلفون في مدى التأثير والدور الذي كان لكلٍّ من هذه العوامل في أصل نشوء حركة عاشوراء، وأما ما يُستنبط من التقارير التاريخيّة وكلمات قائد النهضة هو أنّ أهم سبب لقيام الإمام الحسين عليه السلام هو تعرّض جوهر الإسلام لخطر التحريف، وابتعاد المجتمع الإسلاميّ عن المثل السامية التي بُعث به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فكان الهدف الأساس من القيام منع الشقاق وسدّ فجوة

الانحراف التي ظهرت في الفكر الدينيّ منذ السقيفة، كما أنّ ثمة عوامل أُخرى إلى جانب هذه الأسباب كانت مؤثّرة في حركة عاشوراء.

**امتداد جذور حركة عاشوراء إلى السقيفة**

إنَّ قيام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام كأعظم حدث في تاريخ الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وباعتبارها ثورة اجتماعيّة كبيرة، هي من الأحداث التي لم تكن أسبابها وليدة لحظة عام ٦١ هجريّ، فلا بدّ من البحث عن جذورها أثناء عدّة عقود قد سبقتها، وفي طيات التطوّرات الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة في عصر الخلفاء الراشدين.

فما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله في سقيفة بني ساعدة كان له جذوره في أحداث العهد النبوي صلى الله عليه وآله، وهي بدورها تتجذّر في أحداث ما قبل الإسلام، كما كانت حادثة عاشوراء من النتائج المريرة لسقيفة بني ساعدة. وبعبارة أُخرى، كانت عاشوراء حلقة من سلسلة متّصلة، ينتهي أحد طرفيها إلى السقيفة والطرف الآخر إلى "كربلاء"، كما عبّر عن ذلك "مهيار ديلمي" في قصيدته الغديريّة:

أضالِيْلَ ساقَتْ مُصابَ الحُسَيْن عليه السلام ... وَمَا قَبلَ ذاك وَما قَدْ تَلا
فَيَومَ السَّقيفَةِ يَا بْنَ النَّبِي ... طَرَّقَ يَوْمَكَ فِي كَربَلا
وَغَصْبُ أَبِيكَ عَلى حَقِّهِ ... وَأُمِّكَ حَسَّنَ أَنْ تُقْتَلا[1]

وقال أبو ذر الغفاري بجوار الكعبة:

**لَوْ قَدَّمْتم مَنْ قَدَّمَ اللهُ وَأَخَّرْتُمْ مَنْ أَخَّرَ اللهُ، وَجَعَلْتُمُ الْوِلاْيَةَ حَيْثُ جَعَلَهَا اللهُ، لَما عالَ وَليُّ الله، وَلَما ضاعَ فَرضٌ مِنْ فَرائِضَ الله.**[2]

وبينَا ابن عباس يخطب في الناس بالبصرة إذ أقبل عليهم بوجهه، فقال:

**أيّتها الأمة المتحيّرة في دينها! أما لو قدّمتم مَن قدّم الله وأخّرتم من أخّر الله وجعلتم الوراثة والولاية حيث جعلهما الله، لما عال سهم من فرائض الله، ولا عال وليّ الله، ولا**

١. الأميني، الغدير: ٤/٢٤٨.
٢. الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٦٧، التحقيق: هادي به و بهادري.

**اختلف اثنان في حكم الله، ولا تنازعت الأُمّة في شيء من كتاب الله، فذوقوا وبال ما فرطتم فيه بما قدمت أيديكم، وَسَيَعلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ.**[1]

وأمّا السقيفة، كظاهرة اجتماعيّة، فهي أيضًا لم تظهر فجأة بين ليلة وضحاها، بل يجب البحث عن جذورها في عصر الجاهليّة والأحزاب السياسيّة والاجتماعيّة في عصر النبوة، وفي الواقع كانت السقيفة نتيجة عودة المعايير والملاكات الجاهليّة.

ومن هذا المنطلق، فإنَّ كلَّ ما جاء في الإسلام من بُؤسٍ وانحرافاتٍ وبدع، وكلّ ما لحق بأولياء الله من ظلمٍ وجورٍ تمتدّ جذوره إلى السقيفة، وأيّ محنةٍ وشقاءٍ بعد الهجرة تتأثّر وتصدر من اتّجاهات ما قبل الهجرة، وكلّ مشكلة من مشاكل ما قبل الهجرة تنتهي إلى بعض بطون قريش، والشيوخ الذين اعتنقوا الإسلام نفاقًا، وقد قال الإمام عليه السلام عن هؤلاء الفاسدين في المجتمع الإسلاميّ وهم يبحثون عن فرصة الارتداد: «... مـا أَسْلَمُوا وَلـكِنِ اسْتَسْلَمُوا وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمّا وَجَدُوا أَعْوانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ».[2]

وتؤكّد الأحداث التي تلت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة أنّ العناصر الرَّجعية حاولت جاهدةً إعادة السنن والمعتقدات الجاهليّة الأُولى، وأنّ بعض الأشخاص من ضعاف النفوس، بسبب ضعف إيمانهم، مهّدوا الطريق بصمتهم للفرقة الأُولى التي تقمّصت السلطة، فأخذ المجتمع الإسلاميّ في الانهيار شيئًا فشيئًا. طبعًا لم تكن الرّجعية هذه أمرًا مستبعدًا؛ لأنّه بالإضافة إلى واقع أنّ المشركين لم تُجتَثّ جذورهم في الحجاز، فإنّ بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أيضًا لم يؤمنوا برسالته إلّا المتظاهرين بالإسلام، وأساسًا يمكن توقع هذه الظاهرة في أيّ ثورة ثقافيّة وسياسيّة واجتماعيّة؛ لأنّه في كلّ حركة – أوّلًا – لا يصل التحوّل الاعتقاديّ والأخلاقيّ لدى الأفراد إلى درجة الكمال. وثانيًا لا يخضع كلّ الأفراد للتحوّل. وبالتالي، فإنّ بقايا المعتقدات والأخلاق السابقة تبقى في



١. المفيد، الأمالي: ٦٠.
٢. نهج البلاغة، الكتاب: ١٦.

نفوسهم إلى حدٍّ ما؛ حيث تلعب العناصر غير القابلة للتحوّل دورًا مهمّا هناك، وتوفّر الأساس لعودة المجتمع إلى النظام السابق.

وفي الواقع كان عدم اهتمام بعض المسلمين في صدر الإسلام بقضية "غدير خم" وولاية علي عليه السلام وتشكيل سقيفة بني ساعدة هو شاهد على الموضوع؛ إذ قال الإمام علي عليه السلام بعد حادث السقيفة وهو مهضوم الحقّ:

**أَلَا وَإِنّكُم قَد نَفَضتُم أَيدِيَكُم مِن حَبلِ الطّاعَةِ، وَثَلَمتُم حِصنَ اللهِ المَضرُوبَ عَلَيكُم بِأَحكَامِ الجَاهِلِيّةِ.. وَاعلَمُوا أَنّكُم صِرتُم بَعدَ الهِجرَةِ أَعرَابًا وَبَعدَ المُوَالَاةِ أَحزَابًا، مَا تَتَعَلّقُونَ مِنَ الإِسلَامِ إِلّا بِاسمِهِ وَلَا تَعرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلّا رَسمَهُ، تَقُولُونَ النّارَ وَلَا العَارَ كَأَنّكُم تُرِيدُونَ أَن تُكفِئُوا الإِسلَامَ عَلَي وَجهِهِ...!**[1]

**اتّساع نطاق الرَّجعية، إثرَ تهميش أهل البيت عليهم السلام**

ولمّا حُرِم الإمام علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله، بوصفه مفسّر القرآن الكريم والذابّ عنه، من حقّه، (أي الخلافة)، وهُجِر أهل البيت الرسول صلى الله عليه وآله، أخذت عمليّة الرجعيّة في التسارع، حيث ظهرت خلال خمسة وعشرين سنة من خلافة الخلفاء الثلاثة، الكثير من الانحرافات والبدع؛ ولهذا السبب عندما وافق الإمام علي عليه السلام على قيادة المجتمع، أعطى الأولوية للإصلاحات الداخليّة قبل أيّ شيء آخر، لكنَّ جبهة النفاق في عهد الخلفاء، خاصّة في عهد عثمان، والعناصر غير الخالصة التي لم تكن تتحوّل بشكل كامل والتي كانت تبحث عن المقام والمنصب، تمكّنت من اكتساب قوّةٍ اقتصاديّةٍ وعسكريّةٍ كبيرةٍ في البلاد من خلال استخدام سلطتها السياسيّة؛ ولهذا السبب عرقلت إصلاحات الإمام علي عليه السلام من خلال خلق حروب أهليّة ومشاكل أُخرى، وقد بقيت الخطط الإصلاحيّة لذاك الرجل الإلهيّ إثر استشهاده بظلم هؤلاء، غير مكتملة.

ثمّ مع غزو الأُمويين للعالم الإسلاميّ، دفعت جبهة النفاق المجتمع نحو الانحطاط

١. المصدر نفسه، الخطبة: ١٩٢.

والدمار بقوّةٍ أكبر، وفي نهاية عهد معاوية بن أبي سفيان بلغ الفساد والانحلال ذروته؛ حيث تمّ إحياء الكثير من العادات والسنن الجاهليّة، كما أخذ سنّة النبيﷺ والقرآن الكريم في التدهور والاضمحلال.

لهذا انتفض الإمام الحسينعليه السلام لإحياء دين الإسلام وسننه الضائعة؛ حيث قال: «وأنا أدعوكُم إلى كِتابِ الله وسُنَّةِ نَبِيِّهﷺ؛ فَإِنَّ السُّنَّةَ قد أُميتَت، وإنَّ البِدعَةَ قَد أُحيِيَت».[1]

وعليه، فإنّ أهمّ سبب لقيام الإمام الحسينعليه السلام هو ردّ فعل تجاه الأُمويين في إحياء السنن الجاهليّة وإضعاف التعاليم الإسلاميّة السماويّة، كما كانت قيادة جبهة الباطل في مأساة عاشوراء الدمويّة أيضًا بيد أبناء الملحدين والمعارضين في عصر الجاهلية والمنافقين في عهد رسول اللهﷺ، وفيما يلي نوضح هذه الحقيقة التاريخيّة بجلاءٍ أكثر من خلال الاستشهاد بالمصادر القديمة:

## كيفية انتشار الانحرافات في المجتمع الإسلاميّ

وعندما ابتعدت الإمامة والقيادة عن مركزها ومحورها الأصليّ، ووقعت هذه الأمانة الإلهيّة[2] في يد من لا يستحقها بأيّ شكل من الأشكال، ظهرت كذلك أرضيّة تفكّك سائر عُرى الدين. وبعبارة أُخرى، فإنَّ سيطرة الرَّجعيين على الساحة السياسيّة والحكوميّة قد سخّرت العديد من العوامل في خدمتهم، فهم باستخدام هذه العوامل السياسيّة والاقتصاديّة، حاولوا تهميش أهل البيتعليهم السلام في المجتمع الإسلاميّ، ومنعوا من كتابة ونشر الحديث النبويﷺ، ما أدّى أخيرًا لظهور البدع وتزوير الأحاديث ووضع التفاسير الباطلة للقرآن الكريم، وقد انتشرت حركة الرجعيّة بشكلٍ رهيبٍ في المجتمع، وقد حلّت القيم المادّيّة والجاهليّة محلّ القيم المعنويّة والإلهيّة، وكما تنبأ به النبيﷺ،[3] أصبح الناس في فتنٍ كقطع الليل المظلم.

---

١. المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار: ٣٤٠/٤٤ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣٠٥/٣.

٢. ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها﴾ [النساء/٥٨]، ومن أبرز مصاديق الأمانة في الآية الشريفة الحكم والمهام الاجتماعيّة (الطبرسي، مجمع البيان: ٦٣/٢).

٣. قال رسول اللهﷺ: «سَتَكونُ فِتَنٌ لا يَسْتَطيعُ الْمُؤمِنُ أَنْ يُغَيِّر فيها بِيَدٍ ولا لِسانٍ». انظر: المجلسي، بحار الأنوار: ١٤٤/١٨؛ الصدوق، أمالي: ٣٠٢.

وفي النصف الثاني من عهد خلافة عثمان، زادت هذه الانحرافات لدرجة أنّ الإمام علي عليه السلام لم يتمكّن من تصحيحها حتّى في عهد خلافته، ثمّ بعد استشهاده عليه السلام وتثبيت حكومة معاوية في العالم الإسلاميّ بأكمله، استشرت حركة الرجعيّة في ظلّ حكم معاوية بن أبي سفيان عشرين عامًا وانتشرت البدع والجرائم في حقّ الإسلام والمسلمين.

ومع أنّ أهل البيت عليهم السلام بذلوا خلال هذه الفترة، جهودًا كبيرة لإصلاح الأُمور، بيد أنَّ هذه الأنشطة لم تنجح في الغالب بسبب سياسات معاوية المخادعة وشخصيّته المنافقة، وقد خلق موت معاوية وبداية حكم يزيد فرصةً للإمام الحسين عليه السلام للنضال، لإنقاذ المجتمع من الانحرافات وإيقاظ الأُمّة الإسلاميّة بتضحياته، ولولا تضحية الإمام الحسين عليه السلام بحياته، لما ترك بنو أُمية اسمًا للإسلام بلا شكّ.

**الأحداث المُرّة خلال خمسين عامًا من عصر الإمامة**

وقد تبيّن ممّا حدث، أنَّ حادثة عاشوراء كانت نتيجة خمسين عامًا من الأحداث في العالم الإسلامي، وأنَّ الفكرة القائلة بأنّ قيام الإمام الحسين عليه السلام بدأ اعتبارًا من موت معاوية وتولّي يزيد الحكم هي مخالفة تمامًا للواقع، بل إنّ انتفاضة الإمام الحسين عليه السلام جذورها أعمق ممّا يمكن أن تقتصر على بداية سلطنة يزيد ومطالبته للإمام عليه السلام بالبيعة؛ إذ بعد وفاة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، كان الإمام الحسين عليه السلام حاضرًا في تقلّبات المجتمع الإسلامي حيث يراقبها بيقظةٍ تامّةٍ، ولم يكن الأمر كما لو أنّ الإمام الحسين عليه السلام فتح عينيه فجأة، ورأى كتاب يزيد أمامه وأدرك أنّه لا خيار أمامه سوى مبايعة طاغية الزمان أو الشهادة، بل وإنّما الإمام كان محزوز القلب لسنوات عديدة.

ولقد رأى ذلك الإمام عليه السلام بأم عينيه المصائب الشاقّة للغاية التي تسببوا فيها لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد سمع كلماته المليئة بالحزن والأسى، ولم ينسَ يومًا ما عبارة: «فَصَبَرتُ وفي الْعَينِ قَذى وفي الْحَلَقِ شَجـى».[1]

١. نهج البلاغة، الخطبة: ٣.

ولقد رأى الإمام الحسين عليه السلام المشاكل التي خلقها معاوية للحكومة العلويّة بسياساته الاحتياليّة، وكيف شنّ حروبًا سقطت ضحيّتها آلاف من النفوس، فهو راقب خيانات معاوية وبدعه في عهده عن كثب، وشهد على نقض الأحكام والقيم الإسلاميّة بكل أنواع المهارات والخداع التي كان عامّة الناس عاجزة عن إدراكها، لكنّ الظروف السياسيّة والاجتماعيّة في عهد معاوية كانت بحيث لم تكن تتهيّأ له الفرصة على إظهار ردّ فعلٍ عسكريّ وثوريّ قويّ، إلى أن تسنّت له هذه الفرصة بموت معاوية وتسلّق يزيد أعواد منبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفيما يلي بعض الأمثلة على متاعب العالم الإسلاميّ والانحرافات والجرائم التي حدثت في عهد معاوية، مع ملاحظة جذورها التاريخيّة:

**١. سياسة التمييز العنصري**

لقد حارب الإسلام، بوصفه إيديولوجيّة إلهيّة وإنسانيّة، الثقافة العنصريّة والعرقيّة منذ أوّل اليوم، وقد نصّ القرآن الكريم بوضوح على ما يلي:

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾.[١]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»[٢]. وكان صحابة الرسول صلى الله عليه وآله من جنسيّات مختلفة: سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصُهيب الرومي، وأبو ذر الغفاري، وحذيفة بن يمان... يعيشون معًا بحقوق متساوية، لكن تمَّ خلال خلافة عمر وضع سياسة التمييز العنصريّ بخلاف النص الصريح للقرآن وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد أورد ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة:

**وأما عمر فإنه لمّا ولّي الخلافة فضّل بعض الناس على بعض، ففضّل السابقين على غيرهم،**

١. الحجرات: ١٣.

٢. الأميني، الغدير: ١٨٨/٦.

**وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافّة على الأنصار كافّة، وفضّل العرب على العجم، وفضّل الصريح (مَن كان والداه عربيَّين) على المولى (مَن كان أحد أبوَيه عربيًّا).**[1]

إنّ أسلوب الخليفة الثاني في منح المزيد من الامتيازات لبعض الناس قد أظهر أثره السيّء ومهّد الطريق لإحداث اختلاف طبقي لا ينسجم مع السياسة الماليّة الإسلاميّة، وبحسب بعض الروايات[2] فقد أدرك عمر ذلك أخيرًا، وحاول تغيير منهجه والعودة إلى النظام المعتاد في زمن النبي صلى الله عليه وآله، لكنّ الأجل لم يمهله، ومع تولي عثمان الخلافة وسيطرة الأمويين على مقاليد الحكم، سلبت هذه الفرصة بالكامل من المسلمين.

توضّح النصوص التاريخيّة هذا الجانب من سياسة الخليفة الثاني، والتي كانت لها مظاهر مختلفة، فقد منع هو - وفقًا لسياسته العنصريّة - غير العرب من الإقامة في المدينة المنورة، ولم يُجر القصاص على العرب مقابل العجم، وفضّل العرب على غير العرب وقريش على غير قريش في تقسيم بيت المال.[3]

وقد انتشرت هذه السياسة في عهد معاوية، فقد كتب لزياد بن أبيه:

**فإذا جاءك كتابي هذا فأذِلّ العجم وأهِنهم وأقصِهم، ولا تستعن بأحدٍ منهم، ولا تقضِ لهم حاجةً، فو الله إنّك لابن أبي سفيان خرجت من صلبه، وأنت يا أخي عندي صدوقٌ؛ إنّك قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري بالبصرة وكنت يومئذٍ كاتبه وهو عامل بالبصرة وأنت أنذل الناس عنده، وأنت يومئذٍ ذليل النفس تحسب أنّك مولى لثقيف، ولو كنت تعلم يومئذٍ يقينًا - كيقينك اليوم- أنّك ابن أبي سفيان لأعظمت نفسك وأنفت أن تكون كاتبًا لدعيّ الأشعريين. وحدّثني ابن أبي معيط أنّك أخبرته: أنّك قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري وبعث إليه بحبلٍ طوله خمسة أشبار، وقال له: "أعرض من قبلك من أهل البصرة. فمن وجدته من الموالي ومن أسلم من الأعاجم قد بلغ خمسة أشبار، فقدّمه فاضرب عنقه"، فشاورك أبو موسى في ذلك، فنهيته وأمرته أن يراجع عمر. فراجعه وذهبت أنت بالكتاب إلى عمر، وإنّما صنعت ما صنعت تعصّبًا للموالي وأنت**

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١١١/٨.

٢. اجتهادي، أبو القاسم، "بررسی وضع مالی و مالیه مسلمین"، ص٥؛ منقول من: طبقات ابن سعد: ٢١٧/٣.

٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١٠٦/٢.

**يومئذٍ تحسب أنّك منهم وأنّك ابن عبيد. فلم تزل بعمر حتى رددته عن رأيه وخوّفتَه فرقةَ الناس، فرجع. وقلت له: "ما يؤمنك - وقد عاديت أهل هذا البيت - أن يثوروا إلى علي فينهض بهم فيزيل ملكك"، فكفّ عن ذلك..[١]**

**فلو كنت - يا أخي - لم ترد عمر عن رأيه لجرت سنة ولاستأصلهم الله وقطع أصلهم... وانظر إلى الموالي ومن أسلم من الأعاجم، فخذهم بسنة عمر بن الخطاب؛ فإنّ في ذلك خزيهم وذلّهم، أن تنكح العرب فيهم ولا ينكحوهم، وأن ترثهم العرب ولا يرثوهم، وأن تقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم، وأن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يؤم أحد منهم العرب في صلاة، ولا يتقدّم أحد منهم في الصف الأوّل إذا حضرت العرب إلّا أن يتمّوا الصف، ولا تولّ أحدًا منهم ثغرًا من ثغور المسلمين ولا مصرًا من أمصارهم، ولا يلي أحدٌ منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم؛ فإنّ هذه سنّة عمر فيهم وسيرته...[٢]**

وقد توسّعت سياسة التمييز العنصريّ في عهد الأمويّين بشكلٍ كبير ممّا ترك خلفه عواقب خطيرة للغاية، فقد وفّر هذا العامل في البداية الأساسَ لسلطة الأُمويين، ولكن على المدى الطويل أصبح أحد العوامل المهمّة لسقوط الدولة الأُمويّة وانحطاطها؛ لأنّ العباسيين استخدموا ظلامة الموالي واضطهادهم كأداة ضغط قوية ضدّ الأُمويين.

وأمّا خلفيّة نفوذ الأُمويين في نظام قيادة العالم الإسلاميّ تعود بشكل أساس إلى عهد عثمان؛ حيث تصرّف بغرابة في إعطاء السلطة لبني أُميّة من ناحيتين سياسيّة واقتصاديّة؛ فمن الناحية السياسيّة: ولّى وليد بن عُقبة الكوفة، وعبد الله بن أبي سرح مصرَ (وشمال إفريقيا)، ومعاوية بن أبي سفيان الشامات، وسعيد بن أبي العاص البصرة،[٣] كان هؤلاء جميعهم من الأُمويين، وسيطروا على بيت المال بالكامل، وأصبحوا أقوياء لدرجة أنّهم استطاعوا بعد مقتل عثمان وتولي علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة، الوقوف ضده، وتنظيم حروب داخليّة واحدة تلو الأُخرى، ومنع إصلاحاته، وأخيرًا بسط حكمهم على العالم الإسلاميّ برمّته.

١. سليم بن قيس، أسرار آل محمد: ١٥٢-١٥٣ ؛ الشيخ عباس القمي، سفينة البحار: ١٦٥/٢.
٢. سليم بن قيس، المصدر نفسه: ١٥٤؛ الشيخ عباس القمي، المصدر نفسه: ١٦٥/٢؛ المصدر نفسه، نفس المهموم: ١٤٤.
٣. ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ١١/٣-١٣.

**٢. الأرستقراطيّة الأُمويّة وسوء استعمال بيت المال**

قد أسّس الخليفة الثالث من الناحية الاقتصاديّة، النظام الإقطاعيّ، وخصّص الممتلكات العامّة لأقاربه هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، منحه عطايا كبيرة غير عاديّة؛ حيث أعطى (٣٠٠) ألف درهم لحارث بن حكم أخي مروان، وأعطاه زكاة الإبل وقطعة أرض خصّها نبيّ الإسلام للمسلمين، كما أعطى (١٠٠) ألف درهم لسعيد بن العاص بن أمية و(١٠٠) ألف لمروان بن الحكم و(٢٠٠) ألف لأبي سفيان. وقد أخذ لنفسه (٣٠،٥٠٠،٠٠٠) درهم و(٣٥٠،٠٠٠) دينار، ولعبد الرحمن بن عوف (٢،٥٦٠،٠٠٠) دينار من الخزانة.[١]

يكتب المسعودي:

> **بَنَى عثمان بن عفان قصرًا في المدينة، وشيّدها بالحجر والكِلْس، وجعل أبوابها من الساج والعَرْعَر، واقتنى أموالًا وجنانًا وعيونًا بالمدينة. وذكر عبد الله بن عتبة أنّ عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومئة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القُرَى وحُنَيْن وغيرهما مئة ألف دينار، وخلف خَيْلًا كثيرًا وإبلًا...**
>
> **فسلك عمالُه وكثير من أهل عصره طريقته، وتأسَّوْا به في فعله. فقد بنى الزبير بن العوام داره بالبصرة، وهي الكوفة في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة - نزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحريين وغيرهم، وابتنى أيضًا دورًا بمصر والكوفة والإسكندريّة، وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف الزبير ألف فرس، وألف عبد وأمة، وخططًا بحيث ذكرنا من الأمصار، وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمي، ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت، المعروفة بالكُنَاسة بدار الطلحيين، وكان غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك، وبناحية الشراة أكثر ممّا ذكرنا، وشيّد داره بالمدينة وبناها بالآجرِّ والجِصِّ والساج. وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري ابتنى داره ووسعها، وكان على مربطه مئة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف شاة من الغنم، وبلغ بعد وفاته رُبُعُ ثمنِ مالِهِ أربعةً وثمانين ألفًا. وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق، فرفع سمكها، ووسع فضاءها، وجعل أعلاها شُرُفَاتِ. وقد ذكر سعيد بن المسيب أنّ زيد بن ثابت حين مات خلف الذهب والفضّة ما كان يُكسر بالفؤوس، غير ما خلّف من الأموال والضياع بقيمة مئة ألف دينار...**[٢]

١. المصدر نفسه: ١٩٨/١؛ الأميني، الغدير: ٢٨٦/٨.

٢. المسعودي، مروج الذّهب: ٣٥٠/٢؛ الأميني، المصدر نفسه: ٢٨٦/٦.

نتيجةً لذلك؛ ظهرت في عهد عثمان أرستقراطيّة جديدة في المجتمع الإسلاميّ واختفت المساواة والعدالة الاجتماعيّة.

وفي رواية الطبري أنّ عثمان قد أسرف في تولية بني أُميّة وتخصيص بيت المال لهم، إلى أنّ الناس في مختلف المناطق تمرّدوا ضدّه، وقد تجرّأ الأُمويّون حتّى قيل إنّ سعيد بن عاص، عندما ولي الكوفة، قال: «إنَّ السواد بستان لقريش وبني أُميّة»؛ (ما أثار سخط مالك الأشتر).[١]

ومن أعمال الخليفة الثالث، دعمه للنظام الإقطاعيّ، فقد خصّص عمر - كما أشرنا سلفًا - بعض أراضي بيت المال للسابقين في الإسلام والمجاهدين الكبار، ثمّ وهب عثمان بعض الأراضي لأقاربه، ورسّخ بذلك النظام الإقطاعيّ.[٢]

كما أورد ابن أبي الحديد في شرحه:

> **وتصدّق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم، وأقطع مروان فدك وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها ﷺ تارةً بالميراث وتارةً بالنحلة فدفعت عنها، وحمى المراعي حول المدينة كلّها من مواشي المسلمين كلّهم إلّا عن بني أميّة، وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.**[٣]

وكانت نتيجة سياسة عثمان العنصريّة والقبليّة هي اقتدار بني أُميّة في أبعاد مختلفة، فمن خلال اكتساب القوّة السياسيّة، استولوا على الموارد الاقتصاديّة للعالم الإسلاميّ أيضًا؛ وبهذه الطريقة تمكّنوا من اكتساب قوة عسكريّة كبيرة، كما حصل معاوية بن أبي سفيان على قدر كبير من القوّة الاقتصاديّة والعسكريّة نتيجة دهائه وخداعه،

١. الطبري، المصدر نفسه: ٣٦٥/٣ ؛ ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ١٢٩/٢.
٢. ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ٢٦٩/١. تشير "القطيعة" والجمع قطائع إلى الأرض المتعلقة ببيت المال، وعلى المزارع دفع الضريبة لها.
٣. المصدر نفسه: ١٩٩.

وكذلك أهمّيّة منطقة الشامات، وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام حكم جميع مناطق العالم الإسلاميّ نحو عشرين عامًا، وأخذ البيعة لابنه يزيد وليًّا للعهد.

**٣. تحوّل الخلافة الإسلاميّة إلى ملكيّة وراثيّة**

إنّ مبدأ القيادة والإمامة في الإسلام يقوم على أساس "القائد للشعب، والشعب للقائد"؛ لذلك يجب على قائد المجتمع الإسلاميّ أن يعامل الناس معاملةً حسنةً، وأن يعتبرهم أجزاءً وعناصر من شخصيّته، وأن يتمتّع بالورع والوعي الكامل بمهامّ القيادة الخطيرة من أجل هداية المجتمع الإسلاميّ إلى السعادة كما ينبغي، وإنّ تأثير القادة الاجتماعيين في إصلاح المجتمع كبيرٌ لدرجة أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال:

**صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي إذا صَلُحا صَلُحَتْ أُمَّتي، وَإذا فَسَدا فَسَدَتْ أُمَّتي، قيلَ: يا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُما قالَ: اَلْفُقَهاءُ وَالأُمَراءُ.**[١]

وقال علي عليه السلام:

**فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إلّا بِصَلاحِ الْوُلاةِ.**[٢]

لقد قام الأُمويّون بقلب الخلافة والقيادة الإسلاميّة رأسًا على عقب مثل العديد من المبادئ الدينيّة الأُخرى؛ فإنّ معاوية امتثالًا لأمر أبيه الذي قال: «تَلَقَّفُوهَا يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ تَلَقُّفَ الْكُرَةِ، فَوَ اللهِ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ؛ أمّا وَالَّذى يَحْلِفُ بِهِ أبو سُفيان، ما زِلْتُ أَرْجوها لَكُمْ، وَلِتَصيرَنَّ إلى صِبْيانِكُمْ وِراثَةً»،[٣] قد سخّر كلّ شيء لبني أُميّة، ولم يخدم الأمّة الإسلاميّة فحسب، بل حوّل الخلافة الإسلاميّة إلى ملكيّة وراثيّة، وأثار قضيّة ولاية العهد لأوّل مرّة في تاريخ الخلافة الإسلاميّة في حياته،[٤] فقد عهد لابنه يزيد،

١. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٩/٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٦.

٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٢٠٨/٣٣. «تَلَقَّفُوها يا بَني عَبْدِ شَمسٍ تَلَقُّفَ الْكُرَةِ، فَوَاللهِ ما مِنْ جَنَّةٍ وَلا نارٍ، وَما زَلْتُ أَرْجُوها لَكُمْ إلىَ أَبْنائِكُم وِراثَةً».

٤. قال سعيد بن مسيّب: "لعن الله معاوية فقد أخرج الخلافة عن أصولها، وجعلها كالملك". وكان يقول معاوية: "أنا أول الملوك." [تاريخ اليعقوبي: ٢٢١/٢].

وأخذ له البيعة من الناس بالقهر والتهديد، ومؤامرات أخرى كثيرة، بينما لم يعهد لابنه أيّ خليفة من الخلفاء السابقين كأبي بكر وعمر وعثمان الذين كانوا موضع عناية وقبول معاوية، وكان المعيار المقبول عمليًّا لدى الجمهور (في اختيار الخليفة) حتّى عهد معاوية، هو شورى أهل الحلّ والعقد أو الاختيار العام، وبغضّ النظر عن حقيقة أن تعيين ولي العهد كان بدعة، فإنّ يزيد بوجهٍ خاصّ كان شخصًا فاسقًا وفاسدًا ومنحرفًا، ولم يكن يستحقّ الخلافة بأيّ شكلٍ من الأشكال، وكان فعل معاوية مشينًا وكريهًا لدرجة أنّ رجلًا فاسقًا مثل زياد بن أبيه، رفض اقتراحه في البداية.

فلمّا أراد معاوية أن يطرح فكرة ولاية يزيد لعهده كتب إلى زياد يستشيره، فبعث زياد إلى رجلٍ حكيمٍ وموثوقٍ عنده، فقال:

> **إنَّ لكلّ مستشيرٍ ثقة، ولكلّ سرٍّ مستودع، وقد دعوتك لأمر اتّهمت عليه بطون الصحف، فَالقِ أميرَ المؤمنين [معاوية في الشام] مؤدّيًا عنّي، فأخبره عن فعلات يزيد، وقل له: ما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبغات، ويد من الشراب، ويمشي على الدفوف وبحضرتهم الحسين بن عليّ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر؟ ولكن تأمره يتخلق بأخلاق هؤلاء حولًا أو حولين فعسينا أن نموّه على الناس.**[1]

وقد اشتهر يزيد بالفسق والمجون حتّى أنّ رجلًا ظالمًا وجائرًا كزياد بن أبيه لم يعتبره جديرًا بالخلافة! وكان معاوية يعرف ابنه أكثر من أيّ شخصٍ آخر، وكان على علمٍ بفساده الأخلاقيّ والدينيّ، كما يعلم جيّدًا أنّ يزيد لا يستحقّ زعامة العالم الإسلاميّ، لكن بما أنّه لم يكن يؤمن بمصالح الإسلام ولا مصالح الناس، بل كان مفتونًا بابنه ومصلحته فقط، فقد اختاره وليًّا لعهده،[2] حتّى بعد ذلك الحين، كان يزيد غيرَ مبالٍ بمصالح المجتمع والأمّة الإسلاميّة، ولم يكن للحادث الأكثر أذىً للأمّة الإسلاميّة أدنى ندم أو تأثيرٍ عليه.

---

١. المصدر نفسه: ٢٢٠.

٢. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة: ٢٠٢/١.

وعن الحسن البصري أنّه قال:

**قد كانت في معاوية هَناتٍ لو لَقِي أهلُ الأرض ببعضها لكفاهم: [منها] وُثوبُه على هذا الأمر [أي تقمص الخلافة] واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين؛ وادعاؤه زيادًا، وقتله حُجر بن عدي وأصحابه، وبتوليته مثل يزيد على الناس.**[١]

إنَّ معاوية من خلال البدعة التي زرعها في الخلافة الإسلاميّة، خلق الأرضيّة لانتهاك المقدّسات، وأعدّ الظروف لآل مروان، وهكذا أصبح تعيين ولي العهد للخليفة منذ ذلك الحين، أمرًا شائعًا ومألوفًا بين آل أُميّة (وفي وقت لاحق عند العباسيين)، كما هو الحال عند القياصرة والملوك.

**٤. استلحاق "زياد" بأبي سفيان**

إذا زنت أمَةٌ وأنجبت ولدًا، فالولد - وفقًا للشريعة الإسلاميّة - لزوجها (إذا كان لها زوج)، أو لمالكها، ولا حظّ فيه للزاني.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الوَلَدُ لِلْفِراش وللعاهِرِ الحَجر»،[٢] وقال أيضًا: «من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنّه غير أبيه، فالجنّة عليه حرام»[٣]، و«من انتسب إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا إلى يوم القيامة».[٤]

وقد التزم المسلمون بهذه السنّة النبويّة صلى الله عليه وآله حتّى عام (٤٤) هـ، لكن في هذه السنة ادّعى معاوية وفق سنّة جاهليّة أنّ والده أبا سفيان عاهر بسميّة أمّ زياد المولود على فراش عُبيد في الجاهليّة، واستند معاوية في ادعائه إلى شهادة أبي مريم السلولي، وهو قواد في العصر الجاهلي،[٥] وكان معاوية يغضب إذا لم ينسب أحد "زيادًا" إلى أبي سفيان؛ ولهذا قال

١. سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ٢٨٦؛ الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات: ٥٧٤.
٢ ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر والحديث، ج ٣، مادّة عَهَر.
٣. الكليني، الكافي: ٤١٩/٥؛ الأميني، الغدير: ٢١٦/١٠؛ منقول من مسند أحمد: ٣٨/٥-٤٦.
٤. البيهقي، السنن الكبرى: ٤٠٣/٧.
٥. العلامة الأميني الغدير، روايات كثيرة ضمن ١٠ مجلدات، ص٢١٧.

يزيد بن ربيعة: «أَتغضَبُ أَن يُقال أَبوك عَفٌّ، وترضى أَن يُقال أبوك زانٍ»؟![1]

وكما ذكر المؤرّخون، كان دافع معاوية هو استعمال "زياد بن أبيه"، باعتباره شخصًا ذكيًّا ومقتدرًا وأحد عمال الإمام عليعليه السلام، وإبعاده عن الإمام.

روى ابن أثير:

**فَلَمَّا وَلِيَ عَلِيٌّ الْخِلَافَةَ اسْتَعْمَلَ زِيَادًا عَلَى فَارِسَ، فَضَبَطَهَا وَحَمَى قِلَاعَهَا، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِمُعَاوِيَةَ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ، وَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ يَتَهَدَّدُهُ وَيُعَرِّضُ لَهُ بِوِلَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ إِيَّاهُ،[2] فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ كِتَابَهُ قَامَ فِي النَّاسِ، وَقَالَ: الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِن ابْنِ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ، وَرَأْسِ النِّفَاقِ! يُخَوِّفُنِي بِقَصْدِهِ إِيَّايَ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ ابْنَا عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؟ أَمَا وَاللهِ لَوْ أَذِنَ لِي فِي لِقَائِهِ لَوَجَدَنِي أَحْمَزَ مَخْشِيًّا ضَرَّابًا بِالسَّيْفِ.[3]**

**وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي وَلَّيْتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ وَأَنَا أَرَاكَ لَهُ أَهْلًا، وَقَدْ كَانَتْ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فَلْتَةٌ مِنْ أَمَانِيِّ الْبَاطِلِ وَكَذِبِ النَّفْسِ لَا تُوجِبُ لَهُ مِيرَاثًا وَلَا تُحِلُّ (لَهُ نَسَبًا)، وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ يَأْتِي الْإِنْسَانَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَاحْذَرْ ثُمَّ احْذَرْ، وَالسَّلَامُ.[4]**

وظلّ زياد يرفض دعوة معاوية في زمن عليعليه السلام إلى أن استشهد الإمام، فعندئذٍ استدعاه معاوية مرّة أخرى وعرض عليه عرضة من جديد، فحضر عنده حيث كان معاوية قد جمع جماعة من الناس للشهادة على صحّة ادعائه؛ وبهذه الطريقة قد لحق "زياد" إلى أبيه ودعاه أخًا له، ثم استعمله واليًا على الكوفة.

وقد اعتبر الإمام الحسينعليه السلام أنّ هذه بدعة ومن جملة موبقات معاوية، وكتب في الردّ عن رسالته:

**أوَلَستَ المُدَّعِيَ زِيادَ ابنَ سُمَيَّةَ المَولودَ عَلى فِراشِ عُبَيدٍ عَبدِ ثَقيفٍ، وزَعَمتَ أَنَّهُ ابنُ أبيكَ، وقَد قالَ رَسولُ اللهصلى الله عليه وآله: "الوَلَدُ لِلفِراشِ ولِلعاهِرِ الحَجَرُ"، فَتَرَكتَ سُنَّةَ رَسولِ**

١. الأميني، المصدر نفسه: ٢١٩/١٠؛ المسعودي، مروج الذهب: ١٥/٣.
٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٧٠/٢.
٣. ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ١٨٣/١٦ ؛ ابن الأثير، المصدر نفسه: ٤٧٠/٢.
٤. ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ١٨٢.

**اللهصلى الله عليه وآله وخالَفتَ أمرَهُ مُتَعَمِّدا، وَاتَّبَعتَ هَواكَ مُكَذِّبا، بِغَيرِ هُدىً مِنَ اللهِ، ثُمَّ سَلَّطتَهُ عَلَى العِراقَينِ، فَقَطَعَ أيدِيَ المُسلِمينَ، وسَمَلَ أعيُنَهُم، وصَلَبَهُم عَلى جُذوعِ النَّخلِ، كَأَنَّكَ لَستَ مِنَ الأُمَّةِ، وكَأَنَّها لَيسَت مِنكَ.**[١]

**٥. نماذج أخرى من مُحدثات وبدع معاوية**

فقد أحدث معاوية العديد من البدع في الإسلام نذكر نزرًا منها:

١. أحدث في بعض أحكام الحج علنًا، كاستعمال العطر أثناء الإحرام.[٢]

٢. وكان يشرب ويأكل في آنية الذهب والفضّة، وقد نهى عنه رسول اللهصلى الله عليه وآله.[٣]

٣. وكان يلبس الحرير (وهو محرم على الرجال) ولا يلتفت إلى النواهي الإلهيّة.[٤]

٤. وأضاف إلى صلاة العيدين - الفطر والقربان - الأذان والأقامة، مع أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «ليس في العيدين أذان وإقامة».[٥]

٥. وقدّم الخطبة على صلاة عيد الفطر، ومن ثمّ اقتدى به بنو أميّة خلافًا لسنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله.[٦]

٦. وقد سأله جماعة عن الجمع بين الأختين مما ملكت اليمين، فقال: «ليس بذلك بأس، أما والله لربّما وددتني أُدرك...».[٧]

**٦. حقد معاوية على النبيصلى الله عليه وآله**

وقد اشتدت العداوة والبغضاء ضدّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وآل بيتهعليهم السلام في عهد معاوية؛ حيث كان في محاولة مستمرّة للتقليل من مكانة الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله بوضع أحاديث مزوّرة، وكيف لا، وهو قد أقسم أن يدفن اسم النبيصلى الله عليه وآله دفنًا دفنًا.

---

١. الطبري، الاحتجاج: ١٦١/٢؛ المجلسي، بحار الأنوار: ٢١٢/٤٤.
٢. ابن عقيل، النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية: ٩٤.
٣. ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ٢٦/٢٠.
٤. المصدر نفسه: ٢٠١/٨.
٥. الأميني، الغدير: ١٩٣/١٠.
٦. المصدر نفسه.
٧. المصدر نفسه: ١٩١، للمزيد انظر: الغدير، ج ١٠.

نقل ابن أبي الحديد عن موفّقيات الزبير بن بكار، فقال:

**قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمًّا فانتظرته ساعة، وظننت أنّه لأمر حدثٍ فينا، فقلت: ما لي أراك مغتمًّا منذ الليلة؟ فقال: يا بنيّ! جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به، إنّك قد بلغت سنًّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلًا، وبسطت خيرًا فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه،[1] فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات: (أشهد أنّ محمّدًا رسول الله)، فأيّ عملي يبقى، وأيّ ذكرٍ يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلّا دفنًا دفنًا.[2]**

إنَّ حديث معاوية هذا يكشف بوضوح عن كفره. ولمّا بلغ هذا الخبر المأمون العباسي في عهد خلافته، أمر الناس بلعن معاوية – كمرسومٍ عام – في جميع أنحاء البلاد الإسلاميّة.[3]

وكذلك منع معاوية نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، يكتب ابن أبي الحديد عن هذا:

**كتب معاوية نسخةً واحدةً إلى عمّاله بعد عام الجماعة (سنة ٤٠ ه): «أنْ برئت الذمة ممَّن روى شيئًا من فضل أبي تراب عليه السلام وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبرٍ يلعنون عليًّا...[4]**

---

١. يعود نسب بني هاشم إلى هاشم بن عبد مناف، كما يعود نسب بني أميّة إلى عبد شمس بن عبد مناف؛ لذا فإنّ عبد مناف هو الجدّ المشترك لبني هاشم وبني أميّة على السواء، لكن كما قال الإمام علي عليه السلام أين «أميّة» من «هاشم» وأين «حرب» من «عبد المطلب»، في كتاب له إلى معاوية: وأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، ولَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، ولَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ولَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، ولَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، ولَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ولَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، ولَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ.. وفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، ونَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ، ولَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا وأَسْلَمَتْ لَه هَذِهِ الأُمَّةُ طَوْعًا وكَرْهًا كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا، ولَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا والسَّلَامُ». [نهج البلاغة، الكتاب: ١٧].

٢. المسعودي، مروج الذهب: ٤٥٤/٣؛ ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ٤٦٣/١؛ الزبير بن بكّار، الأخبار الموفقيات: ٥٧٦.

٣. المسعودي، المصدر نفسه: ٤٥٤/٣.

٤. ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ٤٤/١١.

ولم يكتفِ معاوية بعدم نشر فضائل علي عليه السلام وأولاده، بل أقام شبكةً لوضع الأخبار، فعهد إليها بوضع الأحاديث على لسان النبي صلى الله عليه وآله للحَطّ من قيمة أهل البيت عليهم السلام.[١]

**٧. سب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله**

استمرارًا لسياسة هجر علي عليه السلام وأولاده، وخلافًا لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، أمر معاوية بسبّ زوج فاطمة الزهراء عليها السلام وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله! فقد بدأ معاوية بسبّ علي عليه السلام شخصيًّا، ثمّ أمر أئمّة الجمعة والجماعة بالقيام بذلك[٢].

وفي لفظ الطبري من طريق ابن أبي نجيح قال:

> **لمّا حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية في علي وشرع في سبّه، فزحف سعد، ثمّ قال: أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سبّ علي؟ والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعلي، أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس»، وكما أفاد المؤرخون، كتب معاوية، من جهة إلى عمّاله في جميع الآفاق منع الروايات حول فضائل عليّ وأولاده. ومن جهة أخرى، فرض على الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبرٍ أن يلعنوا عليًّا ويبرءوا منه ويقعوا فيه وفي أهل بيته.**[٣]

ولما ولّى معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة، سبّ عليًّا وشيعته على المنبر، ممّا أدى لاعتراض "زيد بن أرقم"، حيث قال: «يا مغيرة! ألم تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن سبّ الأموات؟ فلمَ تسبّ عليًّا وقد مات؟»، كما أثار عمل المغيرة غضب صعصعة بن صوحان أيضًا[٤].

وقد استمرّت هذه الأحدوثة القبيحة لمعاوية بعده بأربعين سنة، وكانت الخطباء والوعاظ

---

١. المصدر نفسه: ٢١٩/١٣-٢٢٠.

٢. الأميني، المصدر نفسه: ٢٥٧/١٠ ؛ الطبري، المصدر نفسه: ١٤٩/٦؛ المسعودي، المصدر نفسه: ٦١/١؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ١٢.

٣. انظر: الأميني، الغدير: ٢٥٧/١٠-٢٦٧.

٤. الأميني، المصدر نفسه: ٢٦٣/١٠؛ منقول من مسند أحمد: ١٨٨/١؛ أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني: ٢/١٦؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك: ٣٨٥/١.

يسبّون عليًّا عليه السلام، حتّى منعهم عمر بن عبد العزيز من فعل ذلك في الخطب والمنابر.

**٨. قمع شديد لمحبي أهل البيت عليهم السلام**

بعد استشهاد علي عليه السلام ووصول معاوية إلى الخلافة عام ٤٠ هـ، تمّ تنفيذ سياسة القتل والتنكيل بمزيدٍ من العنف والشدّة، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سميّة، فقتلهم تحت كلّ حجرٍ ومدر وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكما يقول ابن أبي الحديد، فإن الاختناق كان شديدًا لدرجة أنّ الناس لم يثقوا بخدمهم وزوجاتهم، وإذا أرادوا التحدّث إليهم لحلفوهم على عدم نقل الأمر إلى الحكومة.[١]

وعيّن معاوية "سَمُرة بن جندب" واليًا على البصرة، ذاك الرجل السفّاك الذي أراق دماء المؤمنين بأتفه الأعذار.[٢]

وفي أواخر حياته جمع زياد بن سمية أهل الكوفة في دار الإمارة يرغمهم على سبّ عليٍّ عليه السلام، فكان يقتل كلّ من يمتنع من لعن عليٍّ عليه السلام ويهدم بيته.[٣]

وقد أورد ابن أبي الحديد حديثًا عن الإمام باقر عليه السلام أنّه قال:

> **وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية، بعدُ فقُتلت شيعتنا بكلّ بلدةٍ وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله أو هُدّمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثمّ جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتلة وأخذهم بكلّ ظنة وتهمةٍ حتّى أنَّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة علي![٤]**

وقد وصلت هذه السياسة الهمجيّة لمعاوية إلى درجةٍ وقعت ضحيّتها كلّ من كان

١. ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ٤٥/٢.
٢. المصدر نفسه: ٧٧/٤.
٣. المجلسي، المصدر نفسه: ٣٢١/٣٩.
٤. ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ٤٤/١١.

صاحب بصيرة وتقوى، كما سبق أن أخبر الإمام علي عليه السلام عن وقوع فتنةٍ كهذه في المستقبل.[١]

ومن أجل إخماد نار الكراهيّة التي كان يحملها تجاه علي عليه السلام، قتل معاوية الصحابة المخلصين وخواصّ أصحاب الإمام عليه السلام بطريقةٍ فظيعةٍ وغير إنسانيّة؛ وفيما يلي نشير إلى نموذجين منها:

**رُشَيْد الهَجَريّ**: عن زيادِ بنِ النَّضرِ الحارثيّ قال:

**كنتُ عند زيادٍ إذ أُتيَ برُشَيْدٍ الهجريّ، فقالَ له زيادٌ: ما قالَ لكَ صاحبُكَ - يعني عليًّا - إنّا فاعلونَ بكَ؟ قالَ: تَقطَعونَ يديَّ ورجليَّ وتَصلبونني، فقالَ زيادٌ: أمَ واللهِ لأُكَذِّبنَ حديثَه، خَلُّو سبيلَه. فلمّا أرادَ أن يَخرجَ قالَ زيادٌ: واللّهِ ما نجدُ له شيئًا شرًّا ممّا قالَ صاحبُه، اقطَعوا يديه ورجليه واصلبوه. فقالَ رُشَيْدٌ: هيهاتَ، قد بقيَ لي عندَكم لشيءٌ أخبرَني به أميرُ المؤمنينَ عليه السلام؟ قالَ زيادٌ: اقطَعوا لسانَه، فقال رُشَيْدٌ: الآن واللهِ جاءَ تصديقُ خبرِ أميرِ المؤمنينَ.**[٢]

**حُجر بن عَدي الكندي وأصحابه**: آمن حجر بن عدي في شبابه مع أخيه "هاني بن عدي". ومع أنه كان صغيرًا من حيث العمر في زمن النبي صلى الله عليه وآله، إلّا أنّه كان من فضلاء الصحابة.[٣]

وكان رجلًا مقاتلًا، فقد أودعت الشجاعة والبسالة في جبلّته، ورغم أنّه لم يدرك غزوات عصر النبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أنّه كان تمكّن من الوقوف في صفّ المجاهدين الشجعان في فتح الشام ومعركة القادسية وفتح المدائن.[٤]

---

١. قال الإمام علي عن الفتنة: «أَلَا وإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا، وأَيْمُ الله لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْذِمُ فِيهَا، وتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، ولَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّه والصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِه، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وقِطَعًا جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ولَا عَلَمٌ يُرَى. نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ ولَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ثُمَّ يُفَرِّجُهَا الله عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ مَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا، ويَسُوقُهُمْ عُنْفًا، ويَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، ولَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا ومَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَامًا وَاحِدًا ولَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَه فَلَا يُعْطُونِيه!» [نهج البلاغة، الخطبة: ٩٣].

٢. مفيد، الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد: ١٧١؛ ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ٢١١/١.

٣. ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٨٥/١.

٤. حياة الصحابة: ٥١١/٤ منقول من: بحوث الأستاذ جعفر السبحاني/ مهدى بيشوايي، "شخصيت‌هاى اسلامى شيعه": ١٧١/٢.

وبعد وفاة النبيﷺ، كان حجر دائمًا إلى جنب عليؑ، وكان من خواصّ أصحاب أمير المؤمنينؑ الأوفياء؛ فكان على رأس قبيلة "كندة" في معركة صفين، على ميسرة الجيش في معركة نهروان.[١]

ولمّا هاجم "سفيان بن عوف الغامدي" مدينة "الأنبار" (التابعة لولاية الكوفة) بأمرٍ من معاوية وقتل من قتل ونهب ما نهب وخلق فيها رعبًا كبيرًا، بعث الإمام عليؑ سعيد بن قيس وحجر بن عدي على رأس جيشٍ قوامه ثمانية آلاف جندي لمجابهته، كما أوكله مهمّة الوقوف ضدّ غارات ضحاك بن قيس أحد قادة معاوية الأشدّاء، حيث أدّاها بنجاحٍ ليضُمّ بذلك مفخرة أخرى لقائمة مفاخره ومناقبه.[٢]

وكانت الشيعة يختلفون إليه في الكوفة، ويشكّلون صفوفهم ضدّ الأمويين، ثمّ مع موت المغيرة وتولية "زياد بن أبيه" على الكوفة، تعرّض حُجر للتهديد والاضطهاد من جانب "زياد"، ولما حاول رجال "زياد" القبض عليه منعهم أنصاره؛ لذلك أرسل "زياد" المزيد من المحاربين لاعتقاله، ولما أحسّ حُجر، بأنّ قوّاته غير متكافئة، لم ير من المناسب القتال، بل اختبأ في منزل أصحابه، فكان "زياد" يحاول جاهدًا العثور على حجر، فيقوم بتعذيب كلّ من يقبض عليه من أصحابه ليكشف عن مكان اختبائه، فلما أعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الأشعث وقال له: «والله لتأتيني به أو لأقطعنَّ كلّ نخلة لك وأهدم دورك، ثمّ لا تسلم منّي حتّى أقطعك إربًا إربًا».

مكث حجر بن عدي في بيت أصحابه لفترة، وعانى ما عانى من قمع أصحابه وأقربائه، فأرسل إلى محمّد بن الأشعث يقول له ليأخذ له من زياد أمانًا حتّى يبعث به إلى معاوية، فجمع محمّد جماعة من وجوه أهل الكوفة، فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على أن يرسله إلى الشام عند معاوية، فوافق عليه زياد، فسلّم حجر بن عدي نفسه، ثم بعثه

١ ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٨٥/١.

٢. الثقفي الكوفي، الغارات، ترجمة: عبد الحميد آيتي، ١٣٧١: ١٦٠.

زياد إلى الشام ومعه أحد عشر رجلًا كانوا في السجن من شيعة علي عليه السلام.

ونظرًا لأنّ معاوية كان يعتبر حُجر بن عدي خطرًا على حكومته وكان مصمّمًا على قتله، فلم يرد مواجهته؛ لذلك بعث جلاوزته إلى مرج عذراء، اثني عشر ميلًا من دمشق، لقتله.[١]

وقدّم الجلاد فقال لهم: «إنّ معاوية أمرنا بقتلكم إلّا أن ترجعون عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم وتتبرّءون منه»؛ فقالوا: «إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعوننا إليه، ثمّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار».[٢]

وهكذا قتل معاوية حجرًا وستّةً من أصحابه ظلمًا، في مرج عذراء.[٣]

**عهد يزيد وطمث القيم الإسلاميّة بأجمعها**

لقد بدأ الانحراف الثقافيّ والسياسيّ والاجتماعيّ في المجتمع الإسلاميّ بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله وانتشر يومًا بعد يوم، وفي عهد عثمان اضمحلّت القيم الإسلاميّة والمعنويّة واحدة تلو الأُخرى، وحلّت محلّها القيم المادّيّة والجاهليّة، وبلغت هذه العمليّة المنحرفة ذروتها في نهاية حياة معاوية، ثمّ مع حكم يزيد بن معاوية، ارتفعت وتيرة المؤامرة ضدّ المبادئ والقيم الإسلاميّة، وظهرت الجاهليّة بكلّ خصائصها وتعرّض الدين الإسلامي للتشويه والتحريف.

ومن هذا المنطلق أجاب الإمام الحسين عليه السلام على مروان، عندما طلب منه مبايعة يزيد، فقال:

«إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، وَعَلَى الْاسلامِ السَّلام، إِذْ قَدْ بُلِيَتِ الأُمَّةُ بِراعٍ مِثْلَ يَزيد»[٤].

---

١. ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٦/٢١٩.

٢. المسعودي، المصدر نفسه: ٣/١٢.

٣. الأميني، المصدر نفسه: ١١/٥٣.

٤. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ١/١٨٥.

وعندما استولى يزيد المتجاهر بالفسق على كرسيّ الخلافة، أخذت معارضة القرآن الكريم وسنّة رسول اللهﷺ طابعًا علنيًّا، كما أخذت محاربة الدين تسارعًا مضطردًا، يقول الشهيد مطهريرحمه الله في هذا الصدد:

**هناك فرق بين الخليفة الفاسق الذي يدير الأُمور على الوجه الصحيح، والخليفة الذي يُعتبر مجرّد وجوده ضدّ مصالح المسلمين، كانت المسألة الأساسيّة في عهد الإمام الحسينعليه السلام، هي أنّ الخلافة الإسلاميّة قد تحوّلت إلى ملكيّة عربيّة متعجرفة، مستبدّة، باذخة وغير أخلاقيّة، ولو لم يقم الإمام الحسينعليه السلام في إبانها، كان هناك خطر القضاء على الدولة الإسلاميّة من قبل شعوب البلدان المفتوحة.**[1]

كان الفارق الأساس بين يزيد وأبيه معاوية هو أنّ ما فعله معاوية في السرّ، فعله يزيد علانيّةً؛ لذلك كان تأثيره الاجتماعيّ أكبر بكثير، كما يورد المسعودي:

**جرّاء تجاهر يزيد بفعل المحرّمات، أصبح ارتكاب المعاصي أمرًا شائعًا بين عمّال ورجال حكومته، حتّى أصبح شرب الخمر واستعمال آلات اللهو والغناء في مكة والمدينة [اللتين كانتا مدينتين دينيتين ومقدستين] أمرًا شائعًا.**[2]

مع حكومة يزيد بن معاوية ظهرت أنواع البدع والمحدثات، ونُسي القرآن الكريم وسنّة الرسولﷺ؛ الأمر الذي دفع الإمام الحسينعليه السلام أن يكتب في رسالته إلى أهل البصرة:

**أَدْعُوكُمْ إِلى كِتـابِ اللهِ وَسُنَّةِ نبيّه؛ فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُميتَتْ وَالْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ...**[3]

## شِركُ يزيد وكفرُه

على عكس أبيه الذي كان يتظاهر بالإسلام، فقد أسقط يزيد بن معاوية القناع عن وجهه الحقيقيّ الملوّث بالكفر والنفاق، وكشف عن الهدف الغائيّ لبني أُميّة من وراء الحكم، فقد زعم من سفاهته أنّ الدين قد انتهى وأصحاب الدين قد قضي عليهم، فكان

١. المطهري، حماسه حسيني: ٨٩/٣.
٢. المسعودي، المصدر نفسه: ٧٩/٣.
٣. الطبري، المصدر نفسه: ٣٠٤/٤؛ ابن الأثير، المصدر نفسه: ٥٣٥/٢.

شغله الشاغل شرب الخمور والسرف في اللهو والمجون، كما روي أنّه عبّر عن حزنه وأسفه بقراءة قصيدة عن هزيمة كفّار قريش ضدّ المسلمين في غزوة بدر، ووصف مقتل أولاد النبيّ وآل وحي النبوة في كربلاء بمثابة انتقام من رسول الله صلى الله عليه وآله، وتمنّى لو كان آبائه وأجداده أحياء، ليروا قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولوا له: «يا يزيد لا تشل!» ثم اعترف بكفره قائلًا: «لعبت بنو هاشم بالملك، فلا خبر جاء ولا وحي نزل»[1].

ومن الأدلّة الأخرى على كفر يزيد القصائد التي رواها ابن الجوزي؛ فقد أظهر ذات صدره في قصيدته التي يقول فيها:

**عليّة[2]، هاتي واعلني وترنّمي ... بذلك إنّي لا أحبُّ التناجيا**
**حديث أبي سفيان قدمًا سَمَا بها ... إلى أحد حتى أقام البواكيا**
**ألا هات سقّيني على ذاك قهوةً ... تخيّرها العنسي كرما شاميا**
**إذا ما نظرنا في أمورٍ قديمةٍ ... وجدنا حلالًا شربها متواليا**
**وإن مُتُّ يا أُمَّ الأحيمر فانكحي ... فإنّ الذي حدّثت عن يوم**
**ولا تأملي بعد الفراق تلاقيًا بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا**
**ولا بدّ لي من أن أزور محمدًا ... بممشولةٍ صفراء تروي عظاميا[3]**

بالإضافة إلى حقيقة أنّ يزيد صرّح علانيّةً عن شركه وكفره في كثير من الحالات؛

---

١. الأميني، المصدر نفسه: ٢٦٠/٣؛ ابن أبي الحديد، المصدر نفسه: ٢٧٩/١٤.

ليتَ أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرمَ مِنْ ساداتِهِم ... وَعَدَلْنا مَيْل بَدْرٍ فَاعْتَدِلْ
فَاَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحًا ... مِنْ بَني أَحْمَدَ ما كانَ فَعَل
لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلا ... خَبرٌ جاءَ وَلا وَحيٌ نَزَل

٢. يخاطب يزيد في هذه القصيدة حبيبته ويقول لها: "ترنّمي وأعلني قصّة أبي سفيان لمّا جاء إلى أحد وفعل ما فعل، حتى أقام البواكي على حمزة وغيره من شهداء أحد، أعلني ذلك ولا تذكريه في نجوى، واسقيني على ذلك خمرًا تخيّرها الساقي من كروم الشام، فإنّا إذا نظرنا في أمور قديمة من أعراف قريش وآل أميّة في الجاهلية وجدنا حلالًا شربها متواليًا، وأمّا ما قيل لنا عن البعث، فهو من قبيل أساطير (طسم) تشغل قلبنا، فلا بعث ولا نشور، فإذا متّ فانكحي بعدي إذ لا تَلاقٍ بعد الموت، ثمّ يستهزئ بالرسول، ويقول: ولا بدّ أن ألقاه بخمرة باردة تروي عظامي".

٣. سبط بن الجوزي، المصدر نفسه: ٢٥٠.

فإنّ سلوكه وأفعاله هي أيضًا دليل آخر على هذا المدَّعى، حكم يزيد لأكثر من ثلاث سنوات، ففي السنة الأولى قتل حجّة الله على أرضه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيت رسول الله (عليهم الصلاة والسلام)، وفي السنة الثانية استباح حرم رسول الله وهتك حرمة المدينة، وفي السنة الثالثة أحرق الكعبة بالمنجنيق،[١] ولا شك أنّ أيًّا من هذه الجرائم البشعة لا يمكن أن يصدر عن شخصٍ مسلمٍ موحّد.

ونقل سبط بن الجوزي بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل (قال)، قلت لأبي:

**إنَّ قومًا ينسبونا إلى توالي يزيد. فقال: يا بُنيّ، وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله؟! فقلت: فلم لا تلعنه؟ فقال: ولِمَ لا ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ، أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ﴾،[٢] وهل يكون فساد أعظم من قتل الحسين عليه السلام، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ﴾،[٣] وأيّ أذى أشدّ على محمّد صلى الله عليه وآله من قتل الحسين عليه السلام الذي هو له ولبنته البتول قرة عين؟!.**[٤]

## تاريخ يزيد المليء بالفسق والفجور

وعلى الرغم من أنّ بعض مظاهر الكفر والشرك والرجس - ممّا تمّ ذكرها - بدت على يزيد بعد خلافته وبعد حادثة كربلاء، إلا أنّه كان هكذا منذ شبابه ومن فترة ولايته لعهد أبيه، وكان الإمام الحسين عليه السلام وغيره من رؤوس المجتمع على علم بذلك؛ ولذلك فإنّ الإمام الحسين عليه السلام منذ فترة ولاية يزيد للعهد، قام بمخالفته، مؤكّدًا على خبث طينته وسريرته، كما كتب في إحدى رسائله إلى معاوية بعد تذكيره ببدعه، قائلًا:

**ثُمَّ وَلَّيْتَ ابْنَك وَهُوَ غُلامٌ يَشْرَبُ الشَّرابَ، وَيَلْهُو بِالْكِلابِ، فَخُنْتَ أَمـانَتَك، وَأَخْرَبْتَ**

---

١. المسعودي، المصدر نفسه: ٣/٨٠-٨٤.
٢. محمد: ٢٢ و ٢٣.
٣. الأحزاب: ٥٧.
٤. ابن الجوزي، المصدر نفسه: ٢٥٧.

**رَعِيَّتَك، وَلَم تُؤَدِّ نَصيحَةَ رَبّك، فَكَيْفَ تُوَلّي عَلى أُمَّةِ مُحَمّدٍ مَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ؟ وَشارِبُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْفاسِقينَ، وَشارِبُ الْمُسْكِرِ مِنَ الأشْرارِ، وَلَيْسَ شارِبُ الْمُسْكِرِ بِأَمينٍ عَلى دِرْهَمٍ، فَكَيْفَ عَلَى الأُمَّةِ؟.[1] وقال في خطاب آخر له: وَيَزيدُ شارِبُ الْخُمُورِ... وَمِثْلي لا يُبايِعُ مِثْلَهُ.[2]**

## الأوضاع القلقة للأمّة الإسلاميّة

بلغ مسار التدهور الثقافيّ والسياسيّ والاجتماعيّ للعالم الإسلاميّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ذروته عام ٦٠ هـ؛ إذ حلّت البدع محلّ سنن نبيّ الله صلى الله عليه وآله، وانتشر التمييز والفساد والانحلال الاجتماعيّ، ووقع مصير الأمّة الإسلاميّة بيد فساق ومنافقين من أمثال معاوية وابنه يزيد شارب الخمور، فطفقوا ينفثون في أرواح المسلمين سمّ الذل والمهانة حتّى أماتوا هممهم ومحوا من ألواح نفوسهم آيات العزّة والكرامة بتضييق الخناق عليهم، فكانت تحكم المجتمع الإسلاميّ حالة من الفوضويّة من مختلف النواحي؛ لذلك لما علم أهل الكوفة أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد ثار ضدّ النظام الأمويّ من مقامه في مكّة، أرسلوا فيضًا من الرسائل إلى مكّة، وطلبوا من الإمام إصلاح أوضاع الأمّة المضطربة.

كما تتكشّف من خلال مراجعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، حالة الفوضى السائد في المجتمع الإسلاميّ من جوانب شتّى؛ فقد أكّد الإمام عليه السلام على عدّة أمورٍ تتعلّق بالظروف الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة للبلاد الإسلاميّة، منها:

### ١. محو السنن وشيوع البدع

فقد كتب الإمام الحسين عليه السلام بعد دخوله إلى مكّة، إلى وجوه أهل البصرة:

**وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ فإنّ السنّة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أحييت، وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله.[3]**

---

١. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٢٥٨.

٢. السيد بن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف: ٢٢.

٣. أبو مخنف، مقتل الحسين ٧، ص ٨٥ ؛ نجمي، "سخنان حسين بن علي عليه السلام، از مدينه تا كربلا"، ص ٥٤.

وقال في ملتقى المئات من الصحابة والتابعين أثناء الحج:

**وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تقرعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تقرعون وذمّة رسول الله محقورة.**[١]

وعندما واجه جيش "الحر" في منزل "بيضة" تكلم حول الأوضاع الثقافيّة بقوله:

**... ألا وإنَّ هؤُلاءِ (بني أمية) قَد لَزِموا طاعَةَ الشَّيطانِ، وتَرَكوا طاعَةَ الرَّحمنِ، وأظهَرُوا الفَسادَ، وعَطَّلُوا الحُدودَ، وَاستَأثَروا بِالفَيءِ، وأحَلّوا حَرامَ اللهِ، وحَرَّموا حَلالَهُ.**[٢]

تُظهر هذه الكلمات بوضوح كيف كان المجتمع الإسلامي منحرفًا ومنحطًا من الناحية الثقافيّة والاجتماعيّة خلال حكم معاوية.

**٢. تسلط الفجرة على رقاب المسلمين**

من المشاكل الجدّيّة للمسلمين في عهد معاوية فرض سيطرة عدد من الفسّاق والجائرين على مصير الأمّة، بدأت هذه المشكلة من عهد الخليفة الثاني وبلغت ذروتها في عهد معاوية؛ حيث جعل أمثال عمرو بن عاص، ومغيرة بن شعبة، وبُسر بن أرطاة، وزياد بن أبيه، وسمرة بن جندب، ويزيد بن معاوية، ممّن لم يكن يوثق بهم في درهمٍ واحد، يتحكّمون في أرواح المسلمين وممتلكاتهم، كما صرّح الإمام الحسين عليه السلام حول هذه المشكلة وعواقبها ضمن مواقف مختلفة؛ فقال عليه السلام في حديثه إلى الصحابة والتابعين أثناء انتقادهم لهم:

**وَلَوْ صَبَرْتُمْ عَلَى الأذَى، وَتَحَمَّلْتُمُ الْمَئُونَةَ فى ذاتِ اللهِ، كانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإلَيْكُمْ تُرْجَعُ، وَلكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمُ الظَّلمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَاسْتَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فى أيْديهِمْ يَعْمَلُونَ بِالشُّبَهاتِ، وَيَسيرُونَ فى الشَّهَواتِ، سَلَّطَهُمْ عَلى ذلِكَ فِرارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَإعجابُكُمْ بِالْحَياةِ الَّتى هِيَ مُفارِقَتُكُمْ؛ فَأَسْلَمْتُمُ الضُّعَفاءَ في أَيْدِيهِم، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبَدٍ مَقْهُورٍ، وَبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ عَلى مَعيشَتِهِ مَغْلُوبٍ. يَتَقَلَّبُونَ فى الْمُلْكِ بِآرائِهِمْ وَيَسْتَشْعِرُونَ الخِزْيَ بِأهوائِهِمْ اقْتِداءً بِالأشرارِ وَجُرْاةً عَلَى الجَبّارِ، في كُلِّ**

١. موسوعة كلمات الامام حسين عليه السلام: ٢٧٦، منقول من تحف العقول: ١٦٨؛ بحار الأنوار: ٧٩/٤٤.
٢. الطبري، المصدر نفسه: ٣٠٤/٤ ؛ ابن الأثير، الكامل: ٥٥٢/٢.

**بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ خَطيبٌ يَصْقَعُ، فَالْأَرْضُ لَهُمْ شاغِرَةٌ، وَأَيْديهِمْ فيها مَبْسُوطَةٌ، وَالنّاسُ لَهُمْ خَوَلٌ، لا يَدْفَعُونَ يَدَ لامِسٍ، فَمِنْ بَيْنِ جَبّارٍ عَنيدٍ، وَذي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعَفَةِ شَديد، مُطاعٍ لا يَعْرِفُ الْمُبْدِئ الْمُعيدَ .فَيا عَجَبًا، وَما لي لا أَعْجَبُ، وَالأَرْضُ مِنْ غاشٍ غَشُومٍ وَمُتَصَدّقٍ ظَلُومٍ وَعامِلٍ عَلَى الْمُؤمنينَ بِهِمْ غَيْر رَحيمٍ.**[1]

**٣. إماتة القيم والفضائل**

وكان من الاضطرابات التي عصفت بالمجتمع الإسلامي في عهد معاوية نسيان القيم الإسلاميّة وسيطرة سنن عصر الجاهليّة، فقد وقف الإمام الحسينعليه السلام في طريقه إلى العراق في منزل سمّي بـ"ذي حُسُم" وقال لأصحابه:

**إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الأَمْرِ ما قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُها، وَاسْتَمَرَّتْ جِدًّا وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إِلا صُبابَةً كَصُبابَةِ الإناءِ، وَخَسيسِ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبيلِ، أَلا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلى البـاطِلَ لا يُتَناهى عَنْهُ...**[2]

**٤. القضاء على الشخصيّة الإسلاميّة للمسلمين**

تسبّب الأمويّون من خلال قتل وتعذيب معارضيهم وسجنهم في سجون مخيفة، في قمع شديد في البلاد الإسلاميّة، وكانت هذه الضغوط السياسيّة تضيّق الخناق وشديدة لدرجة أنّها دمّرت الشخصيّة الإسلاميّة للمسلمين ومحت عزّهم، فعلى سبيل المثال: إنّ الآلاف من أهل الكوفة الذين راسلوا الإمام الحسينعليه السلام وبايعوا نائبه مسلم بن عقيل، عندما سمعوا أنّ عبيد الله بن زياد قد تولّى حكم الكوفة، خافوا حتّى لم يقم أحدهم بمساعدة مسلم، واستشهد وحيدًا مظلومًا.

وخاطب الحسين بن عليصلى الله عليه وآله وجوه الكوفة في هذا الصدد، فقال:

**وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم»**[3].

١. موسوعة كلمات الإمام الحسينعليه السلام: ٢٧٦ ؛ منقول من: بحار الأنوار: ٧٩/١٠٠؛ تحف العقول: ١٦٨.

٢. المجلسي، المصدر نفسه: ١٩٢/٤٤.

٣. الخوارزمي، مقتل الحسينعليه السلام: ٢٣٤/١؛ المجلسي، المصدر نفسه: ٣٨٣/٤٤.

كما يستفاد من كلمات الإمام الحسين عليه السلام، كان الناس يعانون من أنواع الظلم والتمييز وكان قلوبهم ضدّ بني أميّة، لكنّهم لم يكونوا يتجرّؤون على القيام ضدّهم فيتحمّلون ظلمهم وجورهم؛ كما أكّد فرزدق في لقائه مع الإمام الحسين عليه السلام على هذه الحقيقة، شارحًا أوضاع الكوفة له بأنّ : «قُلوب الناسِ مَعَكَ وسُيُوفُهُم مَعَ بني أميّة».[1]

ويقول الشهيد المطهري رحمه الله: «عبّر به فرزدق عن الرأي العام، عامّة الناس الذين انقادوا لكبرائهم وأمرائهم، ولم يكن لديهم إرادة، لكن "مجمع بن عبد الله"، قد فرّق بين الأشراف الضعفاء الإيمان، والعامّة الضعفاء المغلوب على أمرهم وذلك بقوله:

> **أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم، يستمال ودّهم ويستخلص به نصيحتهم، فهم إلب واحد عليك، وأمّا سائر الناس بعد، فإنَّ أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غدًا مشهورة عليك.**[2]

كان هذا الوضع نتيجة السياسات الاستبداديّة والجائرة للأمويين، الذين شوّهوا شخصيّة الأمّة الإسلاميّة وسحقوها، فلم يبق لأحد شيئًا من روح العزّة والحرّيّة والإباء تجاه الظلم.

**٥. إحياء السنن الجاهليّة**

كما يمكن استنتاجه من كلام الإمام الحسين عليه السلام في مواضع مختلفة، عبر المصادر التاريخيّة الأصليّة؛ فإنّ المجتمع في عهد معاوية ويزيد قد تراجع وتقهقر بشكل أساس؛ لهذا السبب لم يتحدّث الإمام عليه السلام عن الذنوب الصغيرة واللمم التي كانت شائعة بين الناس، بل اشتكى من تغيير الأوضاع السياسيّة والثقافيّة والاقتصاديّة وتحوّلها من الشريعة الإسلاميّة إلى حكم الجاهليّة. وحتّى لو لم تتبع مجموعة كبيرة من الناس الشريعة الإسلاميّة، لم تتمكّن من خلق مثل هذا الوضع المؤسف الذي من شأنه أن يؤسف ولي الله وحجّة الحقّ

١. ابن الأثير، الكامل: ٥٤٧/٢.
٢. المطهري، "حماسه حسيني": ١٤٥/٣. للمزيد راجع: (أبو مخنف، مقتل أبو مخنف: ٨٨).

بحيث يتمنى الموت والشهادة. فما تسبب في تأثر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لتلك الدرجة، هو ترك سنّة النبي صلى الله عليه وآله وهجر القرآن الكريم في جميع الشؤون الفرديّة والاجتماعيّة، التي كانت تمليها وتروج لها الحكومة، وكانت قد ظهرت في عصر معاوية ويزيد، فمن الطبيعي وفي هذه الأجواء، يتمنى أيّ رجل حرّ ومؤمن مثل الإمام الحسين عليه السلام الموت وينتفض بكلّ كيانه ووجوده لإيقاظ الناس، فهو باعتباره أحد آل بيت النبي الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) كان قد تربّى في حضن أشرف الخلائق أجمعين، وعُرف بوصفه أفضل الناس دينًا، ومثال متميز في العالم الإسلاميّ، فلا يمكن أن يبقى غير مبالٍ بما يحدث للإسلام والمسلمين. وقد يؤدّي صمته في مواجهة مثل هذا الوضع إلى خلق التوهم بمشروعيّته لدى الرأي العام، ويستفاد هذا المعنى بوضوح من كلام ذلك الإمام المعصوم حيث قال:

**أَلا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لايُعْمَلُ بِهِ، وأَنَّ الْبـاطِلَ لا يُتَنـاهى عنه، لِيَرغَبِ الْمُؤمِنُ في لِقـاءِ ربِّهِ مُحِقًّا، فإنّي لا أَرَى الموتَ إلّا سَعـادَةً، والْحَيـاةَ مَعَ الظّالِمِينَ إلّا بَرَمـا.**[1]

كما صرّح ذاك الإمام الهمام في وصيّته بالسبب الأهمّ لخروجه ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الفساد المستشري والاضطرابات الاجتماعيّة والدينيّة، بقوله:

**أُريدُ أَنْ آمُرَ بالْمَعْروف وأَنْهى عَنِ الْمُنكَرِ، وأَسيرَ بسيرَةِ جَدّي وأَبي علي بن أبي طالب.**[2]

وقال الإمام الحسين عليه السلام في أحد المنازل بين الطريق مؤكّدًا هدفه من القيام:

**أيّها الناس! إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقًّا على الله أن يُدخله مدخلَه، ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيئ، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري.**[3]

١. المجلسي، المصدر نفسه: ١٩٢/٤٤.

٢. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ٢٧٣/٢؛ المجلسي، المصدر نفسه: ٣٢٩/٤٤.

٣. الطبري، المصدر نفسه: ٣٠٤/٤؛ ابن الأثير، المصدر نفسه: ٥٥٢/٢؛ المجلسي، المصدر نفسه: ٣٨٢/٤٤.

## نتيجة البحث

إنّ قيام الإمام الحسين عليه السلام لم يحدث فجأة بعد دعوة يزيد له بالبيعة، بل كان خطةً مدروسةً للغاية لحماية الدين الذي جاء به جدّه الكريم صلى الله عليه وآله لإنقاذ البشريّة. بعبارة أخرى، وكما وقفت سلالة بني أميّة صفًّا واحدًا ضدّ دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبذلوا كلّ ما في وسعهم عبر الأجيال لتقويض أسس رسالته صلى الله عليه وآله باستخدام شتّى الطرق والأساليب، فكذلك بموازاتهم، ذرّيّة النبيّ من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أبقت غرسة الإسلام قائمة بتحمّلهم أنواع الظلم والجور لتنمو وتتحوّل إلى شجرة قويّة، ولم يسمحوا للأمويين باقتلاع جذورها أو إحداث تحريف فيها.

لذلك فإنّ جذور عاشوراء تعود إلى زمن حاولت فيه قريش بقيادة أبي سفيان كتم صوت الدعوة الإلهيّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يأذنوا بقيام النبوّة واستمرار الإمامة من آل بني هاشم، وعلى الرغم من أنّ هدف قريش هذا لم يتحقّق في حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لكن - مع الأسف - بعد وفاته صلى الله عليه وآله، تمكّنوا من خلال ترتيب السقيفة من إبعاد بني هاشم وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من الساحة السياسيّة، ما أدّى بالتدريج إلى انزلاق المجتمع الإسلاميّ في مهاوى الحمية الجاهليّة، وعندما وقع زمام أمور الناس في أيدي الأمويين، تفرّغ المجتمع الإسلاميّ من المظاهر الدينيّة أيضًا، وظهرت من جديد كلّ انحرافات الجاهليّ في ثوب قشيب وملمَّع، وتحوّل الحكم الإسلاميّ من الخلافة إلى الملكيّة الوراثيّة، فبدأت عناصر البدع من كل حدَبٍ ينسلون...

وأمّا الإمام الحسين عليه السلام الذي كان شاهدًا على هذه التحريفات منذ زمن جدّه صلى الله عليه وآله، فكان يبحث دومًا عن فرصةٍ مناسبةٍ لمحاربة البدع وإنقاذ الإسلام من قيود الأمويين، وبطبيعة الحال، عندما مات معاوية وطلب يزيد منه البيعة، أتيح له فرصة للخروج.

وعلى هذا الأساس، فإنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام ترجع جذورها إلى التطوّرات الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة في العصر النبوي صلى الله عليه وآله، ثمّ قد لعبت عوامل مختلفة دورًا في هذه النهضة، ولكن يمكن القول إنّ أهمّها هو قيام الأمويّين بإحياء السنن الجاهليّة وإضعاف القيم الدينيّة وخلق الانحرافات والبدع في الإسلام.

## مصادر البحث

القرآن الكريم.
نهج البلاغة.
١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغه، قم، منشورات مكتبة آيةالله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ ق.
٢. ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩ق.
٣. ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ق.
٤. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، التحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٠ق.
٦. ابن عقيل، النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية، مطبعة الجناح، بغداد.
٧. ابن قتيبه الدينوري، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، التحقيق: علي شيري، بيروت، دار الأضواء، ١٤١٠ق.
٨. أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف، مقتل أبي مخنف، تعليقة حسن غفاري، قم، مطبعة العلميّة، ١٣٩٨ق.
٩. اجتهادي، أبو القاسم، "بررسى وضع مالى وماليه مسلمين"، طهران، سروش، ١٣٦٣.
١٠. الأميني، عبد الحسين، الغدير، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٦ش.
١١. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠ق.
١٢. الثقفي، إبراهيم بن محمد، الغارات، الترجمة: عبدالحميد آيتي، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٧١.
١٣. الخوارزمي، موفق بن أحمد، مقتل الحسين، دار أنوار الهدى، ١٤٢٣ق.
١٤. الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٦ق.
١٥. السبحاني، جعفر؛ بيشيوايى، مهدي، "شخصيت‌هاى اسلامى شيعه"، قم، منشورات توحيد، ١٣٧٣.
١٦. سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٢ق.
١٧. سليم بن قيس الهلالي، أسرار آل محمد، الترجمة: إسماعيل أنصاري زنجاني، محمود رضا افتخارزاده، قم، الهادي، ١٤٠٥ق.
١٨. سيد بن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، قم، أنوار الهدى.
١٩. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، الترجمة: كمره اي، طهران، كتابتشى، ١٣٧٦ش.

٢٠. الطبرسي، فضل بن حسن، الاحتجاج على أهل اللجاج، التحقيق: محمد هادي وإبراهيم بهادري، قم، أسوة، ١٤٢٤ق.
٢١. الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان فى تفسير القرآن، طهران، ناصر خسرو، ١٣٧٢ش.
٢٢. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٩ق.
٢٣. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، طهران، مكتبة مرتضوي، ١٣٧٥ش.
٢٤. القمي، شيخ عباس، نفس المهموم، التحقيق: رضا أستادي، قم، دليل ما.
٢٥. القمي، شيخ عباس، سفينة البحار، أسوة، ١٤١٠ق.
٢٦. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ق.
٢٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، طهران، إسلامية، ١٣٨٦ش.
٢٨. المسعودي، علي بن حسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، التحقيق: أسعد داغر، قم، دار الهجرة، ١٤٠٩ق.
٢٩. المطهري، مرتضى، "حماسه حسيني"، صدرا، ١٣٩٩ش.
٣٠. المفيد، محمد بن نعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، بيروت، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات.
٣١. المفيد، محمد بن نعمان، الأمالى، التحقيق: حسين أستاد ولي، مشهد، مؤسسة البحوث الإسلامية، ١٣٦٤ش.
٣٢. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد تحقيقات باقر العلوم، دار المعروف للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
٣٣. نجمي، محمد صادق، "سخنان حسين بن على عليهما السلام از مدينه تا كربلا"، قم، مكتب منشورات جمعية المدرسين في حوزة قم العلمية، ١٣٩٤.
٣٤. اليعقوبي، أحمد بن واضح، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

# الإمام الحسين عليه السلام ونهضة الفكر الأخلاقيّ

علي الشعيبي[1]

**خلاصة البحث**

إنّ الأخلاق هي الركن الأساس التي كان الله سبحانه وتعالى يرسل الأنبياء من أجلها؛ لتكون محورًا تربويًّا في بناء الإنسان، ولقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله الأخلاق أساس الدين بقوله: «الدين حُسن الخلق»، بل ذهب صلى الله عليه وآله أبعد من ذلك، فقد جعل مكارم الأخلاق الغاية من بعثته الشريفة: «إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»، والنهضة الحسينيّة هي في الواقع امتدادٌ لفكر جدّه الشريف ومنهجه الأخلاقيّ، والتي أصبحت دستورًا أخلاقيًّا يقتدي به الأحرار في أرجاء العالم، يشير هذا المقال إلى ممارسة السياسة الناعمة التي بدأها معاوية ضدّ المبادئ الأخلاقيّة وأصحابها، الذين نزلت فيهم آية التطهير وهم رموز الأخلاق، وقد اتّخذ النفاق مطيّةً لنيل مطامعه، ثمّ ارتقى هذا المعيار الأخلاقيّ المتمثّل في سلب الناس إرادتَهم وحرّيّتَهم وشراء ذممهم؛ ليبلغ ذروته في عصر ابنه يزيد الذي تمثّل أوّلًا بقتل الإمام الحسين، وأخيرًا بهدم الكعبة، ولولا ثورة الإمام الحسين عليه السلام لكان الإسلام الذي نزل على محمد صلى الله عليه وآله لانتهى نهائيًّا أو لتبدّلت معالمه نهائيًّا.

يرمي البحث، من خلال عرض الأحاديث والأدلّة التاريخيّة عن انحراف المجتمع -

١. جامعة دمشق، باحث في العلوم والدراسات الإسلامية، دمشق، سوريا.

يومئذٍ - من القيم الأخلاقيّة والانحطاط الأخلاقيّ على مستوى الحاكم والرعيّة، إلى شرح الدور البنّاء للإمام الحسين عليه السلام ونهضته الفكريّة الأخلاقيّة في إصلاح الأمّة الإسلاميّة وإعادتها إلى القيم الأخلاقيّة التي كانت عليها في عهد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

**المفردات الرئيسة**: الإمام الحسين عليه السلام، عاشوراء، نهضة الفكر الأخلاقيّ، المبادئ الإسلاميّة، القيم.

**مقدّمة**

لا شكّ ولا ريب أنَّ النهضة الحسينيّة هي امتداد لفكر رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهجه الأخلاقي؛ حيث تعتبر الملحمة الحسينيّة التي سُطِّرت بأنامل أخلاقيّة في كربلاء المقدّسة هي منهج مكمّل لأخلاق بيت النبوّة، امتدّت أبعد من ذلك هي النهضة الأخلاقيّة؛ لتشمل كافّة مفاصل الحياة التربويّة والاجتماعيّة والدينيّة والأخلاقيّة والاقتصاديّة، وأصبحت دستورًا أخلاقيًّا يقتدي به الأحرار في العالم.

وكيف لا وقد نشأ الحسين عليه السلام نشأته المباركة في بيت النبوّة ومنزل الوحي، وورث الصدق والسخاء والشجاعة والكرامة والعزّة والرحمة والسماحة من هؤلاء الكرام عليهم السلام، فكان الإمام الحسين عليه السلام مثالًا لكلِّ خُلُقٍ فاضل، ورمزًا لكلِّ صفةٍ كريمةٍ، وقد بلغ من إبائه وشهامته عليه السلام أنّه لـمّا بايع الناس معاوية في العام الذي سمّوه عام الجماعة، وبايعه الحسن عليه السلام على شروط شرحها التاريخ لم يفِ له معاوية ولا بواحدة منها، وطلب معاوية البيعة من الحسين، فامتنع ولم يبايع، واكتفى منه معاوية بالسكوت والسكون، لكن لمّا آل الأمر لابنه يزيد، المتجاهر بالفسق، ترفّع الحسين عليه السلام عن بيعته، فلقد كان يزيد أكبر خطرٍ على الإسلام وقيمه الأخلاقيّة وما كانت حركة الحسين عليه السلام إلّا لمحض الدعوة الإصلاحيّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد هاجر إلى مكّة المكرمة وهي مهبط الوحي ومبعث الرسالة، وفيها موسم الحجّ العام، ويجتمع فيه كلّ عام من البلاد الإسلاميّة جمع غفير، فقصدها ليبثّ هناك دعوته وينشر رسالته، فيحملها عنه كلّ مسلم، ويبلغ بها الجهات النائية؛ لينقذ الإسلام من الهوَّة التي أنزلها به الأُمويون وأتباعهم؛ فإنّ معاوية ابتدع في الدين وشقّ عصا المسلمين، ووضع الأحاديث الكاذبة، وجعل أمر الأُمّة الإسلاميّة بيد رجال ذوي مطامع قادهم إلى الشهوات لا إلى الدين، لم تثنهم عن ذلك خشية من الله.

أفيزيد يتقلّد زمام الخلافة؟! ما أعظمها من محنة! ليقف أبو الأحرار في وجه جيش

الشرك الذي يريد القضاء على الدين الإسلاميّ، ويطلب يومًا بيوم بدر، وفتحًا بفتح مكّة، وهيهات صرخ أبو عبد الله عليه السلام صرخة الحقّ، ونشر راية الإخلاص، ووقف محاميًا عن دين جدِّه، وإحياء القيم الأخلاقيّة ليس إلّا.

**مفهوم الأخلاق لغةً واصطلاحًا**

وفي اللغة، هي: «الدين والطبع والسجيّة».[١] وفي الاصطلاح: «عبارة عن هيئةٍ راسخةٍ في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولةٍ ويسر، من غير حاجة إلى فكر ورويّة».[٢] وفي الكتاب الثاني من ربع المهلكات جعل تفويض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد... وأنّ الله سهّل على عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه...[٣]

وتمثّل الأخلاق فيما يفعله ويقوله الإنسان صورة الباطن الإنسانيّ الذي يظهر على شاكلة سلوك، وفعل وقول منطوق؛ لأنّ غير المنطوق لا يحاسب عليه، وكذلك نيّة الفعل أو العمل أو الصنعة، أو التعلّم؛ فإنّ الإنسان لا يحاسب عليه إلّا إذا صدر وصار ملموسًا خيرًا أو شرًّا.

وتنقسم الأخلاق إلى أخلاق حسنة وتعلوها مكارم الأخلاق، وإلى أخلاق سيّئة وتعلوها أراذل الأخلاق، وإنّما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ليتمّم مكارم الأخلاق بترسيخ روحانيّات منتقاة تولّد ملكات مرضي عنها دعا إليها القرآن ومثلها الرسول تصقل النفوس فترقى بها إلى الإيمان ليصدر عنها سلوك عظيم، نافع، خير ينسجم تمامًا بما حمله القرآن ودعا إليه فيكون ذلك الأخلاقي قرآنًا متحرّكًا على الأرض وكان القرآن قد أفرد للرسول صفة العظمة في كلّ شيء ومنها الأخلاق، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[٤]



---

١. ابن منظور: ١٠/ ٨٥.
٢. الغزالي، ربع المهلكات: ٣.
٣. المصدر نفسه.
٤. القلم: ٣.

كما أكّد الرسول ووحيه على أهمّيّة حسن الخلق لدرجة جعلته مفتاحًا لدخول الجنة، فقال: «تخلّقوا بأخلاق الله، إنّ أكثر الناس يدخلون الجنة بتقوى الله وحسن الخلق».[١] وعلى هذا، فالدين بمختصره، هو حسن الخلق، كما في قوله: «إنّ أحسن الحسب الخلق الحسن».[٢]

وعلى هذا كان الوصي عليه السلام، فكان يقول: «حسن الخلق رأس كلّ برّ».[٣] وكذا الأمر بالنسبة للأخلاق السيّئة والرذيلة، فقد نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصيّه ومدرسة آل البيت عليهم السلام لما لها من أضرار روحيّة ونفسيّة وسلوكيّات سلبيّة منهي عنها، قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «مَنْ ساء خلقه عذب نفسه»،[٤] وفي هذا الإطار قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل».[٥] وكان الإمام علي عليه السلام قد قال مجموعة كلمات قصار بلغت أربعًا وعشرين كلمة قال في إحداها: «كلّ داء يداوى إلّا سوء الخلق».[٦]

وهكذا نرى أنّ الأخلاق هي المسؤولة عن السلوك والفعل والقول خيرًا فخير وشرًّا فشرّ، وأنّ للأخلاق أهمّيّة عظمى في بناء الإنسان الجيد المعطاء، وأنّها الركن الأساس التي كان الله سبحانه وتعالى يرسل الأنبياء والرسل من أجلها لتكون معلمًا ومصنعًا تربويًّا مهمًّا في بناء الإنسان.

### سياسة النفاق والحكم الأموي

إنّ أوّل مظهر من مظاهر هذه السياسة بدأ على يد معاوية بن أبي سفيان؛ حيث قال عند زيارته المدينة المنورة لأوّل مرّة بعد أن استقر له الملك:

١. ابن أبي الحديد، الجزء الثالث.
٢. مسلم: ٧/٨.
٣. الليثي الواسطي: ٢٧.
٤. الحراني: ١٣٧.
٥. الكليني: ٣٢١/٢.
٦. المصدر نفسه: ٣٧٥.

**إنّ الناس أعطونا سلطاننا، فأظهرنا لهم حلمًا تحت الغضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا بهذا، وباعونا هذا بهذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحّوا علينا بحقّنا، وغمطناهم بحقهم، ومع كلّ إنسان منهم شيعته، فإن نكثناهم نكثوا بنا ثمّ لا ندري أتكون لنا الدائرة أم علينا.**[1]

يشير هذا النصّ إلى ممارسة السياسة الناعمة التي بدأها معاوية والقائمة على النفاق وهو معياره الأخلاقيّ هنا، تولّد عنه معيار سلب الناس والأفراد إرادتهم وحرّيّتهم وشراء ذممهم، دون احترام لكرامة الناس وخيارهم بانحطاط أخلاقيّ عدا السياسة ليصل إلى المجتمع والدين ما دامت الدولة تنافق الناس، والناس ينافقون الدولة، وارتقى هذا النفاق ليبلغ ذروته في عصر يزيد الذي تمثّل أوّله بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وآخره بهدم الكعبة.

وقد أسّس معاوية، إلى جانب سياسة النفاق، سياسة الاحتواء وتجريد الناس من حقّهم المادّي والفكريّ والدينيّ الذي تبنّاه من خلال ما أرسله من الكتب إلى كلّ أنحاء المملكة ببراءة الذمّة من كلّ من يذكر آل البيت عليهم السلام بخير وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام، فأرعب الناس، واستخدم الدهاء من خلال القوّة الناعمة، والتلاعب بمشاعر الناس، وإغرائهم، وخلف هذا الإرث لولده يزيد، ولما آلت إليه الخلافة، استخدم سرجون بن منصور مستشارًا له، وهو من أشار على يزيد لتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة، وقد ذكر ذلك ابن الأثير.[2]

ومن مظاهر سياسة معاوية هذه مصادرته بيت مال المسلمين، وجعله بيت مال له يتصرّف به كما يشاء، وهو من أسّس هذا الفساد المالي الذي انتقل إلى الخلافة العباسيّة بهذا الشكل، تشكّلت على إثر ذلك طبقة من الملوك من الأمراء والحكّام، والتسبب المالي إلى انتشار ظاهرة اللهو والفسق، وازدهار أسواق الرقيق لا سيّما من الجواري والغلمان.

وما كان هذا ليكون لولا الفساد المالي، وكان معاوية متلافًا للمال، لا سيّما في باب

١. ابن كثير: ١٣٢/٨.
٢. ابن الأثير: ٢٦٨/٣.

شراء الذمم ومحاربة آل البيت والعمل على نشر كلّ مظاهر اللهو والعبث؛ ليخرج الناس من جدّيّة الدين في التعامل مع الحياة طريقًا إلى الآخرة، إلى عبث الحياة ولهوها كأقرب أسلوب في الحرب الناعمة على الإسلام.

وإذا أردنا الوقوف على شيء من أخلاق معاوية، وجب علينا الوقوف على ما صرّح به ابن أبي الحديد في "*شرح نهج البلاغة*"، قائلًا:

> **كان معاوية أيام عثمان شديد التهتك موسومًا بكل قبيح، وكان أيّام عمر يستر نفسه قليلًا؛ خوفًا منه، إلّا أنّه كان يلبس الحرير والديباج، ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها، وعليها جلال الديباج والوشي، وكان حينئذ شابًا، وعنده نزق الصبا، وأثر الشبيبة وسكر السلطان والإمرة، ونقل الناس عنه في كتب السيرة أنّه كان يشرب الخمر في أيّام عثمان في الشام، ولا خلاف أنّه سمع الغناء، وطرب عليه، ووصل عليه أيضًا، وتأثّر به ولده يزيد فكان مدمنًا خليعًا مستهترًا، وتأثّر بهذا السلوك جميع خلفاء بني أميّة، يقول الجاحظ: وكان يزيد لا يمسي إلّا سكرانًا ولا يصبح إلّا مخمورًا، وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرّة.**
>
> **وإنّما كانت حرب معاوية الناعمة على الأمّة وتمسكها بدينها عن طريق إشاعة الفساد، واللهو، والعبث في المجتمع الإسلامي المبكر الذي كانت فيه ثياب النبي لم تبل، وآنيته لم تكسر، وعبق ريحه صلى الله عليه وآله يملأ شوارع المدينة، كلّ ذلك ليضرب الجسد الإسلامي ويتخلص منه.**[1]

وكلمةٌ قالها معاوية لما استتب له الأمر تلخّص موقفه واستخفافه بالمقدّسات الإسلاميّة واحتقارها، فإنّه لما تغلب قيل له: لو سكنتَ المدينة، فهي دار الهجرة، وبها قبر الرسول صلى الله عليه وآله، فقال: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.[2] إنّه لا يريد أن يرتبط بدار الهجرة وما في جنباتها من قيم نبويّة ما زالت رائحتها قويّة؛ لأنّه يريد أن يصل بالناس إلى مرحلة اللا أخلاق، وينتهي بهم إلى إهمال الدين، وانهيار الجسد الإسلاميّ ضمن إشكاليّة العلاقة بين الدين والسياسة، فجعل من السياسة نقيضًا للدين من خلال ممارساته في

١. شريف القرشي: ١٤٤/٢ ـ ١٥٣.
٢. المغربي: ٢٢٩/١.

الحجاز، والعراق، والشام، وهذا أعظم فكرٍ بل إرثٌ فكريّ خلفه لابنه يزيد الذي زاد عليه بقلبه الحرب الناعمة إلى حرب دمويّة خشنة، وآمن إيمان أبيه أنّه لا أخلاق في حكم الناس، وأنّ ما جاء به الرسولﷺ يجب أن ينزع لكن بأسلوبٍ ناعمٍ يعتمد التشويه والتغيير وشراء الذمم؛ ليصل إلى اللحظة المطلوبة عنده تلك التي تتمثّل بنزع الأخلاق وزرع الفتن، وكأنّ الله قد تقصد أن يقول نبيّه:

**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأيُّ قلبٍ أشربها، نكتت فيه نكتة سوداء، فيصير أسودًا مربادًّا كالكوز مُجخفًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر إلّا ما أشرب من هواه، وأيّ قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتّى يصير القلب أبيض مثل الصفا، لا تضرّه فتنة ما دامت السماوات والأرض.**[١]

لا شكّ أنّ المتتبّع لما كان يزرعه معاوية من فتنٍ بأسلوب ناعم، كما فعل كثير من الباحثين في العصور الأول، يدرك أنّه أمام رجل أخذ على نفسه عهدًا بمحو كل ما جاء به رسول اللهﷺ لولا أنّ الله تعهّد بحفظ دينه من خلال حفظه للقرآن الذي كان خلفًا للقرآن يتمثّله عمليًّا، فلم يبحث الحسينعليه السلام كثيرًا عن مسبّبات الخروج وهو يشاهد ويسمع، وتنقل إليه الأخبار بما فعله معاوية من محاربة ناعمة للإسلام بزرع الفتن الشتّى ورعايتها، وأدرك أنّه لا خلاص منها إلّا بالعودة بالناس إلى دين جدّه، وكانت العودة غريبة بأسلوبها ركب فيها طريق التضحية بدمٍ مسفوحٍ على مدار التاريخ كلّه؛ ليظلّ الحارس الوفي على دين الإسلام، ويظل الحسينعليه السلام نبراسًا لكلّ مناضلي الأرض الثائرين على الظالمين في الآفاق، وكانت عبارته الشهيرة:

**إنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، إنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمّة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي محمّد، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين.**[٢]

١. صححه الألباني: ٢/١٤٤.
٢. المجلسي: ٢٤/٣٢٩.

فمعاوية كان يستخدم الحرب الناعمة للحصول على ما يريد، وكان الإمام عليّ عليه السلام يدرك هذا المخطّط الناعم الذي يسعى إليه معاوية؛ فكتب إليه ذات مرّة:

**.. وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله، فأمّا تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، وأعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى...**[1]

فالإمام علي عليه السلام عارف وكاشف حيل الأطفال عند معاوية، وكان يريده أن يرتفع بعقله عن ذلك دون هواه ليصل إلى معرفة الحقيقة في دم عثمان، وهو يعلم أنّ معاوية يعلم لكنّه يريد أن يقيم عليه الحجّة، ويخرج من حربه الناعمة التي يسعى من ورائها إلى الخلافة مستخدمًا قميص عثمان لذلك.

بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وصلح معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام خلت الساحة الفكريّة لمعاوية كما كلّ الساحات، لكن الساحة الفكريّة التي كان يستخدم فيها حربه الناعمة ليصل إلى ما يريده وهو أبعد من السلطة، سعيه الدائم في تشويه الإسلام ومحاولة القضاء عليه، ولا شكّ أنّه نجح في كثير مما رمى إليه. ولولا ثورة الإمام الحسين عليه السلام لكان الإسلام الذي نزل على محمّد صلى الله عليه وآله لانتهى نهائيًّا أو لتبدّلت معالمه نهائيًّا.

أخرج أحمد بن حنبل في "*مسنده*"، وغيره كذلك من رواة الحديث عن أنس بن مالك أنّه قال:

**ما أعرف شيئًا ممّا عهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله اليوم، فقال أبو رافع: يا أبا حمزة، ولا الصلاة؟! فقال: أوليس قد علمت ما صنع الحجاج الصلاة؟**

وأخرج البغوي في "*شرح السنّة*" والبوصيري في "*مختصر إتحاف السادة المتقين*" عن أنس رواية أخرى، قال:

**ما أعرف فيكم اليوم شيئًا كنت أعهده على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله غير قولكم: لا إله**

١. ابن أبي الحديد: ٣/٧٥.

**إلّا الله، قال: فقلت يا أبا حمزة الصلاة؟! قال: قد صلّيت حين تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!**

ولا شكّ أنّ لهذا الحديث دلالات كثيرة كلّها تصبّ في خانة ما بدّله معاوية في الإسلام، وظلّ هذا مثار خلاف بين المسلمين إلى الآن! ولولا أن حافظت مدرسة آل البيت عليهم السلام على صورة الإسلام توارثًا عن الأئمّة الذين أخذوها بدورهم عن الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله لضاعت الصورة والهيئة الحقيقيّة لها ولغيرها من صحيح الدين.

كان معاوية يعمل المستحيل للوصول إلى ما يريد ولو بالغدر والفجر؛ ولذلك قال الإمام علي عليه السلام:

**والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهيّة الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن لكلّ غدرة فجرة، ولكلّ فجرة كفرة، ولكلّ غادرٍ لواءٌ يعرف به يوم القيامة.[1]**

ولا شكّ أنّ معاوية هو أوّل من استخدم الحرب الناعمة في الإسلام لتحقيق ما كان يصبو إليه، وقد بدأها في وقتٍ مبكّر جدًّا إلى أن صار واليًا على معظم الشام في عهد الخليفة الثالث، فلمّا قتل الخليفة اتّخذ من قتله ذريعةً وابتدع فكرة الثأر كونه ابنَ عم له، متجاوزًا بذلك حقيقة ما جرى برفضه مبايعة الإمام علي عليه السلام دون أن يألم للمخالفة أو لتمزيق الأمّة، وهي في بداية تكوينها. واستطاع بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام أن يحقّق كلّ ما كان يصبو إليه، وقبل أن يموت في منتصف رجب سنة ستين من الهجرة سلم الملك لولده يزيد، ولمّا جاء يزيد استلم دولة مشت خطوات في تغيير المسار المحمّدي البنّاء، وأخطر ما حدث فيها من انهيارات في الجسد الإسلاميّ كان بسبب الحرب الناعمة التي شنّها معاوية على الأخلاق الإسلاميّة التي كان يراها عثرة في وجه مخططه، وإذا كان معاوية قد استخدم الحرب الناعمة للوصول إلى ما يريد، فإنّ ابنه قد

١. ابن أبي الحديد: ١/ ٢٣٧.

شعر أنّه تولى دولةً خاصّةً خانعةً خاضعةً، وأنّه قادرٌ أن يتجاوز النعومة؛ ليظهر وجهه الحقيقيّ بلا خشية ولا خوفٍ من أحد إلّا ما كان يحسّه من رهبةٍ غير طبيعيّة من الحسين بالذات وبعده ابن الزبير، فكان أوّل ما قام به تأكيده على والي المدينة أن يأخذ بيعة الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فكانت انطلاقة الثورة الفكريّة الأخلاقيّة ونهضتها التي قام بها الحسين، فأعادت للإسلام ألقه إلى اليوم، وكانت المثل الأعلى في نهضة الشعوب المظلومة وتحررها، ومازال شعار الحسين «هيهات منّا الذلة» يصدح على لسان طالبي الحرية في العالم كله بكل أطيافه ودياناته.

**انطلاقة الثورة الحسينيّة**

التزم الحسين بعهد أخيه الحسن في الصلح مع معاوية، وهذا الالتزام كان يمثّل الأخلاق الحسينيّة الفوقيّة، رغم ما كان يعانيه من أعمال معاوية الذي لم يكن يفعل الصواب أو الأفضل للمسلمين، وهنا مفرق طريق، إمّا أنّه لم يكن يفعل الصواب لجهله به، وإمّا أنّه كان يعلمه كما أقرّه النبي وتجاهله بفوقيّة مقصودة وهذا الصواب الذي تجاهله معاوية عن قصد كان يمثّل المعرفة الفكريّة الإماميّة البناءة التي جاء بها النبيّ محمّد، وتجاهله للمثل المعرفيّة الفكريّة السلبيّة المقصودة، في محاولة السلطان والقوّة إلى تحويل الخير إلى شرّ، وتحويل معرفة الرسالة الإسلاميّة إلى معرفة بشريّة.

ولما برر الحسين أسباب خروجه بعودة الناس إلى دين جدّه كان يقول الحقيقة ملتزمًا بنهضة فكريّة أخلاقيّة من أجل دين جدّه، ديننا الإسلاميّ العظيم وقد كان ذلك على حساب المخاطر الشخصيّة والعائليّة الحسينيّة! فهل أدرك المسلمون المعاصرون عظمة هذه النهضة الفكريّة الحسينيّة الصالحة لكلّ زمان ومكان؟ إنّها كذلك وإنّها دائمًا تحتاج إلى أجسادٍ حسينيّة، هذه التي تقف في الخط المقاوم والتي لما ترتفع بعد إلى الجسد الحسيني لكنّها مستعدّة دائمًا.

لا بدّ من التأكيد - من وجهة نظري - أنّنا مهما حاولنا معرفة التفصيلات

والتفريعات التي لا تعدّ ولا تحصى تلك التي قام بها يزيد بإبعاده الناس عن دين جدّ الحسين لما عرفناها كما عرفها الحسين الذي كان يعايشها ليلًا نهارًا، فولدت لديه طاقة إيجابيّة خاصّة لا توصف ولا تعرّف إلّا بالطاقة الحسينيّة التي ما زالت تغذّي كل أحرار العالم ليثوروا على الظالمين في الآفاق، ولا شكّ كذلك أنّها كانت زاد ذلك «اليتيم الذي جاء يغير مجرى التاريخ، الإمام الخميني طيّب الله ثراه».[١]

ومن جهةٍ أخرى مهمّة جدًّا؛ فإنّ علم الأخلاق لم يولد في اليونان في لحظة استيلاء العقل على أزمة الحياة الإنسانيّة، وقد كانت بيد الدين، وأنّ سقراط ما هو المؤسس الحقيقيّ لهذا العلم.[٢] إنّه علم تتجدّد ولادته في كلّ الشعوب والأمم، كلّما شاخ وتغيّرت ملامحه فيبعث الله له من يجدّده ويتمّه، فإذا سارع أعداء هذا العلم وسعوا إلى فساده بشكلٍ مقصود مدفوع بدوافع شيطانيّة أرسل الله لها حسينًا من عصرها يقوم بنهضتها من جديد، وكما كان الإسلام خاتمة الديانات، كان الحسين صاحب ما قاله الرسول في الحسين في الحديث الصحيح جدًّا يؤكّد أنّه بضعة منه؛ لقولهﷺ في فاطمة عليها سلام الله: «إنّ فاطمة بضعة مني»؛[٣] ولهذا كان يقول: «حسينٌ منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط».[٤]

هذا الحسين العظيم كان يرى ما فعله معاوية من خروج كبير عن نهج جده محمد صاحب رسالة الإسلام، وكان ينتظر الفرصة؛ ليكون بحل من عهد أخيه الحسن إلى أن مات معاوية في منتصف رجب سنة ستين هجرية، وقد جاءت تأكيدات للنبي محمّدﷺ أنّ حفيده الحسينعليه السلام سيقتل في شطّ الفرات، على يد ظلمة لكن تلك التأكيدات لم تعيّن الزمن الذي سيقتل فيه الحسينعليه السلام شهيدًا ينال أعلى مرتبة إلهيّة في هذه الشهادة؛

١. مير مصطفى: : ٥٣ ـ ٨١ ـ ١٢٩.
٢. الشرقاوي: /١٣.
٣. مسلم: ٤/ ٤١ و٣٢٨.
٤. حديث صحيح رواه الترمذي، وأحمد في مسنده، وابن ماجة وغيرهم.

لأنّه سيعيد دين جدّه من جديد بعد أن عمل معاوية ويزيد على طمسه، وجزاء الله على ذلك كان عظيمًا رغم الألم والمآسي والأحزان التي ستكون في طريق الحسين الذي سلكه لإعادة دين جدّه، لكنّها آلام ومآسٍ بمنظار بشري، وطريق مفروش بالدماء الطاهرة من سيّد العترة الطاهرة في عصره، امتدّ تأثيره إلى العصر الحديث جدًّا، وسيبقى إلى أن يظهر حفيده المهدي.

لقد كانت العظمة التي لا تدركها الأقلام في النهضة الفكريّة الثوريّة التي قادها الحسين عليه السلام عن طريق اتّخاذ الأخلاق وسيلة عظيمة وقودًا دائمًا من دمه عبر العصور منعت الذلة عن دين محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله؛ فكانت نهضة فكريّة أخلاقيّة زرعت في قلوب البشريّة جمعاء من لحظات الطف يوم تناثرت الدماء، وأمطرت السماء الدماء إلى الآن وقودًا عاطفيًّا حزينًا حرّك مجتمع الخنوع والانسياق وراء الظالم الأموي، وما زال وسيبقى، وهذا ما أشار إليه الزعيم الهندي "غاندي" في أسلوبه اتّخاذ النهضة الفكريّة الأخلاقيّة الحسينيّة طريقًا إلى تحرير الهند من الظلم البريطاني الأموي!

نعم، ولا غرابة فكما صارت ثورة الحسين عليه السلام الفكريّة بوقودها النووي المتمثّل بالدم الطاهر شعارًا لكلّ المظلومين في الأرض، صار الظلم الأمويّ صورة عن كلّ المستعمرين الأول الحسيني الطاهر تمثّله الثورة الإسلاميّة الخمينيّة الخامنئيّة في إيران الإسلام والثاني الأموي النجس يمثّله الوجود الصهيوني في فلسطين، وأتْباعهم الخونة من المطيعين.

هذا البحث المختزل جدًّا عن ثورة الحسين عليه السلام التي قام بها، قد يلقي في جانب منه، الضوء على عواطف الحزن الجياشة والدموع التي لا تنضب عند المسلمين على مقتل الحسين عليه السلام بطريقة مؤلمة منذ استشهاده حتّى الآن وستبقى دائمًا طريقًا لنهضة فكريّة أخلاقيّة يولد من رحمها ثورات تغيّر مجرى التاريخ إن هي فهمت، وهذا ما فعله الإمام الخميني قدس سره حين دخل بفكره إلى أعماق المفهوم الثوريّ النهضويّ الأخلاقيّ الحسينيّ،

وخرج منه بثورةٍ فكريّة سياسيّة اجتماعيّة حسينيّة كان طيفها عموديًّا وأفقيًّا في العالمين الإسلاميّ والعربيّ وما كان الفكر الثوريّ السياسيّ والاجتماعيّ ليكون في عمق التاريخ وعرضه إلى المعاصرة لولا تلك النهضة الفكريّة الثوريّة الأخلاقيّة الحسينيّة التي جاءت بقوّة جبّارة حركة المجتمعات الراكدة منذ ذلك التاريخ إلى الآن.

ويبقى السرّ الحسينيّ في تحريك تلك المجتمعات الراكدة من خلال دموع الحزانى على الحسين عليه السلام، ولطمات الخدود في كلّ عام، تبقى وقودًا ثوريًّا أخلاقيًّا تحت مرجل الفكر يحرّكه ويضع فيه البنى الفكريّة التي يتولّد عنها أشكالٌ متعدّدة من السلوك، وهنا مكمن النهضة الفكريّة الحسينيّة الأخلاقيّة التي تلد الأنماط الثوريّة المتعدّدة بسلوكيّات فكريّة تلائم كلّ مكان وزمان؛ وهذا يحتّم على المسلمين في كلّ ذكرى لاستشهاد الحسين عليه السلام التجديد في كلّ مظاهر الحياة، وأكثر ما تحتاجه الأمّة الآن العلم ومعاهده بمختلف الأنواع لتظل الشعلة الفكريّة الحسينيّة متّقدة.

## الدستور الأخلاقي لخروج الحسين

«إنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمّة جدّي؛ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد».[1]

إنّ ثورة الحسين ثورة أخلاقيّة يجب إحياؤها، من خلال ما نشرته شبكة النبأ المعلوماتية ملف عاشوراء ١١٢٧هـ:

ـ قال المستشرق الأثري الإنكليزي وليم لوفتس:

**لقد قدّم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانيّة، وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذّة.**

ـ قال المستشرق الألماني ماربين:

١. العسكري: ٥٠/٣.

**قدّم الحسين للعالم درسًا في التضحية والفداء من خلال التضحية بأعزّ الناس لديه ومن خلال إثبات مظلوميّته وأحقيّته، وأدخل الإسلام والمسلمين إلى سجّل التاريخ ورفع صيتهما؛ لقد أثبت هذا الجندي الباسل في العالم الإسلامي لجميع البشر أنّ الظلم والجور لا دوام له، وأنّ صرح الظلم مهما بدا راسخًا وهائلًا في الظاهر إلّا أنّه لا يعدو أن يكون أمام الحقّ والحقيقة إلا كريشة في مهب الريح.**

ـ قال الزعيم الهندي غاندي:

**لقد طالعت بدقّة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودقّقت لأنظر في صفحات كربلاء، واتّضح لي أنّ الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلا بدّ لها من اقتفاء سيرة الحسين.**

وقال أيضًا:

**تعلّمت من الحسين كيف أكون مظلومًا فأنتصر.**

وخاطب الهند قائلًا: «على الهند إذا أرادت أن تنتصر، فعليها أن تقتدي بالإمام الحسين»، فقد رآه "غاندي" قدوة في الأخلاق الإنسانيّة العامّة، وكان يردد: «تعلّمت من الحسين كيف أكون مظلومًا فأنتصر».

دستور الثورة الحسينيّة كان أخلاقيًّا، في كلّ موادّه راعى حرمة الزمان، كما رأينا في انتظاره حتّى موت معاوية. ويمكن النظر في أهمّ موادّ دستور الثورة الفكريّة الأخلاقيّة الحسينيّة:

١ ـ مراعاة حرمة الكعبة والابتعاد عنها في ثورته؛ كي لا تستباح كما في قوله لأخيه محمد بن الحنفية:

**يا أخي، خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت.**[1]

وهذا ما دفعه أن يقول لعبد الله بن الزبير:

**يا بن الزبير؛ لأنّ أدفن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أن أدفن بفناء الكعبة.**[2]

٢ ـ حفظه عليه السلام العهد والوفاء به.

١. المجلسي: ٤٤/ ٣٦٤.

٢. المصدر نفسه: ٤٥/ ٨٦.

لا شكّ أنّ الوفاء بالعهد والوفاء به ثقافة قرآنيّة تعلّمنا الامتثال لهذه القيمة الأخلاقيّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مسؤولًا﴾، وقال: أوفوا بالعهود...

وهذه قيمة فرضتها السماء على بني البشر؛ ليعيشوا بأمان، وقد كانت خصلة محمّديّة أخذها الحسين عليه السلام من جدّه وأبيه.

وقد تمسّك بها الحسين عليه السلام في أشدّ المواقف خطورة؛ فإنّه:

**بعد اتّفاقه مع الحر بن يزيد الرياحي على أن يسايره، فلا يعود إلى المدينة، ولا يدخل الكوفة، طلب منه الطرماح بن عدي أن ينزل قبيلة طي ليلتحق به عشرون ألف طائي، فقال له الحسين عليه السلام: "إنّه كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف".[1]**

٣ ـ رحمته على أعدائه؛ لأنّه إنّما يقاتلهم ليعيدهم إلى الحقّ الذي شردوا منه، فيسبغ عليهم رحمته وشفقته، وقد تجسّد هذا في لقائه ألف مقاتل من جيش ابن زياد، وكانوا عطشى وخيولهم، فأمر أتباعه بسقي الجيش، وقال: «اسقوا القوم، وأرووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفًا» وقام هو بنفسه، فسقى ابن طعان المحاربي.[2]

ومع ذلك، فإنّه حين وصل جيش ابن سعد إلى الماء، وحازوا عليه، فإنّهم منعوا الماء عن الحسين عليه السلام حصرًا هو وأولاده حتّى الرضيع منهم حين غرف له أبوه عليه السلام حسوة ماء رموه بسهم، فقطعوا حنجرته، وتطاير دمه إلى السماء، فبكته زخّات من المطر الدموي، وفي قولهم من منع الحسين، فإنّه «قبل المعركة وصل بربر ومعه جماعة إلى النهر، فقال لهم حماته: اشربوا هنيئًا مريئًا بشرط ألا يحمل أحدكم قطرةً من الماء للحسين، فقالوا لهم: ويلكم نشرب الماء هنيئًا والحسين وبنات رسول الله يموتون عطشًا، لا كان ذلك أبدًا».

٤ ـ ومن عظيم أخلاقه عليه السلام عطفه على عمر بن جنادة ومنعه من القتال بعد استشهاد

١. ابن الأثير: ٤/٥٠.
٢. المفيد: ٢/ ٧٨.

أبيه مراعاة لشعور أمّه وعطفًا عليها، ولم يسمح له بالعودة إلى القتال إلّا بعد أن علم أنّ أمّه هي التي أرسلته إلى المعركة، وقد كان ابن أحد عشر عامًا، وكان قد أرجع أمه بعد أن إصابة رجليها عطفًا على ابنها.[١]

٥ ـ الخطاب الأخلاقيّ الحسينيّ الخاصّ جدًّا، وقد تمثّل في كلماته التي كان يخاطب بها من معه من أفراد عائلته وأتباعه الذين كانت تهون الدنيا عليهم، فيندفعون إلى المعركة بين يديه وهم يسمعونه، يقول: «صبرًا بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة»،[٢] مثل هذا الكلام الأخلاقي كّان يولد لديهم حالة من السموّ النفسي الساعي إلى التخلّص من البؤس والضرّاء، فقد كان عليه السلام مثالًا لجميع الفضائل ومكارم الأخلاق، وكان «عليه السلام من أعبد الناس وأزهدهم، وانبعث صوته بالفتح العظيم، فاستوعب صداه جميع أنحاء العالم الإسلاميّ، وهو ينادي بفجرٍ جديدٍ ويومٍ جديدٍ؛ ليستأنف فيه الإنسان المسلم رسالته، ويبدأ تاريخه ويبني كرامته، ويعدل سلوكه، وينفض عنه غبار الذلّ وعار العبوديّة، وينطلق في ميادين التحرّر؛ ليساهم في بناء الحضارة، ويدخل موكب التاريخ».

٦ ـ من أخلاقه العظيمة مساواته نفسه بكلّ أتباعه وجعله من نفسه قدوة لهم، فكان يقول عليه السلام لهم: «نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أسوة حسنة».[٣]

٧ ـ ومن أعظم الشيم والأخلاق الحسينيّة عفوه عمّن تاب بعد أن غدر من الذين وقفوا مع أعدائه، ثمّ عادوا إليه يطلبون العفو والرحمة والدعاء لهم.

هذه وغيرها من الموادّ الدستوريّة التي جاءت في ثورة الحسين الفكريّة الأخلاقيّة ممّا ذكره كلّ من تطرّق إلى ثورة الحسين الفكريّة بثوبها الأخلاقيّ.

١. الطبري: ٤/ ٣٠٤.
٢. شريف القرشي: ٣/ ١٩٩.
٣. ابن الأثير: ٤/ ٤٨.

علينا أن نحسن العرض ونحن نتحدّث عن هذه الثورة، فلا نسبّ أو نشتم أصنام الذين ما وفّقوا لمركب الحسين عليه السلام في بحر إيمانه، وظلّوا عن شاطئ العذاب، لا يدرون معنى أن تكون من أتباع الحسين عليه السلام.

**موجبات أخلاقيّة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام**

إنّه بموجب اتّفاق الصلح الذي تمّ بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية أن تعود الخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد موت معاوية، لكن هذا الأخير تخلّص من الحسن عليه السلام بالسم، وحكم البلاد وجزءًا من العباد، وشجعه المغيرة بن شعبة على وضع ابنه يزيد خليفة له مقابل أن يتركه واليًا على الكوفة والبصرة.

وصار يزيد بن معاوية خليفة بعد أبيه، فكيف كانت سيرته؟

يجيب على هذا السؤال جمّ من العلماء والفقهاء والمؤرخين من كلّ المدارس الإسلاميّة، لكن من الأسلم أن ينظر إلى يزيد وسيرته بعين كبار أهل السنّة، ولا بأس أن نبدأ بابن حنبل، فإنّه قد سمع إلى ابنه صالح يقول له:

> **إنّ قومًا ينسبوننا إلى تولي يزيد! فقال: يا بنيّ وهل يتولّى يزيد أحد يؤمن بالله، ولِمَ لا يُلعن من لعنه الله في كتابه؟! فقلت: في أيّ آية؟ قال: في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.[1] فهل يكون فساد أعظم من القتل؟![2]**
>
> **وقال عنه الذهبي: "وكان ناصبيًّا، فظًّا غليظًا، جلفًا يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقته الناس، ولم يبارك في عمره، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين.[3]**

أمّا الآلوسي في تفسيره، فيقول:

> **والذي يغلب على ظني أنّ الخبيث لم يكن مصدقًا برسالة النبيّ وأهل حرمه نبيّه صلى الله عليه وآله**

١. محمد: ٢٢.

٢. ابن الأثير: ٣/ ٤٥٠.

٣. انظر: ميزان الاعتدال، وسير أعلام النبلاء: ٣/٤٢٤.

**وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات وما صدر عنه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قذر! ولا أظنّ أن أمره كان خافيًا على أجلّة المسلمين إذ ذاك، ولكنّهم كانوا مغلوبين مقهورين، لم يسعهم إلّا الصبر؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا...**[1]

وبحديثنا عمّا قاله الآلوسي في يزيد متجاوزين موضوعه في جواز إن لم يكن وجوب لعنه، نكون قد تخطينا ما كتبه ابن الجوزي في بحثه "الردّ على المتعصب العنيد المانع من ذمّ يزيد"، وهذا من أشهر كتب ابن الجوزي، وهو في الردّ على عبد المغيث الحنبلي الذي كان يتولّى نصرة يزيد بن معاوية.

وقد تجاوزنا إلى الآلوسي؛ لأنّه لخّص في تفسيره "*روح المعاني*" ما قيل في يزيد؛ وهذا يدفعنا أن نقف على موجبات ثورة الحسين عليه السلام التي تناولها عشرات إن لم نقل مئات الكتّاب قديمًا وحديثًا لكنّنا هنا أحببنا أن ننظر إليها من المنظار الأخلاقيّ، فيزيد قد أبعد كلّ مكارم الأخلاق التي بعث النبيّ صلى الله عليه وآله لإتمامها من خلال نشر رسالة الإسلام بما حمله من قيم أساسيّة زرعها في المجتمع الأوّل فحملت معها نصر الله، وحملت معها الفتح لكن الطلقاء الذين كانوا يحاربون الإسلام وقيمه بخطوات رصينة متتابعة، الخطوة الأولى حمل معولها أبو سفيان ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله. والخطوة الثانية حملها ابنه معاوية ضدّ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وقد حاول جاهدًا تشويه أركان الإسلام، فكان الإمام علي عليه السلام يتصدّى له بمختلف أشكال التصدّي، ولما جاء يزيد عمل على هدم الأسس الأخلاقيّة التي ثبتها رسول الله صلى الله عليه وآله دعائم كبرى يقوم عليها المجتمع الإسلاميّ، وقد ساعده في هذا ما قام به أبوه معاوية من تغييرات وتلاعب بالذمم الضعيفة وشرائها بالدرهم والدينار إلى أن جاء يزيد فتمثّل هو شخصيًّا بكلّ منكر ينسف قيمًا وعاش على هدم ما وصلت إليه يده من معاول لهدم كلّ الأخلاق ومكارمها، وزرع الأخلاق

١. الآلوسي: ٢٦/٧٣.

السيئة بدلًا منها وتتويج أعماله بالرذائل؛ وهذا ما خلخل المجتمع وزعزع الأركان والأسس التي قامت على الأخلاق، وهذا ما أدركه الحسين عليه السلام في الحجاز والشام، فكان لا بدّ أن يقاوم هذا المدّ من الأخلاق السيئة، وأراذلها التي بدأ يمثّلها ملك الناس والناس - كما نعلم - على دين ملوكها، فكانت قومته عاصفة أخلاقيّة جبارة، لا تقوم بها جيوش، ولا تقدر عليها سيوف ولا أسنّة، وما دامت قومة بهذا الشكل، فقد صار عسيفها يسمع ويدوي للعودة بالناس إلى دين جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، كان لا بدّ لها من تضحياتٍ جبّارة، تضحيات بأنفسٍ عظيمة لتعود الأمّة إلى دين محمد صلى الله عليه وآله، ومن أعظم من الحسين عليه السلام؟! لا أعظم، ولا أقدر على القيام بهذا الهدف إلّا الحسين عليه السلام، وبأسلوبٍ أخلاقيّ عظيمٍ جعل الدم ينتصر على السيف، وجعله قدوة لكلّ المظلومين في العالم الساعين إلى التحرير والخلاص من الفسق والانحلال.

وقد أدلى الإمام الحسين عليه السلام بتصريحٍ قبل خروجه بيّن فيه الأسباب والدوافع وراء خروجه، فقال:

**إنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، ولا مفسدًا، ولا ظالمًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بقبول الحقّ.**[1]

لقد أدرك الحسين عليه السلام أنّ حربًا ناعمة تشن على الإسلام وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ظهرت أيام معاوية، وها هي تتجسّد بشكلٍ قويٍّ أيّام يزيد.

وقد ذكر التاريخ:

**أنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش، فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس. فقال له: يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا لموجودة أنّي قاتلتكم بصفين، فلا تجد من ذلك يا بن عباس، فإن ابن عمك عثمان قد قتل مظلومًا.**
**قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلومًا! قال: إنّ عمر قتله كافر، قال ابن**

١. الأعثم الكوفي: ٣٢.

**عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون. قال: فذلك أدحض لحجتك. قال: فإنّا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك.**
**فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟**
**قال: لا.**
**قال: أتنهانا من تأويله؟**
**قال: نعم.**
**قال: فنقرؤه ولا نسأل عمّا عنى الله به! ثمّ قال: فأيّهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟**
**قال: العمل به.**
**قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟**
**قال: سل عن ذلك من يتأوّله غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك.**
**قال: إنّما أنزل القرآن على أهل بيتي، فأسأل عنه آل أبي سفيان يا معاوية! أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلالٍ وحرامٍ؟ فإن لم تسأل الأمةُ عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف.**
**قال: اقرؤوا القرآن وتأوّلوه، ولا تروا شيئًا ممّا أنزل الله فيكم، وارووا ما سوى ذلك.**
**قال: فإنّ الله يقول في القرآن: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.**[1]
**قال: يا بن عباس، أربع على نفسك، وكف لسانك، وإن كنت لا بدّ فاعلًا فليكن ذلك سرًّا لا يسمعه أحدٌ علانيةً.**
**ثمّ رجع إلى بيته، فبعث إليه بمئة ألف درهم، ونادى منادي معاوية أن قد برئت الذمة ممّن يروي حديثًا من مناقب علي وفضل أهل بيته، وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من الشيعة، فاستعمل زياد بن أبيه وضمّ إليه العراقيين: الكوفة والبصرة، فجعل يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم وشرّدهم، حتى نفوا عن العراق، فلم يبق أحد معروف مشهور، فهم بين مقتول أو مصلوب، أو محبوس، أو طريد، أو شريد.**[2]

فلنلاحظ أقوال معاوية ردًّا على كلام ابن عباس، إنّها الحرب الناعمة أعلنها معاوية بعد الحرب الخشنة التي قادها ضدّ الإمام علي عليه السلام، وقد عرفها كلّ الصحابة، فمنهم من قام مع الحسين عليه السلام في ثورته ومنهم من ظلّ ساكنًا خشية السيف الذي لم يكن يرحم.

١. التوبة: ٩.
٢. الطبرسي: ٢/٢٩٤.

فكانت ثورة الحسين عليه السلام ضدّ الحرب الناعمة التي شنّها معاوية وابنه يزيد على الإسلام، وكان الدم قد أفلح مع السيف. حرب قامت باللطف ظاهرة خشنة قام بها يزيد بأداته عبيد الله بن زياد وأداته عمر بن سعد وأدواته الذين تهيّؤوا وخرجوا لقتال الحسين.

بالمقابل، فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يعلم بمقتل الحسين، كما في الحديث:

**عن أبي الطفيل، قال: استأذن ملك الفطر أن يسلم على النبي صلى الله عليه وآله في بيت أمّ سلمة، فقال: لا يدخلنّ علينا أحدٌ، فجاء الحسين بن علي عليه السلام، فدخل، فقالت أم سلمة: هو الحسين، فقال النبي صلى الله عليه وآله: دعيه، فجعل يعلو رقبة النبيّ صلى الله عليه وآله، ويعبث بها والملك ينظر، فقال الملك: أتحبّه يا محمّد؟ قال: إي والله إنّي لأحبّه. قال: أمّا إنّ أمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان؟ فقال بيده، فتناول كفًّا من ترابٍ، فأخذت أمّ سلمة التراب فصرته في خمارها، فكانوا يرون ذلك التراب من كربلاء.**[1]

وعن أمّ سلمة – رضي الله عنها – قالت:

**رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله – تعني في المنام – وعلى رأسه ولحيته التراب. فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: شهدت مقتل الحسين آنفًا.**[2]

إذًا، فهي الثورة المرسومة المكتوبة منذ أن نزل الإسلام على متمّم مكارم الأخلاق، قائدها معلومٌ للنبي صلى الله عليه وآله، هو قطعة منه، يقودها بعلم النبي صلى الله عليه وآله، بعد وفاته، وتراه أم سلمة في المنام والتراب على رأسه ولحيته، وتسأله عما أصابه، فيعلمها أنّه شهد مقتل الحسين آنفًا!

إنّها ثورة أخلاقيّة عظيمة تمثّلت قول النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «يا علي، ثلاث من مكارم الأخلاق: تصل من قطعك، وتعطي من منعك، وتعفو عمّن ظلمك».

فجاء الحسين عليه السلام يقود ثورةً أخلاقيّةً بفكر مسامح ضدّ الذين شنّوا حربًا ناعمة على الإسلام، خشنة على آل بيته عليهم السلام، وأمروا بني هاشم بقراءة ما جاء بحقّكم في القرآن أن يتلى سرًّا لا يسمعه أحد علانيةً!

١. الهيثمي، حديث رقم ١٥١٦٣.
٢. الترمذي، حديث رقم ٣٨٦٠.

فكان الجواب ثورة فكريّة أخلاقيّة سمع صداها أهل الأرض قديمًا وحديثًا رغم ما حلّ بهم من قتلٍ وصلبٍ وحبسٍ وطردٍ وتشريدٍ، فهل عرفت الأرض مذ كانت الأرض ثورة أعظم من ثورة الحسين؟

**نتيجة البحث**

كان معاوية – وفقًا للأدلّة التاريخيّة الموثّقة – يؤمن أنّه لا أخلاق في حكم الناس، وخيرُ شاهد على ذلك سلوكه مع الناس من صديقٍ وعدوٍّ، لا سيّما في حربه مع الإمام عليعليه السلام واغتيال أصحابه. وبعد استشهاد أمير المؤمنينعليه السلام وصلحه مع الإمام الحسنعليه السلام، خلت الساحة الفكريّة لمعاوية كما كلّ الساحات، لكنّ الساحة الفكريّة التي كان يستخدم فيها حربه الناعمة ليصل إلى ما يريده وهو أبعد من السلطة، سعيه الدائم في تشويه المعايير الأخلاقيّة الإسلاميّة، ولا شكّ أنّه نجح في كثير ممّا رمى إليه. وقد التزم الحسينعليه السلام بعهد أخيه الحسنعليه السلام في الصلح مع معاوية، وهذا الالتزام كان يمثّل الأخلاق الحسينيّة الفوقيّة، رغم ما كان يعانيه من أعمال معاوية إلى أن مات، فكانت نهضة عاشوراء هي في الواقع قيام ضدّ الحرب الناعمة التي شنّها معاوية أوّلًا وابنه يزيد ثانيًا على الإسلام، وكان الدم قد أفلح مع السيف، فكانت هي نهضة فكريّة أخلاقيّة زرعت في قلوب البشريّة جمعاء من لحظات الطفّ يوم تناثرت الدماء، وأمطرت السماء الدماء إلى الآن وقودًا عاطفيًّا حزينًا حرّك مجتمع الخنوع والانسياق وراء الظالم الأموي، وما زال وسيبقى.

## مصادر البحث

القرآن الكريم
نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد
١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، تحقيق عبد السلام تدمري، لا تاريخ.
٢. ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، لا تاريخ.
٣. ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٧٦ ش.
٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، دارالفكر، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٨ق.
٥. ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ناشر: مكتبة المعارف، بيروت.
٦. ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن المصطفى، تصحيح: محمد فؤاد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، قاهره، لا تاريخ.
٧. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب؛ بيروت، دار التراث العربي، ١٤٠٨ق.
٨. أحمد، بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ناشر: مؤسسة قرطبة، مصر، لا تاريخ.
٩. الأعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم، مقتل الحسين، مطبعة أنوار الهدى، ١٤٢١هـ
١٠. الآلوسي، شهاب الدين محمود (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني، طبع مؤسسة الرسالة، دمشق.
١١. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ق.
١٢. البغوي، أبو محمد حسين بن مسعود، (م ٥١٦ هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير شاويش، مؤسسة الرسالة (المكتب الإسلامي) ١٦ مجلدًا، بيروت ١٤٠٣ق.
١٣. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا تاريخ.
١٤. العسكري، السيد مرتضى، معالم المدرستين، الطبعة الخامسة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٤ق.
١٥. السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، لا تاريخ.

١٦. الشرقاوي، محمد عبد الله، الفكر الأخلاقي، بيروت دار الجبل، مكتبة الزهراء بحرم جامعة القاهرة، ١٤١٠ق.
١٧. شريف القرشي باقر حياة الإمام الحسين، في ثلاثة أجزاء، تحقيق: مهدي باقر القرشي، بيروت، دار الكتب العلميّة.
١٨. الطبرسي، أحمد بن علي (ت٥٨٨ ق)، الاحتجاج على أهل اللجاج، مشهد، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ق
١٩. الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠ ق)، تاريخ الطبري، بيروت دار الكتب العلميّة، لا تاريخ.
٢٠. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد (ت ٥٠٥ ق)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة.
٢١. القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٢٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، منشورات الفجر، بيروت.
٢٣. الليثي الواسطي، علي بن محمد، تحسين حسين الحسني عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث.
٢٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت؛ دار إحياء التراث العربي، لا تاريخ.
٢٥. المغربي، القاضي نعمان بن محمد بن منصور بن حيون (ت٣١٣هـ)، المناقب والمثالب: ذكر مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية، طبع بيروت، شركة الأعلمي للمطبوعات.
٢٦. المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد، الإرشاد، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤ق.
٢٧. مير مصطفى، تامر، يتيم يغير مجرى التاريخ، عناية المستشارية الثقافية الإيرانيّة، دمشق ٢٠١٣م.
٢٨. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٩. الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر (٩٧٣هـ)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، ناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ق.
٣٠. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ

# الملحمة الحسينيّة تحت مجهر التحقيق العلميّ

**محمد الصادق بوعلاق** [1]

**خلاصة البحث**

يكشف الغوص في دراسة المقاتل الحسينيّة وما صُنّف، على مرّ القرون الماضية، حول واقعة كربلاء، أنّ أرباب المقاتل ومُسيّري مواكب العزاء الحسيني قاموا - ولا يزال - بتجاوزات جسيمة تسيء إلى الملحمة الحسينيّة وتنال من نقائها وصفائها، فتثير هذه الوضعيّة الحرجة أسئلة عديدة منها:

ما أشكال الإساءة إلى الملحمة الحسينيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟

ما واجبنا ومسؤوليّتنا تجاه هذه الإساءة؟

هل من الممكن إصلاح هذه التجاوزات؟ وكيف؟

نسعى في هذا المقال، بمنهج تحليليّ يتّسم بالدقّة والموضوعيّة، إلى وضع أحداث الملحمة الحسينيّة تحت مجهر التحقيق العلميّ؛ لنقدم إجابة عن هذه الأسئلة المهمّة، ونسوق إجابتنا في شكل مشروع إصلاحيّ متكامل يقترح حزمة إصلاحات هيكليّة، ومجموعة حلول عمليّة لتنقية الشعائر الحسينيّة، والثقافة العاشورائيّة من آثار هذه التجاوزات.

**المفردات الرئيسة:** الشعائر الحسينيّة، الثقافة العاشورايّة، الإصلاح الهيكليّ

---

١. جامعة تونس، باحث في مجال الفكر الإسلاميّ، تونس. البريد الإلكتروني : Bouallegue.m@gmail.com.

**أشكال الإساءة إلى الملحمة الحسينيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام**

ما أشكال الإساءة إلى الملحمة الحسينية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟

إنّه سؤالٌ جوهريٌّ تتطلّب الإجابة عنه كثيرًا من التجرّد، والموضوعيّة، والحياد، وكذلك تقييم ثقافة المشهد العاشورائيّ وإعادة قراءة مخرجاته بكلّ جرأة وشجاعة.

أشكال الإساءة عديدة إلا أنّه يمكننا حصر أهمّها في النقاط التالية:

**١. اختزال الملحمة الحسينيّة في الجانب العاطفيّ المأساويّ**

لو دققنا جيّدًا في أحداث الملحمة لوجدناها مزيجًا من عنصري: الثورة والمأساة.. أو عنصريْ: العِبرة (بكسر العين) والعَبرة (بنصب العين)، وهما جناحان تحلّق بهما النهضة الحسينيّة نحو أهدافها الإلهيّة المرسومة؛ فعلى هذا الأساس يجب أن يكون للملحمة الحسينيّة طابعان أساسيّان: طابع "ثوريّ وسياسيّ" تكون فيه الكلمة للعِبرة (بكسر العين) واستخلاص الدروس، وآخر "عاطفيّ ومأساويّ" يكون فيه المجال للعَبرة (بنصب العين) والدمعة، وتعود الأصالة إلى الجانب "الثوريّ والسياسيّ"، وليس إلى الجانب "العاطفي والمأساوي"؛ إذ ما العاطفة والمأساة إلّا واحدة من لوازم المواقف الثوريّة السياسيّة، لكن الأساس والأصل والغاية الأهمّ تنبع من تأصيل الجانب "الثوريّ والسياسيّ" لتلك الحركة الإلهيّة، إنّها الحركة التي بدأها الحسينيون بالوقوف في وجه الظالمين وختمها اليزيديون بالفجيعة والمأساة، وعنصر المأساة والمحنة جاء معلولًا لخطيئة الأعداء.[١]

ومن الإساءات الخطيرة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام تغييب الجانب الثوريّ في فلسفة عاشوراء والاقتصار على الجانب العاطفيّ المأساويّ، وتلك جريمة نكراء في حقّ الملحمة الحسينيّة والمبادئ والأهداف التي من أجلها ثار الحسين عليه السلام.

١. راجع أيضًا "عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة"، أ. محمد أسفنديارى، ترجمة محمد عبد الرزاق، مجلّة "نصوص معاصرة" – السنة الثالثة – العدد التاسع – شتاء ٢٠٠٧

إنّ الاقتصار على الرؤية العاطفيّة دون غيرها حصر الملحمة الحسينيّة في حدود البكاء والعويل، وحبسها داخل أسوار اللّطم وأنواع مظاهر الحزن، كما اختزلت شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام في المعاناة، والفجيعة، والرزيّة، فأصبحنا لا نجني من وراء إقامة مجالس العزاء الحسيني إحياء مبادئ الإمام الحسين عليه السلام، ولا التعميق في مفاهيم نهضته، بل أضحى المراد والهدف من تلك المجالس البكاءَ، والعويل، واللّطم، والنحيب؛ فبهذه الإساءة استُبدِل الهدف بالوسيلة، واحتلّت النتيجة مكان المقدّمات.

شهدت القرون الماضية نادبين على الإمام الحسين عليه السلام أكثر من ثائرين معه، وتفوّق شعراء الرثاء على شعراء الثورة، وانتصر خطباء العزاء على المفكرين والباحثين، وفاز المتفنّنون في ابتكارات تهييج العواطف وإثارة الأحزان على المستنبطين لحلول في الاقتصاد والاجتماع والسياسة من روح نهضة عاشوراء.[١]

**٢. تبرير الغاية بالوسيلة**

تقودنا دراسة المصنفات العديدة حول الملحمة الحسينيّة إلى استنتاج - نسوقه بكلّ أسف - يتمثّل في دخول المبدأ الميكافيلي القبيح "الغاية تبرر الوسيلة" إلى ثقافة عاشوراء مشكّلًا إساءة مشينة إلى الملحمة الحسينيّة؛ حيث يبرّر القائمون على المجالس الحسينيّة وصُنّاع الأساطير إساءتهم بهذه المقولة: ما دام الهدف مقدّسًا ونبيلًا، وهو إبكاء الناس على مصائب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلا تهمّ الوسيلة المُتّبعة لبلوغ ذلك: أن نختلق الأساطير، أو نضع الأحاديث، أو نضرب الطبول، أو نُسيل الدماء... كلّ ذلك ليس مهمًّا من أجل الوصول إلى إبكاء الناس وتهييج عواطفهم... من أجل هذا الهدف العظيم يجوز فِعْل ما لا يجوز فِعْله في المواطن الأخرى، فكلّ التجاوزات في هذا المجال قابلة للغفران من أجل قدسيّة الهدف وهو إبكاء الناس.

١. نورد هذه المقولة بالرغم ممّا نشهده منذ السنوات الأخيرة من عودة مشرّفة من قِبَل المنتسبين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام لإعادة إحياء المبادئ الأساسيّة للملحمة الحسينيّة؛ عودة تولّى تأطيرها ثلّة من العلماء الأعلام، إلّا أنّ الطريق ما زال طويلًا لاستكمال الواجب المطلوب.

وقعت بهذه العقلية المنحرفة إساءة كبيرة إلى الملحمة الحسينيّة، ودخلت في الثقافة العاشورائيّة أفكارٌ غريبة وممارسات عجيبة اختلط معها الدخيل بالأصيل، والتبست الأُمور على الناس، حتى نستشعر عمق الفاجعة، وهوْل الكارثة، وخطورة الموقف، نستمع إلى اعتراف من اعترافات بعض "الوُضّاع" المسيئين كما أوردها هاشم معروف الحسني؛[1] حيث يقول:

وجاء عن بعضهم أنّه كان يقول: إذا استحسنّا أمرًا جعلنا حديثًا، وإذا اتّهمهم أحدٌ بالكذب على الرسول، ولم يستطيعوا التخلّص منه التجئوا إلى أسلوب آخر وقالوا: نحن نكذب له، لا عليه؛ لنرقّق قلوب العامّة.

**٣. صناعة الأساطير**

لم تقتصر صناعة الأساطير على ثقافة معيّنة دون أخرى، بل هيمنت على جلّ الثقافات الإنسانيّة، ولم تكن الثقافة العاشورائيّة استثناءً لأنّها ثقافة شعبيّة واسعة، شكّلت إطارًا خصبًا للأسطورة ومسرحًا فسيحًا للخرافة جال الخيال بطلاقة في أرجائه، ووقعت الإساءة إلى الملحمة الحسينيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أوّلًا عندما اُستُبدلت عاشوراء الثورة والأحزان معًا بعاشوراء الأحزان فقط. وثانيًا عندما دخلت الأساطير والخرافات على الثانية.

تمثّلت الإساءة الأولى في اختزال الملحمة الحسينيّة - بأهدافها الإلهيّة ومبادئها الربّانيّة - في مجالس لإقامة العزاء اقتصرت على تهييج العواطف؛ أمّا الإساءة الثانية فتمثّلت في نفوذ الخرافة والأسطورة إلى مضمون المجالس نفسها خدمة للأهداف المصطنعة، وقد شكّلت عوامل عديدة دوافعًا ساعدت على تسلّل الأساطير ونفاذ الخرافات إلى النصوص العاشورائيّة، لعلّ أهمّها طبيعة أحداث الملحمة العاشورائيّة

١. راجع: الموضوعات في الآثار والأخبار: ١٩٨.

نفسها؛ حيث انطوت تلك الأحداث على بطولتين في ذروة البطولات التي عرفتها الإنسانيّة: بطولة قمّة في الإيجابيّة، وأخرى قمّة في السلبيّة.

لقد سجّل الإمام الحسين عليه السلام - في التاريخ - أعلى درجات الإباء، والعزّة، والشجاعة، والوفاء والمظلومية، وسجّل جيش العدوّ - عبر التاريخ - أعلى درجات النفاق، والوحشية، والدناءة بخرقه كلّ المحرمات وتعدّيه على كلّ الأعراف، وارتكابه مجازر تخجل الأقلام من ذكر بشاعتها وتأبى الآذان سماع غطرستها، كلّ ذلك جعل لأحداث عاشوراء قابليّة لجميع أنواع المبالغة والتهويل في المخيّلة الفرديّة والجماعيّة، وهيّأ الذهنيّات لتقبّل كلّ أنواع الإفراط؛ ونتيجة لهذا الاتّساع تسرّبت الأساطير والخرافات إلى النصوص العاشورائيّة دون أدنى مقاومة.

ساهمت كذلك بعض الأساليب الشفهيّة في عرض السيرة الحسينيّة في تسلّل العديد من الأساطير إلى النصوص العاشورائيّة، إنّ المبالغات الشعريّة، والأساليب المجازيّة، والمشاهد الفنيّة، والصور التخيليّة التي يعرضها بعض قرّاء العزاء كواقائع وحوادث، إضافة إلى قدرة تأثيرهم على النفوس وتحريكهم للمشاعر، يُوحي للمستمع - والمتلقّي عمومًا - أنّها معلومات تاريخيّة قادمة من صميم الواقع ومن قلب الأحداث، تودّي هذه الأساليب مع الزمن دورًا شبيهًا بإنتاج نصوص تراثيّة جديدة يتمّ التعامل معها، من قِبَل كثير من المتلقّين، كنصوص أصليّة، ومع مرور الزمن تصبح تلك "النصوص المُستحدَثة " من المتواترات، ثمّ تجد الطريق أمامها مفتوحًا لتُدرَج في بعض المقاتل وكتب السِيَر التي تتسامح في نقل المرويات دون تحقيق ولا تدقيق.

والسؤال المهم في السياق: هل تحتاج الملحمة العاشورائيّة إلى الأسطورة حتى تستمرّ في خلودها وانتشارها في المجتمعات وعبر الأزمنة والعصور؟

والجواب واضحٌ وجليٌّ: لم تقدّم الأسطورة المصطنعة، ولا الخرافة الزائفة، أي خدمة للفكر العاشورائيّ، بل أساءت إليه حيث أبعدت الناس عنه، جعلته محلًّا للاستهزاء

والتوهين، وجرّدته من عنفوانه ونقائه. تمثّل عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام أكبر المعالم الثقافيّة الشيعيّة، كما أنّ جلّ العامّة من المدارس الأخرى لا يعرفون الشيعة إلّا عبرها، ولا يُقيِّمون فكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلّا في ضوئها، وكلّ باحث من خارج دائرة التشيّع إذا أراد تقييم الثقافة الشيعيّة، فإنّ نظره سيرتكز أوّلًا على ما يحدث في المراسم العاشورائيّة، ولنا أن نتصوّر الانطباعات التي تحصل لكلّ من يُصدَم بكمّ هائل من الخرافات والأساطير الزائفة ومجموعةٍ كبيرة من الممارسات التي يرفضها العقل السليم وتنهى عنها الشريعة الغرّاء!!

**٤. إيذاء النفس في مواكب العزاء الحسيني**

إذا كانت الأساطير والخرافات قد تسرّبت إلى قراءة العزاء لتنال من نقائها، فإنّ مواكب العزاء لم تسلم كذلك من انحرافات طرقت بابها، وولجت إلى صميم فعّالياتها؛ لتنال من قدسيّة التعبير عن مظاهر الحزن فيها.

ابتكر بعض أصحاب مواكب العزاء - عن حسن نيّة وصدق عاطفة - أشكالًا عديدةً، وأنماطًا كثيرةً للتعبير عن حزنهم، قاسِمها المشترك هو: إيذاء النّفس، وتتجلى أهمّ هذه الأشكال التعبيريّة في:

- الضرب على الرأس بالسيف حتى إسالة الدماء (ما يُسمّى بـ"التطبير").
- إدماء الظهر بسلاسل من سكاكين.
- نصب الأغلال.
- المشي حافيًا على النار والجمر.
- إحداث ثقوب في البدن ووضع الأقفال فيه أو تعليق معايير الأوزان.

لم يتلقّ أصحاب مواكب العزاء أيّ شكل من هذه الأشكال التعبيريّة من مرجع من المراجع، أو عالم من العلماء، وإنّما أقحموها في مواكبهم من قِبَل أنفسهم دون وعي،

إتباعًا لأهوائهم، وإرضاءً لاندفاعهم. والشرع الحنيف لا يُجوِّز الاعتداء على النفس المحترمة وإيذاؤها، بل يدعو المؤمنين إلى اجتناب كلّ ضرر يلحق النفس والجسد.

إضافة إلى الأذى البدنيّ والنفسيّ، فإنّ هذه الممارسات والبدع مُضعفة لشوكة الدين، ومُنفّرة للمذهب في نظر الناس، ومشينة لأهله، ومُبعِدة عنه، وملحقة به العار، لقد أصبحنا نعيش في عصر الصورة الحيّة، والفضائيات، والنقل المباشر، ووسائل التواصل الاجتماعي التي تنقل بالصورة والصوت كلّ ما يجري في أنحاء العالم بسرعة مذهلة، وأصبحت هذه الممارسات الدخيلة، والطقوس الغريبة تشكّل عبئًا ثقيلًا على مدرسة أهل البيت؛ حيث تساهم في فتح باب القدح في المذهب، والحطّ من قيمته، ومن قَدْر المنتسبين إليه، كما أصبحت تُعبِّد الطريق أمام المتربّصين، وقطاع الطرق للنيل من هذه المدرسة العريقة. أصبحت صورة المدرسة والمذهب مقرونة بالدم، مرتبطة بالشعوذة والطقوس الغريبة، فما على المرء إلّا أن يكتب مثلًا لفظ "شيعة" على أيّ محرّك من محرّكات البحث (Google مثلًا) لتظهر أمامه صور الدماء، وأعضاء الجسد المنكوبة، والمشاهد الهجينة، والمصحوبة بالتعاليق السخيفة، فأصبحت هذه الممارسات الدخيلة تمثّل مظهر تخلف، ووصمة عار على جبين مدرسة أهل البيت.

**الواجب تجاه هذه الإساءة**

علينا أن نعترف أوّلًا بأنّ الشعائر الحسينيّة طالتها تشويهات كادت تدنّس نقاءها، وتنحرف بها بعيدًا عن مسارها الذي من أجله خرج الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه مُضحّين بالنفس والنفيس، كما علينا أن نَعِي بأنّ السّالك إلى الحقّ تعالى، والعاشق للرسول الأكرم وآل بيته الكرام صلى الله عليهم أجمعين، لا يستطيع أن يتقرّب إلى الله تعالى بمقْتَلٍ وبشعائر نالت منها الأساطير الزائفة والخرافات الوهمية، وبمواكب تلاعبت بفعالياتها البدع الدخيلة، والأهواء المقيتة، لن ينصلِح الدين (وما جوهر نهضة

الإمام الحسين عليه السلام إلّا إصلاح الدين) بملحمة أوشكت الأهواء أن تنال من صفائها.

ومن هذا المنظار تصبح تنقية الشعائر الحسينيّة من كلّ ما علق بها من إساءة أمرًا مهمًّا، بل واجبًا مقدّسًا، ومسؤوليّة جسيمة، يجب أن يضطلع بها كلّ المنتسبين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام: أعلام المدرسة، مراجعها، علماؤها وكذلك عامّة الناس.

**الأعلام والعلماء الأجلاء مسؤولون؛** لأنّهم حصون الإسلام، وحماة المذهب والمدرسة، وورثة الرسول الأعظم والأئمّة الأطهار عليهم الصلاة والسلام، وهم المسؤولون أمام الله تعالى على نشر تعاليم الإسلام المحمّدي الأصيل، والتصدّي لكلّ الآفات التي تصيب الدين الحنيف، والحفاظ على مبادئه من الاندثار، وشعائره من الانحراف. تكبر مسؤوليّة العلماء عند ظهور البدع والفتن. أُثِر عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

**إذا ظهرت البدع في أمّتي، فلِيُظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله.**[1]

وقال الإمام علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله:

**إنّ العالم الكاتم علمه يُبعث أنتن أهل القيامة ريحًا، تلعنه كلّ دابة من دوابّ الأرض الصغار.**[2]

والمراد من البدعة التي تحرّمها الأحاديث الشريفة هي كلّ ما استحدِث في أمور الدين بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، من أهواء وأعمال، زيادة فيه أو نقصانًا منه من غير إسناد إليه.

**وعامّة الناس مسؤولون كذلك،** ولهم مسؤوليتان كبيرتان عليهم تحملهما:

- تجسيد وتطبيق واجب النهي عن المنكر، وعليه فإنّ كلّ من يتفطّن إلى أنّ ما يقال على المنابر الحسينيّة الشريفة من افتراء مجافٍ للصواب وبعيد عن

١ . الكافي: ٥٤/١؛ الحديث رواه الشيخ الكليني عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن معلى بن جمهور.
٢. المحاسن: ١٧٧/٢٣١؛ الحديث مروي عن عبد الله بن المغيرة، ومحمد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام.

الصحّة، ومن واجبه أن يقاطع المجالس ولا يحضرها، بل يلزم عليه أن يقاوم تلك الانحرافات ويفضحها ويشهّر بها.

- لم تنتشر هذه الانحرافات، ولم تتجذر في الواقع كمضمون للمقاتل، وكأنماط للممارسات في المواكب إلّا لقابلية لها في نفوس الناس الذين عادة ما تسيطر عليهم رغبة جامحة، وقابليّة كبيرة في أن يعيشوا في المجالس والمواكب لحظات حماسة تهزّ الوجدان، وتحلّق بالمشاعر والعواطف إلى ما وراء اللحظة الآنية.

إذا حضر الموالي مجلس العزاء الحسيني وليس في مراده إحياء مبادئ الإمام عليه السلام، ولا التعرّف على مفاهيم نهضته، بل كلّ همّه، ومبلغ انتظاراته البكاء والجزع، فإنّه سيضع الخطيب الحسيني في مأزق كبير: إن تكلّم الصدق واقتصر مجلسه على سرد الحقائق كما هي، دون زيادة ولا نقصان، فإنّ ذلك المجلس سيُنعت بالبرودة، وربما يقال إنّ نيّة الخطيب غير صادقة، وإن وشح مجلسه بالخرافات والأساطير تهييجًا للعواطف، وإثارة للأشجان، فإنّه سيقع في المحضور.

ومن واجب عامّة الناس إذًا مقاومة هذه الرغبة غير المسؤولة بالسلوك الواعي، وبتصحيح الغاية من حضور المجالس ومن المشاركة في المواكب، فيجب أن تكون النية هي التقرب إلى الله تعالى بإحياء شعيرة عظيمة جاهد أئمتنا الأطهار من أجل تركيزها والمحافظة عليها.. ويجب أن يصبح الاستماع إلى المقتل النقي الصادق مطلبا جماهيريًّا.

ليس للدمعة الصادقة على مصيبة سيد الشهداء عليه السلام – وإن أخذت حجم جناح ذبابة – إلّا الأجر الجزيل غير المحدود، لكن بشرط أن تخرج هذه الدمعة من عيون عرفت الإمام عليه السلام حقّ معرفة، وأحبته من كلّ جوارحها، ولا أظنّ أنّ المجالس المليئة بالخرافات السخيفة، والأساطير الزائفة قادرة أن توفّر معرفة حقيقية للإمام، أو أن تجلب حبًّا صادقًا له، ربما لا يكون للدموع التي تُذرف نتيجة التفاعل مع الخرافات والأساطير أي وزن في المنظار الرباني، ولو كانت بحارًا من الدموع.

**التجربة الإصلاحيّة للمحدث حسين النوري**رحمه الله

يُعتبر إصلاح الشعائر الحسينيّة، وتهذيب مضامينها، ومراجعة أشكال التعبير عنها أمرًا مقدّسًا، فكلّما حاول مصلح تنقيح هذه الشعائر، ونقد أشكالها المستحدثة، وإصلاح ما تراكم عليها من تطاول وتجاوزات أبعدتها عن أهدافها الرئيسيّة إلّا وتعالت أصوات فئتين من الناس ترفضان رفضًا قطعيًّا مجرّد الاقتراب من دائرة العزاء الحسيني:

- فئة ترى أنّ كلّ ما وصل إلينا من أخبار الملحمة الحسينيّة المنقولة في الكتب أو المحكيّة بالأفواه صحيح، ومقدّس، وخارج عن دائرة التحقيق والتدقيق، وغير خاضع للمناقشة، ترى (الفئة) في محاولة الإصلاح ارتداد على الفكر الحسيني، وخيانة للخطّ الولائي، وفي نقد مظاهر العزاء رفض لأصل مفهوم العزاء.
- فئة تُدرك الآثار السلبيّة للإساءة على الملحمة الحسينيّة إلّا أنّها ترفض قطعيًّا مبدأ التصدّي لها بزعمها أنّ لجميع أشكال الإساءة من خلْق الأساطير والخرافات، واستنباط الأشكال الدخيلة من مظاهر العزاء دور مهمّ في تثبيت قضية الإمام الحسين في نفوس الناس، والتفافهم حولها طول السنين، وترى أنّ في غياب الأساطير، والخرافات، والأشكال الاستعراضيّة من مظاهر الحزن والعزاء غياب للحيوية وانتكاسة للقضيّة في النفوس.

ومن مميّزات هاتين الفئتين أنهما عاليتا الصوت ومؤثّرتان في المزاج الشعبي، نجحتا في أسْرِ الشعائر الحسينيّة داخل مربّع مصطنع من الطقوس النمطيّة لا مجال لاختراق أسواره. يذكر لنا التاريخ أنّه عندما اعترض آية الله العظمى البروجردي رحمه الله على بعض مظاهر العزاء في شهر محرّم وأراد تصحيحها جُوبِه بانتقاد لاذع وقيل له: نحن مستعدّون لتقليدك في كلّ أيام السنة باستثناء هذه الأيام من محرّم.[1]

١. راجع مقال بعنوان " عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة ... تعدّد الأهداف والوسائل "، أ. محمد إسفنديارى، ترجمة : محمد عبد الرزاق، مجلة " نصوص معاصرة "، السنة الثالثة، العدد التاسع، شتاء ٢٠٠٧ م

لقد بادر في تلك الأجواء الحسّاسة عالم جليل - منذ بداية القرن المنصرم - من داخل الحوزة العلميّة للقيام بمحاولة إصلاحيّة لنصوص المراثي الحسينيّة ومظاهر العزاء، قصْد تنقية السيرة الكربلائيّة ممّا دخلها من مكذوب، وطغى عليها من أساطير لا تتفق مع أبسط مقوّمات التفكير السليم، والذوق الفقهي، والمبدأ العقدي... أقصد بذلك المحدّث حسين النوري الطبرسي (١٢٤٥ – ١٣٢٠) هجري.

الشيخ حسين النوري رحمه الله محدّث نادر، متبحّر في فنّ الخطابة، ومتمكّن من علوم الحديث، درس على أبرز علماء عصره مثل الشيخ مرتضى الأنصاري، والميرزا حسن الشيرازي، والشيخ عبد الرحيم البروجردي وغيرهم من العلماء الأعلام رحمة الله على جميعهم، وهو أستاذ الكثير من الأعلام الحوزويّة المرموقة منهم الشيخ عبّاس القمّي (صاحب مفاتيح الجنان)، وآغا بزرك الطهراني (صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، والسيد محسن أمين العاملي (صاحب رسالة التنزيه والتشبيه)، والشيخ علي أكبر النهاوندي، والشيخ محمد باقر البيرجندي وغيرهم.. ألّف العديد من المراجع، ولعلّ أهمّها: "مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل"، وكذلك "معالم العِبَر"،[1] منها كتاب صغير الحجم، كبير الوزن يسمّى "اللؤلؤ والمرجان".

يُعتبر كتاب "اللؤلؤ والمرجان" - على صغر حجمه - علامة فارقة في النهج الإصلاحي للملحمة الحسينيّة، أُلِّف في بداية القرن الماضي وشنّ فيه المحدّث النوري رحمه الله حملة عنيفة على ظاهرة الأساطير والخرافات المتسرّبة إلى أحداث ووقائع الملحمة الحسينية، ونبّه إلى خطورة هذه الظاهرة محذّرًا منها تحذيرًا قويًّا، كما دعا إلى الكفّ عن كتابة هذا اللون من الكتابات، والتقوّل – من فوق المنابر الحسينيّة – بهذا الصنف من الخرافات، اعتبر ذلك من الكذب على المعصوم المحرّم أشدّ التحريم، وكشف عن بعض الأسماء

١. لكن بعض من كتبه لم تكن تناسب شخصيته ولا مقامه العالي الرفيع، وخاصة كتابه " فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب "؛ لذلك تعرض إلى شيء من الانتقاد، غير أنّ كتبه إجمالًا جيّدة.

التي ساهمت في إدخال هذه الظاهرة إلى الثقافة العاشورائيّة، وتطرّق إلى العديد من النماذج التي اعتبرها تحريفًا للسيرة الكربلائيّة الناصعة.

يصرّح المحدّث النوري في كتابه قائلا:

**من الواجب أن نقيم المآتم على الحسين عليه السلام، أمّا المآتم التي تقام عليه اليوم فهي جديدة، ولم تكن هكذا فيما مضى؛ وذلك بسبب كلّ تلك الأكاذيب التي ألصِقت بحادثة كربلاء دون أن يفضحها أحد، إنّنا يجب أن نبكي على الحسين عليه السلام، ولكن ليس بسبب السيوف والرماح التي استهدفت جسده الطّاهر الشريف في ذلك اليوم التاريخيّ، بل بسبب الأكاذيب التي ألصِقت بالواقعة.**[1]

ويسلط الضوء على منبع الخرافات والأساطير الدخيلة في مقدّمة كتابه فيقول:

**كتب لي أحد العلماء من الهند يشكو من كثرة الأكاذيب التي يروّج لها قُرّاء التعزية الحسينيّة في تلك البلاد وقد رجاني أن أعمل شيئًا بهذا الخصوص كأن أكتب كتابًا يُساهم في منع استمرار الخطباء في الكذب على المنابر الحسينيّة.**

ثمّ يضيف:

**إنّ هذا العالم الهندي يتصوّر أنّ قرّاء التعزية الحسينيّة يبدؤون بنشر الأكاذيب بعد أن يصلوا إلى الهند، ولا يدري أنّ المياه ملوّثة من رأس المنبع، وأنّ مصدر المآتم الكاذبة هي كربلاء والنجف وإيران، أي مراكز التشيّع الأساسيّة نفسها.**[2]

تناول المحدّث النوري في كتابه الإصلاحي قضيّة بالغة الأهمية وهي: وظائف أهل المنبر وقرّاء المأتم الحسيني، ووضع شرطين أساسيين يجب أن يتوفرا في كلّ خطيب منبري، وقارئ للتعزية، وواعظٍ حسيني، وقد أفرد لكلّ شرطٍ فصلًا من كتابه الصغير، هذان الشرطان هما:

- الإخلاص وخلوص النيّة وضرورة الابتعاد عن الجشع المالي وحبّ الكسب

١. راجع المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينيّة: ٢١/١.
٢. راجع المصدر نفسه: ٢١/١.

والارتزاق من القضايا الدينيّة عمومًا والقضيّة الحسينيّة خصوصًا.

- الصدق والابتعاد عن الكذب.

اقتنع بعض تلامذة المحدّث النوري بضرورة الإصلاح، وتأثّروا بمنهجه في البحث والتحقيق، وواصلوا نهجه، كان الشيخ عبّاس القمّي من بينهم حيث ألّف في نفس المجال تقريبًا:

- "نفثة المصدور"، ضمّنه – على منوال شيخه – نصائح مهمّة للخطباء.
- "نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم".
- "منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل".

كان الشهيد مرتضى المطهري رحمه الله من كبار المتحمّسين للمشروع الإصلاحيّ للمحدّث النوري، رحمة الله تعالى عليه، كان يكنّ له احترامًا كبيرًا ويصفه بالرجل العظيم ويصنّف كتابه "اللؤلؤ والمرجان" من الكتب الجيّدة جدًّا بالرغم من صغر حجمه"،[1] وبسط الشهيد المطهري أهمّ أفكار الشيخ النوري، فأيّدها، وأضاف عليها بعض التحليلات الجديدة، في كتابه "الملحمة الحسينيّة".

وضع الشهيد المطهري – من خلال محاضراته – النقاط على الحروف، ففضح أساليب التحريف اللفظي والمعنوي، وبيّن واجب الأمّة تجاههما، كما كشف أيضًا عن الزيف الدخيل على واقعة كربلاء، شاهرًا سيفه على كلّ الذين حاولوا استغلال عواطف الناس بإدخال ما ليس من الملحمة الحسينيّة في مضامينها بطريقة يأباها العقل السليم، ويستبعدها الذوق الرفيع، ويرفضها الشّرع الحنيف.

لم يرد المحدّث النوري ولا الشهيد المطهري محو ذكرى الإمام الحسين عليه السلام إنّما وجدا في الشعائر العاشورائيّة وثقافتها ما يتطلّب إصلاحه، فلم يتردّدا في القيام بواجبهما رغم وقوف محيطهما حجر عثرة في وجه هذه المحاولات الإصلاحيّة.

١. راجع المصدر نفسه: ٢٠/١.

**التجربة الإصلاحية للسيد محسن الأمين العاملي**رحمه الله

السيّد محسن الأمين العاملي (١٢٨٣ – ١٣٧١) هجري عالم جليل، ومجتهد واسع الفضل، وصاحب مؤلّفات قيّمة منها: " أعيان الشيعة في تراجم طبقات أعلام الشيعة"، و"معادن الجواهر"، و"المجالس السنيّة"، و"الرحيق المختوم"، و"لواعج الأشجان"، و"كشف الارتياب في أتباع محمّد عبد الوهاب "... غيرها.

اقتنع رحمه الله بأنّ الشعائر الحسينيّة لم تَعُد سالمة من بعض الجوانب السلبيّة، ولا محافظة على أصالتها والأهداف التي أقِيمت من أجلها، بل تسرّبت إليها تجاوزات وانحرافات عديدة، وطالتها تطاولات خطيرة تكاد تصرفها عن مسارها الصحيح، وتوشك أن تُفرِغ النهضة الحسينيّة المباركة من محتواها الفكري والعقائدي، وتسلبها الأهداف التي من أجلها قام الإمام الحسين عليه السلام أمام هذه القناعة، التي لم تزدها الأيام إلّا رسوخًا، أطلق السيد محسن الأمين عليه السلام صيحة مخلصة تعالت مطالبة بتنقية الشعائر الحسينيّة ممّا علق بها من شوائب، كان ذلك سنة (١٣٤٧) هجري.

نتوقّف بشيء من التفصيل – يتماشى ومحدوديّة هذا المقال – عند تجربة السيد محسن الأمين رحمه الله وعَرْض تسلسل أحداثها؛ لأنّها تمثل رسمًا وفيًّا للمشهد، ومنوالًا صادقًا للواقع المعاش، وتكشف العوائق التي تقف في وجه كلّ حركةٍ إصلاحيّة لتمنعها من القيام بدورها في تنقية الشعائر الحسينيّة والثقافة العاشورائيّة ممّا يُشِينها ويُبعدها عن روح الإسلام المحمّديّ الأصيل، ونحن إذ نسعى لتفصيل القول – مع ما يتماشى ومحدوديّة هذا المقال المتواضع – في التجربة الإصلاحيّة الرائدة للسيد محسن الأمين رحمه الله نؤكّد على أنّنا لسنا بصدد الترويج لها، أو تبنّيها أو ردّها كاملة، بل كلّ ما يهمّنا – في هذه الوقفة – هو الرؤية السليمة التي يمتلكها صاحبها، والأفكار المستنيرة التي يطرحها، والتي نؤيّد بعضها ونتحفّظ على بعض الآخر.

كانت بداية رحلة هذه التجربة الإصلاحيّة مع عدّة مقالات كتبها السيد مهدي

البصري[١] سنة (١٣٤٣) هجري في الصحف العراقيّة، وتحديدًا في صحيفة "الأوقاف" التي كانت تصدر بالبصرة آنذاك، لم يكتف السيد مهدي البصري بعرض آرائه في الصحف، بل ألّف رسالة مستقلة ضمّنها جميع انتقاداته لبعض الشعائر الحسينيّة سمّاها "صولة الحقّ في جولة الباطل"، طبِعت الرسالة في العراق في نفس السنة (١٣٤٣) للهجرة، كان سهم الانتقادات موجّه لبعض الممارسات كضرب الرؤوس بالسيوف، وضرب الظهور بالسلاسل، وتمثيل واقعة الطف، وخروج المواكب في الشوارع يوم العاشر من محرّم.

أثارت رسالة "الصولة" ضجّة في البصرة والعراق واستفسارات العامّة والمثقفين، وجّه على إثرها أهالي البصرة عدّة أسئلة إلى علماء النجف الأشرف طالبين بيان الحكم الشرعي في كلّ ما يُطرح حول هذه الشعائر، وانقسم مراجع وعلماء النجف إلى مؤيّد ومعارض، فقد أيّد هذه الطريقة في التعاطي مع الشعائر كلّ من الميرزا حسين النائيني (ت ١٣٥٥) هجري والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣) هجري، في حين عارضها السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥) هجري رحمة الله عليهم أجمعين،[٢] ولم يكتف الشيخ إبراهيم المظفّر بالردّ على انتقادات السيد مهدي البصري في الصحف، بل أفرد لردوده رسالة مستقلّة سماها "نصرة المظلوم" طبعت سنة (١٣٤٥) هجري.

دافع السيد محسن الأمين عن الآراء الواردة في رسالة "الصولة"؛ وذلك عبر كتابة عدّة مقالات في الصحف البيروتيّة، وجّه فيها انتقاداته اللّاذعة لبعض ممارسات الشعائر الحسينيّة كضرب الرؤوس بالسيوف والظهور بالسلاسل، لم يكتف رحمه الله بالردّ في الصحف بل ألّف كتابين مهمّين في هذا الموضوع هما: "إقناع اللائم على إقامة المآتم" و"المجالس السنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة"، طُبِع الكتابان سنة (١٣٤٣) هجريّة، من تاريخ طبع الكتابين يتّضح أنّ فكرة انتقاد

١. هو السيد مهدي ابن السيد صالح الموسوي القزويني الكاظمي البصري، ولد بالكاظمية سنة ١٢٧٢ هجري، درس فيها العلوم الإسلامية ثم هاجر إلى سامراء ومنها إلى إيران لزيارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام، ثمّ استقر سنة ١٣١٤ هجري في الكويت ليصبح مرجعًا للأمور الشرعية فيها. سنة (١٣٤٣) هجري عاد إلى العراق ليستقر في مدينة البصرة. توفى رحمة الله عليه سنة (١٣٥٨) هجري تاركًا مجموعة من الكتب والرسائل.

٢. راجع: هكذا عرفتهم: ٢٢٩/٣.

الممارسات الدخيلة على الشعائر الحسينيّة ومحاولة إصلاحها كانت جاهزة في ذهن السيّد الأمين من قبل الضجّة التي أثارتها رسالة "الصولة"، إنّ كتاب "المجالس السنيّة" مصنّف ضخم ومهمّ يقع في خمسة أجزاء، صنّفه السيّد الأمين خصّيصًا ليكون مرجعًا لخطباء المنبر الحسيني، يقول في مقدمته:

**ولكن كثيرًا من الذاكرين لمصابهم قد اختلقوا أحاديث في المصائب وغيرها لم يذكرها مؤرّخ ولا مؤلّف، ومسخوا بعض الأحاديث الصحيحة زادوا ونقصوا فيها لما يرونها من تأثيرها في نفوس المستمعين الجاهلين بصحّة الأخبار وسقمها حتى حفظت على الألسن وأودعت في المجاميع واشتهرت بين الناس ولا رادع، وهي من الأكاذيب التي تغضبهم عليهم السلام وتفتح باب القدح للقادح؛ فإنّهم لا يرضون بالكذب الذي لا يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وآله وقد قالوا لشيعتهم: كونوا لنا زينًا ولا تكونوا علينا شينًا، وقد اكتسبوا هم ومن قبلها منهم وأقرّهم عليها الإثم المبين؛ فإنّ الله لا يُطاع من حيث يُعصى ولا يتقبّل الله إلّا من المتقين.**

وبعد إصدار السيد الأمين الكتابين ونشر المقالات في الصحف، تصدّى لآراءه شيخ لبناني جليل هو الشيخ عبد الحسين صادق النباطي العاملي (ت ١٣٦١) هجري رحمة الله عليه، كان تصدِّي هذا الشيخ – على كبر سنّه– قويًّا؛ حيث شمل أقوالًا وأفعالًا تُشجّع على إحياء الممارسات التي انتقدها السيد الأمين، تراوحت من إصدار الفتوى وتأليف رسالة في الغرض سماها "سيماء الصالحين"، إلى الحضور شخصيًّا في المواكب والمجالس وتطبيق تلك الممارسات ممّا أدّى إلى توسّع وانتشار أكبر لها.

وردًّا على أقوال وأفعال الشيخ عبد الحسين صادق النباطي ألّف السيد محسن الأمين رسالته المعروفة: "رسالة التنزيه في أعمال التشبيه" وضّح فيها كلّ آراءه في الشعائر الحسينية دون تحفظ، وضمّنها خلاصة تجربته الإصلاحيّة حيث أثبت لزوم تنزيه مجالس العزاء ومحافلها من الأعمال غير الشرعية، ووجوب الانتباه والتحرّز عن إدخال بعض المحرّمات فيها، وكانت هذه الرسالة بمثابة الزوبعة الكبيرة والقطرة التي أفاضت كأس الردود والردود على الردود؛ فما أن نُشِرت وانتشرت (الرسالة) حتى أحدثت ثورة عارمة، وحرّكت كلّ العالم الإسلامي ليتفاعل معها إيجابًا أو سلبًا، فكانت تلك الردود والردود على الردود – بقطع النظر عن مواقفها سلبًا أو إيجابًا وطرقها – تعبيرًا قويًّا وصادقًا عمّا تمثله نهضة الإمام الحسين عليه السلام من مكانة في وجدان المسلمين على اختلاف مقاماتهم العلميّة والثقافيّة، وجاءت ردود الفعل حول رسالة "التنزيه" من مختلف طبقات المجتمع: مراجع دين، علماء، فضلاء، خطباء، شعراء وعامّة

الناس، كما أخذت أشكالًا وتعابير مختلفة حسب المستوى العلمي والثقافي، وانقسم المجتمع بمواقفه من هذه الرسالة إلى ثلاثة أصناف:

١. المؤيّدون لآراء السيد الأمين، وقد وجدوا فرصتهم للتعبير عن آرائهم ورفع الصوت عاليًا، وكأنهم كانوا بانتظار من يفجّر هذه المواقف الكامنة بداخلهم؛ فكانت الرسالة خير محفّز وأفضل دافع لهم خصوصًا وأنّ صاحبها عَلَم من الأعلام الحوزويّة لا يشكّ أحد في إخلاصه وتفانيه والتزامه بالأحكام الشرعيّة.

٢. المعارضون لآراء السيد الأمين، ويمثّلون الغالبية القصوى والسواد الأعظم؛ رأوا في آراء السيد الأمين خطرًا كبيرًا يهدّد الشعائر ويعصف بمستقبلها، فعارضوا تجربته الإصلاحيّة عن خلوص نيّة معتقدين أنّ واجبهم الديني يحتّم عليهم فعل ذلك، وقد تشعبت مظاهر ردود المعارضين واختلفت باختلاف مستوياتهم المعرفيّة والثقافيّة: منهم من عارض بإصدار الفتوى، ومنهم من عارض بالكتابة والشعر، ومنهم من عارض بالخطابة واللسان، ومنهم من اكتفى بكلمات الاستغفار والدعوة بالهداية، ومنهم من تجاوز كلّ الحدود الأخلاقيّة فتجاسر على السيد الأمين وعلى مؤيّديه بالسبّ والشتم واللعن وإلقاء التهم الباطلة.

٣. فئة معادية لنهج أهل البيت عليهم السلام - منها من هو معاد للدين تمامًا - وجدت في هذه الأجواء فرصة وذريعة للاستهزاء، والتشكيك، والطعن ففتحت حساب معركة ثقافيّة لم يُغلق إلى يوم الناس هذا.

نلخّص في الرسوم التوضيحية التالية:

- الشوائب والانحرافات والتجاوزات التي أراد السيد محسن الأمين - في رسالة "التنزيه" - أن يطهّر الشعائر الحسينيّة منها ومن تبعاتها (نسوقها كما وردت في الرسالة ونؤكّد مرّة أخرى بأنّنا لسنا بصدد الترويج لها أو تبنّيها أو ردّها كاملة، بل نؤيّد بعضها ونتحفظ على بعض الآخر).

- مواقف رجال الدين من رسالة "التنزيه" للسيد محسن الأمين.
- رسائل الرد على رسالة "التنزيه".



**الشوائب والانحرافات التي تصدّت لها رسالة " التنزيه "**

| |
|---|
| الكذب بنكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب |
| التلحين بالغناء |
| إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها بضرب الرؤوس وجرحها بالمدى، وبضرب الظهور بسلاسل الحديد، وغير ذلك |
| استعمال آلات اللّهو كالطبل والزمر وغيرهما |
| تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل |
| إركاب النساء الهوادج مكشفات الوجوه |
| صياح النساء بمسمع الرجال الأجانب |
| الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة |
| كلّ ما يوجب الهتك والشنعة ممّا لا يدخل تحت الحصر |

الشوائب والانحرافات التي تصدّت لها رسالة " التنزيه "

## مواقف رجال الدين من رسالة " التنزيه "

| المعارضون | |
|---|---|
| الاسم | الشكل |
| المرجع حسين النائيني | فتوى الجواز |
| المرجع محمد حسين كاشف الغطاء | فتوى الجواز |
| المجتهد عبد الحسين صادق النباطي | فتوى الجواز مع رسالة |
| المجتهد عبد الحسين شرف الدين | فتوى الجواز |
| الشيخ محمد جواد البلاغي | المشاركة في المواكب |
| الحجة إبراهيم المظفر | رسالة مستقلة |
| الحجة عبد المهدي الحلي | رسالة مستقلة |
| الحجة عبد المهدي المظفر | رسالة مستقلة |
| الحجة علي نقي اللكهنوي | رسالة مستقلة |
| الحجة محمد الحجامي | رسالة مستقلة |
| الحجة محمد المظفر | رسالة مستقلة |
| الحجة مرتضى آل ياسين | رسالة مستقلة |

| المؤيدون | |
|---|---|
| الاسم | الشكل |
| المرجع أبو الحسن الأصفهاني | فتوى الحرمة |
| المجتهد عبد الكريم الجزائري | فتوى الحرمة |
| المجتهد هبة الدين الشهرستاني | فتوى الحرمة |
| المجتهد جعفر البديري | تأييد |
| الحجة حسين البعلبكي | تأييد |
| الحجة عبد المهدي الحجار | تأييد |
| الحجة علي القمي | تأييد |
| الحجة محمد الكنجيري | رسالة مستقلة |

رسائل للرد على رسالة " التنزيه "
المؤلف
اسم الرسالة
تاريخ الطبع
الحجة الشيخ عبد
إرشاد الأمة للتمسك
النجف – ١٣٤٨ هجري
الحجة السيد علي نقي
إقالة العاثر في إقامة
النجف – ١٣٤٨ هجري
الحجة الشيخ محمد
رسالة الشعائر الحسينية
بغداد – ١٣٤٨ هجري
الحجة الشيخ مهدي
كلمة حول التذكار
-----
الحجة الشيخ إبراهيم
نصرة المظلوم
-----
الحجة الشيخ مرتضى آل
النظرة الدامعة
-----
الشيخ عبد الحسين
النقد النزيه
النجف – ١٣٤٧ هجري
السيد نور الدين شرف
مقالات في الصحف
-----
رسائل للرد على رسالة " التنزيه "التنزيه "

لم يكن الشعراء والخطباء وعامّة الناس بمنأى عن هذه المعركة الفكريّة وعن هذه الحركيّة الكبيرة التي أحدثتها رسالة السيد الأمين رحمه الله وذلك - كما أسلفنا القول - تعبير على ما لنهضة الإمام الحسين عليه السلام من حضور ومكانة في وجدان الناس، فأدلى كلّ بدلوه، وقد بلغت ردود الأفعال المخالفة لآراء وتوجهات السيد محسن الأمين حدًّا خطيرًا، وتجاوزات تأباها الشريعة، ويرفضها العقل، وتنكرها الأخلاق.

أمّا مواقف عامّة الناس الذين تحرّكهم العاطفة، وتؤثر فيهم مواقف الخطباء المفوّهون من فوق المنابر، فكانت عنيفة جدًّا، نترك أحد المعاصرين لها - الأستاذ جعفر خليلي - يصوّرها حيث يقول:

> **وانقسم الناس إلى طائفتين - على ما اصطلح عليه العوام -: "علويّين"، و"أمويّين"، وعني بالأمويين أتباع محسن الأمين، وكانوا قلّة قليلة لا يعتدّ بها، وأكثرهم كانوا متستّرين خوفًا من الأذى، واتّخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمهاجمة أعدائه واتّهامه بالأمويّة، فكثر الاعتداء على الأشخاص، وأهين عددٌ كبيرٌ من الناس، وضُرب البعض منهم ضربًا مبرحًا.**[1]

يقول أيضًا:

> **لم يكن يمرّ على صدور هذه الرسالة أسبوع أو أكثر وتنتقل من الشام - حيث تمّ طبعها - إلى العراق حتّى رافقها كثير من الدعايات ضدّها، ووجدت هذه الدعايات هوى في نفوس البعض، فأشعلوها فتنة شعواء تناولت السيد محسن الأمين وأتباعه بقساوة لا تُوصف من الهجاء والذمّ والشتم والقدح، وخاف الذين آمنوا بقدسيّة هذه الرسالة وصحّة فتاوى العلماء، لقد خافوا أن يعلنوا رأيهم في وجوب الذبّ عن موضوع الرسالة والدفاع عن شخص مؤلّفها، ومن الذي كان يجرؤ أن يخالف للناس رأيًا؟! ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم؟!"**[2]

أطلق السيد محسن الأمين رحمه الله صيحة مخلصة تعالت مطالبة بتنزيه الشعائر الحسينيّة ممّا لحقها من تطاول كاد يخرجها عن مسارها الصحيح، وشنّ حملة إصلاحيّة على

---

١. راجع "قراءة في رسالة التنزيه للسيد محسن الأمين"، حمد الحسّون، مكتبة عقائد: www.aqaed.com/book/350

٢. راجع المصدر نفسه؛ وكذلك "هكذا عرفتهم": ١/١٢٢.

الخرافات والأوهام الشائعة، وعلى العادات التي دخلت في الدين وما هي من الدين، ولاقت محاولته الإصلاحيّة معارضة عنيفة من عوام الناس، وكذلك من الوسط العلمائي الذي لم يتقبّل قسمٌ كبير منه النقد العلميّ للأساطير والخرافات وللممارسات الدخيلة على الشعائر الحسينيّة، لأنّ ذلك هتك للعقيدة برأيهم، ونيل من قدسيّة الشعائر، وتحت وقع الرفض العنيف للأفكار الإصلاحية التي نادى بها السيد محسن الأمين، تراجعت محاولته الجريئة - كما فُعِل بمحاولات المصلحين السابقين له - وخسرت الساحة، ومن الطبيعي أن يخسر المصلحون الساحة لوقت ما؛ لأنّه لا بدّ لكلّ حركة إصلاحيّة من تضحياتٍ جسام ووقت مديد حتّى تنضج مبادؤها وأفكارها في عقول وقلوب العلماء والنخب لتصير مطلبًا مشتركًا؛ ومتى نضجت المبادئ في القلوب والعقول وأصبحت مطلبًا مشتركًا، لن تقف الحواجز والمتاريس عائقًا لتجسيدها على أرض الواقع.

**مشروع إصلاحي متكامل لتنقية الشعائر الحسينيّة**

وأمام الكمّ الهائل من التجاوزات والانحرافات التي لحقت الشعائر الحسينيّة من داخل مدرسة أهل البيت عليهم السلام ونظرًا لارتداداتها السلبيّة وما يُمكِن أن تحدثه من آثار وخيمة، تصبح عمليّة الإصلاح الهيكلي أمرًا مؤكّدًا.

ومن جهة أخرى، كشف لنا التحليل العلميّ لتجارب المصلحين السابقين أنّ عمليّة الإصلاح لا تكون ذات جدوى حين تقتصر على رسالة أو كتاب يؤلّفه مفكّر ثم ينشره، فيكون محلّ تفاعل وتجاذب مدّة من الزمن ليخبو نوره بعد ذلك، وتنطفئ شعلته، ويعود الحال إلى ما كان عليه!! لذلك نرى ضرورة صياغة الإصلاح في شكل مشروعٍ متكاملٍ تتضافر فيه جهود أطراف عديدة.

نطرح فيما يلي مشروعًا إصلاحيًّا متكاملًا عبر اقتراح حزمة إصلاحات هيكليّة، ومجموعة حلول عملية لتنقية الشعائر الحسينيّة، والثقافة العاشورائيّة من انحرافات

وتجاوزات القرون الماضيّة، ويتوقف نجاح وفاعلية هذا المشروع الطموح على شرطين أساسيين يجب أن يتحلّى بهما جميع الأطراف التي ستقوم على كاهلها عمليّة الإصلاح:

١. إخلاص ربّاني، وجرأة إيمانيّة، وعقليّة تحرريّة، ومنهج علميّ وعمليّ بعيد عن التعصّب، يتبنّى الموضوعيّة والحياد.
٢. الابتعاد عن العلاقة الجافة، التلقينيّة، وذات الاتّجاه الواحد بين المجتهِد والمقلِّد، وتعويضها بعلاقة جدليّة، متحرّكة، وذات اتّجاهين، قوامها الانفعال والفعل، هي علاقة انفعاليّة؛ لأنّنا نرى أنّه من حقّ المقلِّد الواعي اقتراح وعرْض ما يراه مُصلِحا وبنّاءً على المرجعيّة بطريقة رصينة، خلوقة، وخالية من كلّ تعصّب وتجريح، ليقابله صدر رحب من المرجعية، وتواضع إيماني يأخذ بعين الاعتبار هذه الاقتراحات.

يتلخّص هذا المشروع الإصلاحيّ الطموح في النقاط الأربع التالية:

**١. إرجاع الجانب الغائب من الملحمة**

ذكرنا سابقًا أنّ الملحمة الحسينية قضيتان: قضية ثورة عادلة، وقضية مأساة رهيبة جمعت الملحمة العاشورائيّة إذًا بين الفكر والعاطفة، وضمّت العِبرة إلى العَبرة، والدمعة الساكبة إلى الصرخة المدوّية. على هذا الأساس يجب أن يكون للملحمة طابعان أساسيان: طابع " ثوري - سياسي " تكون فيه الكلمة للعِبرة واستخلاص الدروس. وآخر " عاطفيّ - مأساوي " يكون فيه المجال للعَبرة والدمعة.

يؤدّي الجانب "الثوريّ - السياسيّ" إلى نبذ الخوف من الظالمين، وكراهية الذلّ، والوقوف بوجه المتكبّرين، وطلب الإصلاح، والطوق إلى الحريّة والكرامة، والمقاومة، والعزّة، والشهادة، واستثمار دروس عاشوراء لحلّ مشاكل العصر ورفع تحدّيات الواقع، أمّا الجانب "العاطفيّ - المأساوي" فيقود إلى الحزن، والغصّة، والدموع، وتجرّع مرارة المأساة، إنّ البعد العاطفيّ مهمّ في

تثبيت الجانب الأوّل ولازم من لوازمه، فلولا مجالس العزاء، والهيئات، والمواكب، وحرص الموالين على إقامتها بحماسة كبيرة - عبر التاريخ - لما وصل إلينا شيء من الجانب الآخر للملحمة، وتعود الأصالة - بمقاربة البحث - إلى الجانب "الثوري.. السياسي" وليس إلى الجانب "العاطفي.. المأساوي"، لكن وللأسف انقلبت الصورة، واختلطت الأمور فأُستبُدِلت عاشوراء الثورة والأحزان معًا بعاشوراء الأحزان فقط، واختُزِلت الملحمة - بأهدافها الإلهيّة وحركتها الربانيّة - في مجالس لإقامة العزاء، وتهييج الأحزان، واستدرار الدموع.

يمثّل تغييب الجانب الثوريّ في فلسفة عاشوراء، والاقتصار على الجانب العاطفيّ المأساويّ جريمة نكراء في حقّ الملحمة الحسينيّة والمبادئ والأهداف التي من أجلها قامت، لقد منعت الرؤية العاطفيّة الملحمة الحسينيّة من القيام بدورها الإصلاحيّ فاستُبدل الهدف بالوسيلة، واحتلّت المقدّمات مكان النتيجة.

تهدف النقطة الأولى من هذا المشروع الإصلاحيّ الطموح إلى **إرجاع الجانب الغائب من الملحمة الحسينيّة إلى أصله ومكانه الطبيعيّ**؛ لتصبح قضية عاشوراء ذات جنبين: "ثوريّ.. سياسيّ"، و"عاطفيّ.. مأساويّ"، وذلك عبر:

- تشجيع المصنّفات التحليليّة، والبحوث النقديّة، والنصوص العلميّة التي:
  - تشرح أهداف ومبادئ النهضة الحسينيّة.
  - تستنبط القيم التربويّة والدروس الرساليّة من حركة الإمام الحسين عليه السلام.
  - تتّخذ الأهداف والمبادئ الحسينيّة وسيلة لصياغة بدائل لحلّ المشاكل المعاصرة التي تواجهها الأمّة الإسلاميّة خصوصًا، والإنسانيّة عمومًا.
- إقامة المؤتمرات المتخصّصة، والندوات والمحاضرات العلميّة، واللقاءات العلمائيّة، ونشر الدوريات المتخصّصة.

تشهد الأمّة الإسلاميّة هذه الأيام حربًا ضروسًا على قِيَمها، وغزوًا ثقافيًّا غربيًّا دخل إلى عقر دارها يستهدف طمس هويّتها، ومحو خصوصياتها، ونسف مكامن عزّتها وقوّتها، وهي (الأمة) في حاجة إلى التركيز على العِبرة والخطاب الفكري العلميّ، إلى جانب العَبرة والخطاب التعبويّ الحماسيّ.

إنّ الساحة الإسلاميّة اليوم في أمسّ الحاجة إلى تلاحم فعليّ واتّحاد حقيقيّ بين الفكر والعاطفة، وإلى مواقف بطوليّة مشرّفة يقف فيها المثقّف الأكاديميّ إلى جانب الخطيب المناقبي، ويساند المفكّر المستنير الفقيه، ومن دون هذا التلاقح المثمر، والتعاون البنّاء يكون من الصعب التصدّي للهجمات الغربية المدروسة والقاتلة.

**٢. تنقية المقتل الحسيني من الشوائب الدخيلة**

رأينا سابقًا أنّ الثقافة العاشورائيّة - بما أنّها ثقافة شعبيّة واسعة - شكّلت إطارًا خصبًا للأسطورة، ومسرحًا كبيرًا للخرافة، جال الخيال الواسع بطلاقة في أرجائه؛ حيث أُقحِمت الأساطير المصطنعة، والخرافات المستحدثة إلى قلب النصوص العاشورائيّة، وتسرّبت إلى مضمون المقاتل الحسينيّة والمجالس نفسها، والهدف الأوحد من كلّ ذلك هو الإبكاء وتهييج العواطف. والخطباء، والنعاة، والرواديد، والقائمون على المجالس سقطوا في فخاخ عديدة مثل الفهم الخاطئ لفلسفة عاشوراء، والمبدأ الميكيافلي القبيح "الغاية تبرّر الوسيلة"، والأهمّ من كلّ ذلك الاتّكال على القاعدة الأصوليّة "التسامح في أدلّة السنن".

ولجت الأسطورة إلى مضمون المقتل الحسيني وتسرّبت تدريجيًّا إلى الخيال الجمعي، وزادتها المبالغات الشعريّة، والأساليب الشفهيّة، والصور التخيليّة التي يعرضها قرّاء العزاء، والنعاة، والرواديد رسوخًا وتأثيرًا في النفوس.

لم تقدّم الشوائب الأسطورية الزائفة أيّ خدمة للفكر العاشورائيّ، بل على العكس

من ذلك أساءت إليه إساءةً كبيرةً؛ حيث جرّدته من عنفوانه، وجعلته محلًّا للسخرية والاستهزاء والتوهين، ونفّرت الناس عنه وعن مذهب أهل البيت عليهم السلام.

تهدف النقطة الثانية من هذا المشروع الإصلاحيّ الطموح إلى **تنقية المقتل الحسيني من كلّ الشوائب الدخيلة، والخرافات والأساطير الزائفة**، عبر التحقيق العلميّ والموضوعيّ في المقاتل الحسينيّة، وخاصة المقاتل التي صُنِّفت بعد القرن الثاني عشر للهجرة عمليًّا، ويكون ذلك عبر تشكيل لجنة علميّة تضمّ علماء أجلّاء مختصّين في التاريخ، والسِيَر، واللغة، والحضارة والأنساب، ومن الأفضل أن تتشكّل هذه اللجنة العلميّة من علماء توافق عليهم جميع المرجعيّات الدينية المعاصرة، وتكون تحت رعايتها، ومتمتّعة بدعمها ومباركتها، فتُوكل لهذه اللجنة مهام تنقية المقتل الحسيني - بتجرّد وموضوعيّة - من جميع ما عُلِق به من أساطير وخرافات وزيادات، ويؤدّي عمل هذه اللجنة إلى تصنيف مقتل موحّد يُعبِّر بوفاء على أحداث ووقائع الملحمة الحسينيّة دون زيادة ولا نقصان، ويكون هذا المقتل "الجديد" محلّ إجماع جميع المنتسبين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولا يُعمَل إلّا به.

**فيدعو البحث إلى التخلّي عن جميع المقاتل الحسينية - حتّى التأسيسيّة القديمة منها - واعتماد مقتل واحد وموحَّد تجْمِع عليه جميع المراجع الكرام، وتلزِم مقلّديها باعتماده.**

ومتى ما هُذِب المقتل الحسيني من كلِّ عيب، ونُقّي من كلِّ شين، وقرِئ من أعلى المنابر سليمًا، صافيًا، ونقيًّا، استجلبت قراءته الأنظار، واستهوت إليها الأفئدة، وأرهفت إليها الأسماع، واستمالت إليها الطباع؛ لأنّ في مضمونها (القراءة) كلّ مقوّمات شدّ الانتباه، فيكون أثرها في النفوس بقدر ميْلها إليها؛ وبذلك تصبح قراءة المقتل الحسيني عبادةً خالصةً، وشعيرة تعبّديّة مأجورًا فاعلها، ومفخرة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وفي سيرة الإمام الحسين عليه السلام وملحمته الخالدة، وخطبه النورانيّة، ومناقبه الربّانيّة، وآدابه النبويّة، ومواقفه البطوليّة، ومآثره الإنسانيّة ومواعظه وأفعاله... ما يروي النفوس، ويشدّ الانتباه، ويجلب الاحترام، ويحلّ المعضلات والمشاكل.

### ٣. التأسيس لفقه الشعائر

تميل النفس البشريّة بطبعها إلى كلّ ما هو غريب من الأساطير، وشاذّ من الخرافات، ومتفرّد من الممارسات، ونرَى العوام من الناس يُحكِّمون ميزان العقل في جميع الأمور الدنيويّة - صغيرها وكبيرها - لكن حين يتعلّق الأمر بالمسائل الدينيّة يتعطّل ذلك الميزان، ويعود ذلك - على الأرجح - إلى أفكارٍ واهيةٍ، واعتقادات ظلاميّة ترى أنّ إقحام العقل في المجال الديني هو إساءة للدين، وأنّه يجب أخذ المسائل الدينيّة كمسلّمات لا مجال لإعمال العقل فيها.

لم يحصل عبر التاريخ أن تدخّل العوام من الناس في أحكام شرعيّة مثل أحكام الصلاة، أو الحجّ، أو الصيام أو غيرها، لكن غياب الإطار الشرعيّ المؤطّر للشعائر الحسينيّة، والمحدّد لأحكامها، ترك الباب مفتوحًا على مصراعيه أمام العوام من الناس؛ ليتدخّلوا بما يتماشى مع أهوائهم، ويتجاوب مع رغباتهم، ويتناغم مع ميولاتهم، فنفذت الأسطورة الزائفة إلى ثقافة عاشوراء، وتسلّلت الممارسة الغريبة إلى مواكب العزاء، حتّى أصبحت أمرًا مألوفًا، وممارسة معهودة، والجميع يجهل حكم الشرع فيها، ولا يزال صوت الفقيه في هذا المجال خافتًا، وموقف العالم غير واضحٍ، ورأيهما غامضًا.

ومن المفروض أن يكون للدين موقف من كلّ ممارسة، وحكم شرعيّ في كلّ مسألة، يضع لها ضوابطًا، ويحدّ لها حدودًا لا يجوز تجاوزها، وبالرغم من أنّ جميع المنتسبين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام يمارسون الشعائر الحسينيّة مدّة شهرين كاملين من كلّ سنة، وهذه فترة طويلة نسبيًّا، إلّا أنّه لا يوجد - حسب علمي - كتاب مستقل في فقه الشعائر الحسينيّة يحدّد أحكامها الشرعيّة.

لقد أصبحت - في عصرنا الراهن - الحاجة ماسّة إلى ضوابط فقهيّة تؤطّر الشعائر الحسينيّة وتحميها من التطاول والأهواء والانحرافات، والأنظار متوجّهة نحو فقهائنا الكرام لملء ما نعتقده فراغًا فقهيًّا، والتصدِّي لهذه المسائل المهمّة والمتجدّدة.

أصبح من حريّ بفقهائنا الكرام الكتابة في فقه الشعائر الحسينية، وطرح جميع المسائل المتعلّقة بممارسة هذه الشعائر التعبديّة، تبيانًا للمطلوب.

تهدف النقطة الثالثة من هذا المشروع الإصلاحيّ إلى **حثّ الحوزة العلميّة على التصدّي لشرح أحكام فقه الشعائر الحسينيّة**، وذلك باستنباطها من مظانّها وتقديمها في شكل رسائل علميّة وعمليّة تراعي جميع المستويات التعليميّة والثقافيّة، وأن تسهر (الحوزة) بكلّ صرامة على تطبيق تلك الأحكام بما لا يترك مجالًا لعامّة الناس بالمخالفة، والتلكُّؤِ وعدم الامتثال للتقليد في هذه المسائل.

ندعو إلى التأسيس لفقه الشعائر الحسينيّة، وإلحاقه بالرسالة العمليّة للمرجع، وإلزام المقلدون بالضوابط والأحكام الفقهيّة الواردة فيها، وعلى مراجعنا العظام وعلمائنا الأعلام، وفقهائنا الأجلاء أن يُعمِلوا البحث في كلّ ما يتعلّق بالشعائر الحسينيّة؛ لتشمل بحوثهم جوانب قراءة المراثي (من مضامين، طرق القراءة، أساليب التبليغ وغيرها...) وتمتدّ لتغطي مواكب العزاء وما يجري فيها من ممارسات دخيلة، يطرحوا هذه المسائل من وجهة نظر شرعيّة، فقهيّة، تعبديّة، وهذا الأمر يتطلّب تضحيات جسام، ومجهودات كبيرة من الفقهاء والعلماء؛ لأنّ التجارب الإصلاحيّة السابقة أظهرت معارضة شديدة من طرف العوام من الناس وكثير من الخطباء، والنعاة، والروادید، وحتّى بعض العلماء والفقهاء، عارضوا عن طيب نَفْس وخلوص نيّة كلّ نَفَس إصلاحي، وكلّ محاولة تصحيحيّة لمسار الشعائر الحسينيّة، ظنًّا منهم أنّ واجبهم الدينيّ، وإخلاصهم لنهج أهل البيت عليهم السلام، يُحتِم عليهم التشبّث بتلك الممارسات الدخيلة الموروثة، بل والوقوف في وجه كلّ من يحاول تغييرها.

### ٤. الرفع من مستوى النعاة والروادید

تنقسم الشعائر الحسينيّة إلى قسمين: قراءة المراثي، وإقامة مواكب العزاء. أمّا قراءة المراثي فيقوم بها النعاة، ويتولّى الروادید تكريس ما يقرأه النعاة وتثبيته في النفوس

عبر لطميات وإنشاد حزين اللحن يهزّ العواطف ويثير الأشجان، وأمّا مواكب العزاء فتدار مباشرة من قِبَل الناس.

يمثّل نعاة المراثي والرواديد الجماعة الأكثر التصاقا بقضيّة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، وتقتصر الوظيفة الأساس لهذه الجماعة على قراءة المصائب الحسينيّة، وإبكاء الناس، وتهييج مشاعرهم، وهم أعلى مرتبة من عامة الناس لكنّهم دون مرتبة العلماء، ولم يدّعوا يومًا التحاقهم بصفّ العلماء، وخير دليل على ذلك امتناعهم اعتلاء المنبر الحسيني والاكتفاء بقراءة المقتل وترديد اللطميات وسرد مصائب أهل البيت عليهم السلام، وقد قدّمت هذه الجماعة - عبر التاريخ - خدمات جليلة للقضية الحسينيّة، فبفضل جهودها بقيت قضية الإمام الحسين عليه السلام حاضرة في الوجدان الشعبي، حيّة في الذاكرة الجماعيّة، لكنّه في مقابل ذلك تتحمّل هذه الجماعة مسؤوليّة كبيرة في انحراف الملحمة الحسينيّة عن أهدافها الرئيسة، وفي تسرّب تجاوزات وتشويهات عديدة إلى ثقافة عاشوراء؛ لقد وقع منذ القدم تقسيم العلماء كلًّا حسب اختصاصه، فالفقه للفقهاء، والعقائد للمتكلّمين، والمنطق للمناطقة، والفلسفة للفلاسفة، وهكذا باقي فروع العلوم الأخرى، أمّا تاريخ الإمام الحسين عليه السلام وسيرته وكلّ ما يتعلّق بنهضته (وقائع، وأهداف، ومبادئ ..) فقد أوكِل إلى النعاة والرواديد.

والسؤال المهم هو ما المؤهّلات التي يجب أن تتوفر في الناعي ليكون ناعيًا؟

وما الشروط المطلوبة في الرادود ليصبح رادودًا؟

ليس المطلوب من الناعي ولا من الرادود شروطٌ كثيرةٌ، وليس المطلوب منه مستوى تعليميًّا ولا ثقافيًّا معيّنًا، ولا مقامًا أخلاقيًّا يحصّنه من التجاوزات الأخلاقيّة، بل يكفي أن يكون صاحب صوت شجيٍّ حزينٍ قادرٍ على إبكاء السامعين وتهييج مشاعرهم.

وبهذه الكيفيّة تكون الأمّة قد أوكلت موضوع الإمام الحسين عليه السلام، وهو موضوع الدين وجوهره وقِيَمه ومبادئه، وموضوع الرسالة بجلالة قدرها إلى غير العلماء، بل إلى

ذوي الأصوات الجيّدة (وهذا الطرح ليس قدحًا في أشخاص النعاة والروادید فمنهم الملتزم، والمتخلّق بالأخلاق الحسنة، والتقيّ الذي أدّى - ولا يزال يؤدّي - خدمات جليلة للقضيّة الحسينيّة، وليس قدحًا ولا تجنّيًا على أشخاص بقدر ما هو اعتراض على منظومة يجري العمل عليها منذ قرون).

يشكّل النعاة والروادید طبقة:

- من ذوي المعارف المحدودة، أو لنقل لا يُشترط في الانتساب إليها مستوى دراسيًّا معيّنًا، ولا تخصّصًا معرفيًّا، ولا مقامًا أخلاقيًّا.
- أسيرة لذوق عوام الناس، لا تخالف آراءهم ولا تعارض أهواءهم، بل تسعى إلى تلبية رغباتهم.
- مُنقادة وراء عواطفها الفياضة، غير كابحة لمشاعرها الجياشة.
- ليس موكول لها وظيفة محدّدة، ولا برنامجًا معيّنًا، بل هدفها الوحيد هو إبكاء الناس، وتهييج عواطفهم، وإيقاظ أشجانهم، والمعيار الوحيد لنجاح مهمّتها هو الإبكاء: فقارئ العزاء أو الرادود الناجح هو الذي يكون الأقدر على الإبكاء، والأجدر على تهييج العواطف.

فكلّ صفة من هذه الصفات قادرة لوحدها على تشويه أهداف النهضة الحسينية، وتغيير مسارها، والعصف بها إلى واد الانحرافات وصحراء التجاوزات.

شكّل النعاة والروادید - عبر تاريخ مدرسة أهل البيت عليهم السلام - الباب الذي وقع من قِبَله النيل من النهضة الحسينيّة، وتشويه مضامينها، والحياد بها عن أهدافها ومبادئها، كان ذلك عبر تسرّب الأساطير، وتسلّل الخرافات، وابتكار أنماطٍ جديدةٍ وأشكالٍ متعدّدةٍ دخيلةٍ من مظاهر العزاء الحسيني، من قبيل: التطبير، والضرب بالسيوف والسلاسل، ونصب الأغلال... وكان الدافع في كلّ ذلك - دون أدنى شكّ - حسن النية وصدق العاطفة، لكن الأمر يتجاوز حسن النيّة، والجرائم لا يشفع فيها صدق العاطفة، إنّما

تتعلّق المسألة بالوعي والعلم والدراية، وليس لحسن النية أن يعوِّض الوعي، ولا لصدق العاطفة أن يحلّ مكان العلم، ومن المحال أن يقع تعويض هذا بذاك، واستبدال الإيجابيّ البنّاء بالسلبي الهدّام.

لقد أضحت قضية الإمام الحسين عليه السلام، وثقافة عاشوراء، وواجهة التشيّع وبوّابته إلى الخارج مُرتهَنة بأيدي النعاة والرواديد، وبعيدة عن علماء الدين، وعُرضة لأخطار تحيط بها من كلّ حدبٍ وصوبٍ.

تهدف النقطة الرابعة من هذا المشروع الإصلاحيّ إلى القيام بإجراءين إصلاحيين مهمّين:

يتمثّل الإجراء الأوّل في الرفع من المستوى العلميّ، والأخلاقي، والمنهجيّ للنعاة والرواديد، ويجب على النعاة والرواديد أن:

- يتلقّوا تكوينًا علميًّا ومنهجيًّا يتماشى وطبيعة المهمّة الحسّاسة الموكلة إليهم.
- يتلقّوا تكوينًا أخلاقيًّا؛ لأنّ الأخلاق الرفيعة تحول بين المرء وبين الابتعاد عن الصدق، وترديد الأساطير الزائفة، والتكسّب من مأساة الإمام الحسين عليه السلام.
- يكونوا على اطّلاعٍ واسعٍ بمجموعة من العلوم وهي متّصلة اتّصالًا وثيقًا بما ينقلونه من تحت المنابر، وما يلقونه على أسماع الآلاف من الناس، مثل علوم التاريخ، والسيرة، والمغازي، والأنساب، واللغة، والشعر.

إنّ التكوين المنهجي ضرورة يفرضها تغيّر نسق الحياة، والواجب على النعاة والرواديد مجاراة هذا النسق، ويلزم عليهم أيضًا أن يكونوا على اطّلاع واسع لانتظارات المستمعين، وتلبيتها بطريقة عصريّة وفق معيار الشرع، ويجب أن يكون هذا التكوين تحت إشراف العلماء الأجلاء، وألّا يتصدّى أحد من النعاة، والرواديد، أو قرّاء المآتم إلى هذه المهمّة الجليلة إلّا بعد استكمال تكوينه، وحصوله على إجازة تخوّله لذلك؛ على أن يبقى أثناء مباشرة هذه المهمّة الحساسة تحت رقابة العلماء، تجنّبا لأيّ انحرافٍ على المسار.

بمعنى آخر، يهدف هذا الأمر الأوّل إلى ردم الهوّة العلميّة والأخلاقيّة بين النعاة

والرواديد من جهة والعلماء من جهة أخرى؛ وتأطير نشاطهم ليكون بعيدًا عن الأهواء والمزاجيّة وتأثير العامّة من الناس، وإعطاءهم برنامجًا واضحًا، ووظيفةً محدّدة لا يمكن الانحراف عنها.

أمّا الإجراء الثاني فيتمثّل في **أخذ زمام أمور تسيير مواكب العزاء من عامّة الناس وإدخالها في حضيرة العلماء الأجلاء**، وتعود حاليًّا إدارة مواكب العزاء الحسيني إلى اجتهادات عامّة الناس، فهم من يؤسّسون لها بشكل مباشر، ومن يديرونها، ومن يجسدونها.

ندعو إلى أن تكون إدارة أعمال مواكب العزاء، وما يُقدّم في فعالياتها من ممارسات، تحت إشراف ورقابة العلماء، وأن يقوموا (العلماء) بدورات تثقيفيّة، وحملات توعوية بالشكل والكيفية التي يجب أن تكون عليها المواكب الحسينية، التزامًا بالشرع، وحفظًا للنفوس، وجلبًا لاحترام الآخرين، وفي ذلك تقوية لشوكة الدين، وخدمة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

نحن لا ندعو إلى إلغاء مواكب العزاء، وإزالة مظاهر الحزن، فهي ركن أساس لحفظ الإسلام الأصيل، وإحياءه، فما حُفِظ خطّ أهل البيت عليهم السلام وبقي حيًّا نابضًا إلّا بفضل هذه التقاليد الإسلامية وهذه المواكب الدينيّة المباركة، وإنّما ندعو إلى تهذيب الأساليب، وتنقية الممارسات، وتصفية الأفعال التي تُمارس في هذه المواكب، لتحافظ دائمًا على عنفوانها وفق الإطار الشرعي، والميزان العقلي، والمزاج الذوقي.

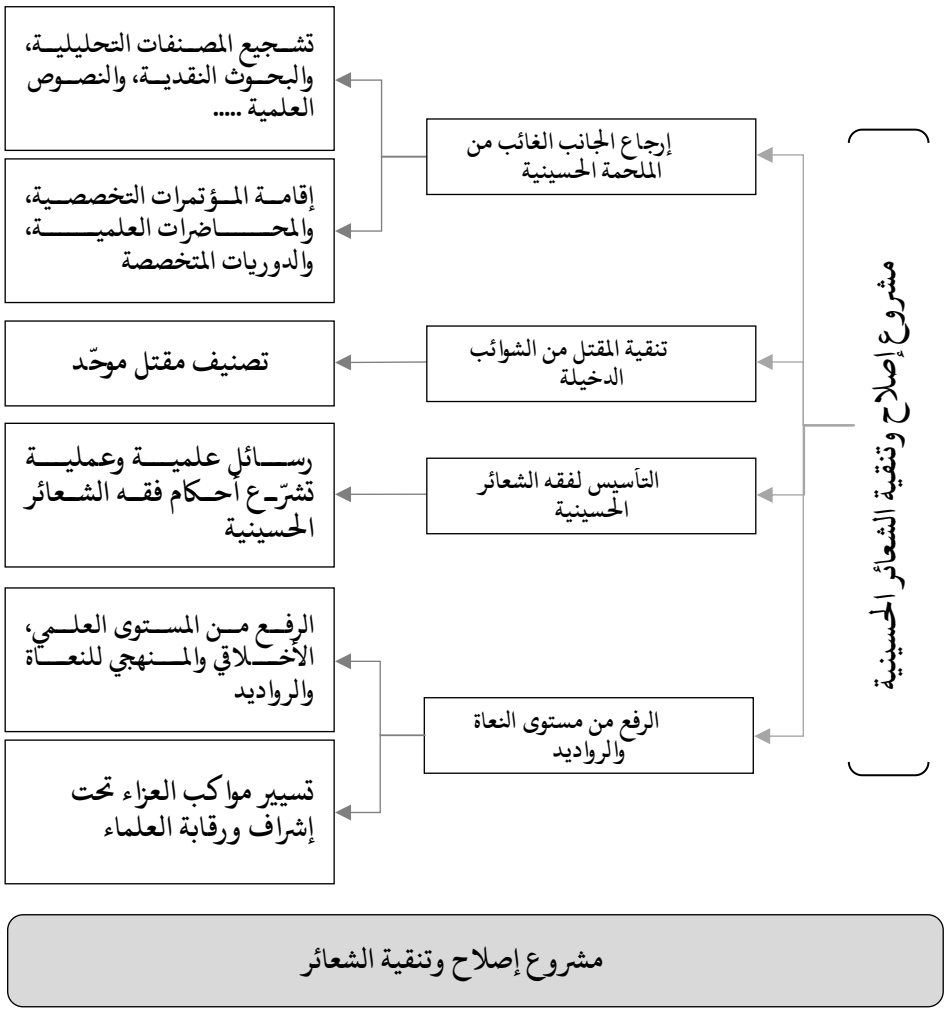
مشروع إصلاح وتنقية الشعائر الحسينية
إرجاع الجانب الغائب من الملحمة الحسينية
تشجيع المصنفات التحليلية، والبحوث النقدية، والنصوص العلمية .....
إقامة المؤتمرات التخصصية، والمحاضرات العلمية، والدوريات المتخصصة
تنقية المقتل من الشوائب الدخيلة
تصنيف مقتل موحّد
التأسيس لفقه الشعائر الحسينية
رسائل علمية وعملية تشرّع أحكام فقه الشعائر الحسينية
الرفع من مستوى النعاة والرواديد
الرفع من المستوى العلمي، الأخلاقي والمنهجي للنعاة والرواديد
تسيير مواكب العزاء تحت إشراف ورقابة العلماء
مشروع إصلاح وتنقية الشعائر

**نتيجة البحث**

قادنا وضع الملحمة الحسينيّة تحت مجهر التحقيق العلميّ الموضوعيّ إلى حقيقة مفادها أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ابتُليت بالإساءة إلى الملحمة الحسينيّة عبر تسلّل أدبيّات دخيلة إلى الثقافة العاشورائيّة، وولوج تصوّرات خاطئة عن أهداف نهضة سيد الشهداء عليه السلام وابتكار أشكال هجينة للتعبير عن الجزع والحزن في مواكب العزاء الحسينيّة، وقد شكّلت تلك الإساءة مدخلًا كبيرًا لتشويهات وانحرافات وتجاوزات عديدة في مجالات كثيرة بينّا أهمّها بصيغة إجماليّة، تتماشى ومحدوديّة هذا المقال، وبكل موضوعيّة وتجرّد.

فمَثلُ تلك التجاوزات والتشويهات كمثل كرة الثلج، إن لم يقع التصدّي لها فإنّها ستكبر، وتكبر لتنال من نقاء الشعائر العاشورائيّة ومن صفاء الملحمة الحسينيّة، وتنحرف بها بعيدًا عن مسارها الذي من أجله خرج الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه مُضحّين بالنفس والنفيس؛ فمن هذا المنظار تصبح تنقية الشعائر الحسينيّة، من كلّ ما علق بها من إساءة، أمرًا مهمًّا، بل واجبًا مقدّسًا، ومسؤوليّة جسيمة، يجب أن يضطلع بها كلّ المنتسبين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وبعد دراسة تحليليّة لتجربتين إصلاحيتين للشعائر الحسينيّة، قام بهما عَلَمين من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام (وهما المحدّث حسين النوري، والسيد محسن الأمين العاملي رحمة الله تعالى عليهما) بداية القرن المنصرم، سعينا في المقال المتواضع، إلى صياغة مشروع إصلاحي متكامل عبر اقتراح حزمة إصلاحات هيكليّة، ومجموعة حلول عمليّة لتنقية الشعائر الحسينيّة، والثقافة العاشورائيّة من انحرافات وتجاوزات القرون الماضية، ويرتكز المشروع الإصلاحيّ الطموح أساسًا على أربعة أعمدة:

- **إرجاع الجانب الغائب من الملحمة الحسينيّة إلى أصله ومكانه الطبيعيّ.**
- **تنقية المقتل الحسيني من كلّ الشوائب الدخيلة، والخرافات والأساطير الزائفة.**

- **حثّ الحوزة العلميّة على التصدّي لشرح أحكام فقه الشعائر الحسينيّة.**
- **الرفع من المستوى العلميّ، والأخلاقيّ، والمنهجيّ للنعاة والرواديد وأخذ زمام أمور تسيير مواكب العزاء من عامّة الناس وإدخالها في حضيرة العلماء.**

وقد تمّ عرض النقاط الأربع للمشروع بشيء من التفصيل حتّى يسهل تطبيقها عمليًّا على أرض الواقع.

وهذا ما أفاض به البارئ جلّ ثناؤه علينا، وما توصّل به البحث في جملة من نتائجه ضمن منهجه العلميّ.

ربّنا تقبّل منا هذا القليل، واجعله خالصًا لوجهك، إنّك عليم بذات الصدور...

اللّهُمَّ أرزقنا في الدنيا زيارة الحسين عليه السلام وفي الآخرة شفاعته.

اللّهُمَّ ثبّت لنا قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

اللّهُمَّ كما أخلصوا فاجعلنا من المخلصين، وكما صدقوا فاجعلنا من الصادقين، وكما جاهدوا فاجعلنا من المجاهدين.

والله من وراء القصد، وهو الهادي السبيل.

## مصادر البحث

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، بيروت، دار الأضواء، طبعة سنة ١٤١١ هـ.

٢. ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، مقتل الحسين عليه السلام المسمى الملهوف على قتلى الطفوف، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٣. أبو محمد، عبد الملك بن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، قراءة وضبط وشرح د. محمّد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر ١٤٢٤ هـ.

٤. أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ، تحقيق: العلامة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٥. الأخوند ملاّ آقا الشهير بالفاضل الدربندي، أسرار الشهادة، المعروف بـ"إكسير العبادات وأسرار الشهادات"، طهران، منشورات الأعلميّ.

٦. إسفندياري، أستاذ محمد، عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل، ترجمة محمد عبد الرزاق، مجلّة "نصوص معاصرة" العدد التاسع، السنة الثالثة، شتاء ٢٠٠٧ ميلادي – ١٤٢٨ هجري.

٧. الأفندي الأصفهاني، الميرزا عبد الله، رياض العلماء وحياض الفضلاء، اهتمام السيد محمود المرعشي، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي.

٨. الحسني، هاشم معروف، الموضوعات في الآثار والأخبار، تحقيق أسامة الساعدي، إشراف حيدر حب الله، بيروت – لبنان، دار الملاك، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.

٩. الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام المسمّى بمقتل الخوارزمي، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، دار أنوار الهدى.

١٠. د. آمال عبد الرحمان ربيع، الإسرائيليات في تفسير الطبري.. دراسة في اللغة والمصادر العبرية، القاهرة، ١٤٢١هـ

١١. الذهبي، محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ.

١٢. الشريعتي، علي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة الأستاذ حيدر مجيد، سلسلة الآثار الكاملة (٤)، دار الأمير، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣. صحّتي سردرودي، الشيخ محمد، التحريف في السيرة الحسينية، ترجمة حيدر حب الله، مجلّة "نصوص معاصرة"، ١٤٣٥ هـ

١٤. الطباطبائي، ميرزا محمد باقر شريف، أسرار شهادة آل الله عليهم السلام.
١٥. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، (ستة مجلدات)، راجعه وقدم له وأعد فهارسه نواف الجراح، بيروت، طبعة دار ومكتبة الهلال.
١٦. العاملي، السيد جعفر مرتضى، عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني، المركز الإسلامي للدراسات.
١٧. العاملي، السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة.
١٨. محسن رنجبر، المقاتل والمصنفات العاشورائيّة منذ بدايتها إلى عصرنا الحاضر، أستاذ مساعد في مؤسسة الإمام الخميني قدس سره للتعليم والبحوث، قم المقدسة.
١٩. محمدي، محمد، عاشوراء في العصر العلماني.. من التناقض المفاهيمي إلى التناغم في القيم والحاجات، ترجمة مشتلق الحلو، مجلة "نصوص معاصرة"، عدد السابع، ١٤٣٥ هـ.
٢٠. المدرسي، السيد هادي، عاشوراء ، بيروت، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ٢٠٤٥م.
٢١. المطهري، الشهيد مرتضى، الملحمة الحسينية، مراجعة وتصحيح: عبد الكريم الزهيري، مكتبة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٣٠ هـ.
٢٢. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، قم، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
٢٣. النوري الطبرسي، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، تعريب الشيخ إبراهيم البدوي، دار البلاغة.
٢٤. الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر، بيروت، دار الزهراء.

# حركة الإمام الحسين عليه السلام والتضامن الإسلاميّ

علي رضا عالمي[1]

**خلاصة البحث**

خلافًا لما يدّعيه قلّة من الناس، فإنَّ حركة الإمام الحسين عليه السلام لم تسبّب الفرقة والانقسام بين المسلمين، بل كان غاية هذه الحركة، حسب المبادئ القرآنيّة والسنّة النبويّة، هي توحيد الأمّة الإسلاميّة وخلق حالة الانسجام والتضامن بين أبنائها، التضامن الذي كان حينئذٍ، قد فقد مبادئه الإسلاميّة، وكان في أزمة وانسداد من المنظار الإسلاميّ؛ نتيجة إعادة إحياء العصبيّة الجاهليّة، فكانت مبادرة الإمام الحسين عليه السلام تتمثّل في الإنذار بالوضع الخطير للأمّة ومحاولة إعادة إحياء الأسس الإسلاميّة في المجتمع، ولم يكن لأحد أن يقوم بخطوة مُجدية آنذاك غيرُه عليه السلام، فقد أوفى بمسؤوليّةٍ ظلّت آثارها باقية ما بقي الدهر.

**المفردات الرئيسة**: الإمام الحسين عليه السلام، التضامن الإسلاميّ، المبادئ القرآنيّة، السنّة النبويّة.

---

١. قسم تأريخ التشيع، معهد المصطفى صلى الله عليه وآله للبحوث و الدراسات، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، باميان، أفغانستان. البريد الإلكتروني: Alemi.sar@gmail.com.

**مقدّمة**

على الرغم من أنَّ الغالبية العظمى من علماء السنّة على مدار تاريخ الإسلام، قد اعتبروا خروج الإمام الحسين عليه السلام على يزيد خطوة نحو إحياء الدين والقيم الإسلاميّة، إلّا أنَّ من بينهم من اعتبر الحركة تمرّدًا على السلطة الشرعيّة للمجتمع الإسلامي كأبي بكر ابن العربي (٥٤٣-٦٨ هـ) وابن تيميّة (٧٢٨-٦٦١ هـ)؛ فإنَّ هذه الحركة - بزعمهما - قد أحدثت شرخًا وانفصالًا في صفوف الأمّة الإسلاميّة؛ من هنا قاما بتبرير قتل الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده بيد يزيد بن معاوية، وبالتالي قد اعتبرا قتلَه وقتلَ أصحابِه في سياق تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، مستشهدَين بهذا الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي قال:

**من فرّق بين أمّتي وهم جميع، فاضربوا رأسه كائنًا من كان.**[١]

ويقول ابن تيميّة عن حركة الإمام الحسين عليه السلام بالتحديد:

**لم يكن في خروجه مصلحة لا في الدين ولا في الدنيا.. وكان لخروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده.**[٢]

نحاول في هذا البحث توضيح ما إذا كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام وخروجه قد تسبّبت في الانقسام والاضطراب في المجتمع، أو توحيد المجتمع الإسلاميّ وإنشاء التضامن الإسلاميّ، وفقًا للأسس القرآنيّة والنموذج النبوي للوحدة الإسلاميّة، مع التأكيد على المصادر السنّيّة، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، من الضروريّ الحصول على معرفة إجماليّة حول معنى ومفهوم التضامن والانسجام ومكانه في تكوين المجتمع.

**مفهوم الانسجام (التضامن)**[٣]

اشتقّت لفظة (الانسجام) في اللغة العربيّة من مادّة (سجم) بمعنى التدفّق، وفي

١. ابن العربي، أبوبكر، العواصم من القواصم: ٢٣١؛ ابن خلدون، عبدالرحمن، مقدمه: ٤١٨/١.
٢. ابن تيمية، تقي الدين الحراني، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: ٣٤٧/٢.
٣. المراد بالانسجام هنا التضامن والتماسك، لكن لأنّ لفظة الانسجام وردت في عنوان المقالة في اللغة الأصليّة؛ لذلك لا بدّ من شرحها حرفيًّا. (المترجم)

اللغة الفارسيّة، تُطلق على التناسب في الكلام وخلوّه من التكلّف، كما تطلق على التناغم والاتّساق في مكوّنات شيءٍ ما، ويبدو أنّ التعريف الأخير أكثر قابليّة للتطبيق فيما يتعلّق بالمصطلح التركيبي كالانسجام الإسلاميّ (أو التضامن الإسلاميّ).

وقد تمّ استخدام الانسجام لأوّل مرّة كعامل رئيس في تكوين المجتمع والنهوض به كنظريّة اجتماعيّة في أعمال "إميل دوركهايم" (عالم الاجتماع الفرنسي الشهير)، وقد ذكر ابن خلدون بطريقة ما دور التضامن من ذي قبل، تحت عنوان دور العصبية في تكوين المجتمع، ويمكن أيضًا تتبّع نظريّات اجتماعيّة أخرى حول تكوين المجتمع مثل القانون والشخصيات والدين والعرق في مسار توحيد المجتمع وخلق حالة التضامن فيه؛ إذ لا تناقض بين هذه العناصر.

وكان لمفهوم الانسجام فيما يرتبط بالمجتمع الإسلاميّ مكانٌ خاصٌّ؛ لأنّه مع ظهور الإسلام والمجتمع الإسلاميّ، جاء نموذجٌ[1] جديد في مجال تكوين المجتمع، وفي هذا السياق استخدم الإسلام الأسس الأساسيّة والدائمة نظير الوحي؛ باعتباره كلام الله الخالد، والنبي صلى الله عليه وآله، كقائد للأمّة الإسلاميّة، والمسلمين باعتبارهم أرضيّة لتشكيل المجتمع، وما يربط هذه العناصر الثلاثة ببعضها البعض هو إيمان المسلمين في الوحي وسيرة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وبالتالي لا يتسنّى للمسلمين الاحتفاظ بهذه الصلة إلّا إذا كان هناك تضامن بين أبناء الأمّة وفق المبادئ الإسلاميّة، ومن هنا، فإنَّ تحليل حركة الإمام الحسين عليه السلام، يقتضي المعرفة الإجماليّة بالمبادئ القرآنيّة والنموذج النبويّ لخلق الانسجام في المجتمع الإسلاميّ.

## المبادئ القرآنيّة والنبويّة للتضامن

قد تنشأ الوحدة والتضامن في مجتمعات مختلفة من خلال العديد من المكوّنات مثل

١. النموذج (Paradigm) هو عبارة عن نظرة كونيّة ونظريّة عامّة لدى شخص حول عالم من عوالم الوجود، ووفقًا لهذه النظريّة، يقوم بالفحص والتحقيق في تفاصيل ذاك العالم. (السيد حسين نصر، «*رويارويي تمدنها و آينده بشر*»: ١٦).

المشاركة العرقيّة واللغويّة، والمصالح المشتركة، والظروف الجغرافيّة، وما شابه، إلّا أنَّ التعاليم الإسلاميّة ترفض التضامن والتماسك البشري بناءً على هذه المعايير والخصائص (الدنيويّة)،[١] ووفقًا للمبادئ الإسلاميّة، يمكن تلخيص أسباب الحياة والحيويّة والتلاحم في أيّ مجتمع وحضارة في المبادئ الأساسيّة الثلاثة المذكورة، ألا وهي: الله[٢] (مصدر الوحي)، والنبيﷺ، والمسلمون؛ لذلك في حال عدم وجود أحد هذه المبادئ أو تعطيلها وفشلها، فإنَّ الانسجام في الحضارة الإسلاميّة - باعتبار عموميّتها، والتي يجب أن تتمتّع بخصائص الحياة والحيويّة - سيواجه مشكلة خطيرة، وقد وردت المبادئ المذكورة أعلاه في سورة الحديد (٢٥) بوضوح:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.[٣]

كما ورد أيضًا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾.[٤]

وقد اجتمعت في هاتين الآيتين، المبادئ والأركان الثلاثة لخلق الانسجام في الحضارة الإسلاميّة بشكلٍ صريحٍ وواضح، وهي أوّلًا: (الله) بوصفه مصدر الكون وكلّ شيء في قبضته. وثانيًا: (الرسولﷺ)، وأخيرًا: (المؤمنون) الذين يمتثّل غرض الله ورسوله في هدايتهم، وأمّا الصلة التي تربط جميع المبادئ والأركان الثلاثة هي الإيمان، والإيمان بالمبادئ الثلاثة والسعي وبذل الجهد لتنفيذ هذه المبادئ هو الذي يشكّل أساس الانسجام في الحضارة الإسلاميّة؛ فإنّ التعاليم الإلهيّة والسنّة النبويّة تدور حول هذه الأركان والأسس الثلاثة لبناء الحضارة.



١. ر.ك: في فلسفة التاريخ، الدكتور أحمد محمود صبحي: ٨٥ ـ ٨٦.
٢. يستخدم هذا المبدأ أحيانًا تحت عنوان أوسع كالدين والقرآن، وهو الوحي الإلهيّ.
٣. الحديد: ٢٥.
٤. الأنفال: ٢٤.

وإذا نظرنا إلى تاريخ صدر الإسلام وتحديدًا النبي صلى الله عليه وآله من هذا المنظور وبهذا النهج، فسوف نجد أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد مرّ بمرحلتين أساسيتين في طريق خلق التضامن والتماسك بين المسلمين، كما أشار إليهما القرآن الكريم: المرحلة الأولى قبل الهجرة، والمرحلة الثانية بعد الهجرة، وبسبب الأهمّيّة الفائقة لهجرة النبي صلى الله عليه وآله؛ فإنّ هذا الحدث أصبح مبدأ تاريخ الإسلام، ويركّز هذا القسم أيضًا على هذا المبحث.

وممّا لا شكّ فيه كانت خطوة رسول الله صلى الله عليه وآله الأهمّ والأخطر خلال فترة خمسة عشر سنة من البعثة إلى الهجرة هو كسر الحميّة والعصبيّة الجاهليّة، ولم تتسنَّ هذه الحركة للنبي صلى الله عليه وآله والمسلمين بسهولة، فقد عانوا العديد من المعاناة في هذا الجانب، وقد تمكّن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من جذب الكثيرين خلال هذه الفترة نحو الإسلام من خلال دعوته السرّيّة أوّلًا ثمّ دعوته العلنيّة، وقد تحدّى بهذه الإجراءات النظام الجاهليَّ تحدّيًا كبيرًا؛ لذلك كان أهمّ اعتراض كفّار مكّة على النبي صلى الله عليه وآله هو أنّه قد فرّق جمعهم وبدّد شملهم، كما قالوا احتجاجًا على النبي صلى الله عليه وآله وأبي طالب، الذي كان مؤيّدًا للنبي: «شتّت أمرنا وفرّق جماعتنا».[1]

ولم يكن أبدًا القضاء على العصبيّة الجاهليّة وتماسك المشركين في مكّة وتعريف جديد للتضامن على أساس المبادئ القرآنيّة أقلّ أهمّيّة من تأسيس الدولة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة، ربّما كان هذا هو أساس تشكيل الحكومة الإسلاميّة في المدينة المنورة ثمّ في شبه الجزيرة العربيّة، وإذا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يتمكّن من إضعاف أسس العصبيّة الجاهليّة في مكّة وبين القبائل، فلم يكن ينجح أبدًا في تأسيس حكومة بين الناس على مبدأ الإيمان بالله؛ لذلك فإنّ واقع تبديد الشمل الجاهلي والقضاء على تضامنهم هو الذي هيّأ الأرضيّة لإنشاء التضامن الإسلاميّ فيما بعد؛ لهذا السبب، فإنّ هجرة الرسول صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة، بغضّ النظر عن كونها رمزًا من رموز المسلمين على مرّ التاريخ، تأخذ مكانًا خاصًّا في التحليل التاريخيّ.

١. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ٢٩٥/١.

**حركة الإمام الحسين**عليه السلام

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي من معالم التاريخ الإسلاميّ التي أثارت العديد من التحليلات حولها، فيمكن تحليل هذه الحركة ودراستها من خلال خلفية الحضارة الإسلاميّة وعوامل خلق الانسجام والوحدة فيها أيضًا، فمن حيث المبدأ لا يمكن تحليل حركة الإمام الحسين عليه السلام وتقييمها في فترةٍ تاريخيّةٍ قصيرةٍ ومعيّنة، فلا جرم من دراستها في مستوى تاريخيّ أوسع بكثير، من خلال نهجٍ أصوليٍّ وإسلاميٍّ قائم على التعاليم الأساسيّة الإسلاميّة في المجتمع والحضارة الإسلاميّة بأكملها؛ لذلك يمكن تتبّع المبادئ القرآنيّة المذكورة أعلاه والنموذج النبوي للتضامن الإسلاميّ، في شكل حركة الإمام الحسين عليه السلام، من حيث الإستراتيجيّة والنهج السياسي وكلمات ذلك الإمام الشهيد عليه السلام، اعتبارًا من رفضه لبيعة يزيد حتّى حين استشهاده.

**أ) التضامن الإسلامي في نهج الإمام الحسين**عليه السلام **وإستراتيجيّته السياسيّة**

إنّ الإستراتيجيّة السياسيّة للإمام حسين عليه السلام ونهجه في مواجهة السلطة الحاكمة تفتح مجالين للنظر أمام كلّ ناظرٍ محايدٍ، فمن ناحية، تُظهر الوضع الحرج والمتفكّك للمجتمع الإسلاميّ في تلك الآونة التاريخيّة حالةً قد نُسي فيها المعيار القرآنيّ للانسجام في الحضارة الإسلاميّة - التي كانت قد تحقّقت فعلًا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله - خلال حكم الأمويّين واستبداله بالوحدة القائمة على الجاهليّة، ومن ناحية أخرى، فإنّها ترسم دور الإمام عليه السلام ومكانته في إحياء التضامن الإسلاميّ على أساس المبادئ القرآنيّة والنموذج النبويّ.

كما أثارت سياسة الإمام الحسين عليه السلام وإقدامها على الحركة نحو الكوفة مناقشات وتقييمات مختلفة، وبالتالي فإنّ كلّ باحثٍ تعامل معها من منظور مختلف، ولكن يبدو أنّ الخصائص المحدّدة لسياسة الإمام عليه السلام وتنفيذها بحكمةٍ وتدبيرٍ مثاليٍّ في غاية الأهمّيّة من عدّة جوانب؛ ذلك لإظهار تفكّك الوحدة في صفوف الأمّة؛ نظرًا للمبادئ القرآنيّة

السنة الثالثة - العدد الرابع؛ ربيع - صيف ٢٠٢٢ م/ ١٤٤٤ هـ

التي تعتمد على المجتمع الإسلامي والنموذج النبوي صلى الله عليه وآله.

وفيما يلي نطل على هذه الخطوات إطلالة سريعة:

١. كانت أوّل خطوة عمليّة للإمام عليه السلام رفض مشروعيّة النظام الحاكم آنذاك، إنَّ أبا عبد الله عليه السلام، فبالإضافة إلى تجنّب مبايعة يزيد، الذي اعتبر نفسه إمامًا للمسلمين، وقد أرسل ممثّلًا له إلى الكوفة لأخذ البيعة من القوم، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أنّ ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله يريد تأكيد هذا الأمر أنّ قيادة وقت المجتمع باعتبارها أحد العناصر الرئيسة في تحقيق الانسجام والتضامن في المجتمع الإسلاميّ غير شرعيّة.

٢. إنَّ طريقة تنظيم حركة الإمام الحسين عليه السلام وسبب انطلاقه نحو الكوفة، على الرغم من معرفته التامّة بأنّ أهل الكوفة سوف يخذلونه، يدلّ على أنّه لم يكن هناك تضامن بين المسلمين والنظام والدين الإسلاميّ؛ لأنّهم يبحثون أحيانًا عن قائدٍ مثل الإمام الحسين عليه السلام، وأحيانًا يتبعون أميرًا (فاسقًا) كيزيد، فإنّ حركة أبي عبد الله عليه السلام وقيامه كان اختبارًا لسبر إيمان المسلمين؛ باعتباره العنصر الأساس في تحقيق الانسجام للحضارة الإسلاميّة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ إقدام الإمام عليه السلام في أخذ البيعة من أهل الكوفة يشير إلى أنّه لن تنجح محاولة القائد مهما كان خبيرًا ومدبّرًا وحكيمًا من دون مرافقة الناس له، وأنّ قبول الناس لمسؤوليّاتهم وإيمانهم واستقامتهم في هذا الاتّجاه ضروريٌّ لصون القيم الإسلاميّة وبسطها.

٣. لقد حذّر الإمام الحسين عليه السلام بفطانة، من تسلل المعايير الجاهليّة في الأمة في أبعاد حضاريّة، بدلًا من المعايير الإسلاميّة، وهذا سبب اختياره للكوفة مع وجود مدنٍ وخيارات أخرى لبدء القيام والحركة؛ حيث كانت هناك أكبر فجوةٍ بين الركائز المتماسكة للحضارة الإسلاميّة والدين والقيادة والناس، فكان الكوفيّون قد أبدوا بكلّ وضوح في زمن الإمام علي والإمام حسن صلى الله عليه وآله عدم تضامنهم وتماسكهم بالمبادئ القرآنيّة والنموذج النبوي صلى الله عليه وآله، وأراد الإمام الحسين عليه السلام بحكمته، من خلال هذا النهج السياسيّ،

تحقيق هدفه الذي كان توعية المسلمين؛ لأنّه بناءً على هذه الحجّة، كان سيصبح للنهضة الحسينية أكثر انعكاسًا وتأثيرًا فكريًّا في أنحاء الأراضي الإسلاميّة.

وعلى هذا الأساس، فمن المنظار الخارجيّ، يمكن الاستنتاج أنّ الإجراءات والتدابير السياسيّة للإمام عليه السلام قد ألحقت أكبر ضربةٍ وخسارةٍ على المعايير والوحدة الجاهليّة، فمن ناحية، عرّف حقيقة النظام الحاكم من خلال نهجه العسكريّ السياسيّ غير الإسلاميّ، وبالتالي أثبت بشهادة التاريخ أنّه غير شرعيّ. ومن ناحية أخرى، فإنّه قد ذكّر الناس بعدم وجود التضامن بين أركان الحضارة الإسلاميّة، وخاصّة أولئك الذين كانوا يعتقدون بوجود مجتمعٍ إسلاميّ قائم على أساس المعايير القرآنيّة وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في ذاك الوقت، كما يمكن البحث عن هذه الحقيقة داخل الحركة وفي خطابات الإمام عليه السلام.

**ب) التضامن الإسلاميّ في كلام الإمام الحسين عليه السلام**

تعكس كلمات الإمام حسين عليه السلام، خاصّة منذ بداية الحركة، هدف ابن رسول الله صلى الله عليه وآله المتمثّل في السعي وراء الوحدة والتضامن الإسلاميّ القائم على المبادئ القرآنيّة والسنّة النبويّة، كما قال لأخيه محمّد بن الحنفية، كردّ فعل لطلب يزيد منه بالبيعة:

**يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعتُ يزيد بن معاوية أبدًا.**[1]

يشير ردّ الفعل هذا إلى أنّ الإمام عليه السلام لن يتفاوض أبدًا على الاختراق التامّ للوحدة والتضامن الإسلامي واستبداله بمعايير الوحدة الجاهليّة كالحميّة والعصبيّة والسيطرة الاقتصاديّة والعسكريّة، ومصداقها البارز هو الموقف السياسي والديني ليزيد بن معاوية وآل بني أميّة.

ومن النصوص التي نستعين بها في تحليل حركة الإمام الحسين عليه السلام للحصول على النهج المذكور أعلاه هي وصيته عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفية حيث يذكر فيها سبب حركته وانتفاضته على النحو التالي:

١. ابن أعثم، أحمد بن علي، الفتوح: ٨٣٢.

**إنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولاظالمًا، بل خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله؛ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام.**[١]

فمن خلال هذه الوصيّة، يمكن تحديد أهداف حركة الإمام الحسين عليه السلام منذ انطلاقة الحركة، حيث يلقي محتواها الضوء على غاية الإمام الحسين عليه السلام ألا وهي تحقيق التماسك والانسجام الإسلامي على أساس النموذج القرآنيّ والنبويّ:

١. إنّ الإمام الحسين عليه السلام من خلال قوله: «إنّي لم أخرج أشِرًا ولا بطَرًا...» يعلن بأنَّ الغرض من خروجه ليس القيام ضدّ الدولة الإسلاميّة والإخلال بالنظام والتضامن الإسلامي، والذي يتطلب ارتكاب الظلم والفساد في المجتمع، بل بالعكس، فإنّه يعتقد بأنّ النظام الحاكم، ليس نظامًا إسلاميًّا ومشروعًا.

٢. وقد استخدم الإمام عليه السلام في هذه العبارة، لفظة (الخروج) «لم أخرُج» بمعنى القيام والنهضة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، اعتبر سبب خروجه الإصلاح في أمّة جدّه، فقد أراد أن يشير من خلال عبارة «طلب الإصلاح» إلى الانحراف عن الأسس الإسلاميّة من جانب الأمّة، ومن خلال كلمة (جَدّي)، يذكّر مكانه ودوره تجاه الإسلام والمسلمين والمجتمع الإسلاميّ.

٣. هناك مبدأ آخر قد أكّد عليه الإمام عليه السلام في العبارة أعلاه وهو "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، فيمكن الاستنتاج أنّه من خلال الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد الإعلان عن خروجه لهدف الإصلاح في أمّة جدّه صلى الله عليه وآله، هو يخاطب جميع أركان التضامن الثلاثة للمجتمع الإسلاميّ والحضارة الإسلاميّة، وهي الدين، وخليفة النبي أو الإمام وحاكم المجتمع الإسلامي، والمسلمين، ويثبت بوضوح عدم تضامن الأمّة والحضارة الإسلاميّة في تلك المرحلة الزمنيّة، أي بداية حركته.

١. الخوارزمي، موفق بن أحمد، مقتل الحسين: ٢٧٣/١؛ ابن أعثم: ٨٣٣.

**ج) كلام الإمام الحسين عليه السلام ومبادئ التضامن القرآنيّة**

في هذا المبحث نحن بصدد رسم وضع المجتمع آنذاك؛ وفقًا لكلمات الإمام الحسين عليه السلام، استنادًا إلى مبادئ التضامن القرآنيّة.

**١. الدين**

في هذه المرحلة الزمنيّة، تمّ التخلّي عن تعاليم الإسلام الحقيقيّة، التي كانت مستمدّة من الوحي الإلهيّ وحاملة جوهر الوحدة والتضامن بين أجزاء الأمّة الإسلاميّة، وتمّ استبداله بالإسلام القائم على عقيدة الجبريّة والجاهليّة في المؤسسات الاجتماعيّة والحكوميّة، كما يمكن رؤية تسلّل هذا التفكير في خطاب دعاة هذا النوع من الإسلام، فها هو شمر بن ذي الجوشن، يقول لزهير بن القين في يوم عاشوراء ما ينم عن عقيدته الجبريّة: «إنَّ الله قاتلُكَ وصاحبِكَ بعد ساعة».[١]

أو كما قال عمرو بن الحجاج من قادة الكوفة إلى أصحابه:

**يا أهل الكوفة، اِلزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام.**[٢]

وعندما كان الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره يصلون يوم عاشوراء، هتف حصين بن تميم بصوت عال: «إنّها لا تُقبل»،[٣] وعندما لاموا عمر بن سعد على قتله الحسين عليه السلام، أجاب قائلًا: «لقد قدّر الله ذلك»،[٤] ويتّضح من خلال هذه التعابير بوضوح الوضع الديني لعصر قيام الإمام الحسين عليه السلام بحيث لم يكن الخطاب الديني الحاكم قادرًا على لعب دور كركنٍ أساس وعامل التضامن في المجتمع الإسلاميّ!

١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والرسل والملوك: ٣١٧/٣.
٢. المصدر نفسه: ٣٢٤.
٣. المصدر نفسه: ٣٢٦.
٤. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ١٤٨/٥.

وعصبة آلاثام ومُحرّفي الكتاب ومُطفئي السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيدي عترة الأوصياء.[١]

فمن الواضح جدًّا أنّه من وجود مسلمين كهؤلاء الذين ليس لديهم أقلّ وعي ومسؤوليّة تجاه الأسس الإسلاميّة لا يُرى مستقبل مشرق لوجود مجتمع وحضارة إسلاميّة (مشرِّفة)، مجتمعٍ لا ينسجم فيه الإسلام مع المسلمين، ويطلب غالبيّة الناس الدين لدنياهم، وتتاح الفرصة لأصحاب السلطة ودعاة الجاهليّة للاصطياد في الماء العكر من الانحرافات لبسط هيمنتها على الأمّة.

**٢. قيادة الأمّة الإسلاميّة**

وكان الركن الثالث لإنشاء التضامن في المجتمع والحضارة الإسلاميّة أثناء قيام الإمام الحسين عليه السلام، هو حاكم المجتمع الذي يسمّي نفسه خليفةً لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما جاء وصفه في كلام الإمام الحسين عليه السلام: «يزيد رجلٌ فاسقٌ، شارب خمرٍ، قاتل النفس المحرمة، معينٌ بالفسق»،[٢] وفي خطاب آخر يقول الإمام عليه السلام:

> **وإنّ هؤلاء (قادة المجتمع) قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله.**[٣]

وقد اعتبر الإمام عليه السلام من خلال هذه التعابير، الركن الثالث للحضارة الإسلاميّة مفتقرًا إلى الشرعيّة والكفاءة، بل يرى وجود شخص - مثل يزيد في رأس النظام - مشكلة أساسيّة للمجتمع الإسلاميّ، وأنّ طريقة الحلّ هو إحياء وإعادة بناء جميع الأركان الثلاثة للمجتمع الإسلاميّ (الدين، والقيادة والناس)، ويذعن بأنّه إذا تمّ الوفاء بهذه الأركان الثلاثة بشكلٍ صحيح ومناسب، فسوف يتحقّق الانسجام والتضامن بينها، فقد بيّن الإمام عليه السلام خطّته من خلال كتاب بعثه إلى أشراف الكوفة:

---

١. ابن عساكر، علي بن حسن الشافعي، ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق: ٢١٧.
٢. الخوارزمي: ٢٦٧/١.
٣. الطبري: ٣٠٧/٣؛ ابن الأثير، عزالدين، الكامل في التاريخ: ٤٠٨/٣.

**أمّا بَعدُ، فَإِنَّ الله اصطَفى مُحَمَّدًا ﷺ عَلى خَلقِهِ، وأكرَمَهُ بِنُبُوَّتِهِ، وَاختارَهُ لِرِسالَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ الله إلَيهِ، وقَد نَصَحَ لِعِبادِهِ، وبَلَّغَ ما أُرسِلَ بِهِ ﷺ، وكُنّا أهلَهُ وأولِياءَهُ وأوصِياءَهُ ووَرَثَتَهُ، وأحَقَّ النّاسِ بِمَقامِهِ في النّاسِ، فَاستَأثَرَ عَلَينا قَومُنا بِذلِكَ فَرَضينا، وكَرِهنَا الفُرقَةَ، وأحبَبنَا العافِيَةَ، ونَحنُ نَعلَمُ أنّا أحَقُّ بِذلِكَ الحَقِّ المُستَحَقِّ عَلَينا مِمَّن تَوَلّاهُ، وقَد أحسَنوا وأصلَحوا وتَحَرَّوُا الحَقَّ، فَرَحِمَهُمُ الله، وغَفَرَ لَنا ولَهُم، وقَد بَعَثتُ رَسولي إلَيكُم بِهذَا الكِتابِ، وأنَا أدعوكُم إلى كِتابِ الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ السُّنَّةَ قد أُميتَت، وإنَّ البِدعَةَ قَد أُحيِيَت، وإن تَسمَعوا قَولي وتُطيعوا أمري أهدِكُم سَبيلَ الرَّشادِ، وَالسَّلامُ عَلَيكُم ورَحمَةُ الله.**[1]

ومن مجموع كلمات الإمام الحسين عليه السلام، يمكن الاستنتاج أنّ الإمام عليه السلام يعتبر حركته عاملًا لإحياء التضامن في الحضارة الإسلاميّة، واستمرارًا للحركة الإسلاميّة العظيمة التي قادها رسول الله ﷺ، ونقلها إلى الأجيال القادمة، ورسم الخطوط الإجماليّة للحركات المستقبليّة (في العالم الإسلامي)، فلا يمكن اعتبار الإمام عليه السلام تهديدًا للانسجام الإسلاميّ؛ لأنّه - وكما سبق القول - لم يكن هناك حينئذٍ وحدة وتضامن يعتمد على التعاليم الإسلاميّة الأصليّة والأبديّة فعلًا، وإذا كان هناك تضامن - أو بتعبير أصحّ - عصبيّة، فكانت أساسها ومبادئها تستند إلى معايير الجاهليّة؛ لذلك يعتبر الإمام الحسين عليه السلام حركته موافقة لسيرة جدّه محمّد المصطفى ﷺ: «وأسير بسيرة جدّي».

ووفقًا للنهج نفسه، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام وقف أمام الناس الجهلة ظهيرة عاشوراء، يلقي بخطبة معرّفًا فيها نفسه ويلوم بها الكوفيين:

**ألا إنّ الدَّعي وابن الدّعي قد رَكَزَ بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة.**[2]

ثمّ يستند مباشرة إلى المبادئ القرآنيّة الثلاثة للتضامن الإسلاميّ من خلال جملته

١. الطبري: ٣/٢٨٠.

٢. ابن عساكر، المصدر السابق: ٢١٧؛ الخوارزمي، المصدر السابق: ٢/١٠. مع تصرف يسير [بين القتلة والذلة وهيهات منا أخذ الدنية].

الرائعة والتاريخيّة: «أبَى الله ذلك ورسوله والمؤمنون...»[١] وفي نهاية خطبته يقرأ شعرًا طويلًا، يمكن الإجابة من خلاله عن العديد من الأسئلة، ومطلع تلك القصيدة الطويلة كما يلي:

**«فإن نَهزِم فهزَّامون قَدِما ... وإن نُهزَم فغيرُ مُهزَّمينا»**[٢]

وفي الواقع، لم يكن الانتصار العسكري للإمام حسين عليه السلام يوم عاشوراء أو عدمه يختلف كثيرًا (من حيث النتيجة)؛ لأنّه كمثل جدّه الكريم صلى الله عليه وآله قد تحدّى بحركته الواعية التضامن الجاهليَّ تحدّيًا كبيرًا، تحدٍّ ظهرت بوادره منذ يوم عاشوراء بوضوح، من خلال انضمام الحر بن يزيد الرياحي وبعض الآخرين إلى الإمام الحسين عليه السلام وشهادتهم في سبيل أهداف الحسين عليه السلام، ألا وهو خلق التضامن في الحضارة الإسلاميّة القائمة على المبادئ القرآنيّة والسيرة النبويّة، وإنّ انضمام الحُرّ إلى الإمام له أهمّيّة مضاعفة من حيث إنّه لم يحدث في أيّ قتال أن ينضمّ جنود الجيش المنتصر إلى الجيش المنهزم (ظاهرًا)، فمن خلال هذه الأوصاف، لا يمكن اعتبار حركة الإمام عليه السلام في اتّجاه تقسيم الأمّة الإسلاميّة وزرع الفرقة والفساد في المجتمع، كما ذكره ابن العربي المالكي وابن تيميّة؛ لأنّه في تلك الفترة لم يكن للمجتمع والأمّة الإسلاميّة وجود خارجيّ بالمعنى القرآنيّ، ومع أنّه لا يمكن إنكار وجود مجموعة كبيرة من المتدينين في ذلك العصر، والتي يعد بعضها في عداد الصحابة والتابعين، لكن للأسف لم يكن لدى هؤلاء المتدينين معرفة ووعي كافٍ لمبادئ التضامن الإسلامي ودور الإمام في قيادة الأمّة ما قبل انتفاضة الإمام الحسين عليه السلام.

والسؤال المطروح هنا: إلى أيّ مدى نجح الإمام عليه السلام في تحقيق أهدافه، والتي يمكن استنباطها من كلماته وإستراتيجيّته السياسيّة؟ وبعبارة أخرى، هل سعى المسلمون إلى كشف إستراتيجيّة وخارطة طريق لمستقبل الحضارة الإسلاميّة من خلال النهج السياسي للإمام الحسين عليه السلام وكلماته؟

١. ابن عساكر، المصدر السابق: ٢١٧.

٢. الخوارزمي، المصدر السابق: ٢/١٠؛ ابن عساكر، المصدر السابق: ٢١٨.

**٣. الإنجازات**

كان أهمّ إنجازٍ لحركة الإمام الحسين عليه السلام بثّ روح التضامن والوعي والشعور بالمسؤوليّة لدى آحاد الأمّة تجاه المجتمع الإسلاميّ، فقد أدّت حركة الإمام الحسين عليه السلام إلى نوعين من الوعي والمسؤوليّة بين الناس تجاه المجتمع الإسلاميّ، مما يحمل أهمّيّة كبيرة في خلق التضامن الإسلامي:

١- الوعي والشعور بالمسؤوليّة الدينيّة. ٢- الوعي والشعور بالمسؤوليّة السياسيّة.

**أ) الوعي والشعور بالمسؤولية الدينيّة**

ومن معطيات حركة الإمام الحسين عليه السلام وثمارها، التي حفزت العديد من التغييرات والتحوّلات في المعتقدات الإسلاميّة، هو استهداف عقيدة الجبريّة والطاعة المطلقة للحاكم، فقد علّم الإمام عليه السلام المسلمين درسًا من خلال رفضه لمبايعة يزيد، أنّ رفض البيعة للحاكم الجائر والفاسق، لا يعني تبديد شمل الأمّة الإسلاميّة وكسر شوكتها وتضامنها،[١] كان أصحاب الجبريّة والمرجئة، باعتبارهم أصحاب التفكير الدينيّ السائد في ذاك العصر، والحماة والداعمين الأصليين للنظام الجاهلي، يروّجون بأنّ النظام الأمويّ قد قدّره الله بكلّ جرائمه، فلا يحقّ للمسلمين معارضتها، كما أنّ ابن تيمية في شرحه لفلسفة قيام الإمام الحسين عليه السلام وإلقاء اللوم عليه، يعترف باعتقاده والتزامه بهذا المذهب الفكريّ،[٢] وهكذا قادة الأموين حيث نشروا هذا النوع من التفكير بشدّة من أجل حكر الخلافة والحكومة لأنفسهم؛ بدعوى أنّ الله قد منحهم هذه المكانة، وأنَّ مُلكهم كان عطية إلهيّة، وبالتالي يحكمون بإرادة الله، ويتصرفون في الأمور بمشيئته ورضاه.[٣]



---

١. إذ اعتقد بعض المسلمين بعدم جواز الخروج على الحاكم (مقدمه ابن‌خلدون: ٤١٦/١).

٢. قال ابن‌تيميه: «فهذا رأي فاسد؛ فإنّ مفسدته أعظم من مصلحته، وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا ما كان تولّد علي فعله من الشرّ أعظم مما تولد من الخير»؛ منهاج السنةالنبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: ٣٤٦/٢.

٣. ر.ك: حتّي، فيليپ خوري، تاريخ عرب: ٣١٨؛ إبراهيم حسن، حسن، تاريخ سياسي اسلام: ٣٨٧/١؛ مادلونغ، ويلفرد، فرقه‌هاي اسلامي: ٣٧.

فقد عارض الإمام الحسين عليه السلام طريقة التفكير هذه بقوّة، كما يستنبط من إستراتيجيّته السياسيّة وكلماته أثناء ثورته؛ حيث تحدّاها بشدّة من خلال تذكير المسلمين بأداء واجبهم الديني ومسؤوليتهم الشرعيّة، فكان عليه السلام بصدد إبلاغ رسالة هذه الآية إلى الناس: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾،[١] وهكذا فعل الإمام الحسين عليه السلام، وتبعه في ذلك أصحابه الأوفياء في أصعب الظروف، رافضين فكرة الجبر؛ لذلك عندما سيق أسرى آل البيت عليهم السلام إلى الكوفة، التفت ابن زياد إلى الإمام السجاد عليه السلام، فقال:

**من هذا؟ فقيل: علي بن الحسين. فقال: أَلَيسَ قَد قَتَلَ اللهُ عَلِيَّ بنَ الحُسَينِ (في كربلاء)؟! فقال له الإمام عليه السلام: قَد كانَ لي أَخٌ يُسَمّى عَلِيَّ بنَ الحُسَينِ قَتَلَهُ النّاسُ. فَقالَ: بَلِ اللهُ قَتَلَهُ...**[٢]

إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام لم توحّد معارضي النظام الجاهليّ، وأدّت إلى وعي الناس الدينيّ ومسؤوليّتهم تجاه المجتمع والقيادة فحسب، بل وإنما أثّر في قلوب أصحاب المرجئة، الذين كانوا أكبر مؤيّدين فكريًّا للأمويين، وقد أحدثَ تحوّلًا في معتقداتهم حول قيادة الأمّة الإسلاميّة؛ فإنّ قيام يزيد بن المهلب في العراق،[٣] وعبد الرحمن بن محمد بن أشعث في إيران والعراق،[٤] وحارث بن سريج التميمي في الخراسان وسائر الحركات ضدّ بني أميّة، هي خير شاهد على ذلك؛ إذ إنّ الكثيرين من المرجئة وقادتها شاركوا في تلكم الحركات، التي كان شعارها العمل بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.[٥]



---

١. الرعد: ١١.

٢ . الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيّين: ١٤٦؛ اللهوف: ٢٠٢ ، بحار الأنوار: ١١٧/٤٥.

٣. السيوطي، جلال‌الدين، تاريخ الخلفاء: ١٩٤.

٤. ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكريم، الكامل في التاريخ: ٢٨٠/٤.

٥. يمكن الإشارة إلى قادة المرجئة الذين لعبوا دورا في هذه الحركات كسعيد بن جبير في قيام ابن الأشعث (الطبري: ٦١/٣) و ثابت قُطنه الأزدي وجعد بن درهم في قيام يزيد بن مهلب (الطبري: ٧٩/٤) وجهم بن صفوان في قيام ابن سريج [فرقه‌های اسلامی در شام: ١٠٢].

**ب) الوعي والشعور بالمسؤوليّة السياسيّة**

وسرعان ما تمّ استلام رسالة قيام الإمام الحسين عليه السلام في جميع أنحاء العالم الإسلاميّ، ذلك بفضل الإستراتيجيّة الحكيمة والفطنة التي قد رسمها لكي تعكس انتفاضته الموحِّدة لصفوف الأمّة والمُحيية للتضامن الإسلامي، فكانت أوّل رسالة تلقّاها المسلمون من هذه الحركة هي الكشف عن فساد وعدم كفاية الشخص الذي يعتبر نفسه خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وآله، فعلى سبيل المثال، ما قال عبد الله بن مطيع، أحد قادة المدينة في عام (٦٣ هـ ق) أثناء القيام ضدّ يزيد؛ تشجيعًا للناس على القيام: «إنّ يزيد يشرب الخمر، ويترك الصلاة ،ويتعدّى حكم الكتاب»،[١] في حين أنّ عبد الله بن مطيع هو من كان يمنع الإمام الحسين عليه السلام من الذهاب إلى الكوفة للقيام ضدّ يزيد!

وقد قُتل ثمانون من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، وسبعمائة من قريش وأنصار، وعشرة آلاف من عامّة المسلمين أثناء قيام أهل المدينة المنوّرة ضدّ حكومة يزيد (وقعة حَرَّة)، التي قمعها أعوان النظام الجاهلي الأمويّ بأشدّ الطرق قسوة، ومن المثير للاهتمام، أنّ الكثير منهم قد قُتلوا بعد انتهاء المعركة حيث رفضوا تجديد البيعة ليزيد، بينما هم الذين كانوا قد بايعوه عام (٦٠) من الهجرة؛ بسبب جهلهم لمؤهّلات قائد المجتمع الإسلامي أو تجاهلهم لذلك.[٢]

فإنّ هذه المقارنة توضح جيّدًا، ثمرة حركة الإمام الحسين عليه السلام في توعية الأمّة الإسلاميّة وخلق الشعور بالمسؤوليّة فيها، الثمرة التي أدّت أيضًا إلى حركات أخرى، مثل قيام التوّابين والمختار في وقتٍ لاحق، فكانت هذه الحركات تنبع عن شعور المسلمين بالمسؤوليّة (تجاه الدين والمجتمع)، وفضلًا عن الخروج ضدّ السلطة الأمويّة غير الشرعية تهدف إلى استعادة القيادة إلى موقفها الرئيس واللائق بها.

ويعكس مجموع ردود الفعل هذه بشكلٍ جيّدٍ، إعادة اعتراف المسلمين بدور القيادة

١. ابن منظور، محمدبن مكرّم، مختصر تاريخ دمشق: ٢٧/٢٨.
٢. الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

في وحدة المجتمع الإسلاميّ وخلق التضامن بين أجزائه، وقد أدّى ذلك إلى العديد من التطورات والتبعات السياسيّة والاجتماعيّة على مستوى المجتمع الإسلاميّ وفقًا للتاريخ، التبعات التي تلعب حتى يومنا هذا دورًا لا يُستهان به في التطوّرات الاجتماعيّة السياسيّة في العالم الإسلاميّ (المعاصر).

## نتيجة البحث

لقد أطلق الإمام الحسين عليه السلام حركته الاستشهاديّة باعتراف قاطبة المسلمين، لدعم القيم الإنسانيّة وحماية مستقبل الحضارة الإسلاميّة، ولو كان البعض يحاول التشكيك في شرعيّتها من خلال تساؤلات، كما لو أنّها قد أحدثت شقاقًا في صفوف المجتمع الإسلاميّ، بينما أنّ الوحدة الإسلاميّة لا تتحقّق - بناءً على تعاليم القرآن - إلّا إذا آمن وعمل المسلمون بتعاليم الله ورسوله وسعوا في تحقيقها، في حين أنَّ هذا معيار والمقياس المعرفي والسلوكي كان قد تهمّش بين المسلمين من الناحية العمليّة، وقد حلّت محلّه معايير الجاهليّة بالفعل، وقد بذل الإمام الحسين عليه السلام كلّ ما في وسعه لتنبيه المجتمع آنئذٍ بشأن حكم المعايير الجاهليّة ويحذّرهم منها بشتّى الطرق، فقد رفض مبايعة الخليفة آنذلك أوّلًا. وثانيًا اختار أنسب مدينة لمعارضة الحكومة حيث كان أهلها قد اشتهروا بخرقهم للمعايير الإسلاميّة، وكان يمكنه هناك إلقاء الضوء على هذا التحذير بأحسن وجه، فقد انعكس هذا النهج في تصريحات الإمام عليه السلام، كما أكّد في وصيّته على الإصلاح في المجتمع الإسلاميّ، وعلّل أنّ خروجه هو لطلب الإصلاح في أمّة جدّه.

وفي المقابل، إنَّ موقف جهاز الحكم الأمويّ وأيادي الخليفة ضد قيام الإمام الحسين عليه السلام يظهر بجلاءٍ أنّ المسلمين قد فقدوا هويّتهم الإسلاميّة، وقد انعكس هذا الوضع في خطاب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء، وكانت قيادة المجتمع الإسلاميّ قد أعطيت خليفة يفتقر إلى الإيمان الديني، وبالتالي فإنّ المجتمع كان غير إسلاميًّا من الرأس إلى أخمص القدم، فكيف يقال إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام قد مزّقت وحدة الأمّة، بينما كانت ممزّقة فعلًا؟ لذلك فإنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام لم تؤد أبدًا إلى شقاق في المجتمع الإسلاميّ، وإنّما أحدث خرقًا في الخطاب الجاهليّ الذي فرضه الأمويّون على المجتمع الإسلاميّ، ومن هنا كان الإمام الحسين عليه السلام يؤكّد على وحدة الأمّة وتماسك المجتمع الإسلاميّ، وهي مهمّة لم يكن أحد مؤهّلًا للقيام بها سوى الإمام الحسين عليه السلام نظرًا لمكانته في الإسلام، وقد أبلى بلاءً حسنًا وحقّق انتصارًا وفوزًا عظيمًا، ما يدلّ عليه تصريحاته يوم عاشوراء.

## مصادر البحث

القرآن الكريم

١. إبراهيم حسن، حسن، ***تاريخ سياسي اسلام***، ترجَمَهُ: أبو القاسم پاينده، طهران، مكتبة إسلاميّة، الطبعة الثانية، ١٣٣٨ش

٢. ابن أعثم، أحمد بن علي، ***الفتوح***، ترجمة: محمّد بن أحمد مستوفي هروي، طهران، شركة منشورات العلميّ الثقافيّة، ١٣٧٤ش

٣. ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكريم، ***الكامل في التاريخ***، حقّقه: محمّد يوسف دقاقة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ ق

٤. ابن سعد، محمد، ***الطبقات الكبرى***، حقّقه: سهيل كيالي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤ق

٥. ابن عساكر، علي بن حسن الشافعي، ***ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق***، حققه: محمّد باقر محمودي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٩٨ق

٦. ابن منظور، محمّد بن مكرّم، ***مختصر تاريخ دمشق***، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٥ق

٧. ابن هشام، ***السيرة النبوية***، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م

٨. ابن العربي، أبو بكر، ***العواصم من القواصم***، حقّقه: محبّ الدين الخطيب، القاهرة، مطبعة السلفية، ١٣٠٠ق

٩. ابن تيمية، تقي الدين الحراني، ***منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية***، صحّحه: عبدالله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م

١٠. ابن خلدون، عبدالرحمن، ***مقدّمة***، ترجمة: محمّد پروين گنابادي، طهران، منشورات العلميّة الثقافيّة، بدون تاريخ.

١١. الأصفهاني، أبو الفرج، ***مقاتل الطالبيّين***، ترجمه: هاشم رسولي محلّاتي، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة، ١٣٨٠ش

١٢. البلاذري، أحمد بن يحيي، ***أنساب الأشراف***، حققه: سهيل زكار، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧ق.

١٣. حتّي، فيليپ خوري، ***تاريخ عرب***، ترجمه: أبو القاسم پاينده، طهران، منشورات العلميّة الثقافيّة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠ش.

١٤. الخوارزمي، موفّق بن أحمد، ***مقتل الحسين***، حقّقه: محمّد السماوي، قم، دار الأنوار الهدي، ١٤١٨ق

١٥. الدينوري، ابن قتيبة، ***الإمامة والسياسة***، ترجمة: السيد ناصر طباطبايي، طهران، منشورات ققنوس، ١٣٨٠ش.

١٦. السيد بن طاووس، اللهوف، ترجمه وصحّحه: عقيقي بخشايشي، الطبعة السادسة، قم، نويد اسلام، ١٣٧٩ ش.
١٧. السيوطي، جلال‌الدين، ***تاريخ الخلفاء***، حقّقه: قاسم السماعي وآخرون، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ٢٠٠٣ م
١٨. صبحي، أحمد محمود، ***في فلسفة التاريخ***، دكتر ، بيروت، دار النهضة العربيّة، ١٩٩٤ م.
١٩. الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والرسل والملوك، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ق.
٢٠. عطوان، حسين، فرقه‌هاي اسلامى در سرزمين شام، ترجمه: حميد رضا شيخي، مشهد، منشورات العتبة المقدسة الرضويّة، الطبعة الأولى، ١٣٧١ ش.
٢١. مادلونغ، ويلفرد، ***فرقه‌های اسلامی***، ترجمه: أبو القاسم سّري، طهران منشورات أساطير، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ش.
٢٢. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ق.
٢٣. نصر، السيد حسين، «***رويارويي تمدنها و آينده بشر***»، مجلة "كلك" الشهريّة، العدد ٦٠، إسفند ١٣٧٣ ش.

# تقييم مدى تناسب "شرط عدم الضرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" مع "حركة الإمام الحسين عليه السلام" (بالتأكيد على نظريّة الإمام الخميني قدس سره)

**مهدي بورحسين**[1]

**خلاصة البحث**

لقد اعتبر الفقهاء أنَّ (عدم المفسدة والضرر) شرط من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يلتزم بهذا الشرط حيث خرج لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالمًا باستشهاده، وقد قدّم الفقهاء وفي توجيه عمل الإمام الحسين عليه السلام احتمالات مثل (عدم القطع بالشهادة)، و(انحصار الطريق في الشهادة)، و(جواز الصلح مع العدو دون وجوبه)، و(غموض ماهية حركة الإمام عليه السلام)، و(سقوط شرط عدم الضرر مقابل أهميّة الوجوب)، بيد أنَّ الإمام الخميني قدس سره من خلال تنظير احتمالٍ آخر، قد حوّله إلى نظريّة ومن ثمّ طبّقها في مقام العمل.

**المفردات الرئيسة**: الإمام الحسين عليه السلام، الأهميّة، الضرر، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر

١. جامعة آزاد الإسلامية، قم، إيران. البريد الإلكتروني: Poorhosein.mahdi@gmail.com.

**مقدّمة**

من مزايا الفكر الدينيّ الاجتماعيّ في الإسلام، هو الاهتمام الخاصّ ببثّ الثقافة الدينيّة والتأكيد على نشر الحسنات ومنع انتشار الفواحش من أجل تجنّب الشذوذ والجرائم والمنكرات في المجتمع، وقد تجلّت هذه الخطورة في تعاليم الشريعة باعتبارها فريضة دينيّة وحقًّا موهوبًا من الله، يتمثّل في نقد الوضع القائم ما يدعى (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شكلٌ من أشكال النظارة والرقابة العامّة التي إن تمّ تنفيذها، تضمن صلاح المجتمع على أحسن وجه، ولا يمكن إنكار الدور المؤثر والرادع لهذه المهمّة الاجتماعيّة القيمة في المجالات الشخصيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة والاقتصاديّة من أجل زيادة الفضائل وإزالة الرذائل؛ ولأهمّيّة هذا الواجب الإلهي يكفي القول بأنّه معيار تفوّق الأمّة الإسلاميّة على غيرها من الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾،[١] وكلّ الحسنات ضئيلة مقارنةً به:

**وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ‌اللهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ.[٢] [والنفثة هي البصقة].**

وفي منطق القرآن، كلّ من يهتمّ بهذه المهمّة الاجتماعيّة يُدرج في عداد الصلحاء ولو كان من أتباع الديانات الأخرى،[٣] فإنَّ تشريع الإسلام لأصل هذه الفريضة ينمّ عن خلق نوعٍ من الإحساس بالمسؤوليّة لدى الناس تجاه بعضهم البعض؛ ولأنّه يتكوّن من ثنائيّة (الأمر) و(النهي) والتدخّل في شؤون الآخرين، فإنّه يتضمّن نوعًا من ولاية أفراد المجتمع على بعضهم البعض، لكنَّ هذا المنطق ليس منطقًا مقبولًا في المدارس الفرديّة

١. آل عمران: ١١٠.
٢. نهج البلاغه، الحكمة ٣٧٤: ٥٤٢
٣. آل عمران: ١١٣ ـ ١١٤.

في العصر الحالي؛ لأنّ حرّيّة الإنسان واستقلاله في المجالات الفرديّة والسلوك الشخصي هو أحد المبادئ المسلّمة لهذه المدارس، ولا يجوز التدخّل في شؤون الآخرين إلّا إذا كان أحدهم قد فوّض هذا الحقّ لغيره، وإلّا فلا يحقّ التدخّل في شؤون الآخرين بأيّ شكلٍ من الأشكال، لكنّه ليس معقولًا ومقبولًا في الإسلام فحسب، بل يُعتبر أيضًا واجبًا شرعيًّا؛ إذ إنَّ في هذه المدرسة، إنَّ الله هو مالك الكون كلّه، وله الولاية كلّها، فيمكنه منحها للآخرين، كما جعل الله عزّ وجلّ المؤمنين أولياء بعض، ومسؤولين عن مصير المجتمع: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾،[١] وقد أكّد نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله على هذه المسؤوليّة العامّة بقوله: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه».[٢]

وعليه، ففي النظام السياسي الإسلامي، كما أنّ للناس الحقّ في تقرير مصيرهم، والحقّ في استخدام البيئة السالمة للنمو الروحيّ والمعنويّ، فكذلك يحقّ لهم بل يلزم عليهم إصلاح المحيط ومنع تلوثه، وفي هذه المدرسة، يُعدّ كلّ فرد مسؤولًا عن أعماله وسلوكه، كما أنّه مسؤول عن أعمال وسلوك سائر المؤمنين، ومن هنا، قد أمر الله تعالى المؤمنين بالقيام به، وقد عُدَّ واجبًا في الفقه للأدلة نفسها، منها: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ اِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاُوْلَـئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾،[٣] ومنها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله﴾،[٤] ومنها: ﴿يَا بُنَيَّ اَقِمِ الصَّلاةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُورِ﴾[٥] كما تشير إليه العديد من الأحاديث.[٦]

ومع ذلك يعتقد معظم فقهاء الشيعة بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقًا

١. التوبة: ٧١
٢. المجلسي: ٧٢/ ٣٨
٣. آل عمران: ١٠٤.
٤. آل عمران: ١١٠.
٥. لقمان: ١٧.
٦. انظر: الكليني: ٥/ ٥٥؛ العاملي، الحر: ١٦/ ١١٧

للأدلّة العقليّة؛ فقد استدلّ هؤلاء للوجوب العقليّ لهذه الفريضة على قاعدة اللطف،[١] ووجوب دفع الضرر عن النفس،[٢] وشكر المنعم،[٣] وكونها مقدّمة لأداء الفرائض.[٤]

وأهمّ دليل عقليّ في هذا المجال هو أنّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دورًا كبيرًا في توفير العوامل لتقريب العباد من مصالحهم وإبعادهم عن المفاسد؛ إذ بالأمر والنهي، يتّجه الناس نحو المعروف ويبتعدون عن المنكر، ولا جرم أنّ العقل يحكم بتحقيق كلّ ما يقرب الناس إلى مصالحهم، أي أنّ الحكمة الإلهيّة تتطلّب توفير كلّ ما يقرّب العباد من الطاعة ويبعدونهم عن المعصية، ويصبح واجبًا من قبل الله تعالى كما وجب بالفعل.[٥]

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفهومٌ عامٌّ وجامعٌ في الإسلام، فهو يشمل نطاقًا واسعًا من مصاديق المعروف الواجبة والمستحبّة، والمنكرات المحرّمة والمكروهة، فيتراوح حكمه بحسب الموضوع بين الواجب والمستحب والحرام والمكروه، كما أنّ هذه الفريضة، بجانب شمولها على مجالات مختلفة كالعبادات والمعاملات ...، تتضمّن مصاديق جزئيّة أيضًا كالصلاة والصوم والإنفاق على الفقراء والإنصاف في المعاملات وآداب العيش، فضلًا عن مصاديق كليّة؛ كإدارة المجتمع وصنع السياسات والتخطيط والدفاع عن النظام الإسلامي.

وفي الواقع أنّ دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التعاليم الدينيّة هو دور المحرّك الذي يبعث الحياة على جميع أحكام الدين ويوفّر أرضيّة للعمل بها كلّها؛ ولهذا السبب تعتبر مكانتها أعلى وأهمّ بكثير من كلّ الأعمال الصالحة في الإسلام.

١. الطوسي، الاقتصاد: ١٤٧؛ العاملي، الشهيد الثاني: ١/ ٢٢٤.
٢. الحلي، ابن إدريس: ٢/ ٢١.
٣. النجفي، كاشف الغطاء: ٤/ ٤٢٦.
٤. انظر: العراقي: ٤/ ٤٤٤.
٥. انظر: الخرازي، السيد محسن، دلايل عقلى و نقلى وجوب امر به معروف و نهى از منكر، مجلة حكومت اسلامى، العدد ٢٣.

**شرط عدم المفسدة والضرر**

ومع كلّ أهمّيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام، إلّا أنّه ليس واجبًا مطلقًا بلا قيود وشروط، فقد وضع الفقهاء شروطًا لتحقّق هذا الواجب بناءً على تعاليم الدين: (تحديد المعروف والمنكر) و(احتمال التأثير)، و(الإصرار على المعصية) و(عدم المفسدة والضرر).

وكما يلاحَظ، فقد ذكر الفقهاء فقدان المفسدة كأحد شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّ عدم المفسدة في اصطلاح الفقهاء، هو عدم توجّه ضررٍ نفسيّ أو ماليّ أو عِرضيّ على الآمر والناهي أو لغيره، ومن الطبيعي إذا كان تشريع هذا الواجب أساسًا لمنع المفاسد والمنكرات تجاه الفرد أو المجتمع، فلا يُعقل أنّه يكون موجبًا للضرر أو المفسدة. فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسبّب ضررًا أو مفسدة، فيتوقّف ويسقط وجوبه؛ فقد أشار الشيخ الطوسي رحمه الله إلى هذا الشرط في كتاب "*النهاية*" بما يلي:

> **والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجبان بالقلب واللسان واليد إذا تمكّن المكلف من ذلك، وعلم أنّه لا يؤدّي إلى ضرر عليه ولا على أحد من المؤمنين، لا في الحال ولا في مستقبل الأوقات أو ظنّ ذلك، فإنّ علم الضرر في ذلك إمّا عليه أو على غيره إمّا في الحال أو في مستقبل الأوقات أو غلب على ظنّه لم يجب عليه من هذه الأنواع إلّا ما يأمن معه الضرر على كلّ حال.**[1]

وقال صاحب "*الجواهر*" رحمه الله في هذا الشأن:

> **ألّا يكون فى الإنكار مفسدة، فلو علم أو ظنّ توجّه الضرر إليه أو إلى ماله أو إلى عرضه أو إلى أحد من المسلمين فى الحال أو المآل، سقط الوجوب بلا خلاف أجده فيه، كما اعترف به بعضهم.**[2]

وقد وافق الإمام الخميني رحمه الله أيضًا على هذه الشروط قائلًا:

---

١. الطوسي، النهاية: ٢٩٩.

٢. النجفي، جواهر الكلام: ٢١/ ٣٧١.

**ألّا يكون في إنكاره مفسدة؛ لو علم أو ظنّ أنّ إنكاره موجبٌ لتوجّه ضرر نفسيّ أو عِرضي أو مالي يُعتدّ به عليه، أو على أحد متعلّقيه كأقربائه وأصحابه وملازميه، فلا يجب ويسقط عنه، بل وكذا لو خاف ذلك لاحتمال معتدّ به عند العقلاء. والظاهر إلحاق سائر المؤمنين بهم أيضًا.**[1]

وقد وافق سائر الفقهاء على هذا الشرط (أي عدم وجود الضرر) كما أشار صاحب "*الجواهر*"، وهذا الشرط متّفق عليه بين فقهاء الشيعة.

## تحليل الشرط

وكما سبق القول إنَّ إناطة الفقهاء وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشرط المذكور، مبني على الأدلّة الشرعيّة، كما يعتبر ذلك في عرف العقلاء أمرًا معقولًا ومقبولًا؛ إذ لو كان الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر يعرض حياة مؤمنٍ للخطر أو يلحق به الضرر أو بأقربائه أو يمسّ من كرامته، فعندئذٍ يرفضه الطبع السليم (قبل الشرع)؛ لذلك فإنّ اشتراط عدم الضرر في تحقّق واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أمرٌ عقليٌّ، ولكن لا يمكن إنكار أنّ هذا الشرط سيؤدّي إلى خروج المرتبة العالية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي القيام ضدّ الحاكم غير المشروع والحدّ من ظلم الطغاة والظالمين من نطاق شمول هذه الفريضة، فلا يجوز عندئذٍ القيام بها نظرًا للضرر المتوجّه نحو الآمر والناهي أو سائر الناس؛ لأنّه ليس من المعقول أن يكون الحاكم جائرًا وظالمًا وهناك من يخرج للإطاحة بحكمه، ومع ذلك لا يتوجّه ضرر إليه أو إلى غيره، وأنّ الحكومات المستبّدة والظالمة أساسًا لا تستمرّ في بقائها إلّا من خلال سدّ منافذ النصح والنقد والاحتجاج وقمع المعارضين، ولو كانت هي تسمح باعتراض المخالفين والمنتقدين لَما كانت حكوماتهم تتحوّل إلى الاستبداد، أو كانت قد أصلحت نفسها فعلًا بقبول النصح من الناقدين المشفقين؛ لهذا فإنّ تاريخ نضال المصلحين ضدّ

١. الخميني، تحرير الوسيلة: ١/ ٤٧٢.

ظلم الجبابرة والقاسطين، يُشير إلى أنّه لا تأثير للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة لهم، ومَن قام بهذا الواجب فقد عرض نفسه أو ماله أو عِرضَه للخطر.

**السؤال الأساس**

إنّ السؤال المطروح هنا هو: إذا كان عدم المفسدة والضرر من الشروط المهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكيف جاز لسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، أن يخرج ضدّ طاغية عصره مع كلّ الأخطار المتوقّعة؛ وذلك تحت شعار (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)؟![1] ألا نقول بأنّ الإمام عليه السلام كان يعرف بشهادته، بل شهادة أولاده وسبي أهله في هذا السبيل؟[2] أفهناك ضررٌ أكبر من هذا؟ ألم يكن واجبًا عليه أن يلاحظ شرط عدم الضرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يتصالح مع العدوّ كما فعل أخوه الشهيد الإمام الحسن عليه السلام؟ فهل أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام تتوافق مع المعايير الفقهيّة المعروفة، أم أن هناك سرًّا آخر في المسألة؟

**آراء الفقهاء**

لطالما واجه فقهاء الشيعة، الذين يعتبرون سيرة الأئمّة المعصومين عليهم السلام أحد مصادر استنباط الأحكام الفقهيّة، مشكلةً في الإجابة على السؤال أعلاه، وسعيًا منهم للردّ عليه ظهرت خمس نظريات هي:

**الأولى: عدم جزم الإمام الحسين عليه السلام باستشهاده**

إنّ أمين الإسلام الطبرسي رحمه الله، صاحب تفسير "*مجمع البيان*"، هو أوّل فقيه شيعي قد طرح هذ الموضوع. مع أنّ الطبرسي قد اشتهر بتفسيره، إلّا أن تحليله الفقهي يدلّ على

١. المجلسي: ٤٤/ ٣٢٩.
٢. المصدر نفسه: ٤٤/ ٣٦٤.

براعته في الفقه أيضًا؛ ومن جملة تحليله الفقهي هو ما أورد ذيل الآية الكريمة ﴿ولا تُلْقُوا بِأَيْديكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؛ فيقول:

**في هذه الآيه دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف؛ لأنّ في ذلك إلقاء النفس إلى التهلكة، وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاه إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين، كما فعله رسول‌الله صلى الله عليه وآله عام الحديبيّة، وفعله أمير المومنين عليه السلام بصفين، وفعله الحسن عليه السلام مع معاوية من المصالحة لمّا تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته، فإن عورضنا بأنّ الحسين عليه السلام قاتل وحده، فالجواب أن فعله يحتمل وجهين: أحدهما أنّه ظنّ أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول‌الله صلى الله عليه وآله...**

وفيما يلي ملخص رأي صاحب تفسير "*مجمع البيان*":

- كلّ عملٍ يعرّض النفس للخطر فهو محرَّم.
- يجوز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حالة الخوف واحتمال الخطر؛ لكونها من مصاديق "الوقوع في التهلكة".
- يجوز للإمام الصلح مع البغاة والكفار في حالة الخوف على نفسه أو المسلمين.[١]
- لم يكن الإمام الحسين عليه السلام خائفًا على نفسه؛ لأنّه ظنّ أنّ القوم لا يقتلونه لمكانه ونسبته من رسول الله صلى الله عليه وآله.
- لو كان الإمام الحسين عليه السلام يخشى القتل، لالتزمَ بشرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما فعل جدّه صلى الله عليه وآله في الحديبية، وأمير المؤمنين عليه السلام في صفين، والإمام الحسن عليه السلام تجاه معاوية، وسائر المؤمنين، لكن لأنّه كان يظن بعدم وجود ضرر على نفسه، فلم يشعر بحاجة للعمل بالشروط الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إلا أن هذا الاحتمال الذى طرحه المرحوم الطبرسي لا يمكن قبوله بالنظر إلى

١. انظر: مرتضوي، ص٢٦.

المعتقدات السائدة لدى الشيعة في باب علم الإمام عليه السلام؛ كما أنّه يتعارض مع قول الإمام الحسين عليه السلام، المبني على علمه بقتله، فلا يمكن قبوله.

**الثانية: لم يكن أمام سيد الشهداء عليه السلام خيارٌ سوى القيام**

الاحتمال الآخر للمرحوم الطبرسي هو أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن أمامه خيار سوى مواجهة العدو، لأنّه كان يعلم أنّه سيُقتل على أيّة حال، ولذلك آثرَ الشهادة، بقوله: «والآخَر أنه غلب على ظنّه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبرًا، كما فعل بابن عمّه مسلم، فكان القتل مع عزّ النفس والجهاد أهون عليه».

وقد وافق صاحب الجواهر أيضًا على هذا الاحتمال قائلًا:

> **وما وقع من الحسين عليه السلام .. يمكن أن يكون لانحصار الطريق فى ذلك، علمًا منه عليه السلام أنهم عازمون على قتله على كل حال، كما هو الظاهر من أفعالهم وأحوالهم وكفرهم وعنادهم، ولعلّ النفر العشرة [وإرسالهم من قبل النبي صلى الله عليه وآله للقتال مع قبيلة هُذيل] كذلك أيضًا.**[1]

وهذا كما ذكره المحقق الكركي قدس سره في كتابه "*جامع المقاصد*" أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن أمامه خيار سوى محاربة العدو، نظرًا للظروف المحيطة به.[2]

وعلى الرغم من أنّ هذا الاحتمال يتطلّب مزيدًا من البحث التاريخي، إلّا أنّه يتعارض على ما يبدو مع بعض أقوال الأعداء الذين شجّعوا الإمام عليه السلام على العودة إلى المدينة،[3] وكذلك أقوال الإمام عليه السلام واشتياقه لهذه الرحلة واحتضانه للشهادة[4] وعلمه بها.[5]

---

١. المجلسي: ٤٤/٣١٥.
٢. الكركي: ٣/٤٦٧.
٣. المصدر نفسه : ٤٤/٣١٤.
٤. المصدر نفسه : ٤٤/٣٦٤.
٥. المصدر نفسه : ٤٤/٣٣٠.

**الثالثة: الصلح مع العدو جائز لا واجب**

ويرى العلّامة الحليّ قدس سره بوصفه ركنًا من أركان الفقه الشيعي أنَّ الصلح مع العدوّ ليس واجبًا [بل هو جائز]، ويقول ما نصّه:

> **الهدنة ليست بواجبة على كلّ تقدير، سواءً كان بالمسلمين قوّه أو ضعف، لكنّها جائزة؛ لقوله تعالى:** ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾،[١] **وللآيات المتقدّمة، يتخير المسلم في فعل ذلك برخصة ما تقدّم، وبقوله تعالى:** ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.[٢] **وإن شاء قاتلَ حتّى يَلقى الله شهيدًا؛ عملًا بقوله تعالى:** ﴿وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ﴾[٣] **وبقوله تعالى:** ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾،[٤] **وكذلك فعل سيّدنا الحسين عليه السلام [على الطريقة الثانية]، والنفر الذين وجّههم النبي صلى الله عليه وآله إلى هذيل، وكانوا عشرة فقاتلوا مائة حتّى قتلوا ولم يفلت منهم أحد إلّا خبيب، فإنّه أُسر وقتل بمكّة؛ و[لكن في المقابل] هادن رسول الله صلى الله عليه وآله يهود يثرب عند ابتداء هجرته.**[٥]

وقد نقل الشهيد الثاني قدس سره، في كتابه "*المسالك*"[٦] كلام العلّامة من كتاب "*التذكرة*"، لكنّه مرّ عليه من دون أيّ تعليق، وهو ما يدلّ ظاهرًا على تأييد رأي العلّامة.

والمستفاد من هذه النظرية في محل البحث أنّه في المراتب العالية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لما فيه من أخطار، ويجوز لكلّ مسلمٍ اختيار أحد الطريقين: إمّا الصلح وترك القتال وإمّا الجهاد والشهادة. فلا فرق من هذه الحيثيّة بين الإمام المعصوم عليه السلام وسائر المؤمنين، وقد وقع الإمام الحسين عليه السلام بين خيارين: الشهادة والصلح [وعلى حدّ تعبيره: بين السلّة والذلّة] وقد اختار الشهادة، كما يُخيَّر فيه كلُّ آمرٍ بالمعروف وناهٍ عن المنكر.

---

١. البقرة: ١٩٥.
٢. البقرة : ١٩٠.
٣. الأنفال: ٦١.
٤. التوبة: ١٢٣.
٥. الحلي؛ منتهى المطلب: ١٢١/١٥؛ وانظر: تذكره الفقهاء: ٣٥٨/٩.
٦. الشهيد الثاني: ٨٢/٣.

ويمكن قبول رأي العلامة في الموضوع، على أنّ أثر شرط عدم الضرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند وجود الضرر، هو مجرد إسقاط الوجوب، لا حرمة العمل، أي: إذا لم يكن هناك ضرر، وجب على المسلم أن ينهى عن المنكر، وأمّا إذا كان هناك ضرر فيسقط الوجوب، ويبقى أصل الإباحة، وللآمر والناهي أن يختار بين القتال والصلح، إلّا أنّ بعض الفقهاء ذهبوا إلى حرمة القتال فيما إذا كان هناك ضرر عليه أو على غيره، كما يقتضيه ظاهر الآية الكريمة: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، وكذلك ظاهر الروايات في هذا الباب، من قبيل قول الإمام الصادق عليه السلام:

**مَنْ تَعَرَّضَ لِسُلْطَانٍ جَائِرٍ فَأَصَابَتْهُ بَلِيَّةٌ لَمْ يُؤْجَرْ عَلَيْهَا وَلَمْ يُرْزَقِ الصَّبْرَ عَلَيْهَا.**[1]

وظاهر فتوى الفقهاء الذين أسقطوا وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مظانّ الضرر، أنّ المؤمن إذا عمل بدون مبالاة بالضرر، فقد ارتكب فعلًا محرَّمًا. وقد صرح به الإمام الخميني قدس سره بقوله: «لو خاف على نفسه أو عرضه أو نفوس المومنين وعرضهم حرم الإنكار».[2]

وعليه، فإنّ رأي العلّامة الحلّي قدس سره لا يتلقّى القبول من جانب هذه الطائفة من الفقهاء الأعلام.

**الرابعة: كون حركة الإمام الحسين عليه السلام من الأسرار الإلهيّة**

إنَّ صاحب الجواهر، بوصفه مؤسّس الفقه الشيعي المعاصر، يقدم احتمالًا آخر على أنّ حركة الإمام عليه السلام كانت من الأسرار الإلهيّة ومن خصائصه الغيبية، والتي لا يمكن توجيهها بالموازين الفقهيّة الشائعة، وفيما يلي نصّ كلامه:

**وما وقع من الحسين عليه السلام مع أنّه من الأسرار الربّانيّة والعلم المخزون .. على أنّه له**

١. الكليني: ٥/٥١.
٢. الخميني، تحرير الوسيلة: ١/٤٧٢.

**تكليفٌ خاصٌّ قد قدم عليه وبادر إلى إجابته، ومعصوم من الخطأ لا يُعترض على فعله ولا قوله، فلا يقاس عليه من كان تكليفه ظاهر الأدلة والأخذ بعمومها وإطلاقها مرجِّحًا بينها بالمرجّحات الظنّيّة التى لا ريب في كونها هنا على القول بالوجوب [أي الصلح مع العدو] ...**

فوفقًا لهذا الاحتمال، فإنّ صاحب الجواهر، من خلال وضع سلوك الإمام الحسين عليه السلام في دائرة الأسرار الغامضة، يخرجه أساسًا من نطاق تكاليف المؤمنين التي تخضع للأدلّة الشرعيّة، أي إذا وضع الفقهاء شروطًا في مبحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالاستناد إلى المعايير الفقهيّة الظاهرة والأخذ بعمومات الأدلّة وإطلاقاتها التي لا تشمل فعل الإمام عليه السلام؛ لذلك فإنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام لا تصلح أن تكون نموذجًا يحتذي به الناس العادّيون، إذ قام الإمام الحسين عليه السلام بالواجب الخاصّ به، وعلى سائر المؤمنين أن يقوموا بواجبهم العامّ.

الإشكال على هذا الاحتمال هو إظهار فعل الإمام عليه السلام كعملٍ غامضٍ وغير قابل للاتباع من قبل المؤمنين، بينما أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو إمام معصوم، ووفقًا للأدلّة الفقهيّة المُتقنة، فإنّ قوله وفعله وتقريره حجّة، وثانيًا، قول الإمام عليه السلام المدوّي في آذان التاريخ: «يَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ الْخَمْرِ قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَهِ مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ»،[1] ومعيار عدم البيعة لمثل هذا الرجل، الذي كان مصدر قيام الإمام الحسين عليه السلام، موجودٌ في جميع الأنظمة القمعيّة والاستبداديّة، وبناءً على المنطق الديني، فلا يمكن أن يقتصر على الإمام الحسين عليه السلام فقط.

**الخامسة: سقوط شرط عدم الضرر مع أهمّيّة الوجوب**

يقوم أساس هذه النظريّة على أنّ شرط عدم الضرر والمفسدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن تكون أهمّيّة واجبٍ ما أقل أو مساوية للضرر الذي يلحق

١. خكتم: ٣٢٥/٤٤.

بالآمر والناهي أو لمن حوله؛ لأنّه لا يُعقل أن يضحّي المؤمنُ بحياته الغالية أو عِرضه المحترم في أمرٍ واجبٍ أو محرَّم ليس له مكانة مهمة في منظومة التعاليم الدينيّة، ويحصل على فائدة قليلة مقابل الثمن الباهظ، ولكن إذا كان أمرًا واجبًا أو محرّمًا أكثر أهمّيّة – وفقًا للشريعة – من ذاك الضرر، أو إذا كانت أصل الدين والشريعة وأركان الإيمان في خطر، فمن الطبيعي أن التضحية بالمال والنفس والعِرض حينئذٍ ليست مسموح بها فقط بل هي واجبة شرعًا.

وأوّل فقيهٍ قد انتبه إلى هذا الأمر هو الميرزا القمي رحمه الله في كتابه "*جامع الشتات*"؛ حيث تناول أصل لزوم تقديم الأهمّ على المهمّ فيما يتعلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،[1] وقد تناول أيضًا صاحب الرياض هذه المسألة، من خلال نقد رأى العلامة الحلّي؛ حيث اعتبر ما قام به الإمام الحسين عليه السلام واجبًا لإنقاذ أصل المذهب، بقوله:

> **لا ريب أنّ في شهادته إحياءً لدين الله قطعًا، لاعتراض الشيعة على أخيه الحسن في صلحه مع معاوية، ولو صالح عليه السلام هو أيضًا لفسدت الشيعة بالكلّيّة، ولتقوّى سائر المذاهب، وأيّ مصلحةٍ أعظم من هذا، وأيّ مفسدة أعظم من خلافه؟ كما لا يخفى.**[2]

كما أجاز آية الله محمد حسن النجفي صاحب كتاب "*الجواهر*" قيام الإمام الحسين عليه السلام لطلب الشهادة قائلًا:

> **وما وقع من الحسين عليه السلام مع أنه من الأسرار الربّانيّة والعلم المخزون، يمكن أن يكون لانحصار الطريق في ذلك .. مضافًا إلى ما ترتّب عليه من حفظ دين جدّه صلى الله عليه وآله وشريعته وبيان كفرهم لدى المخالف والموالف.**

## نظريّة الإمام الخميني رحمه الله

أمّا الإمام الخميني رحمه الله فهو الفقيه الوحيد من بين فقهاء الشيعة، الذي بالإضافة إلى

---

١. انظر: الميرزا القمي: ٤٢١/١.

٢. صاحب رياض: ٦٤/٨ (بشيء يسير من التصرف).

شرحه وتفسيره للرأي الأخير وطرحه في مقياس النظريّة، عمل به أيضًا في الساحتين: السياسيّة والاجتماعيّة، وقد خرج ضدّ طواغيت عصره رغم المخاطر الجسيمة التي وُجّهت إليه، هو وعائلته وأصحابه وأتباعه، بل وأضفى الطابع المؤسّسي على هذه النظريّة بين الرجال الأحرار والذين يناضلون ضدّ الظلم والاستبداد. ويقول ما نصه:

**لو كان المعروف والمنكر من الأمور التي يهتم به الشارع الأقدس لحفظ نفوس قبيلة من المسلمين وهتك نواميسهم أو محو آثار الاسلام ومحو حجته بما يوجب ضلالة المسلمين أو إمحاء بعض شعائر الإسلام كبيت الله الحرام بحيث يمحى آثاره ومحلّه وأمثال ذلك، لا بدّ من ملاحظه الأهمّيّة، ولا يكون مطلق الضرر - ولو النفسي - أو الحرج موجبًا لرفع التكليف، فلو توقّفت إقامة حجج الإسلام بما يرفع بها الضلالة على بذل النفس أو النفوس، فالظاهر وجوبه فضلًا عن الوقوع في ضرر أو حرج دونها.**[1]

وبناءً على رأي الإمام الخميني قدس سره، فإنّه حتّى لو وقعت في الإسلام بدعة وكان سكوت العلماء ورجال الدين موجبًا لهتك الإسلام وإضعاف عقائد المسلمين، يجب عليهم رفضها بأيّ وسيلة ممكنة، سواء أكان رفضهم مؤثرًا في القضاء على الفساد أم لا، ويشتدّ الوجوب إذا كان سكوتهم عن رفض المنكر سببًا في ذلك، ولا عبرة عنده للضرر أو الحرج، بل العبرة للأهمّيّة، وفوق ذلك، إذا كان في سكوت العلماء ورجال الدين خوفٌ من أن يصبح المعروف منكرًا أو المنكر معروفًا، فوجب عليهم إنكاره علنًا، ولا يجوز السكوت حتّى لو علموا أنّه لا تأثير لإنكارهم في ترك فعل المنكر، ولا يُعتدّ بالضرر والحرج حيث كان فيه الحكم من مسائل ذات أهمّيّة جسيمة عند الشارع المقدّس.

ويرى الإمام قدس سره أنّ سكوت العلماء ورجال الدين إذا كان في اتجاه تقوية الظالم وتأييده، حرم عليهم السكوت، ووجب عليهم الإظهار، ولو لم يكن ذلك ناجعًا في رفع الظلم، وإذا كان سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب يشجّع الظالمين على ارتكاب بقيّة المحرّمات وخلق البدع، حرم عليهم السكوت ووجب عليهم الإنكار ولو لم يكن له أيّ تأثير في

١. الخميني، تحرير الوسيلة: ٤٠٦/١.

منع المنكر؛ وكذلك إذا كان سكوت رجال الدين وزعماء المذهب يتسبّب في وقوعهم في معرض التهمة وهتك حرمتهم، ونسبهم إلى شيء غير صحيح، كأن يُعتبروا عملاء للظالمين، وجب عليهم الإنكار لإزالة العار عن ساحتهم، ولو لم ينجع في رفع الظلم.[١]

فوفقًا لرأي الإمام الخميني قدس سره، ما كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام إلّا لأداء هذا الواجب الفقهي، فكان هو على علمٍ بأنّه يجب أن يضحّي بنفسه وأهله؛ إذ كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقتضي إنقاذ جوهرة الدين من أيدي دولة الأشرار واستبدالها بدولة الصالحين؛ حيث قال:

> **إنَّ سيد الشهداء عليه السلام قد لقّن الجميع درسًا في الوقوف ضدّ الظلم، وضد الجور، وضد الحكومات الفاسدة، على الرغم من أنّه كان يعلم منذ البداية أنّه يسير في طريقٍ كان عليه أن يضحّي فيه بجميع أصحابه وعائلته وأحبّائه من أجل الإسلام، نعم كان يعرف عاقبة أمره ...**[٢]

> **إنَّ سيد الشهداء عليه السلام قد كرّس حياته كلّها في القضاء على الشرّ ومنع الظلم والفساد الذي أوجدته الحكومات في العالم.. قضى حياته كلّها في هذا السبيل.. فقد قضى على حكم الجور وأطاح به.. ودعا للمعروف ونهى عن المنكر.. وافتدى بروحه وحيثيّته وحياة أولاده وأهله، مع علمه بأنّ القضيّة ستنتهي على هذا النحو.. وليس كما يقول البعض إنّه جاء ليرى كيف ستجري الأمور، بل كان يريد تولي الحكم أيضًا.. في الواقع كان قد أتى لأجل هذا الهدف، وهذا مدعاة للفخر.**[٣]

فإنَّ مبنى الإمام الخميني قدس سره في هذه النظريّة هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان فردًا قد وقع بين مصلحته الشخصيّة ومصلحة المجتمع، وإذا وقع الأمر بين مصلحة الفرد والمجتمع، فلا بدّ من التضحية بالفرد:

> **جميع الأنبياء جاؤوا لإصلاح المجتمع، كلهم بدون استثناء. والكلّ يمشون على مبدأ التضحية بالفرد من أجل المجتمع. وبغض النظر عن مدى عظمة الشخص - ولو كان**

١. انظر: المصدر نفسه.
٢. الخميني، صحيفه امام: ٥٢/١٧.
٣. المصدر نفسه: ٢/٢١-٣.

**أفضل الناس في العالم - فعندما يتعارض مصالحه مع مصالح المجتمع، يجب تقديم مصالح المجتمع على الفرد. وقد افتدى سيد الشهداء على هذا المبدأ بنفسه وأهله وأنصاره، فيجب على الفرد أن يضحّي بنفسه من أجل إصلاح المجتمع، و﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.. ولا بدّ أن تتحقّق العدالة بين الناس وفي المجتمع.. كما ضحّى الإمام وأصحابه بحياتهم، وأنفقوا أموالهم، وعانوا أيما معاناة...**[١]

وعليه، فإنَّ حركة عاشوراء، خلافًا لبعض العلماء الذين يرون أنّه لا يمكن الاقتداء بها، هي أسوة يجب الاحتذاء بها في نظريّة الإمام الخميني قدس سره، كما قال سماحته:

**يجب أن نحتذي بها، يجب أن نقوم ضدّ الظلم؛ يجب على المسلمين أن يثوروا على الطغاة وضد الظلم والمنكرات.**[٢]

**أفليس هذا الأمر الإرشادي "كُلُّ يَومٍ عاشُورا وكُلُّ اَرضٍ كَربَلاء" يدلُّ على وجوب اقتداء الأمّة الإسلاميّة بهذا المبدأ، أي القيام العامّ في كلّ يومٍ وفي كلّ أرض وفي كلّ مكانٍ، عاشوراء هي ثورة الطالبين للعدالة بعدد قليلٍ وإيمانٍ كبير وحبٍّ عظيمٍ، في وجه الظالمين المتربّعين على القصور والمترفين المستكبرين؛ وقد أُمرنا باتّباع هذا المبدأ في حياتنا؛ في كلّ يوم وفي كل أرض...**[٣]

وفيما يلي ملخّص نظريّة الإمام الخميني قدس سره في تقييم مدى تناسب شرط "عدم الضرر" في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع "حركة الإمام الحسين"، خلال أربعة محاور:

١- كانت حركة الإمام عليه السلام حركة سياسيّة مدروسة بالكامل نحو إقامة حكومة إسلاميّة باعتبارها تكليفًا شرعيًّا.

٢ – لم يكن علم الإمام عليه السلام بالشهادة، مانعًا دون الحركة، إذ قام الإمام عليه السلام بالدافع المذكور رغم أنّه يعلم بشهادته وعاقبة أمره.

٣- لا يجوز إهمال مصالح الإسلام السامية والخطيرة بأيّ حالٍ من الأحوال، وليس

١. المصدر نفسه: ٢١٧/١٥.
٢. المصدر نفسه: ٣/٢١.
٣. المصدر نفسه: ٤٤٥/٩.

العسر والحرج والضرر موجبًا لرفع تكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما يجب قبول الضرر والخسارة في مثل هذه الأمور، وهذا واجبٌ شرعيٌّ.

٤- هذه الحركة وقيام الإمام عليه السلام نموذج يمكن الاحتذاء به تمامًا من قبل المسلمين كافّةً إلى الأبد.[١]



١. انظر: مرتضوى، المصدر نفسه.

## مصادر البحث


١. الحلّي، ابن إدريس، محمد بن منصور بن أحمد، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، ٣ مجلدات، مكتب الانتشارات الإسلامية التابع لجامعة المدرسين للحوزة العلمية بقم، إيران، ط ٢، ١٤١٠ ه ق

٢. الحلّي، العلّامة، حسن بن يوسف بن مطهر الأسدي، تذكره الفقهاء (ط - الحديثه)، ١٤ جلد، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم - إيران، ط١، بدون تاريخ

٣. الحلّي، العلامة، حسن بن يوسف بن مطهر الأسدي، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، ١٥ مجلدا، مجمع البحوث الإسلاميه، مشهد - إيران، ط١، ١٤١٢ ه ق

٤. الخرازي، السيد محسن، دلايل عقلى و نقلى وجوب امر به معروف و نهى از منكر، مجلة حكومت اسلامى، العدد ٢٣.

٥. الخميني، السيد روح‌الله الموسوي، تحرير الوسيلة، ٢ جلد، مؤسسة مطبوعات‌دار العلم، قم - إيران، ط١.

٦. الخميني، السيد روح‌الله الموسوي، صحيفة الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، طهران، ١٣٧٨ ش.

٧. شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة (للصبحي صالح)، مجلد واحد، هجرت - قم، ط١، ١٤١٤ ق.

٨. الطباطبائي الحائري (صاحب الرياض)، السيد على بن محمد، رياض المسائل (ط - الحديثه)، ١٦ جلد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم - إيران، ط١، ١٤١٨ ه ق

٩. الطوسي، أبو جعفر، محمد بن حسن، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد (للشيخ الطوسي)، مجلد واحد، انتشارات مكتبة جامع چهل‌ستون، طهران - إيران، ط١، ١٣٧٥ ه ق

١٠. الطوسي، أبو جعفر، محمد بن حسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، مجلد واحد، دارالكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٠ه ق

١١. العاملي، الحرّ، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، ٣٠ مجلدًا، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم - إيران، ط١، ١٤٠٩ ه ق.

١٢. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية (المحشّي - سلطان العلماء)، مجلدان، منشورات مكتب التبليغات الإسلامية للحوزه العلميه بقم، إيران، ط١، ١٤١٢ ه ق.

١٣. الكركي، المحقق الثاني، علي بن حسين، جامع المقاصد في شرح القواعد، ١٣ مجلدا، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم - إيران، ط٢، ١٤١٤ ه ق

١٤. العراقي، الآغا ضياء الدين، على كزازي، شرح تبصره المتعلمين (للآغا ضياء)، ٥ مجلدات، مكتب

الإعلام الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران، ط١، ١٤١٤ هـ ق
١٥. الكليني، أبو جعفر، محمد بن يعقوب، الكافي (ط - الاسلاميه)، ٨ مجلدات، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط٤، ١٤٠٧ هـ ق
١٦. الجيلاني، الميرزا القمّي، أبو القاسم بن محمد حسن، جامع الشتات في أجوبة السؤالات (للميرزا القمي)، ٤ مجلدات، مؤسسة كيهان، طهران - إيران، ط١، ١٤١٣ هـ ق
١٧. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار (ط- بيروت)، مجموعة من المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠٣ ق
١٨. مرتضوي، سيد ضياء، عاشورا در فقه، منشورات مكتب الإعلام الإسلامى للحوزة العلمية، قم، ١٣٧٧ ش.
١٩. النجفي، صاحب الجواهر، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ٤٣ مجلدًا، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، هفتم، ١٤٠٤ هـ ق
٢٠. النجفي، كاشف الغطاء، جعفر بن خضر المالكي، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء (ط - الحديثه)، ٤ مجلدات، منشورات مكتب الإعلام الإسلامى للحوزة العلمية، قم، إيران، ط١، ١٤٢٢ هق.

# القراءة السياسية لحركة عاشوراء من منظار الإمام الخميني قدس سره

السيد آصف كاظمي[1]

**خلاصة البحث**

هناك العديد من الدراسات والأبحاث حول حركة الإمام الحسين عليه السلام وخروجه، ومن أهمّ القضايا المتعلّقة بهذه الحركة هو ماهيّة الهدف من ورائها، وبالتأكيد كانت أهداف ذلك الإمام الهمام في الوقوف ضدّ الحكومة الجائرة هي إحقاق الحقّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل، وإحياء السنّة، وما إلى ذلك، ولكن هل كان خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة ومن هناك إلى الكوفة لغرض إقامة الدولة وتأسيس الحكومة، أو أنّه أراد الشهادة في سبيل الله؟

إنَّ تحقّق الثورة الإسلاميّة وتأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخميني قدس سره في القرن الرابع عشر في امتداد حركة عاشوراء التاريخيّة والمؤثّرة، هي من نتائج ومعطيات تلك الحركة الإلهيّة المباركة.

يعتبر الإمام الخميني قدس سره - وهو عالم فذّ - حركة الإمام الحسين عليه السلام القوّة الدافعة للثورة الإسلاميّة الإيرانيّة وسرّ انتصارها، لديه تحليلات ودراسات عميقة في هذا

---

١. قسم التاريخ المعاصر للعالم الإسلاميّ، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، كابل، أفغانستان. البريد الإلكتروني: Kazemi.asaf@ yahoo.com.

المجال. فهو بالنسبة إلى حركة الإمام الحسين عليه السلام يؤمن بنظريّة الحكم ويعتقد أن توجهه عليه السلام نحو الكوفة كان لإقامة دولة الحقّ.

**المفردات الرئيسة**: الإمام الحسين عليه السلام، حركة عاشوراء، الإمام الخميني قدس سره، الحكم، النهضة، الكوفة.

**مقدّمة**

إنّ حركة عاشوراء، مقارنةً بغيرها من الأحداث، قد تحقّقت خلال فترة وجيزة، لكنّها تركت تأثيرًا بالغًا على المستوى الاجتماعيّ والثقافيّ والتاريخيّ وما إلى ذلك، كما حدث في ضوء قيام عاشوراء حركات وانتفاضات شيعيّة وزيديّة وإسماعيليّة كثيرة أخرى.

ولسوء الحظ، لم يتمّ الاهتمام بواقعة عاشوراء إلّا من حيث وقوع الظلم على أهل البيت عليهم السلام، الذي هو بُعد ظاهريّ فقط، ولكن جوانبها الأخرى ككونها ملحمة وشعاراتها ومُثلها فلم تتلقَّ العناية الكافية أبدًا. وقد كانت للإمام الخميني قدس سره نظرة خاصّة إلى البعد السياسيّ لحركة الإمام الحسين عليه السلام، وقد تناول في آثاره هذا الجانب المهمّ والأقلّ شهرةً من الجوانب الأخرى للحركة، وقد خصّب هذا النوع من التفكير بتأليفه الكتاب القيم *"الحكومة الإسلاميّة"*، وأخيرًا أوصلها إلى مرحلة العمل بانتصار الثورة الإسلاميّة، وكانت حركة عاشوراء وثقافتها حاضرة في جميع هذه المراحل، بل ومن وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره، كانت عاشوراء على رأس القضايا السياسية.[١]

وقد أعرب الملايين عن أسفهم حول حقيقة أنّه «ما أكثر الشيعة بكاءً على عاشوراء وأقلّ تفكيرًا في قضاياها» و«ما أحسن الشيعة حفظًا لعاشوراء وما أسوء بها ترويجًا لها»،[٢] و«من المؤسف جدًّا أنّ عاشوراء لا تزال غير معروفة كما هو حقّه، فقد أبداها الصديق بشكل، وغطّاها العدوّ بشكلٍ آخر»،[٣] فقد سدّ الإمام الخميني قدس سره الطريقَ أمام أكثر الدراسات والتحليلات حول حركة الإمام الحسين عليه السلام وفلسفتها وتأثيراتها والتي توحي إلى إشكالات في حركة الإمام الحسين عليه السلام، فزرع بذلك اليأس في قلوب الأعداء.

تسعى هذه المقالة من خلال نهج المكتبة، إلى إثبات أنّ الإمام الخميني عليه السلام يَعتبر أن الغرض

١. الخميني، صحيفة الإمام: ١٧٧/١٨ .
٢. حكيمي: ٧٨؛ شريعتي: ١٥٩.
٣. حكيمي: ٩١.

من خروج الإمام الحسين عليه السلام نحو الكوفة هو تشكيل الحكومة في الكوفة وليس الشهادة في كربلاء، وهي نُظّمت خلال ثلاثة أجزاء: أدلّة نظريّة الحكم، والإيرادات، والردود.

**نظريّة الشهادة**

ومن أهمّ النظريّات حول هدف الإمام الحسين عليه السلام من القيام، نظريّتان تجتذبان الاهتمام أكثر من غيرهما: الأولى هي نظريّة الحكم. والأخرى نظريّة الشهادة.

**النظريّة الأُولى**: إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قام لتشكيل الحكومة الإسلاميّة على نهج جدّه وأبيه؛ لكي يتيسّر بها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويطوي بساط الظلم والفساد، ويعتبر أتباع هذه النظريّة بأنّ الشهادة نوعٌ من الجهاد، وهو جهادُ من ليس له سلاح، سعيًا منه للإطاحة بالظالم عبر التضحية بروحه ودمه، ويهدف إلى سلب الشرعيّة من العدو؛ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام طلبًا للشهادة في كربلاء، قد ودّع حرم جده صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة ليرتوي الاسلام بدمه، وتنصب به قامة الدين المنحنية.

إنّ نظريّة الشهادة السياسيّة هي النظريّة الأشهر اليوم من بين النظريات الواردة حول هدف الإمام الحسين عليه السلام من الخروج نحو الكوفة، ونظريّة إقامة الحكم هي أقوى النظريات المعارضة لها.[1]

إنّ نظرية الشهادة السياسيّة هي أشهر تفسير لهدف الإمام الحسين عليه السلام من الخروج. واليوم يتمّ شرح هذه النظريّة ونشرها في الكتب والمحاضرات غالبًا،[2] وهذه النظريّة تستند إلى عدّة روايات، من جملتها هاتان الروايتان:

قال الإمام الصادق عليه السلام :

**إنّ الوصيّة نزلت من الله على محمّد صلى الله عليه وآله كتابًا، لم ينزل على محمّد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلّا**

١. إسفنديارى: ٥٩.

٢. المصدر نفسه: ٩١.

**الوصيّة؛ فقال جبرئيل: يا محمّد! هذه وصيّتك إلى أمّتك عند أهل بيتك؟ فقال: أيّ أهل بيتي يا جبرئيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريّته ليرثك علم النبوّة، كما ورثه إبراهيم وميراثه، لعليّ عليه السلام وذريّتك من صلبه. قال: وكان عليها خواتيم، ففتح علي عليه السلام الخاتم الأوّل ومضى لما فيها، ثمّ فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني، ومضى لما فيها، فلمّا توفّي الحسن عليه السلام ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث، فوجد فيه: أنْ قاتل وتقتل، واخرج بقوم إلى الشهادة لا شهادة لهم إلّا معك، ففعل.**[1]

وهناك رواية أُخرى:

**يا حُسَينُ، اُخرُج، فَإِنَّ الله قَد شاءَ أن يَراك قَتيلًا.**[2]

قال الشهيد مطهري قدس سره:

**وقدطلب الإمام عليه السلام الانصراف في عدّة أماكن، منها بعد لقائه مع الحُرّ، ومنها في كربلاء. فماذا يعني طلب الانصراف هذا؟ إنّما أراد أن يسجّل (التاريخ) دعوتَه، والإعلان عن مظلوميته، ورفضه لبيعة يزيد، ويكتب ذلك بدمه لكيلا يُمسح أبدًا.**[3]

وقال أيضًا:

**اللون الذي لا يُمحى في التاريخ وقضاياه التاريخيّة أبدًا، هو لون الدم الأحمر، وكان الحسين بن علي عليهما السلام ينوي كتابة تاريخه بهذا اللون الخالد، فكتب رسالته بدمه، فكان الحسين بن علي عليهما السلام يرسم يوم عاشوراء رسمًا بالدم؛ لأنّ هذا اللون هو أكثر ثباتًا من أيّ لون آخر في التاريخ، فكتب اسمه بالدم.**[4]

كما أنّ الدكتور "علي شريعتي" - ردًّا على أتباع نظريّة الحكم وفي معارضتها - يعتبر نظريّة الحكم ضدّ الحقائق التاريخيّة قائلًا:

**لكنّني أختلف معه في الرأي علميًّا، وهذا مع الأسف اختلاف جوهريّ في الرأي. إنّ**

١. الكليني، بحار الأنوار: ٣٦٩/٢.
٢. السيد بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ٦٥؛ المجلسي، بحار الأنوار: ٣٦٤/٤٤.
٣. المطهري، مرتضى، مجموعة آثار: ٥٣٦/١٧.
٤. المصدر نفسه: ٣٧٢.

**نظريّته هذه نظريّة معروفة؛ إذ يعتقد الكثيرون أنّ الحسين عليه السلام خرج من المدينة في حركة سياسيّة أو عسكريّة ضدّ الحكومة وضدّ النظام ومن ثمّ إسقاط النظام الحاكم ومن ثمّ إحقاق حقّه وحقّ الشعب من خلال الأخذ بزمام الأمور، هذه نظريّة مثاليّة، لكن لا تتوافق مع الواقع الخارجي للأسف[1].**

ثم يردف "شريعتي" قائلًا:

**لكن استشهاد الحسين هو مقتل رجل قام لكي يُقتل طوعًا.[2]**

**النظريّة الثانية**: هي تقوم على أنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد أن ينال فوزًا عظيمًا بالشهادة ويصل إلى مقربة معنويّة أعلى، فيمكن تحديد نقطة الاختلاف بين هاتين النظريّتين على النحو التالي: هل خرج الإمام إلى الكوفة بنيّة تشكيل الحكم، أو كان يعلم أنّه سيُقتل ومع ذلك اتّجه نحو كربلاء طلبًا للشهادة؟

فإذا قلنا بنظريّة الحكم، فإنّ سلوك الإمام الحسين عليه السلام يكون أكثر تبريرًا من نظريّة الشهادة حسب العرف السياسي وأحكام الشريعة؛ لأنّ حركة الإمام عليه السلام تنسجم أكثر مع إطار الشريعة وقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة، والحصول على السلطة الشرعيّة من جهة أخرى، ويمكن وصف أهمّ أسباب نظريّة الحكم بما يلي:

الحكم حقّ مسلّم للنبي صلى الله عليه وآله والإمام من بعده؛ لذلك قد أشار إليه في كتبه وخطبه وغير ذلك من المواقف. ويعتبر إرسال السفير إلى العراق قبل انطلاقه إلى الكوفة من أهمّ أدلّة نظريّة الحكم، ومن ناحية أخرى، لا ينكر أتباع نظريّة الحكم معرفة الإمام عليه السلام باستشهاده؛ لأنّ الإنسان يضحّي بحياته وممتلكاته وكيانه كلّه من أجل مُثُلٍ ساميةٍ، لكنّهم يرفضون أن يكون خروج الإمام عليه السلام لغرض الاستشهاد فقط.

وأمّا إذا قلنا بنظريّة الشهادة، فيمكننا تقديم أدلّة مختلفة لها، وإنّ أهمّ دعم علميٍّ



١ .شريعتي، علي، حسين وارث آدم: ١٣٤-١٣٥.
٢ . المصدر نفسه: ٢١٠.

لنظريّة الشهادة هو مجموعة الروايات التي تدلّ على معرفة الإمام عليه السلام بمقتله، والتي، يمكن تبريرها أو بعضها من خلال نظريّة الحكم، وهذه الروايات صحيحة من حيث السند، لكن من حيث المدلول فعليها إشكال، ولا يخفى أنَّ علم الإمام عليه السلام بمقتله هو من أهمّ الأدلّة لدى القائلين بنظريّة الشهادة، ومن الواضح أنّه بعد استشهاد الإمام عليه السلام، لا سبيل للإمام إلى الحكم.

يعود موضوع إقامة الدولة كهدف لخروج الإمام الحسين عليه السلام إلى كتاب" *تنزيه الأنبياء والأئمّة*" وكتب أخرى قد ألّفها مشايخ الشيعة، ولا سيّما الشيخ المفيد والشيخ الطوسي وغيرهما (قدس سرهم). وفي عصرنا، وقد وضع "صالحي نجف آبادي" نظريّة الحكم وترسيخ أسسها العلميّة من خلال تأليف كتاب "*شهيد جاويد*".

كما بحث بعض العلماء في خلفيّة نظرية الشهادة؛ حيث وجدوا دعمًا علميًّا لها، وأمّا الأعمال التي كتبت ردًّا على هذا الأثر نحو كتاب"*هفت ساله چرا صدا درآورد*"؟، هي في الواقع شروح لنظريّتَي الحكم والشهادة.

وفي هذا المقال نذكر أوّلًا نظريّة الشهادة بإيجاز، ثمّ نعرض رأي الإمام الخميني قدس سره، وهي نظريّة الحكم، خلال ثلاثة أقسام: الأدلّة، والإشكالات، والأجوبة، ومن المتّفق عليه أنَّ رأيه يقوم على أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج لإقامة الدولة، وليس فقط لطلب الشهادة. نعم، كانت نتيجة عمله الاستشهاد والتي لا تتعارض مع مبدأ تشكيل الحكومة.

## نظريّة الحكم

من وجهة نظر هؤلاء كان الإمام الحسين عليه السلام يبحث عن إقامة الدولة في الكوفة لا الشهادة في كربلاء، ويريد بتولي الحكم محاربة عدو الدين وإحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله المنسيّة.[١]

يرى الشريف المرتضى قدس سره:

١. الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء: ٢٧٠.

**إنّ الإمام متى غلب في ظنّه يصل إلى حقّه والقيام بما فوّض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك وإن كان فيه ضرب من المشقّة يتحمل مثلها تحملها. وسيدنا أبو عبد الله عليه السلام لم يسر طالبًا للكوفة الّا بعد توثّق من القوم وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين.**[١]

وعلى رأي السيد المرتضى رحمه الله، كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم أنّ أفضل طريقة لتحقيق مبدأ حفظ الإسلام هي من خلال تولّي الحكم؛ لذلك أطلق قيامه ضدّ يزيد.[٢]

وفي سياق التعليل لعاقبة نهضة عاشوراء والعلم اللدنّي للإمام عليه السلام يقول السيد المرتضى:

**لا يتصرّف الإمام إلّا على أساس أصالة الظهور والشواهد الطبيعية.**

بل إنّه يعتبر أسباب انتصار الإمام أن تكون طبيعيّة، ويقول في ذكر مراسلات الإمام عليه السلام وتمكّن مسلم بن عقيل من ابن زياد في دار هانئ بن عروة المرادي وإمكانيّة قتله:

**ولو كان فَعلَ مسلم بن عقيل مِن قَتلِ ابن زياد ما تمكّن منه، لبطل الأمرُ، ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مدافع عنها.. وقد كان مسلم بن عقيل أيضًا، لمّا حبس ابن زياد هانئًا سار إليه في جماعة من أهل الكوفة، حتّى حصره في قصره.. ثمّ انصرف وكان من أمره ماكان، وإنّما أردنا بذكر هذه الجملة أنّ أسباب الظفر بالأعداء كانت [ظاهرة] لائحة متوجّهة، وأنّ الاتفاق السيّء عكس الأمرَ وقلبه حتى تمَّ فيه ما تمّ...**[٣]

وكان الإمام الحسين عليه السلام يطلب الحكم؛ لأنّه كان سيرة جده وميراثه صلى الله عليه وآله:

**وكان يطلب الخلافة؛ لأنّها ميراث جدّه ومنصب أبيه حتّى صار من نكثهم ما صاروا، وقُتل شهيدًا ومضى حميدًا صلوات الله عليه؛ إنّ العلم بهذا المعنى موجود لدى علماء الشيعة كما العلم بالشهادة، وممّا لا شكّ فيه أنّه كان طالبًا للخلافة وحارب من أجل إحياء السنّة النبويّة وإماتة البدع...**[٤]

١. قنبري، بخشعلي، فلسفه عاشورا: ٣١.
٢. المصدر نفسه: ٤٢.
٣. الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء: ٢٧١.
٤. صحتي سردرودي، عاشورا پژوهى: ٣٠٥.

ويرد السؤال: هل هناك قرائن تدلّ على أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يحاول الاستيلاء على الحكم؟ وردّ الأستاذ المطهري قدس سره على هذا السؤال قائلًا:

**في رأينا أنّ استجابة الإمام عليه السلام لرسائل أهل الكوفة هي قرينة بذاتها، على أنّ الإمام عليه السلام كان يحاول تولي الحكم والخلافة، كما كان إرسال مسلم إلى الكوفة لتحقيق هذا الغرض.**[١]

وأضاف في مكان آخر:

**أراد الإمام أن يتولى زمام الأمور.**[٢]

إنّ من دعوة الإمام الحسين عليه السلام علانية لأهل البصرة للتعاون معه من أجل إعادة الخلافة الإسلاميّة إلى أهل البيت عليهم السلام وإحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يُستنبط بوضوح كان هناك أمل وإمكانيّة انتصار الإمام عليه السلام في هذا الصراع، وتشكيل حكومة قويّة ينقذ بها الإسلام المنكوب وإحياء السنّة النبويّة المنسية، بالطبع لا أحد يستبعد وجود الأمل والإمكانيّة مطلقًا.

وأردف الأستاذ المطهري قدس سره قائلًا:

**لا مجال للشكّ في الموضوع؛ بأنه لا أحد يدعي عدم وجود رغبة للإمام عليه السلام في تشكيل حكومة إسلاميّة، أو تخطيطه لتحقيق هذه الرغبة(٣).**

**وقد استغل الإمام الحسين عليه السلام الموارد البشريّة في حركته للوصول إلى الحكم؛ فإنّ ضعف الحكومة، واستياء الناس، واستحسان الرأي العامّ، وصلاحيّة الإمام عليه السلام للقيادة، ووجود قوى تطوّعيّة حول الإمام عليه السلام، ودعم الآخرين له، يعتبر كلّ ذلك من عوامل انتصار الإمام عليه السلام لو لم تكن هناك موانع، فكان الإمام عليه السلام سيكون منتصرًا ظاهريًّا أيضًا.**[٤]

١. المطهري، مجموعة آثار: ٥٣٩/١٧.
٢. المطهري، مجموعة آثار: ٥٤٧.
٣. المصدر نفسه: ٦٧٨.
٤. صالحي نجف آبادي، شهيد جاويد: ٤٣-٥٠ و٥٢.

وكان استنباط القادة والساسة مثل "شبث بن ربيع"، و"عمر بن حجاج" من حركة الإمام الحسين عليه السلام هو تولّي الحكم حيث كتبوا في رسائلهم إلى الإمام عليه السلام:

**فإذا شئت فأقدم علينا، فإنّما تُقدم على جندٍ لك مجنَّد والسلام.**[١]

**وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره**

وللسيد الإمام الخميني قدس سره أكمل الآراء والتحليلات حول حركة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولديه أيضًا أشمل الدروس حول العزاء الحسينيّ وفلسفته وآثاره، بما في ذلك هدف الإمام الحسين عليه السلام من الخروج. ففي الفكر السياسي للإمام قدس سره حركة عاشوراء وتعاليمها تحمل طابعًا سياسيًّا؛ إذ يعتبر عاشوراء كنزًا سياسيًّا دينيًّا عظيمًا، ودعمًا للثقافة الشيعيّة الغنيّة والمربّية للإنسان، ممّا جعله أن يقوم بإحياء الدين على ضوء تعاليم عاشوراء، وجعل الملحمة الحسينيّة أساسَ نضاله وثورته وصحوته، كما تسبّب موقف الإمام الخميني قدس سره من السياسة ونظرته السياسيّة تجاه عاشوراء في تغيير نظرة المسلمين وحتّى المفكّرين الإسلاميّين إلى مفهوم السياسة ووظيفتها، بحيث أخذوا يعتقدون بأنّ الشعائر الدينيّة والمذهبيّة هي مزيجة من الدين والسياسة، ومع أنّ الجمع بين الدين والسياسة، ونظرية الحكم الديني ليست من إبداع الإمام قدس سره، إلّا أنّه ساعد بالتأكيد في تعميق هذه الفكرة وإثرائها.

ولقد نفض الإمام قدس سره عن ثقافة عاشوراء غبارَ البدعة والتحريف، بتفسيرٍ جديدٍ لمكوّنات ثقافة عاشوراء، ورفض بعض النظريّات الباطلة؛ وفقًا للفكر السياسي للإمام قدس سره، فإنّ التعاليم الدينيّة تحمل طابعًا سياسيًّا؛ لذلك فإنّ أحد جوانب نهضة الإمام الخميني قدس سره هو إحياء الروح السياسيّة للحركة الحسينيّة وفق أهدافها بين المفكرين والشيعة في أرجاء العالم، الأمر الذي كانت له آثارٌ كثيرة في استمرار الثورة الإسلاميّة،

١. البلاذري، أنساب الأشراف: ١٥٩/٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ١٥١/٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣٥٣/٥.

ومع أنّ هذه القضيّة قد نُسيت طيلة تاريخ تطورات المجتمع الإسلاميّ، إلّا أنّ الإمام قدس سره اعتبر عاشوراء على رأس القضايا السياسيّة:

**تحدّثوا لهم عن القضايا السياسيّة كما تتحدّثون لهم عن المسائل الشرعيّة، فلا بدّ من إحياء قضيّة كربلاء التي تتصدّر القضايا السياسيّة.**[1]

تتجلّى الخصائص السياسيّة لثقافة عاشوراء في دمج الدين والسياسة، فلم ينبذ الإمام الحسين عليه السلام المجتمع باعتباره قائدًا دينيًّا عظيمًا، ولم يتجنّب الانخراط في السياسة ولم يعتبرها عارًا على نفسه، ولم يكن غير مبالٍ قبال الظلم والظالم، وقد أوجب الإمام الحسين عليه السلام على نفسه السعي في إضعاف أسس حكومة الظالمين وإقامة دولة عادلة إسلاميّة، وهذا من أهمّ خصائص العمل السياسي، ولم يكن الإمام الخميني قدس سره، اتّباعًا للإمام الحسين عليه السلام، غير مبالٍ بقضايا المجتمع السياسيّة، فقد حاول مثل بطل عاشوراء أن يهزّ أركان الحكومة القمعيّة في عصره، وعمل بجدّ على إرساء حكم العدالة الإسلاميّة.

## الأوّل: أدلّة نظرية الحكم

### ١. السيرة النظريّة للإمام الحسين عليه السلام

لم يكن الإمام الخميني قدس سره ينظر إلى حادثة عاشوراء الكبرى من منظار أنّها فاجعة تاريخيّة قطّ، بل كان ينظر من منظار أعلى وأفق أوسع، معتبرًا هذه الحركة، حركة هادفة ومخطّطة في اتّجاه إحياء الإسلام؛ إذ قال أكثر من مرّة: "يجب إبلاغ الناس بالبعد السياسيّ لكربلاء"، وكانت السياسة في رأيه ما يتمّ من خلاله توجيه المجتمع نحو مصالحه، ويأخذ في الاعتبار جميع أبعاد الإنسان والمجتمع، ويوجّههم نحو ما هو خيرٌ لهم؛ خيرٌ للملّة وللأمة، وهذا من مهامّ الأنبياء عليهم السلام، ولا يمكن للآخرين إدارة سياسة كهذه، بل تختصّ بالأنبياء والأولياء، وكذلك علماء الإسلام المستنيرين، وعلماء كلّ دين في زمن أنبيائهم.. هؤلاء يقولون لنا بسخريّة:

١. الخميني، صحيفة الإمام: ١٧٧/١٨.

**لا تتدخّلوا في السياسة واتركوها لنا! (فأقول:) سياستكم أنتم سياسة حيوانيّة ولو كانت صحيحة؛ لأنّ الفسّاق سياستهم سياسة شيطانيّة، وأمّا أولئك الذين يتّخذون السياسة بشكلٍ صحيح، فهم كذلك لا يراعون إلّا الجانب الحيوانيّ للإنسان وما يتعلّق برفاهيّة في الدنيا وما فيها من الحيثيّات المادّيّة، لكن الأنبياء يراعون الجانبَين الدنيا والآخرة؛ على مبدأ "أنّ الدنيا مزرعة الآخرة"، فيهدون الناس إلى هكذا طريق وما هو خير للأمّة وصلاح للمجتمع؛ الصلاح الذي يشمل الجانب المادي والمعنوي في جميع مراحل الكمال، السياسة هي مهمّة الأنبياء عليهم السلام وبتبعهم العلماء السياسيين والساسة الإسلاميين، وأمّا الديانة فهي سياسة تقود الناس نحو مصالح الفرد والمجتمع، وتهديهم إلى صراط مستقيم.**[١]

إنّ الحكومة الإسلاميّة في فكر الإمام قدس سره السياسيّ متساوية مع المفهوم السياسة تمامًا؛ إذ كان يعتقد أنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج لإقامة الدولة الإسلاميّة:

**من استمع إلى كلمات الإمام عليه السلام منذ خروجه من المدينة ومروره بمكّة ومغادرتها بدقّة، يجد أنّه كان على علمٍ بما يجري حوله، ولم يكن يخرج اعتباطًا ليرى إلى أين ستنتهي عاقبة أمره، بل هو خرج يريد تولّي الحكم. نعم؛ كان خروجه لهذا الغرض، وهذا مدعاةٌ للفخر، ومن يظنّ عكس ذلك فليعلم أنّ سيد الشهداء خرج من أجل إقامة الدولة؛ لأنّ الدولة لا بدّ أن تكون بيد شخص كسيّد الشهداء عليه السلام، وبتبعه بيد شيعة الحسين عليه السلام؛ وكان هذا هو مبدأ قيام الأنبياء عليهم السلام من آدم إلى الخاتم.**[٢]

إنَّ تبليغ دين الله وتفسير أحكامه وتعاليمه هو أكبر مهمّة للأنبياء عليهم السلام، والتي لا تسقط من ذمّتهم تحت أيّ ظرفٍ من الظروف، ولمّا كان تحقيق الأوامر الإلهيّة وتمهيد أرضيّة لرشد البشر وهدايتهم، وإقامة العدل، والقضاء على الظلم والشرك متوقّفة على تشكيل الحكومة، فإنّ القيام في طلب الحكم هو من أهداف الأنبياء وأوصيائهم، لكنّه بشرط قبول عامّة الناس؛ كما أطلق الإمام الحسين عليه السلام حركته في هذا الاتّجاه كوصي من أوصياء النبيّ صلى الله عليه وآله.

١. الخميني، تفسير سورة الحمد: ٢٤٧-٢٤٨.
٢. الخميني، صحيفة الإمام: ٣/٢١.

يعتبر السيد الإمام الخميني قدس سره إقامة الحكم من سيرة الأنبياء والأولياء ويعتقد أنَّ "سيرة سيد الشهداء عليه السلام ، وصاحب الأمر عجل الله فرجه، وجميع الأنبياء في العالم، منذ البداية إلى النهاية وحتّى الآن، تشير إلى أنّهم قصدوا إقامة دولة العدل في مقابل دولة الظلم والجور، لكن للأسف طالما همسوا في آذاننا، وآذان أمتنا، وآذان الدول الضعيفة، [ولقّنونا تلقينًا] بأنّ الحكومة ليست من شأنكم![1]

**٢. السيرة العمليّة للإمام الحسين عليه السلام**

**أ. طلب الحكم**

اهتمّ الإمام الحسين عليه السلام دائمًا بمهمّة إقامة الحكم وكان في خطاباته وبعض اجتماعاته، إلى جانب الاحتجاج على غاصبي الحكومة والخلافة، يؤكّد على أنّ آل البيت عليهم السلام هم الذين يستحقّون الخلافة فحسب؛ إذ قال عليه السلام:

**مِنَ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ إلى إخوانِهِ مِنَ المُؤمِنينَ وَالمُسلِمينَ، سَلامٌ عَلَيكم، فَإنّي أحمَدُ إلَيكمُ اللّهَ الَّذي لا إلٰهَ إلّا هُوَ. أمّا بَعدُ: فَإنَّ كتابَ مُسلِمِ بنِ عَقيلٍ جاءَني يُخبِرُ فيهِ بِحُسنِ رَأيِكم، وَاجتِماعِ مَلَئِكم عَلى نَصرِنا وَالطَّلَبِ بِحَقِّنا، فَسَأَلتُ اللّهَ أن يُحسِنَ لَنَا الصَّنيعَ، وأن يُثيبَكم عَلى ذلِك أعظَمَ الأَجرِ.**[2]

كما امتنع عمليًّا عن مبايعة يزيد في عهد معاوية، وبقي على هذه العقيدة بعد موته أيضًا، مؤكّدًا على أحقّيّته واستحقاقه لتولي الخلافة، وخيرُ دليلٍ على ذلك رسالة الإمام عليه السلام إلى أشراف البصرة يستنصرهم في إعادة الحكم إلى أهل البيت عليهم السلام، لإحياء النسخة المحرَّفة من الإسلام بيد بني أميّة، وهذا نصّ كلامه عليه السلام:

**وكنّا أهلَهُ وأولِياءَهُ وأوصِياءَهُ ووَرَثَتَهُ وأحَقَّ النّاسِ بِمَقامِهِ في النّاسِ، فَاستَأثَرَ عَلَينا قَومُنا بِذلِك فَرَضينا، وكرِهنَا الفُرقَةَ، وأحبَبنَا العافِيَةَ، ونَحنُ نَعلَمُ أنّا أحَقُّ بِذلِك الحَقِّ**

١. المصدر نفسه: ٤.

٢. المفيد، الإرشاد: ٢/٧٠.

**المُستَحَقِّ عَلَينا مِمَّن تَوَلّاهُ، وقَد أحسَنوا وأصلَحوا وتَحَرَّوُا الحَقَّ فَرَحِمَهُمُ اللهُ وغَفَرَ لَنا ولَهُم، وقَد بَعَثتُ رَسولي إلَيكم بِهذَا الكتابِ، وأنَا أدعوكم إلى كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ السُّنَّةَ قد أُميتَت، وإنَّ البِدعَةَ قَد أُحيِيَت، وإن تَسمَعوا قَولي وتُطيعوا أمري أهدِكم سَبيلَ الرَّشادِ، وَالسَّلامُ عَلَيكم ورَحمَةُ اللهِ.**[1]

وبعد وصول رسالة مسلم بن عقيل رضي الله عنه بخصوص مبايعة أهل الكوفة لإقامة الدولة وعزمهم على نصرة سبط رسول الله عليه السلام، أعرب الإمام عن فرحه؛ وقال الإمام الحسين عليه السلام في نزاعه مع الأمويّين حول الخلافه: «فَاللهُ الحاكمُ فيما فيهِ تَنازَعْنا، وَالقاضِي بِحُكمِهِ فيما شَجَرَ بينَنا».[2]

تدلّ هذه الجملة صراحةً على أنّ الإمام عليه السلام يعتبر الحكومة من حقّه وهو في صدد الحصول عليها، كما أنّ الأمويّين يعرفون هذا الأمر، وكيف لا وهم قد حرموا الإمام من حقّه، ثمّ زعم البعض بدون إجالة النظر على أنّ طلب الإمام عليه السلام للحكم من قبيل طلب الدنيا، فيقول:

**اللّهمَّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك.**[3]

**ب. إرسال السفير**

كان أهل العراق – ولا سيّما الكوفة – الذين اضطهدهم الأمويّون لدعمهم للعلويّين، يتوقّعون النصرة من الإمام الحسين عليه السلام ويتطلّعون إليه كالشخص الوحيد القادر على إنقاذهم، فما إن مات معاوية وسمعوا بعدم مبايعة الإمام عليه السلام ليزيد، حتّى راسلوه يطلبون منه النصرة، كما أرسلوا وفدًا إلى مكّة، ونظرًا للأوضاع في مكّة واعتمادًا على رسائل

١. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤/٣٤٠.
٢. الحراني، تحف العقول عن آل الرسول: ٢٣٩.
٣. المصدر نفسه: ٢٣٧.

الكوفيين، أرسل الإمام عليه السلام سفيره مسلم بن عقيل رضي الله عنه إلى الكوفة؛ فكانت دعوة أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام لتولي القيادة والحكم، وإرسال المسلم إلى الكوفة من جانب الإمام عليه السلام لتوفير مقدّمات الحكومة.

ويعتقد الإمام الخميني قدس سره حول دعوة أهل الكوفة:

**هو أرسل المسلم لدعوة الناس للبيعة، ولتشكيل حكومة إسلاميّة تطيح بتلك الحكومة الفاسدة، ولو جلس في مكانه وبقي في المدينة، وعندما أتى هذا الرجل (والي يزيد) وأمره بالبيعة، يقول سمعًا وطاعةً! سلمكم الله تعالى! - معاذ الله - فإنّهم عندئذٍ كانوا سيوقّرونه ويحترمونه أيّما احترام، ويقبّلون يده ويُكرمونه إكرامًا، كيف لا وهو ابن رسول الله؟!**[1]

لهذا السبب يعتبر حركة الإمام الحسين عليه السلام في اتّجاه سيرة الأنبياء والأولياء قائلًا:

**قد أوجب سيّد الشهداء على نفسه الخروج على السلطان الجائر، حتى لو قُتل في سبيل ذلك. هذه هي سيرة الأنبياء عليهم السلام؛ لقد كانت سيرتهم قائمةً على أنّه إذا أراد سلطان جائرٌ أن يحكم الناس، يقفوا أمامه، مهما كان الثمن ومهما كانت عاقبته؛ فيجب علينا أيضًا أن نقف ضدّه [يقصد شاه ايران] عملًا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونسقطه عن هذا العرش الباطل.**[2]

وقد وضع السيد الإمام الخميني قدس سره اقتداءً بسيرة الأنبياء العظام عليهم السلام، ولا سيّما سيرة الإمام الحسين عليه السلام، خطّته الرئيسيّة على توعية الملايين والجماهير المسلمة في إيران؛ حيث أخذ في إرشادهم وتوعيتهم سياسيًّا، علمًا منه بالآثار المعنويّة والروحيّة العميقة للمناسبات الإسلاميّة في حياة الناس وأفكارهم، خاصّةً أيام عاشوراء والعزاء الحسيني.

وقد اعتقد الإمام الخميني أن الإمام الحسين عليه السلام قد قام للإطاحة بحكم الجور وإقامة الحكومة الإلهيّة:

**وكان دافعه الرئيس هو إقامة العدل، كما قال: «ألا تنظرون إلى المعروف لا يعمل به وإلى**

١. الخميني، صحيفة الإمام: ٢/٣٧٢-٣٧٣.
٢. الخميني، صحيفة الإمام: ٣٧١.

**المنكر لا ينهى عنه»؛[١] فإنّ الدافع هو إقامة المعروف والقضاء على المنكر، وأمّا الانحرافات فكلّها من مصاديق المنكر؛ كلّ شيءٍ سوى صراط التوحيد المستقيم فهو منكر، يجب أن يزول كما يجب علينا - نحن أتباع سيد الشهداء عليه السلام - أن نرى كيف كانت الأوضاع التي عاشها الإمام في حياته، بما في ذلك قيامه، فكان دافعه للقيام، النهي عن المنكر، وكلّ منكر يجب إزالته، ومنها قضيّة حكومة العدل، فكلّ حكومة جورٍ يجب أن تسقط.[٢]**

فمن وجهة نظر الإمام قدس سره، قام الإمام الحسين عليه السلام من أجل الاستيلاء على الحكم ومن ثمّ إطلاق إصلاحات جذريّة عن طريق السلطة الحكوميّة؛ لأنّه طالما أنّ الحكم بيد الفاسدين، فإنّ الإصلاحات لن تكون إلّا تغييرات سطحيّة:

**فإنّ سيد الشهداء عليه السلام كرس حياته كلّها في القضاء على المنكر والوقوف ضدّ حكم الطاغوت ومنع الفساد الذي قامت به الحكومات غير الإلهيّة في العالم، فقد أمضى حياته كلّها في الإطاحة بهذه الحكومة، والوقوف ضدّ المنكرات؛ فليجيَ المعروف وليمت المنكر.[٣]**

### ٣. رفع الظلم

ويعتبر الإمام الخميني قدس سره معارضة حكم الطغاة والوقوف ضدّهم من سيرة الإمام الحسين عليه السلام ونهجه قائلًا:

**إنّ سيد الشهداء عليه السلام يدعو الناس للوقوف ضدّ أيّ حاكم ظالم يحكم البلد ويضطهد الناس؛ إذ قال عليه السلام: "من رأى حاكمًا جائرًا..."[٤] وبأيّ نحوٍ كان وبأيّ عددٍ كان، كما قام هو بذلك فعلًا، فلم يكن يعد جيشه مقابل جيش العدو شيئًا يذكر، لكنّه يعتقد بأنّ تكليفه الواجب هو القيام ضدّه.**



---

١. المصدر نفسه: ١٥٢/٤.

٢. تنويه إلى كتاب الحسين عليه السلام إلى أشراف البصرة: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه؛ فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، فتسمعوا قولي وتطيعوا أمرى، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله» [المجلسي، بحار الأنوار: ٣٤/٤٤].

٣ . الخميني، صحيفة الإمام: ١/٢١.

٤. المصدر نفسه: ٢.

**فإذا كنا - نحن - تابعين للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وتابعين لأئمّة الهدى عليهم السلام، لا بدّ أن ننظر ما إذا جلس هؤلاء على الكرسي وتحدّثوا عن مسائل شرعيّة فقط؟ فإذا كان عملهم شرح المسائل الفقهيّة ولا غير، فلمَ قام الطغاة والظّلَمة بقتلهم وسجنهم ونفيهم وإخراجهم من أوطانهم وعدم السماح لأحد بالاقتراب منهم؟**[1]

فلا شكّ أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن لإصلاح أمورٍ جزئيّةٍ فقط، بل كان الإمام عليه السلام يريد تغيير النظام السياسي للمجتمع آنذاك، وفيما يتعلّق بعاقبة حركة الإمام عليه السلام إن كانت ستنتهي بالنصر أو الهزيمة، يعتقد الإمام الخميني قدس سره:

**أنّ الإمام الحسين عليه السلام ضحّى بكلّ ما لديه من الصغير والكبير والناصر والمعين في سبيل الله، وقام لتعزيز الإسلام ومكافحة الفساد والظلم. فقد قام الإمام عليه السلام ضدّ إمبراطوريّة عصره، والتي كانت أعظم من إمبراطوريّاتنا اليوم؛ ومعه قلّة قليلة من الأصحاب. لكن بالرغم من استشهاده، تغلّب بهذه الفئة القليلة على أجهزة الظلم والقمع.**[2]

وبناءً على هذا الرأي، فكانت نتيجة حركة الإمام الحسين عليه السلام انتصارًا له عليه السلام، وهزيمةً وسقوطًا لدولة يزيد وآل أمية.

إنَّ لعاشوراء أبعادًا مختلفة، ويمكن تناولها من جوانب عدّة، لكن ما يحتاجه اليوم المجتمع الإسلامي أكثر ويُهيّئُهم ضدّ الأنظمة القمعيّة هو البعد السياسي والاستخدام السياسي لعاشوراء:

**هو ذا دم سيد الشهداء الذي يُهيج دماء كلّ الأمم الإسلاميّة، وهاهي مواكب عاشوراء المباركة، التي تثير الناس، وتهيئها لحفظ الإسلام ومقاصد الشريعة؛ فلا يجوز إهمال هذا الأمر.**[3]

وقال أيضًا عن عدم تصالح الإمام الحسين عليه السلام مع العدوّ:

**السلام على الحسين بن علي، الذي قام هو وأنصاره القلائل، لطَيّ بساط الظلم لغاصبي**

١. تنويه إلى كتاب الحسين عليه السلام إلى سليمان بن صرد: «من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرام الله...» الكوفي، المصدر نفسه: ٨١/٥.

٢. الخميني، صحيفة الإمام: ١٥١/٤.

٣. المصدر نفسه: ٤١٢/٢٠.

**الخلافة، ولم يفكّر في التصالح أبدًا مع العدوّ لقلّة عِدّته وعُدّته، وجعل كربلاء مقتله ومقتل أولاده وأصحابه القلائل، وبلغ نداءه المشهور «هيهات من الذلة»، آذانَ أصحاب الحقّ أجمعين.**[١]

**٤. إقامة العدل**

إنّ تطبيق الأحكام الإسلاميّة وبسط العدل في المجتمع يقتضي وجود دولةٍ. وعليه، فإنَّ الإمام الخميني قدس سره يعتقد بضرورة إقامة الدولة بقوله:

**يجب تطبيق الأحكام بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أبد الآبدين؛ فإنّ تشكيل الحكم وإقامة نظامٍ تنفيذيٍّ وإداريٍّ من ضروريّات المجتمع، ومن دون تشكيل دولة وإدارة الحكم والنظام التنفيذي الذي يضع جميع أنشطة الأفراد وشؤنهم تحت مراقبة نظام عادل من خلال تنفيذ الأحكام العادلة، ستنشأ فوضى وفساد اجتماعي وديني وأخلاقي.**[٢]

أمّا الحكومة من منظار الإمام الخميني قدس سره، فهي وسيلة للقيام بالواجب وتطبيق الأحكام وإقامة نظام إسلامي عادل؛ ولا ريبَ أنّه في ظلّ قيام الحكم الإسلامي ينتشر العدل والقسط في المجتمع، وتتهيّأ الأرضيّة لتطبيق أحكام الإسلام المتكاملة، كما قال الإمام الخميني قدس سره في هذا الصدد:

**من الواضح أنّ ضرورة تنفيذ الأحكام التي فرضت على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إقامة الدولة لا تقتصر على عصره، بل هي تستمرّ بعد وفاته أيضًا؛ فحسب للآيات الكريمة لا تنحصر أحكام الإسلام بالزمان والمكان،[٣] وإنّما تبقى سارية ولازمة الإجراء إلى الأبد، ولا تختص بعصر رسول الله صلى الله عليه وآله لكي تُهجر ولا تُجرى الحدود والقصاص (باختصار قانون العقوبات الإسلاميّ)، ولا تؤخذ أنواع الضرائب المحدّدة؛ أو لا يقوم أحدٌ بالدفاع عن بيضة الإسلام والأمّة الإسلاميّة، وأمّا القول بأنّ قوانين الإسلام يمكن تعليقها أو حصرها وتقييدها بالزمان والمكان، فهذا خلاف ضروريّات الدين الإسلاميّ.**[٤]

١. المصدر نفسه: ٣١٥/١٠.
٢. الخميني، ولاية الفقيه، الحكومة الإسلاميّة: ٢٦-٢٧.
٣. إبراهيم: ٥٢؛ يونس: ٢؛ الحج: ٤٩؛ الأحزاب: ٤٠؛ يس: ٧
٤. الخميني، صحيفة الإمام: ٥٤.

**٥. إنقاذ الإسلام**

وقد استخدم الإمام الخميني قدس سره تعاليمَ عاشوراء في الساحة العمليّة؛ إذ يعتبر ثقافة عاشوراء كنزًا دينيًّا وسياسيًّا عظيمًا ودعمًا لثقافة الإسلام الغنيّة والإنسانيّة، وقد جعل الملحمة الحسينيّة أساس نهضته ونضاله ضدّ الشاه، وقام بإحياء الدين هاتفًا شعار:

**لم يكن قيام سيد الشهداء لنيل الثواب فقط، كلّا، إنّه لم يأخذ الثواب في الاعتبار بقدر ما اهتمّ بإنقاذ الدين، والارتقاء بالإسلام وإحيائه.**

وفي الفكر السياسيّ للإمام الخميني، فإنّ المفروض هو اندماج الدين والسياسة، وليس مجرّد علاقة فيما بينهما. فقد اعتقد أنّ الدين والسياسة ليسا منفكّين ومنفصلين بعضهما عن بعض، حتّى وقد بحث نوع العلاقة وكيفيّة التفاعل بينهما من خلال الفحص والدراسة؛ فكان يقول في هذا الخصوص:

**إنّ الإسلام ليس مجرّد ديانة كسائر الديانات، وليست وظيفة العبد تجاه الله تبارك وتعالى وظيفة روحانيّة فحسب، وهكذا الإسلام ليس سياسيًّا بحتًا، بل إنّه دينيّ وسياسيّ، سياسته مندمجة في العبادة وعبادته مندمجة في السياسة، أي: إنّ الجانب الديني، في الوقت نفسه جانبٌ سياسيٌّ أيضًا.**[١]

**"لولا حركة الحسين عليه السلام، لقلب يزيد وأتباعه الإسلامَ رأسًا على عقب، هؤلاء لم يؤمنوا بالإسلام منذ البداية، وكان لديهم حقد وظغينة على أولياء الإسلام، لقد سجّل سيد الشهداء بهذه التضحية الهزيمة لهم، وبعد فترةٍ انتبه الناس إلى مدى عمق الفاجعة التي حدثت في حقّ أهل البيت عليهم السلام، فهو بحركته زعزع قصور الفراعنة، وفسّر المفردات كالعزّة والكرامة والحرّيّة (تفسيرًا عمليًّا)؛ ولهذا ورد في الروايات كثرة بكاء الإمام السجّاد عليه السلام على أبيه، وأمّا نحن، فإنّ البكاء على الحسين عليه السلام هو شعارنا.**[٢]

وقال بشأن لعن بني أمية:

١. الخميني، صحيفة الإمام: ٥٢٩/٨.

٢. عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام قَال: «نَفَس المهموم لِظُلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة». [الكليني، الكافي: ٢٢٦/٢.

**الدعاء على بني أميّة ولعنهم والتبرّي منهم، رغم أنّهم ماتوا وصالوا في الجحيم، هو في الواقع صرخةٌ في وجه طغاة العالم صرخةً قاتلةً للظالمين.[١]**

**٦. إقامة العزاء**

لو كان الإمام الحسين عليه السلام قد خرج نحو الكوفة طلبًا للشهادة، فقد اُستُشهد بالفعل ونال هدفه؛ فما هو سبب النوح والبكاء عليه ولمَ أكّد عليه الأئمّة عليهم السلام أيّما تأكيد؟ أفلم يكن هذا ما أراده الإمام؟

يقول الإمام الخميني قدس سره عن العزاء ودوره:

**إنّ إحياء عاشوراء هو قضيّة عباديّة سياسيّة مهمّة للغاية، وإقامة العزاء لشهيدٍ قد بذل بالغالي والنفيس في سبيل إنقاذ الإسلام هي قضيّة سياسيّة بامتياز، ولها تأثيرٌ كبير في تقدّم الثورة.[٢]**

ويقول بالنسبة لتوصية الإمام الباقر عليه السلام بالبكاء:

**هل كان الإمام الباقر عليه السلام بحاجة إلى البكاء؟ ماذا أراد الإمام الباقر عليه السلام من وراء البكاء؟ فلماذا في شعيرة مِنى خاصّةً؟ في أيّام الحجّ وفي منى! هذه هي النقطة الأساسيّة، كانت هي قضيّة سياسيّة ونفسيّة وإنسانيّة قد جعلت الناس يبكون لمدّة مئات السنين.. طبعًا ليتساءل بعض الناس: ما الأمر؟ ما الذي حدث؟ ويجيب الآخرون: حدث كذا وكذا، وهذا يوجّه النفوس نحو هذه المدرسة. ويقضي على الظالم ويقوي المظلوم. هل زعمتم هذا بكاء ولا غير؟ كلّا، إنّه ليس ببكاء، بل قضيّة سياسيّة ونفسيّة واجتماعيّة، إذا كانت القضيّة عبارة عن بكاء، فلِمَ التباكي؟ وما فائدة التباكي؟ وأساسًا لم يحتاج سيد الشهداء إلى البكاء أو التباكي؟ إصرار الأئمة عليهم السلام على إقامة المجالس، وعلى البكاء والندبة، هو الذي يضمن سلامة كيان الدين، لا تفكّروا في تحويل المواكب العاشورائيّة إلى مسيرات دينيّة بحتة؛ إنّها مسيرة سياسيّة بامتياز.[٣]**

وكان الإمام الخميني قدس سره يحاول دائمًا استخدام الأبعاد السياسيّة لعاشوراء بشكلٍ

١. الخميني، صحيفة الإمام: ٤٠٠/٢١.
٢. الخميني، صحيفة الإمام: ٣٢٦/١٣-٣٢٧.
٣. المصدر نفسه: ٩٨/١١.

صحيحٍ من أجل تعميق الثقافة الدينيّة والسياسيّة للناس، وهو يقول:

**لا تتخيّلوا أنّ مجالس العزاء هذه، هي للبكاء على سيد الشهداء فحسب، فلا يحتاج سيد الشهداء إلى الدموع، ولا تجدي هذه الدموع في حدّ ذاتها نفعًا.. إنّ الجانب السياسي لهذه المجالس فوق كلّ الجوانب.[١]**

فلو كان هدف الإمام الحسين عليه السلام الشهادة، فكيف يمكن تفسير الوصايا المتعدّدة للأئمة عليهم السلام لإقامة العزاء؟ ولِمَ تُعتبر عاشوراء والتعزية على رأس الأمور السياسيّة؟ هل هو لأنّ الإمام عليه السلام قد حقّق أهدافه، أو لأنّه يجب أن تكون الحكومة وقيادة المجتمع في يد أهل البيت عليهم السلام وأنّ حكّام الجور قد غصبوا حق أهل البيت عليهم السلام وحرّفوا الدين؟ لمَ لا يحتاج الإمام عليه السلام إلى رثائنا؟ يردّ عليه الإمام الخميني قدس سره على هذه الأسئله بقوله:

**ليس لأنّ الإمام الباقر عليه السلام كان بحاجة إلى النياح، وليس لأنّه يفيده شخصيًّا، لكن انظروا إلى جانبه السياسيّ، عندما يجتمع الناس من أقطار العالم في منى، فيقوم شخص أو أشخاص بإنشاد المراثي بين يدى الإمام باقر عليه السلام، ويذكرون جرائم من خالفوهم وسبّبوا في قتلهم واستشهادهم، فيخلق هذا التصرّف موجة عظيمة في العالم بأجمعه؛ فلا تستخفّوا بمجالس العزاء هذه.[٢]**

**وردت في رواياتنا، أجرٌ وثوابٌ عظيمٌ لقطرة دمعٍ تخرج لأجل مظلوم كربلاء، وحتّى يشمل التباكي والتظاهر بالحزن، لا لأنّ سيد المظلومين عليه السلام هو بحاجة إليه، بل هو مسألة سياسيّة تُعرف أهميتها شيئًا فشيئًا، وستُعرف - إن شاء الله - أكثر فيما بعد، إن منح هذا المبلغ العظيم من الأجر والثواب للحزن، والتعزية، وإنشاد المراثي، والندب والنياحة، فبالإضافة إلى جانبها العبادي والروحاني، تعتبر قضيّة سياسيّة مهمّة.[٣]**

ومن الملاحظ أنّه في هذه الوصايا والتوجيهات، تُذكر الحاجةُ إلى التعامل مع الجوانب السياسيّة والاجتماعيّة للحركة الحسينيّة كواجبٍ وتكليفٍ شرعيٍّ، إنّ عاشوراء هي

١. المصدر نفسه: ٣٤٣/١٣.
٢. الخميني، صحيفة الإمام: ٣٤٥/١٦.
٣. المصدر نفسه: ٣٤٣/١٦-٣٤٤.

رمز لتجلّي القيم الإسلاميّة الأصيلة وبلورتها، في جميع أبعادها السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة، والتي لعبت دورًا مهمًّا في انتشار الثقافة الإسلاميّة في المجتمع الشيعي؛ لذلك يقول الإمامﷺ عن أهمّ عوامل نجاح الثورة الإسلاميّة وانتصارها:

**علينا الانتباه إلى حقيقة أنّه لو لم يقم السيد الشهداءعليه السلام، لما استطعنا أن ننتصر اليوم؛ إنّ وحدة الكلمة التي أصبحت مصدر انتصارنا، كانت من أجل مجالس العزاء هذه، ونداءات الدعوة إلى الإسلام ونشره. وقد وفّر سيد المظلومينعليه السلام أداةً لتوحيد الأمّة وتقريبها إلى بعضها البعض دون أي عناء.**[١]

ويعتبر الإمامﷺ حركة عاشوراء أنسب نموذج يحتذى به في كافّة المجالات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وقد قدّم بهذه السيرة، قيم النهضة الحسينيّة وثقافة عاشوراء في ثوبٍ قشيبٍ وأظهر قيام الإمام الحسينعليه السلام كلوحةٍ شاملةٍ للقيم الدينيّة لإرشاد الشيعة في العالم.

وتأسيًّا بسيرة الإمام الحسينعليه السلام في نضاله ضدّ الظلم، يذكر الإمام الخميني رسالة الإمام الحسينعليه السلام لسليمان بن صرد: «من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًّا لحرام الله»[٢] ويقول:

**عندما رأى سيد الشهداءعليه السلام حاكمًا ظالمًا جائرًا يحكم الناس، يصرح بأنّ من رأى حاكمًا جائرًا يظلم الناس، فعليه أن يقف ضدّها ويمنعها قدر المستطاع، سواءٌ كان عدده قليلًا أم كثيرًا، كما كان عدد أصحاب الحسينعليه السلام لا يساوي شيئًا أمام ذاك الجيش الجرار؛ لكنّه كان يعتقد بأنّ من واجبه القيام والتضحية بالدم من أجل إصلاح هذه الأمّة، حتّى إسقاط راية يزيد، وقد أنجزه بالفعل وقُضي الأمر؛ فقد ضحّى بدمه، ودماء أبنائه وذرّيّته، وبذل مهجته وكلّ ما لديه من أجل قضيّة الإسلام؛ فهل دماؤنا أغلى من دم السيد الشهداء؟**[٣]

**والجانب السياسيّ لهذه المجالس الحسينيّة أهمّ من سائر الجوانب، لم يؤكّد أئمّتنا على قراءة العزاء على المنابر بعفويّة، ولم يقلّ أئمّتنا اعتباطًا أنّ من يَبكي أو يُبكي أو يتباكى ويتظاهر بالبكاء**

١. الخميني، صحيفة الإمام: ٥٥/١٧.
٢. الكوفي، الفتوح: ٨١/٥.
٣. الخميني، صحيفة الإمام: ١٥١/٤.

**والحزن فأجره كذا وكذا؛ المسألة ليست مسألة البكاء أو التباكي؛ المسألة هي مسألة سياسيّة؛ فأراد أئمّتنا، برؤيتهم الإلهيّة، حشد هذه الأمّة وتوحيدها من خلال هذه السياسة وغيرها من الطرق، أرادوا أن يجمعهم (تحت كلمة الحسين) أجمعين ويجعلهم في مأمن من الخطر.**[١]

**فليبك الباكون على مثل الحسين، الذي أنقذ الإسلام من الردّة السفيانيّة والجاهليّة الأمويّة ببذل مهجته، وعلّم البشرية طريقة العيش ومواجهة الظلم والغطرسة والاضطهاد، لولا عاشوراء لكان هناك المنطق الجاهلي لأبي سفيان، الذي أراد أن يشطب الوحي والكتاب بقلم أحمر، وكان هناك يزيد؛ الممثّل لعصر الجاهليّة المظلم الحالك، الذي يأمل بزعمه من خلال قتل آل بيت الوحي وإراقة دمائهم يستطيع هدم أساس الإسلام، حيث صرح به بكلّ وقاحة: "لا خبر جاء ولا وحي نزل".**[٢]

وقد ورد في الروايات أنّ الإمام زين العابدين سيد الساجدين عليه السلام قد ذرف الدموع لمدّة عشرين عامًا على مصيبة والده الحبيب،[٣] بل وقيل إنّه بكى أربعين عامًا.[٤] فإنّ الإمام عليه السلام بإحياء ثقافة عاشوراء والاقتداء بالمعايير العاشورائيّة، قد ربّى أمّةً صانعةً للملاحم؛ أمّة قد استطاعت أن تحقّق الثورة الإسلاميّة ببركة تعاليم نهضة كربلاء.

## الثاني: الإشكالات

### علم الإمام

وخلال محاضرته يوم (٢٧) نوفمبر (١٣٥٧ هـ) حول ضرورة النضال ضدّ الحكومات الظالمة، قال السيد الإمام الخميني قدس سره:

**"إنّ سيد الشهداء عليه السلام قام ضدّ يزيد، وربّما كان متأكّدًا أنّه لن ينجح في الإطاحة بحكم يزيد؛ وكما ورد في الأخبار أنّه كان مطّلعًا على هذا الأمر، ومع ذلك قام وخرج وقُتل على مبدأ وجوب الوقوف ضد الأنظمة الجائرة ولو كانت عاقبته الموت"(٥).**

١. الخميني، صحيفة الإمام: ٣٢٣/١٣.
٢. المصدر نفسه: ٤٠٦/١٤.
٣. «ولقد بكى على أبيه عشرين سنة صائمًا نهاره قائمًا ليله». [الصدوق، الخصال: ٥١٨]
٤. «وأمّا سيدنا ومولانا علي بن الحسين بكى على أبيه أربعين سنة صائمًا نهاره قائمًا ليله». [الشهيد الثاني: ٥]
٥. الخميني، صحيفة الإمام: ١٩/٥.

وفي خطاب آخر يوم (١٣) مهر (١٣٦٢هـ)، أثناء لقائه مع أعضاء جمعيّة الروحانيين المناضلين بطهران، وممثّلي مكاتب منظمة الدعوة الإسلاميّة في جميع أنحاء البلاد، وأعضاء مكتب الدعوة الإسلاميّة بقم، والطلاب الأجانب المقيمين في إيران، وممثّلي طلاب قم ورجال الدين السنّة في حسينة جماران، قال الإمام قدس سره ما يلي:

**وفقًا لرواياتنا ومعتقداتنا، كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم منذ أن خرج من المدينة أنّ مصيره الشهادة؛ فقد أخبروه قبل ولادته حسب رواياتنا، وعندما وصل إلى مكّة ثمّ خرج منها بتلك الحالة، كانت حركته، حركة سياسيّة بامتياز؛ إذ خرج منها بينما كان الناس يتدفّقون إليها، بل كانت كلّ خطواتها تحمل رسائل سياسيّة، والحركة الإسلاميّة السياسيّة هذه، هي التي أسقطت الأمويين، ولولا قيام الحسين عليه السلام لسقط الإسلام.**[١]

ومن مجموع هذين الخطابين، يُفهم أنّ السيد الإمام قدس سره يوافق على نظريّة الشهادة السياسيّة، وهو يعتقد أنّ سيد الشهداء عليه السلام مضى نحو الكوفة لأجل إنقاذ الدين وهو يعلم باستشهاده.

**الثالث: الردود**

**١. قاعدة النسخ**

وللحصول على رأي الإمام الخميني قدس سره واستيعابها، يمكن الجمع بين نظريّتين، كما يمكن العمل على أساس قاعدة النسخ؛ بمعنى أنّه يمكن أن يكون الإمام الخميني قد طرح رأيًا ثم تخلّى عنه فيما بعد، وبالتالي يمكننا اعتبار رأي الإمام الأخير رأيه المختار؛ فإنّ الإمام قام بمحاضرة في "نوفل لوشاتو"، عن ضرورة محاربة الحكومات القمعيّة في (٢٧) آبان (نوفمبر) (١٣٥٧ هـ ش) الموافق السابع عشر من ذي الحجة (١٣٩٨ ق)، في جمع من الطلاب الجامعيّين المقيمين في الخارج:

**قام سيد الشهداء عليه السلام ضدّ يزيد، وربّما بل بالأحرى كان يعرف أنّه لن ينجح في الإطاحة بعرش يزيد؛ فإنّ الأخبار والأحاديث أيضًا تدلّ على أنّه كان على علم بهذا الأمر، ومع ذلك**

١. الخميني، صحيفة الإمام: ١٧٧/١٨.

**خرج ورحّب بالموت إيمانًا بالمبدأ القائل بفرض القيام ضدّ الحكم الظالم ولو ببذل النفس.**[١]

وقال في تاريخ (١٣) مهر (سبتمبر) (١٣٦٢ هـ ش) الموافق السابع والعشرين من ذي الحجة (١٤٠٣ ق) في حسينيّة جماران:

**حسب رواياتنا ومعتقداتنا، كان الإمام عليه السلام يعلم منذ أن خرج من المدينة أنّ مصيره الشهادة؛ فقد أخبروه قبل ولادته وفقًا لأحاديثنا.**[٢]

لكن ضمن رسالته الإذاعيّة في مطلع فروردين (١٣٦٧ ش) في جماران بيّن الغرض من قيام سيد الشهداء عليه السلام على النحو التالي:

**من استمع إلى كلماته عليه السلام منذ خروجه من المدينة ووصوله إلى مكّة ومن ثمّ مغادرتها لعلم أنّه كان واعيًا بعمله وعواقبه؛ فلم يكن الأمر كما لو أنّه جاء ليرى ماذا سيحدث ويتصرّف وفقًا له، كلّا، بل إنّه خرج للإطاحة بمملكة يزيد، لقد قام لهذا الغرض على الإطلاق، وهذا مدعاةٌ للفخر، ومن يظنّ عكس ذلك فليعلم أنّ سيد الشهداء قد خرج من أجل إقامة الحكم؛ لأنّ الدولة لا بدّ أن تكون بيد شخصٍ كسيّد الشهداء عليه السلام، وبالتالي بيد شيعة سيد الشهداء عليه السلام؛ فكان هذا هو مبدأ قيام الأنبياء عليهم السلام من البداية إلى النهاية.**[٣]

ثم تابع الإمام الخميني مصرّحًا:

**سيرة سيد الشهداء عليه السلام، وصاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف، وكافّة الأنبياء والرسل، من آدم إلى الخاتم، تشير إلى أنّهم قصدوا إقامة دولة العدل في مقابل دولة الظلم والجور.**[٤]

هذه الرسالة هي آخر حديث الإمام الخميني قدس سره عن هدف نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وقد ذكر في مواضع مختلفة أنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد إقامة الدولة؛ إذ هي سيرة الأنبياء والأولياء.

١. الخميني، صحيفة الإمام: ١٩/٥.
٢. المصدر نفسه: ١٧٧/١٨.
٣. المصدر نفسه: ٣/٢١.
٤. المصدر نفسه: ٤/٢١.

**٢. عدم التعارض**

الجمع بين أقوال الإمام الخميني قدس سره هو الحلّ لتجنّب التعارض؛ وبعبارةٍ أبسط أنّ هذه الخطابات لا تتعارض بعضها مع بعض؛ ففي رأيه أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من التوجّه نحو الكوفة هو إقامة الحكم؛ إذْ يصرّح بهذا المطلب ضمن فتراتٍ مختلفة، ذلك بقوله: "كان الإمام عليه السلام - وفقًا لرواياتنا - يعرف بأنّ مصيره الشهادة"، لكنّه لا يثبت نظريّة الشهادة بشكل أو بآخر؛ لأنّ أصحاب نظريّة الشهادة يقولون إنّ أبا عبد الله عليه السلام كان ينوي الشهادة، لكن ليس هناك أيّ لفظٍ في خطابات الإمام يدلّ على أنّ غرض الإمام الحسين عليه السلام من القيام كانت الشهادة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ النظريّة السياسيّة أيضًا لا تقول بأنّ الإمام لم يكن يعرف مصيره، بل هم ينكرون أوّلًا معرفة الإمام الحسين عليه السلام بتاريخ مقتله بالضبط (أي: في عاشوراء ٦١ هـ)، كما ينكرون أن يكون الغرض الأصليّ من قيامه هو الشهادة.

وقد حاول السيد الرباني الكلبايكاني حلّ التعارض بين هذين القولين على النحو التالي:

> **وقد أورد المرحوم الإمام الخميني قدس سره على هذا السؤال؛ حيث قال: لأنَّ الإشكال المذكور يَرِدُ في حالةٍ لو ما كان غرض الإمام الحسين عليه السلام من إقامةالحكم، حكومة في عصره، أمّا إذا قلنا بأنّ غرضه كان تعليم المسلمين بأنّ الحكم الإسلاميّ يجب أن يكون في أيدي الصلحاء وأولياء الله كإمام معصوم أو نائبه كمسلم بن عقيل، فلن يكون هناك إشكالٌ بعدئذٍ.**[١]

إلّا أنّ هذا التحليل أيضًا لا يبدو خاليًا من الإشكال؛ لأنّ علم الإمام - كما سبق - لا يتعارض مع نظريّة الحكم، ومن ناحية أخرى فقد أضاف الإمام في مقام التعليل قائلًا:

> **السبب هو لأنّ الحكم يجب أن يكون في يد أمثال سيد الشهداء عليه السلام وشيعته، هاهو مبدأ قيام الأنبياء من آدم إلى الخاتم.**[٢]

١. مؤسسه تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني: ٣٢٤.
٢. الخميني، صحيفة الإمام: ٣/٢١.

وعليه، فإن الإمام الخميني قدس سره يعتقد بأنّ الحكم يجب أن يكون بيد شخصٍ كالإمام الحسين عليه السلام أو شيعته، مع أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو أسوة للمسلمين كافةً.

وقد أشار الإمام الخميني قدس سره في النسخة الأخيرة من وصيّته السياسيّة الإلهيّة للأجيال القادمة إلى خطّة العدوّ الخطيرة لفصل الدين عن السياسة كما يلي:

**...والفئة الثانية، من لديهم مخطّطٌ خبيثٌ يقول بفصل الإسلام عن الحكم والسياسة، فيجب الرد على هؤلاء الجهلة، بأنَّ في القرآن الكريم وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وردت أحكامٌ في السياسة ما لم يرد في أيّ موضوعٍ آخر، بل إنّ معظم الأحكام العباديّة في الإسلام، أحكام عباديّة سياسيّة، وقد تسبّب إهمالها في حدوث مصائب كهذه. لقد أسّس نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله حكومة كسائر الحكومات في العالم لكن بدافع تحقيق العدالة الاجتماعيّة، وكان للخلفاء الإسلاميّين الأوائل حكوماتٌ واسعةٌ، وكانت حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام أوسع منها على المبدأ نفسه، كما جاء في التاريخ بوضوح، ثمّ تشكّلت تدريجيًّا سائر الحكومات باسم الإسلام، والآن هناك أيضًا كثيرون يدّعون الحكم الإسلامي اتّباعًا للإسلام والرسول صلى الله عليه وآله، أنا سأمرّ في هذه الوصية على ذلك مرور الكرام، لكن أتمّنى أن يحذّر الكتّاب وعلماء الاجتماع والمؤرخّون، المسلمين من الوقوع في هذا الخطأ (الجسيم)، ما قيل وما يقال من أنّ "الأنبياء عليهم السلام كانوا منخرطين في الأمور المعنويّة، وأنّ الزعامة الدنيويّة والحكومة أمرٌ مرفوضٌ، وكان الأنبياء والأولياء الإلهيّين يتجنّبونها، فعلينا أن نحذوهم حذو النعل بالنعل"، إنّه لخطأ مؤسف تؤدّي نتيجته إلى اضمحلال الأمم الإسلاميّة وفتح الطريق أمام المستعمرين المتعطّشين لدماء المستضعفين؛ لأنّ المرفوض (في الإسلام)، هو الحكومات الشيطانيّة والديكتاتوريّة والقمعيّة التي تسعى فرض هيمنتها أو دوافع منحرفة أخرى، وأمّا الدنيا التي تمّ التحذير منها (في الإسلام) هي عبارة عن ادّخار المال والثروة والسعي وراء السلطة واتباع الطاغوت، وباختصار الدنيا التي تغفل الناس عن ذكر الحقّ تعالى، ولكن حكومة الحق لمنفعة المستضعفين ومنع الظلم وإقامة العدالة الاجتماعيّة، هي ما سعى لتحقيقه النبي سليمان بن داود عليه السلام ونبيّ الإسلام محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وأولياؤه المعصومون عليهم السلام، فهو من أعظم الواجبات وإقامتها من أفضل العبادات، كما أنّ السياسة الصحيحة التي كانت في هذه الحكومات هي من الأمور الضروريّة، يجب أن تقوم الأمّة الإيرانيّة الواعية واليقظة بتحييد المؤامرات برؤية إسلاميّة، وعلى الخطباء والكتّاب المخلصين عون الأمّة وقطع أيدي الشياطين المتآمرة.**[1]

١. الخميني، صحيفة الإمام: ٢١/٤٠٦-٤٠٧.

**نتيجة البحث**

إنَّ (عاشوراء) حركةٌ مجيدةٌ وفريدةٌ من نوعها في تاريخ البشريّة وأحداث تاريخ الإسلام، وما زالت تعتبر عاملًا في تربية الشعوب وخلق الوعي والسعي للعدالة ومحاربة الظلم، وستبقى منارةً لنهج الدين إلى الأبد.

وكان الإمام الخميني قدس سره، كخرّيج هذه المدرسة، يعتبر عاشوراء على رأس الشؤون السياسيّة، وقد استطاع بإلهامٍ منها أن يُرسي حكم الدين في المجتمع عمليًّا وميسرًا بانتصار الثورة الإسلاميّة، ويعتقد بأنّ الحكومة من حقّ الأنبياء والأولياء الإلهيّين، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعتبر الحكم وقيادة المجتمع من حقّه، وكان في خروجه نحو الكوفة يبحث عن تشكيل دولة العدل الإلهيّ لإحياء النسخة المحرَّفة من دين جده صلى الله عليه وآله وإعادة قراءته.

## مصادر البحث


١. ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥ش.
٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، حقّقه: خليل شحادة، الطبعة الثانية، بيروت، دارالفكر، ١٤٠٨هـ.
٣. ابن كثير الدمشقي، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
٤. أخوان حكيمي، أحمد آرام، الحياة، الترجمة: أحمد آرام، طهران، دفتر نشر فرهنگ اسلامى، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠ش.
٥. إسفنديارى، محمد، عاشورا شناسى - پژوهشي درباره هدف امام حسين، قم، صحيفه خرد، الطبعة الثانية، ١٣٨٨ش.
٦. الإمام الخميني، السيّد روح الله، تفسير سوره حمد، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى، ١٣٧٥.
٧. الإمام الخميني، السيّد روح الله، صحيفة الإمام، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الثانية، ١٣٧٩.
٨. الإمام الخميني، السيّد روح الله، ولاية الفقيه، الحكومة الإسلاميّة، بدون مكان، بدون اسم، بدون تاريخ.
٩. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٣٩٤ ق.
١٠. الحرّ العاملي، الشيخ محمّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم، مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٤ق.
١١. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، قم، جماعة المدرّسين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ق.
١٢. الحكيمي، محمّد رضا، قيام جاودانه، قم، انتشارات دليل ما، الطبعة السابعة، ١٣٨٤ش.
١٣. السيد بن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف، طهران، جهان، الطبعة الأولى، ١٣٤٨ش.
١٤. شريعتي، علي، حسين وارث آدم، طهران، انتشارات قلم، الطبعة الثالثة عشرة، ١٣٦٠ش.
١٥. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي عاملي، مُسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، قم، بصيرتى، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
١٦. صالحي نجف آبادي، نعمت الله، شهيد جاويد، طهران، مشعل آزادي، الطبعة الأولى، ١٣٤٩ش.

١٧. صحتي سردرودي، محمّد، عاشورا پژوهى با رويكرد به تحريف شناسى تاريخ امام حسين، قم، انتشارات خادم الرضا، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ش.
١٨. الصدوق، محمّد بن علي بن حسين بن بابويه قمي، الخصال، قم، جامعة المدرّسين، الطبعة الأولى، ١٣٦٢ ش.
١٩. الطبري، أبوجعفر محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، التحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ش.
٢٠. علم الهدي، علي بن حسين (الشريف المرتضي)، تنزيه الأنبياء والأئمّة، تحقيق فارس حسون كريم، قم، دفتر تبليغات اسلامي حوزه علميّه قم، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ش.
٢١. قنبري، بخشعلي، فلسفه عاشورا از ديدگاه انديشمندان مسلمان، طهران، نشر بين الملل سازمان تبليغات اسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ش.
٢٢. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، الكافي، طهران، انتشارات اسلام، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ ش.
٢٣. الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم، الفتوح، التحقيق على شيري، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٤١١ش.
٢٤. المجلسي، مولي محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، بيروت، مؤسّسة الطبعة الثالثة، الوفاء، ١٤٠٣ ق.
٢٥. المطهري، مرتضي، مجموعة آثار، طهران، صدرا، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ش.
٢٦. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣ق.
٢٧. المفيد، محمّد بن محمّد بن نعمان، الأمالي، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣ ق.
٢٨. مؤسسه تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، مجموعة مقالات مؤتمر الإمام الخميني الدولي وثقافة عاشوراء، طهران، الطبعة الأولى، الدفتر الثالث، ١٣٧٥ش.

# نظرة على أسلوب الإدارة في ضوء تعاليم النهضة الحسينيّة

**عبد المؤمن حكيمي**[1]

**خلاصة البحث**

إنّ الثقافة الإسلاميّة مليئةٌ بأحسن الأساليب والمناهج المتقدّمة في الإدارة، وكانت تأثير هذه الإدارة وقوّتها عظيمة في عهد رسول اللهﷺ وعهد الأئمّة الأطهارعليهم السلام لدرجة أنّها استطاعت أن تصنع من مجتمعٍ خاملٍ قد تورّط في حروب قوميّة وقبليّة بسبب مفاخر ومعارك تافهة، مجتمعًا راقيًا مبدعًا، بحيث تمكّن خلال فترة وجيزةٍ من الظفر بأكبر إمبراطوريّات عصره وتأسيس حكومة وحضارة عظيمتين.

وقد اجتمعت أفضل الأساليب والتعليمات في إدارة الأمّة وهدايتها في أقوال وأفعال الرسول الأكرمﷺ والأئمة الطاهرينعليهم السلام، وكلٌّ يقتطف من ثمار هذا البستان حسب استطاعته. وقد وردت إشارات في المصادر القديمة مثل "*سياست‌نامه*" للخواجه نظام الملك، و"*نصيحة الملوك*" للغزالي، و"*قابوس‌نامه*" للأمير عنصر المعالي، و"*جهارمقاله*" للنظامي العروضي، و"*شاهنامه*" لفردوسي، و"*گلستان وبوستان*" لسعدي...، ما ينمّ عن أنّها قد تأثّرت بسيرة المعصومينعليهم السلام فيما يتعلّق بأساليب هداية البشر، ومنهج إدارة الملك والدولة.

---

١. قسم علوم القرآن والإدارة، جامعة المصطفىﷺ العالمية، أروزكان، أفغانستان. البريد الإلكتروني: Mohammadia2020@gmail.com .

إنّ دراسة وتحليل الحركة السياسيّة للإمام الحسين عليه السلام من بداية انطلاقها في المدينة إلى نهاية استشهاده في كربلاء والأحداث التي وقعت في ذلك الزمان والمكان وتلك المراحل التي مرّ بها حتى وصل إلى النقطة الأخيرة وقمّة الحركة والعطاء، إنّه لأمر لا يمكن تحليله إلّا من خلال التوصّل إلى تاريخ موثَّق من جهة، ونظرةٍ شاملة من جهة أخرى، ذلك من خلال تقديم صورة واضحة وتحليل قطعيّ للمهتمّين بمعرفة هذه الحركة المصيريّة، وها نحن عازمون على قطف زهرةٍ من روضة الحركة الحسينيّة الحمراء، في موضوع "الإدارة الإسلاميّة"، عسى أن ترشدنا نكهتها المُنعشة إلى نهج رُقيّ الأُمّة والمجتمع الإسلاميّ.

وفي هذا البحث تمّت دراسة أبرز المهامّ لعاشوراء في مجال التنظيم والإدارة، من المدينة إلى كربلاء، باستخدام المنهج الوصفيّ التحليليّ، وتُظهر نتائج البحث أنّ الإمام الحسين عليه السلام لديه كفاءة عاليةٍ ومتكاملةٍ في جميع جوانب المهارات الإداريّة، بما في ذلك المهارات البشريّة والإدراكيّة والفنّيّة (العسكريّة)، وبما أنّ هذا البحث يَعتبر اتّخاذ قرار الإمام عليه السلام ناشئًا عن العلم والمعرفة، فإنّه يؤكّد أنّ الإمام عليه السلام لم يتصرّف بتسرّع أو بانفعال، وإنّما اتّخذ قراراته في الوقت المناسب وبطريقة مدروسة، بحيث يدفع الحركة نحو الهدف. فيمكن ملاحظة مبدأ التخطيط في جميع أجزاء الحركة الحسينيّة، حتّى في كيفيّة ترتيب أنصاره القلائل مقابل جيش العدو الجرّار.

**المفردات الرئيسة**: الإدارة، الإدارة الإسلاميّة، التخطيط، تحديد الأهداف، اتّخاذ القرار، التنظيم، الموارد البشريّة، الرقابة.

**مقدّمة**

ومنذ أمدٍ بعيدٍ يبحث البشر عن طرق السعادة في الحياة، ولقد أدرك في هذا المسار أهمّيّة التفاعل مع الآخرين باحثًا عن أساليب ونماذج ليستعين بها من أجل الوصول إلى الكمال؛ ومن هذا المنطلق حاولت مجالات الفكر الإنسانيّ في العديد من الأبحاث، بما في ذلك مجال الإدارة والتنظيم، تقديم طرق منطقيّة ومعقولة للبشر، واقترح كلّ منها نماذج من منظورها الخاصّ؛ فقام "فريدريك تايلور" وآخرون بالتحقيق في المنظمة من منظور آليّ، وقاموا بتوجيه المنظرين التقليديين في هذا الاتّجاه. وأمّا التقليديّون الجدد فهم فكّروا بطريقة مختلفة؛ إذ أعطوا في هذا المجال قيمةً أكبر للإنسان ونفسيّاته، ولكن في كلّ من الأساليب المذكورة أعلاه، هناك العديد من النقاط العمياء الغامضة، والنظريّات الموجودة العلميّة والإداريّة والسلوكيّة، لم تستطع أبدًا تحسين الفراغ البشريّ في المجتمع والعلاقات بين الناس؛ لأنّ العقل البشريّ لم يكن قادرًا على توفير أسلوبٍ كامل وخالٍ من العيوب لإسعاد المجتمعات البشريّة.

وقد فكّر البشر لقرونٍ عدّةٍ، في مفهوم الإدارة من خلال استخدام قدراته المعرفيّة وتحسينها بالتفكير في حياته، وقد أدرك عبر تطبيقات المعرفة الإداريّة في الحياة، أنّه في مجال الحياة الاجتماعيّة، مضطرّ إلى قبول نظام إدارةٍ وقيادةٍ، والنقطة المهمّة هي أنّ وجود هذه الجهود لا يعني تحقيقها الكامل، ولعلّ المعرفة الموجودة في هذا المجال أكثر بكثير من المجهول المحتمل، ففي هذا السياق، قد أولت الأديان السماويّة الكبرى اهتمامًا خاصًّا لهذه المسألة، سواء في شكل التعاليم الدينيّة التي تستند أساسًا إلى الوحي، أو في السيرة العملية للأنبياء عليهم السلام، ولقد تمكن الأنبياء من إظهار أعلى نماذج للقيادة في تاريخ الحضارة الإنسانيّة، كما في الإسلام، تتجسد أبرز علامات القيادة والإدارة في سنة الرسول الحبيب صلى الله عليه وآله وسبطه الكريم الإمام الحسين عليه السلام، ولا سيّما في حركة عاشوراء؛ لأنّ الإمامة والولاية تعتبر في منطق الشيعة، الركيزة الأساسيّة للإدارة الدينيّة، ولها مكانة رفيعة ومنزلة عالية.

إنّ النهضة الحسينيّة هي معرِض لإظهار عظمة المواهب الإنسانيّة، ولصنع القرار والإدارة في ساعات العسرة. جميع مجالات هذه النهضة لها دروس في الإدارة، وبالتالي فإنّ الثقافة الإداريّة لحركة عاشوراء في عالم اليوم هي قضيّة عصريّة وفعّالة يمكن التحقيق فيها، وأمّا محتوى حركة عاشوراء الحسينيّة، فهو عبارة عن تجلٍّ عينيّ لنموذجٍ إستراتيجيّ من أجل إحياء الدين وإدارة المجتمع وإعادة إنشائه، فإذا تمّ شرح هذا المحتوى بشكلٍ صحيحٍ، يمكن استخدامه كنموذج مستحسن وفعال، لكن حتّى الآن، لم يقع هذا النموذج القيم إلّا قيدًا للبحوث التاريخيّة والكلاميّة، ولم يُمعَن النظر فيه بعدُ، من حيث قضايا التنظيم والإدارة؛ لذلك فإنّ هذا المقال باستخدام المنهج الوصفيّ التحليليّ، وبغض النظر عن البحوث التاريخيّة والاعتقاديّة، يتناول حركة عاشوراء من خلال توضيح وظائفها التنظيميّة والإداريّة.

ومن الضروري أيضًا الانتباه إلى أنّ هذا المقال المختصر لا يسع لتناول جميع جوانب النظام المذكور؛ ومع ذلك، سيتم البحث حول بعض المؤشرات في تعاليم حركة الإمام الحسين عليه السلام، ذلك من أجل تقديم نموذج للإدارة الإسلاميّة.

**التعريف بمفهوم الإدارة**

أورد عميد في قاموسه (باللغة الفارسيّة) ذيل كلمة (مدير) ما ترجمته: «وهو الذي يدير شيئًا ما، والمسؤول عن أمر ما»،[١] والمدير مرادف لكلمة "Manager" في اللغة الإنجليزيّة، والتي تستخدم في معاني المدير، والرئيس، والمدير العام، والمشرف، والمتولي، والمسيِّر لعمل ما...[٢]

و(الإدارة)، و(المدير) من جذر واحد، وهي مرادفة للكلمة اللاتينية

١. عميد، حسن، فرهنگ فارسى عميد: ١٧٨٢/٢؛ دهخدا، علي اكبر، لغت نامه دهخدا: ١٥٥/١٢.
٢. حق‌شناس، علی‌محمد وآخرون، فرهنگ معاصر هزاره: ١٠١٨/٢.

"Management"، والتي تعني الإدارة والإشراف والتمهيد والتدبير والتخطيط للتأثير على نشاط مجموعةٍ ما لتحقيق هدفها،[١] وقد اعتبر الباحث "علي علاقه بند" نقلًا عن بعض الخبراء، الإدارةَ بمثابة تنسيق للموارد البشريّة والماديّة من أجل تحقيق الأهداف وعمليّة تنسيق الأنشطة الفرديّة والجماعيّة في اتّجاه أهداف المجموعة.[٢]

وعرّفها "هيرسي" و"بلانشارد"،[٣] وهما من بين منظري القيادة الظرفيّة (Situational leadership)، على النحو التالي: "العمل مع ومن خلال الأفراد والجماعات لتحقيق أهداف المنظمة"،[٤] فيمكن اعتبار القاسم المشترك لجميع التعاريف هو الجهد والتنسيق من أجل تحقيق الهدف، ولكن في التعريف الأخير الذي قدمه "هيرسي" و"بلانشارد"، يمكن رؤية نقطة مختلفة وهي أنّ المدير لا يرى نفسه منفصلًا عن مجموعة الإدارة وبإضافة "مع" إلى تعريف السيدة "فالت"، فقد منحت هذه النظريّة معنًى وروحًا جديدة لنشاط الإدارة، وهذا هو إشراك المدير في أنشطة الإدارة والعمل، الأمر الذي يؤثّر في رفع الروح المعنويّة والحماس لدى الموظّفين وتحفيزهم، فضلًا عن تعزيز العلاقات بين المدير والموظفين.

واليوم أصبحت الإدارة في مفهوم "التوجيه" تخصّصًا ولها فلسفة وتقنية وطريقة خاصّة؛ ولهذا السبب ظهرت في عالم اليوم المتقدّم أنواع مختلفة من الإدارة، من جملتها: إدارة الأعمال، والإدارة الحكوميّة، وإدارة صنع السياسات، والإدارة الصناعيّة، والإدارة التعليميّة، والإدارة السياسيّة، وما إلى ذلك، ولكلّ منها أهمّيّة خاصّة في مجال إدارتها؛ ولهذا السبب يعتبر البعض الإدارة عمليّة لحلّ المشكلات المتعلّقة بتوفير الأهداف التنظيميّة

١. رحماني، جعفر و نصرآبادي، علي باقر، مدير موفق: ٢٦.
٢. علاقه‌بند، علي، مقدمات مديريت آموزشى: ١١.
3 . Hersy and Blanchard.
٤. هرسي، باول و بلانتشارد، كنت، مديريت رفتار سازماني: ٤.

بالطريقة المثلى من خلال الاستخدام المؤثّر والفعّال للمصادر النادرة في بيئةٍ متغيّرة.[١]

وفي تعريفٍ شامل، يمكن القول: إنّ الإدارة هي عمليّة الاستخدام المؤثّر والفعّال للموارد المادّيّة والبشريّة على أساس نظام قيم مقبول من خلال التخطيط والتنظيم وتعبئة الموارد والمرافق وتوجيه العمليات ومراقبتها لتحقيق الأهداف المحدّدة.[٢]

**تاريخ تطوّر نظريّات الإدارة**

ينقسم آراء الخبراء فيما يتعلّق بتاريخ نشوء نظريّات الإدارة، إلى خمسة:

١. الآراء ما قبل الكلاسيكيّة.[٣]

٢. المقاربة التقليديّة [المدرسة الكلاسيكيّة].[٤]

٣. الكلاسيكيّة الحديثة [مدرسة العلاقات الإنسانيّة].[٥]

٤. الكمّيّة.

٥. المنهجيّة والاقتضائيّة.

**الإدارة الإسلاميّة**

إنّ مصطلح الإدارة الإسلاميّة هو مزيج من كلمتين: "الإدارة" و"الإسلام"، وإنّ الإدارة بالاقتران مع الإسلام تكتسب ميزة جديدة ومختلفة عن خصائص أنواع الإدارة الأخرى، ويشير علم الإدارة إلى الواقع الذي تمّ تحقيقه في ظرفٍ زمانيّ ومكانيّ محدّدين، ويرتبط الإدراك الموضوعيّ لهذه المعرفة بثقافة وخصائص عصرها، ورغم أنّ للإدارة

١. بارنارد تشستر، وظيفه مديران: ٢٠.
٢. رضائيان، علي، مباني سازمان و مديريت: ٨.
٣. المصدر نفسه: ٣٥ – ٤٠.
٤. المصدر نفسه: ٤١ – ٤٨.
٥. رضائيان، علي، اصول مديريت: ١٧.

بمعناها العامّ سِجلّ تاريخيّ طويل؛ فإنّ ما يسمّى بعلم الإدارة في العصر الراهن هو نتاج الوعي المتزايد بعد الحرب العالميّة الثانية حول أهمّيّة جودة الإدارة وتأثيرها على حياة الإنسان الحديثة، الأمر الذي تسبّب في تحليل ودراسة عمليّة الإدارة وبيئتها وتقنياتها.

فمن أجل دراسة قابليّة الآراء الإسلاميّة للتكيّف مع مفاهيم عصريّة مثل الإدارة، وينبغي على المرء الانتباه إلى تاريخها وسير تطوّرها، ولا يمكن مطابقتها مع المفاهيم الإسلاميّة ببساطة عن طريق انتزاع المفاهيم المجرّدة، بل تحتاج الدراسات المقارنة كهذه إلى قدرٍ كبيرٍ من الدقّة حتّى لا تحدث الأخطاء والارتباك، فإنّ عمليّة كشف المعنى الدقيق للكلمات في مجال الإدارة أو المفاهيم الإسلاميّة، مع إلقاء نظرة على الخلفية التاريخيّة واستخدام المفردات والمصطلحات في المجتمع والثقافة التي نمت وتطوّرت فيها تلك الكلمات والمصطلحات، وهي من الضرورات التي لا يمكن إنكارها في هذه البحوث، ومع أنّ تقديم تعريف دقيقٍ وشاملٍ للإدارة الإسلاميّة ليس بأمر هيّن، إلّا أنَّ من الضروري تقديم تعريف يحدّد الخطوط العامّة لمستقبل البحث إلى حدٍّ ما.

أمّا التعريف المختار فهو كما يلي: الإدارة الإسلاميّة هي طريقة استخدام الموارد البشريّة والموارد المادّيّة، المستمدّة من التعاليم الإسلاميّة، لتحقيق الأهداف التي تتأثّر بنظام القيم في الإسلام.[١]

وطبقًا للتعريف أعلاه يمكن الاستلهام من حركة الإمام الحسين عليه السلام في ترتيب قوّاته وخروجه من المدينة إلى مكّة ومنها إلى الكوفة وأخيرًا قتاله مع جيش عمر بن سعد للوصول إلى هدفه المقدس (الذي جاء في وصيّته) لتأسيس نموذج في الإدارة.

## النهج الإداري للإمام الحسين عليه السلام

يعتبر "هنري فايول" الفرنسي الذي يرى بعض الخبراء بأنه أب لنظريّة الإدارة

١. آقا بيروز، علي وآخرون، مديريت در اسلام: ١١.

الجديدة بأنّه أدرك الحاجة الواسعة النطاق والعالمية لمبادئ الإدارة والتدريب،[١] وقد تصوّر المنظمة بأكملها كهيئةٍ واحدةٍ وقسم أنشطتها إلى ستّ فئات: فنّيّة وإنتاجيّة، والتجارة والمبادلات، والماليّة والاستغلال الأمثل لأمن وحماية الممتلكات والأشخاص، والمحاسبة وتحديد الوضع المالي، والمهامّ الإداريّة، وقد اعتبر أنّ المهام الإداريّة تشمل التخطيط والتنظيم والقيادة والتنسيق والرقابة، وأعرب عن اعتقاده بأنّ الفئات الخمس الأولى من الأنشطة أكثر تحديدًا؛ لهذا السبب بدأ في كتابه بتحليل المهام الإداريّة أكثر.[٢]

وفيما يلي تحليل كيفيّة إدارة الإمام الحسين عليه السلام ومعالجته للمشاكل خلال تجهيز القافلة وسوقها نحو كربلاء وتحديد مهامّها ووظائفها الإدارية:

**الأول: التخطيط**

التخطيط هو عمليّة التعريف بالأهداف وتحديدها والإعداد المسبق للتدابير والأدوات التي تُمكن من تحقيق الأهداف، وأمّا الإجراءات والأدوات اللازمة فهي: التنبؤ بالأساليب، والزمان والمكان، والموارد والأشخاص.[٣]

ومن المهمّ جدًّا خلال أيّ تخطيط، الانتباه إلى نقطتين: النقطة المهمّة والحيويّة الأُولى في عمليّة التخطيط هي تحديد الهدف أو الأهداف، والأهداف هي العنصر الأساس في التخطيط ولتحقيقها يتمّ أوّلًا، تصميم الخطط، ومن ثمّ تنفيذها، وتهدف جميع مهامّ وواجبات مديري المنظمة، بما في ذلك التخطيط واتّخاذ القرار والتنظيم والرقابة، إلى تحقيق تلكم الأهداف.

**١. تحديد الأهداف**

يلزم في الواقع القول إنّ هدف المنظّمة هو الوصول إلى الوضع المنشود، وفي هذا السياق

١. كونتز، هارولد وآخرون؛ اصول مديريت، محمدعلي طوسي وآخرون: ٢٠/١.
٢. رضائيان،علي،مباني سازمان و مديريت: ٤٧.
٣ .علاقه بند، علي، مديريت عمومى: ٣٥ .

فإنّ الدور الرئيس للإدارة العليا لأيّة مؤسّسة هو تحديد الأهداف والإستراتيجيّات العليا للمنظمة، وخلق الظروف والبيئة المناسبة لتنفيذ هذه الإستراتيجيّات من أجل تحقيق الأهداف، والتي يمكن أن تكون تتحقّق مع الاهتمام المستمرّ بالهدف، ويتمّ ضمانه في مرحلة التنفيذ؛ وفي هذا الخصوص، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة، قد ذكر أهداف حركته من خلال وصيّته لأخيه محمد بن الحنفية، على النحو التالي؛ حيث أراد من خلالها أن يعلم شعوب العالم بأنّه لم يخرج طمعًا في المال والمنال أو الجاه والمقام، ولم يرد الفوضى والفساد والظلم، وأنّه ليس لديه مثل هذه الأهداف، وإنّما الهدف الرئيس هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «إني لم أخرج أشرًا، ولا بطرًا، ولا مفسدًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي...».[١]

فقد ذكر الإمام الحسين عليه السلام نقاطًا مهمّةً في وصيّته أنّه بالرغم من أنّ حركته انتهت بمقتله ومقتل أصحابه وأسر أولاده وأهله، إلّا أنّ أهداف الوصيّة قد تحقّقت بالفعل وهي: إحياء الدين،[٢] ونيل رضا الله،[٣] وإحياء السنّة النبويّة وإماتة البدع،[٤] وتغيير نظام الحكم،[٥] والإصلاح،[٦] إقامة العدل والقسط ومكافحة الظلم والجور،[٧] وطلب الكرامة والحرية...[٨]

**٢. التنبؤ وتحديد المراحل**

إنّ الغرض من التنبّؤ هو استخدام التقنيّات التي توضّح استمرار الإجراءات

١. نجمي، محمد صادق، سخنان حسين بن علي عليه السلام از مدينه تا شهادت: ٦٣.
٢. السيد بن طاووس، اللهوف: ١٠؛ مناقب خوارزمي: ١٨٤/١؛ ناسخ التواريخ: ١١٩/٣.
٣. مقتل المقرّم: ٣٤٤ و ٣٤٥.
٤. أبو مخنف، مقتل الحسين: ١٧؛ الطبري، محمد جرير، تاريخ الطبري: ٢٤٠/٧.
٥. المفيد، محمد، الإرشاد: ٤٢٨.
٦. شريفي، محمود، موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام: ٣١٣.
٧. الطبري، تاريخ الأمم و الملوك: ٣٠٤/٤.
٨. ابن شهرآشوب، مناقب: ٦٨/٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ١٩٢/٤٤؛ ٥٠/٤٥. الحرّاني، أبو محمد حسن، تحف العقول: ٢٤٩.

اللاحقة؛[١] لذلك فإنّ من مهام إدارة المجتمع البشري تقدير الأحداث والتنبّؤ بها؛ ولهذا السبب فإنّ الإمام الحسين عليه السلام بعد رفضه مبايعة يزيد، قد تنبّأ بشكلٍ جيّدٍ بالحالة التي يمكن أن تترتّب عليها آثارها، وما يتجلى في اختيار زمان القتال ومكانه وحتّى طريقة القتال واجتياز الموانع التي وضعها العدوّ؛ فإنّ اختيار أفضل طريقة للقتال، وأفضل زمان ومكان له، والتخطيط في أفضل الظروف والسياقات لتحقيق الهدف، كان دليلًا على الإدارة المقتدرة والمدبّرة لهذه الحركة.

**أ) طريقة القتال**

أمّا فيما يتعلّق بشكل القتال وطريقته، فقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام حقبة حكم أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وأخيه الكريم الإمام حسن المجتبى عليه السلام، وما رأى من خذلان أهل الكوفة، فقد كان يعلم جيّدًا أنّ دعوة الكوفيين ورسائلهم ولو كانت موقّعة بختم (١٢) ألف كوفيّ، لكنّها ليست دعوة صادقة؛ ولذلك يجب عليه - نظرًا لقلّة مناصريه وأهدافه العالية - اختيار طريقة عسكريّة وثقافيّة للقتال وليست عسكريّة بحتة.

ويمكن التصريح بأنّ هذا النوع من الحرب استخدمت لأوّل مرّة خلال هذه الحركة؛ لذلك قرّر الإمام الحسين عليه السلام إشراك نسائه وأطفاله الصغار وحتّى طفله الرضيع في معركة كربلاء.

وربّما للوهلة الأولى أنّ اصطحاب الأطفال والنساء معه يكون مفاجئًا لأيّ مستمعٍ ويشعر أنّه يتعارض مع الإدارة العسكريّة، لكن عندما ندرس القصّة بأكملها، نجد أنّ تسيير النساء والأطفال الصغار في قلب الظلام من الطرق المهجورة والصحاري، من المدينة إلى مكّة ومن هناك إلى كربلاء، وأيضًا بعد ملحمة كربلاء العودة إلى المدينة عبر مسار مختلف، ساهمت في نشر أحداث كربلاء بشكلٍ واسعٍ وأيقظت مشاعر الناس

١. نجمي، محمد صادق، سخنان حسين بن علي عليه السلام از مدينه تا شهادت: ١٩٢.

وأشعلت النار في القلوب الميتة وأثارت تساؤلات في أذهان الجمهور ما أدّت لظهور ثمراته فيما بعد؛ مما يتمثّل في تثبيت حقّانيّة حركة الإمام الحسين عليه السلام وكشف القناع عن الوجه المزوَّر والظلامي للحكومة الأمويّة.

**ب) زمان القتال ومكانه**

لقد حقّق الإمام الحسين عليه السلام أهداف الحركة باختيار الطرق والمنازل الرسميّة التي كانت تمرّ على مساكن القبائل وتسيير القافلة من المدينة إلى كربلاء خاصّة في الأشهر المباركة كشعبان ورمضان وذي الحجة؛ لأنّ مسافة ثلاثمائة فرسخ، والتي شملت ما يقارب عشرين منزلًا، خلال ١٧٥ يومًا، وخاصّة الإقامة لمدّة أربعة أشهر في مكّة، أدّت إلى حقيقة أنّ الإمام الحسين عليه السلام وجد الفرصة للإعلام والإبلاغ الكامل برسالة الحركة، الأمر الذي سنح له فرصة العمل أيضًا لتجنيد الموارد البشريّة وأخيرًا تجهيز قافلة كربلاء لخلق ما عرف بملحمة عاشوراء، وحتّى استقطاب (٣٠) ألف نفرٍ من جيش العدوّ إلى كربلاء هو أحد التدابير الثقافية للإمام عليه السلام لكيلا يتم اغتياله سرًّا، بل وضعه أمام أعين (٣٠) ألف نفر، لإحكام التوثيق التاريخي لرسالة عاشوراء.

**ج) التخطيط ليوم عاشوراء**

كان للإمام الحسين عليه السلام خطّة لجميع مراحل حركته وانتفاضته؛ سواء في مقدّمات الحركة - كرفض البيعة وترك المدينة والإقامة في مكّة لبضعة أشهر - أم في ذي المقدمة، كمراسلته كبار شخصيّات الكوفة والبصرة، ودعوة الآخرين للانضمام إلى الحركة، وإلقاء المحاضرات في مكّة ومنى وعلى طول الطريق بل وحتّى في كربلاء؛ كلّ هذا يتماشى مع الهدف الذي كان يرمي إليه الإمام الحسين عليه السلام، ولم يحدث أيّ حادث في حركة عاشوراء دون تدبير ودراية وتخطيط، بل وفي صباح يوم عاشوراء، قام الإمام عليه السلام بتنظيم

تلك الفئة القليلة من أصحابه وتحديد المهامّ والوظائف لكل من الجنود والقادة.[١]

وفي ليلة عاشوراء بعد اجتماع الإمام بأصحابه، تناول موضوع التخطيط لمواجهة العدو واختيار أفضل طريقة للمواجهة من خلال ما يلي:

١- ربط الخيام بعضها ببعض.

٢- وضع حارس مسلح لخيمتين.

٣- إنشاء الجدار الناري.

وكان الإمام عليه السلام قد أمر أوّلًا بحفر خنادق خلف الخيام وإشعال النار في تلك الخنادق حتّى لا يهاجم العدو الخيام من خلفها. وثانيًا ليضيق ساحة المعركة، فلا يقدر العدو على إنزال كلّ قوّاته إلى الساحة ويضطر للقتال من الأمام فقط، ثمّ إنّ الجدار الناري من الخلف والجدار البشري من الأمام جعل من المستحيل على العدو هدم الخيام، وبمجرّد أن هاجموا الخيام من الأمام واجهوا مقاومة المدافعين المسلحين الشجعان عن الخيام، حيث تمّ انسحابهم بخسارة قتيل واحد.

وفي الواقع تمكّن الإمام الحسين عليه السلام من سدّ طريق زحف العدوّ من ثلاث جهات باستخدام العوائق الطبيعيّة والاصطناعيّة، ولم يضع سوى طريق واحدٍ ضيّق للدخول والخروج نحو الخيام، كما تمّت حماية ذاك الطريق أيضًا من قبل المحاربين الشجعان، فقد كان العدوّ يتوقع أنّه نظرًا لحجم قوّته القتالية التي تبلغ حوالي (٣٠) ألف نفر والقوات القتالية للإمام الحسين عليه السلام من (٧٢) شخصًا، فإنّه سيختم مصير المعركة خلال ساعة واحدة على الأكثر لصالحه، إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام استطاع مقاومة جيش العدوّ الجرار من صباح عاشوراء حتى المساء، بإيقاع خسائر فادحة في صفوفهم، ما يفوق (١٠٠٠) قتيل.

وقد بعث الإمام الحسين عليه السلام ابنه علي الأكبر ليلة عاشوراء في خمسين نفرًا (ثلاثين

١. محدثي، جواد، ره توشه راهيان نور: ٧٦.

فارسًا وعشرين راجلًا) إلى شط الفرات وجاء بالماء، فأمر الحسين عليه السلام أصحابه أن يقوموا ويشربوا منه ويتوضأوا ويغتسلوا به؛ فإنّه آخر زادهم من الدنيا، وأمرهم بلبس ثيابهم؛ فإنّها تكون أكفانهم.[١]

وفي صباح يوم عاشوراء أعد الإمام عليه السلام صفوفه للقتال، ذلك بعد الصلاة وإلقاء الخطبة على أصحابه، وجعل الميمنة من (٢٠) نفرًا تحت قيادة زهير بن قين، والميسرة من (٢٠) نفرًا تحت قيادة حبيب بن مظاهر، وقلب الجيش تحت قيادة أبي الفضل العباس عليه السلام.

وأخيرًا بدأت معركة عاشوراء عام (٦١ هـ)، في العاشر من محرّم، يوم الجمعة الساعة الثامنة صباحًا، واستمرّت ثماني ساعات، ولو كان القتال فرديًّا، لكان يستمرّ بضعة أيام على الأقل، إلّا أنّ العدو كان خائفًا من القتال الفردي بسبب خسائر فادحة؛ ولذلك أفلت من المهلكة بالهجوم الجماعي، لكنّه لم يكن يتوقّع أن يجد نفسه بعد الفوز في الحرب العسكريّة متورّطًا في حرب ثقافيّة واسعة النطاق، وبالتالي فلم يكن لديه خطة لمقابلتها، فقد خسر خسرانًا مبينًا وأصبح النصر النهائي من نصيب منطق الإمام الحسين عليه السلام وأتباعه.

فيمكن الاستنباط أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أطلق حركته منذ بدايتها بتخطيط دقيق، وقد استخدم الإجراءات الإداريّة والقيادية الفعّالة حتّى في آخر لحظات حياته. وبعبارة أخرى، لم تكن مواجهة الإمام عليه السلام مع العدو من موقف انفعالي، بل وقد واجهه بذكاء وتحكم على الأوضاع بشكلٍ كامل.[٢]

**الثاني: اتّخاذ القرار**

اتّخاذ القرار هو عمليّة يتمّ فيها اختيار مسار عملٍ معيّن لحلّ مسألة أو مشكلة معينة.[٣]

١. القمي، عباس، منتهى الآمال: ٣٤١/١.
٢. القمي، عباس، نفس المهموم: ١١٧ – ١٤٠.
٣. علاقه بند، علي، مديريت عمومي: ٢٣.

وفي يومنا الراهن، يتمّ إنفاق جزءٍ مهمٍّ من وقت المدراء وعملهم على حلّ المشكلات واتّخاذ القرارات، بحيث يمكن القول إنّ المهامّ الأساس للتخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة تتطلب أيضًا اتّخاذ قرار.[١]

وقد تمّ في الإدارة الإسلاميّة، إيلاء الكثير من الأهميّة لمسألة اتّخاذ الرأي لدرجة أنّ الإمام علي عليه السلام يعتبر أنّ «رأي الرجل ميزان عقله».[٢]

وقد ورد في القرآن الكريم ثلاث مراحل لاتخاذ الرأي: ١. الاستشارة. ٢. اتّخاذ القرار. ٣. الاتكال على الله.[٣]

تظهر دراسة حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّه حتّى مع معرفتهم الإلهيّة الكاملة واتّصالهم بمصدر الوحي، فإنّهم لم يتّخذوا قرارات بشأن الأمور المهمّة دون المشورة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله عنها:

**أمّا إنّ الله وَرَسُوله لَغَنِيَّانِ عَنْهَا وَلَكِن جعلهَا الله رَحْمَة لأمّتي؛ فَمن اسْتَشَارَ مِنْهُم لم يعْدم رشدا وَمن تَركهَا لم يعْدم غيًا.**[٤]

والآن، وبعد فهم موجز لمفهوم اتّخاذ القرار وأهمّيّته، فمن السهل دراسة جوانب القرارات التي اتّخذها الإمام الحسين عليه السلام وتحليل مدى الدقة فيها.

**١. اتّخاذ قرارات واعية**

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام - على عكس يزيد - في جوٍّ ضبابي يبعث على التردد في اتّخاذ قرار، فقد رأى الإمام الظروف جيّدًا وعرف أنّ الاعوجاج في الحكومة الذي نشأ من سوء إدارة الأمويين خلال عدّة سنين لن يمكن إصلاحه إلّا بشهادته، فكانت

١. آقا بيروز وآخرون، مديريت در اسلام: ٥٣.
٢. ساجدي نيا، محمد حسين، اصول و مبانى مديريت اسلامى:٥٥؛ غرر الحكم: ١٧٣٢، ٥٤٢٢، ٦٠٣٩، ٦٠٣٨، ٣٥٤٧.
٣. آل عمران: ١٥٩.
٤. السيوطي، جلال الدين، تفسير الدرّ المنثور: ٩٠/٢.

مجموعة حركة الامام الحسين عليه السلام مليئة بلحظات مهمّة وخطيرة، كاستدعائه لقصر أمير المدينة، وخروجه من مكة، ومواجهته جيش الحرّ، ومنعه من الماء واستسقائه للأطفال، وكثرة جيش العدوّ، وعزلته ووحدته، واستشهاد أصحابه و..إلخ، كلّها لحظات ومشاهد تهز الإرادة وتجعل الإنسان العادي يعاني أزمة في اتخاذ القرار، لكنّ الإمام عليه السلام اتّخذ أفضل وأدقّ القرارات في كلّ هذه الظروف.

ومن الأسئلة المهمّة التي قد تُطرح من وجهة نظر الإدارة هو ما إذا كان الإمام الحسين عليه السلام على علم بالنتيجة النهائيّة لقراره (الحركة) منذ البداية، أم أنّه كان في حالة إكراه وخطر وكان قراره عبارة عن ردة فعل سلبي؟ إنّ المستفاد من الأدلّة العقليّة والنقليّة المستفيضة أنّ الإمام الحسين عليه السلام رأى بوضوح نهاية حركته منذ البداية وكان على دراية كاملة بمقتله ومقتل أصحابه وسبي أهله، ولقد اتخذ مثل هذا القرار بعلمٍ تامّ.

كما تُظهر الوثائق أنّه قد خرج بوعي وعلم من مصيره وكان على دراية بنتائجه، لكن هذا الوعي لم يؤثّر على المسار الطبيعيّ والمنطقيّ لحركته؛ كما أنّ الشهيد مطهري قدس سره يعتبر دعوة أهل الكوفة منه ورفضه بيعة يزيد من الأسباب الطبيعيّة لحادثة كربلاء، ويؤكد أنّ الإمام عليه السلام لم يكن يستطيع تجاهل دعوة الكوفيين؛ لأنّ الاستجابة لمثل هذه الدعوة أمرٌ طبيعيّ، فضلًا عن أنّه لم يكن يريد بيعة شخص فاسدٍ وظالم مثل يزيد (بأيّ حال من الأحوال)، ثمّ يقدّم سببًا آخر يعتبر أهمّ سبب لحركة سيد الشهداء عليه السلام وهو "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، أي لو لم يدعوه الكوفيون أيضًا لكان ذلك الرجل الأبيّ سيقوم من أجل القضاء على التحريفات وحفظ أصل الإسلام.[1]

وفيما يلي مجموعة من القرائن والأدلّة التاريخيّة التي تثبت خروج الإمام الحسين عليه السلام بعلمٍ:

أ) كلام الإمام الحسين عليه السلام لأمّ سلمة وقد نهته عن الخروج إلى العراق، وخوفته من القتل، فقال عليه السلام:

١. المطهري، مرتضي، حماسه حسيني: ١/ ١٢٩-١٤٠.

**يا أمّاه! وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ظلمًا وعدوانًا، وقد شاء الله - عزّ وجلّ - أن يرى حرمي ورهطي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا.**[1]

ب) كلام الإمام عليه السلام عندما أراد منه يزيد أخذ البيعة

وعقب استشهاد الإمام الحسن عليه السلام تمكّن معاوية من أخذ البيعة ليزيد من بعض الشخصيّات بالتهديد أوالتطميع، وعندما دعا الإمام الحسين عليه السلام للبيعة، كتب له:

**... وفهمت ما ذكرت عن يزيد من اكتماله، وسياسته لأمّة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنّك تصف محجوبًا، أو تنعت غائبًا، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلمٍ خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهنّ، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصرًا، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه...**[2]

ج) كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية

كتب الإمام الحسين عليه السلام رسالة مستفيضة إلى معاوية، وعدّد جرائمه الكبرى، أوّلها قتل الصالحين، وكبار الصحابة والرجال الأتقياء من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ أضاف في تلك الرسالة:

**وإنّي لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمّة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظرًا لنفسي ولديني ولأمّة محمّد صلى الله عليه وآله علينا أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنّه قربة إلى الله، وإن تركته فإنّي أستغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لارشاد أمري.**

**ثمّ أورد في النهاية: (ومن جرائمك) أخذُك الناس ببيعة ابنك غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب...**[3]

د) خطبة الإمام الحسين عليه السلام في منى

وفي الخطبة التي ألقاها الإمام الحسين عليه السلام في منى سنة (٥٨ هـ) والتي حضرها سبعمئة

١. نجمي، محمد صادق، سخنان حسين بن علي عليه السلام از مدينه تا شهادت: ٢٩.
٢. الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١/١٧٠.
٣. المصدر نفسه: ١/١٦٥.

شخص من الصحابة والتابعين، بيّن فيها ظلم معاوية بن أبي سفيان، وفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضائل أهل البيت عليهم السلام، وبناءً على رواية سليم بن قيس كان إلقاء هذه الخطبة قبل موت معاوية بسنةٍ... لقد ذكر الإمام الحسين عليه السلام في هذه الخطبة الكثير من الأمور، ومنها: دعوته الحاضرين من الصحابة والتابعين إلى نقل كلامه وخطبته لبلدانهم، ولمن يثقون به من قومهم. ومنها: ذكره لظلم معاوية بن أبي سفيان لأهل البيت عليهم السلام ولا سيّما شيعتهم، وقد أشهد الحاضرين على ذلك.

قال الراوي:

**فلم يدَع (الإمام) شيئًا أنزله الله في علي بن أبي طالب عليه السلام خاصّة وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله إلّا ناشدهم فيه، فيقول الصحابة: اللّهُمَّ نعم، قد سمعنا، ويقول التابعي: (اللّهُمَّ قد حدثنيه من أثق به، فلان وفلان).. وتفرّقوا على ذلك.**[1]

فضلًا عن كلّ هذا، عدل الإمام الحسين عليه السلام في اليوم الثامن من ذي الحجة من الحج إلى العمرة، وألقى خطبة أمام عدد كبير من حجاج بيت الله الحرام وشرح دوافعه للانسحاب من مراسم الحج وخروجه إلى العراق. فقال معلنًا بدعوته:

**خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء؛ فيملأن مني أكراشًا جوفًا وأجربة سغبًا، لا محيص عن يوم، خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلًا فينا مهجته وموطنًا على لقاء الله نفسه فليرحل فإنّي راحل مصبحًا إن شاء الله تعالى.**[2]

وفي كتاب "*الكامل*" لابن الأثير، قوله لعبد الله بن الزبير، عندما سأله عن سبب خروجه، فقال:

---

١. ابن قيس، سليم، كتاب سليم بن قيس: ١٨٣ ـ ١٨٦.
٢. ابن طاووس، اللهوف: ٤١.

**إنَّ أبي حدثني أنّ لها (أي لمكة) كبشًا به تُستحل حرمتها، فما أحبُّ أن أكون أنا ذلك الكبش.. والله لأن أقتل خارجًا منها بشبر أحبّ إليّ من أن أقتل فيها.. وأيم الله لو كنت في جحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا بي حاجتهم والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت...**[1]

فمن خلال هذه الأوصاف، يمكن للقارئ الكريم أن يرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يأخذ قرارًا إلّا عن وعيٍ وبصيرةٍ ومعرفةٍ كاملةٍ بنتائجه وعواقبه.

**٢. تقييم الحلول واختيار الحلّ الأفضل**

نتناول هذا الموضوع بطرح سؤال وهو: هل اختار الإمام الحسين عليه السلام هذا الحلّ من بين الحلول المختلفة، أم أنّه كان القرار الوحيد والحلّ الأوحد؟

قبيل خروج الإمام عليه السلام من المدينة، جاء إليه بعض شيوخ الحجاز والشخصيّات الكبار من الرجال والنساء، ومحبّي الإمام عليه السلام ليمنعوه من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، واقترح كلّ منهم حلولًا، وقد رد عليهم الإمام عليه السلام مقدِّرا شفقتهم حسن ظنّهم فيه، بما يناسب كلًّا منهم، نذكره باختصار:

**أ) مبايعة يزيد**

فقد أمره الوليد بن عتبة (أمير المدينة) ببيعة يزيد، لكنّ الإمام عليه السلام رفض أمره، ولقيه ذات يوم مروان فقال له: "يا أبا عبد الله إنّي لك ناصح فأطعني ترشد، فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟ قل حتّى أسمع! فقال مروان: إنّي آمرك ببيعة يزيد بن معاوية؛ فإنّه خيرٌ لك في دينك ودنياك، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

**إنَا للهِ وَإنا إلَيْهِ راجِعُون، وَعَلَى الْإسْلام السَلامُ؛ إذ بُلِيَتِ الْأُمَّةُ بِراعٍ مِثْل يَزيدَ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللهصلى الله عليه وآله يَقُولُ: اَلْخِلافَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلى آلِ أبي سُفْيان، فَإذا رَأَيْتُمْ مَعاوِيَة عَلى مِنْبَرِي، فَابْقَرُوا بَطْنَهُ، وَقَد رَآهُ أَهْلُ الْمَدِينَة عَلَى الْمِنْبرِ، فَلَمْ يَبْقَرُوا، فَابْتَلاهُمُ اللهُ بِيَزِيدَ الْفاسِقِ (وهو شرٌّ من معاوية).**[2]

١. ابن الأثير، معز الدين، الكامل: ٤/ ٣٨؛ ابن كثير، الدمشقي، البداية والنهاية: ١٦٩٦/٨.
٢. السيد بن طاوس، اللهوف: ٤٠؛ ابن نما، مثير الأحزان: ١٠.

**ب) القيام في المدينة**

وقد اقترح عليه الإمام عليه السلام بعض أصحابه القيام بالثورة في المدينة، لكن تبيّن لهم فيما بعد أنّ الإمام عليه السلام استطاع أن يستفيد إلى أقصى حدّ من خروجه من المدينة إلى كربلاء من حيث تنوير الرأي العام واستقطاب قلوب الناس وتربية نفوس أصحابه، فضلًا عن أنّه لو كان قد قاد الحركة في المدينة لقُتل على يد عملاء يزيد بل على يد الجهلة والمنافقين قبل جني أدنى ثمرة تُذكر؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يخطط لاستشهاده في كربلاء منذ ولادته، بل وقد أُخبر الأنبياء السابقين بأنّ الحسين عليه السلام سبط النبيّ صلى الله عليه وآله، سيُقتل شهيدا في كربلاء.[1]

**ج) الإقامة في مكة**

قال للإمام الحسين عليه السلام بعض الشيوخ كابن الزبير وعبد الله بن جعفر ومحمد بن حنفية: إنّ مكة هي حرم الله الآمن، فإن تبقى في مكّة خيرٌ لك من أن تذهب إلى الكوفة، فأجابهم بأنّ بني أُميّة لا يتركونني، ولو كنت في جحر هامّة من هذه الهوام لأخرجوني وقتلوني، إنّ بني أميّة يتعقّبوني أينما كنت، ومن الأفضل ألّا أقتل في مكّة لكي لا تنتهك بذلك حرمة هذا الحرم الشريف.[2]

**د) أخذ الأمان من أمير مكّة**

كان عبدالله بن جعفر رضي الله عنه بعد أن علم بعزم الإمام عليه السلام على التوجّه إلى العراق – قد كتب رسالة إليه يناشده فيها عدم التوجّه إلى العراق، كما قام إلى عمرو بن سعيد بن العاص (أمير مكّة) فكلّمه وقال: أكتب إلى الحسين كتابًا تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البرّ والصلة، وتوثّق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئنّ إلى ذلك فيرجع! فكتب عمرو إلى الإمام الحسين عليه السلام: بلغني أنّك قد توجّهت إلى العراق وإنّي أعيذك بالله من

١. محدثي، جواد، فرهنگ عاشورا: ٨٨.

٢. نجمي، محمد صادق، سخنان حسين بن علي عليه السلام از مدينه تا شهادت:٩٠.

الشقاق، فإنّي أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليَّ معهما، فإنّ لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك الله عليَّ بذلك شهيد وكفيل ومُراعٍ ووكيل، والسلام عليك.

وروى الطبري أنّ الإمام عليه السلام كتب إليه:

**أمّا بعد، فإنّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله - عزّ وجلّ - وعمل صالحًا، وقال إنّني من المسلمين، وقد دعوتَ الى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان الله...**[1]

**هـ) الهروب إلى أماكن نائية**

وقد اقترح عليه بعض محبّيه كمحمّد بن الحنفية الهروب إلى اليمن، فأجابهم الإمام عليه السلام:

**لن أفعل ذلك أبدًا؛ فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ على هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين"، ومن ناحية أخرى؛ كان حكام اليمن أيضًا تحت قيادة يزيد مطلقًا، بحيث عندما واجه الإمام عليه السلام قافلة قادمة من اليمن في منزل التنعيم، سألهم: لمن هذه الهدايا والأموال؟ قالوا: إنّها هدايا أرسلها والي اليمن إلى يزيد، فصادرها الإمام عليه السلام؛ وفي هذا الصدد، قال بعض المفكّرين: إنّه ربّما كان الغرض من مصادرة الإمام عليه السلام لتلك الأموال هو إثبات أنّ اليمن لم يكن آمنًا للتوجّه إليه نظرًا لوجود مثل هذا الحاكم، فإذا توجّه إلى تلك الناحية، لم يكن يجدي له نفعًا ولم يمنعه من الموت أيضًا.**[2]

وغنيّ عن البيان أنّه ليست كلّ الأسرار والأهداف التي سعى إليها الإمام عليه السلام في هذه الحركة واضحة لنا، لكن مع التوضيحات المذكورة أعلاه، تبيّن لنا أنّ الإمام عليه السلام لم يكن أبدًا في أخذ قراراته متسرّعًا أو منفعلًا، نظرًا لتنبّؤاته الدقيقة وخطّته الخاصّة؛ ولهذا فإنّ حركته كانت تحدّيًا صعبًا لمثل يزيد؛ لأنّ عبدة الهوى والهوس من الحكّام والمدراء عادة لا يستطيعون اتّخاذ قرار منطقيّ وعقلانيّ في المواقف المعقدّة والحرجة.

١. المصدر نفسه:١٠١.

٢. المصدر نفسه: ٩١.

**الثالث: التنظيم**

ولتحقيق الأهداف، يعدّ التنظيم خطوة ضروريّة؛ إذ من خلاله يتمّ تضييق الهدف العامّ والمهمّة الرئيسة للمنظّمة، في شكل أهداف أكثر تفصيلًا، ومهامّ الأقسام ما يجعل تحقيقها ممكنًا.

كما أنّه يتمّ من خلال التنظيم، تحديد مهامّ الوحدات ومدى صلاحيّات المناصب ووظائفها، فضلًا عن تحديد طريقة التنسيق والتواصل بينها، والتنظيم هو نشاطٌ مستمرّ يواجهه المدير دائمًا، ولا يقتصر على تصميم المنظّمة في بداية تأسيسها فقط.[١]

وقد عقد الإمام الحسين عليه السلام من مطلع المعركة اثنتي عشرة رايةً، وقسّم راياته بين أصحابه وبقيت راية، فقال له بعض أصحابه: مُنَّ عليَّ بحملها، فقال عليه السلام: يأتي إليها صاحبها، وبعد ذلك بعدّة أيام جاء حبيب بن مظاهر، فسلّمه الإمام عليه السلام الراية المتبقية، كما قام الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء، بعد أن ألقى خطبة لأصحابه، بتنظيم صفوف جيشه الذين بلغ عددهم (٧٢) نفرًا حسب المشهور:

أ) زهير بن قين أميرًا للميمنة: استشهد زهير بعد أداء صلاة عاشوراء بإمامة سيد الشهداء عليه السلام.

ب) حبيب بن مظاهر أميرًا للميسرة: أحد شيوخ وقادة المعارك المدرسيّة ، كان مدافعًا عن قوى الصلاة في ملحمة صلاة عاشوراء، ودافع عن حياة الإمام عليه السلام والمصلين معه، واستشهد بعد مواجهة الأعداء المسلحين وبعد معركة البطولة والشجاعة، وقد قطع العدو رأسه وعلّقه على ظهر حصانه، فكان حبيب شهيد ملحمة الصلاة.

ج) نافع بن هلال البجلي أميرًا للرماة وكان مقاتلًا شيعيًّا: فقد كتب على سهامه وكان يرتجز: أنا ابن هلال البجلي ... أنا على دين علي ... ودينه دين النبي.

د) قمر بني هاشم، العباس بن علي عليه السلام حامل لواء الجيش.

١. الوانى، سيد مهدى؛ مديريت عمومى: ٩٥؛ دسلر، غرى؛ مبانى مديريت: ١٠٠.

وهكذا يتّضح مدى الأهمّيّة التي أولاها الإمام عليه السلام لتقسيم المهامّ بين أصحابه وتحديد وظائفهم.

**الرابع: إدارة الموارد البشريّة**

يتمّ تعريف الموارد البشريّة على أنّها تحديد القوى العاملة واختيارها وتوظيفها وتدريبها وتطويرها من أجل تحقيق أهداف المنظمة، والموارد البشريّة للمؤسسة هي جميع الأشخاص الذين يعملون على مستويات مختلفة في المنظمة.[١]

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام غافلًا عن هذه النقطة أيضًا، ورغم أنّ المدراء العامّين والقادة لا يأخذون بعين الاعتبار معايير الاختيار والغربلة في توظيف الموارد البشريّة في المواقف الصعبة والأزمات، إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام اهتمّ بالموارد البشريّة وانتقاء الأشخاص أيّما اهتمام، ذلك من حيث الوضع الاجتماعيّ والسياسيّ والفضائل الأخلاقيّة؛ حيث كان لبعض أصحابه مفاخر وسجلات مشرّفة اجتماعيّة وسياسيّة، ومن صحابة النبي صلى الله عليه وآله وشيعة الإمام علي عليه السلام، ممّن شاركوا في الغزوات والحروب معهما، وكانوا من نخب قبائلهم.[٢]

إنّ حركة عاشوراء وقيام الإمام الحسين عليه السلام من أوّلها إلى آخرها عبارة عن مجموعة من النماذج القيمة في الأخلاق، والعبادة، والإيمان، وعلم الاجتماع، والإدارة...، وهي مورد من يظمأ لأيّ من الفضائل، وشفاء لغليل كلّ باحثٍ عن أسوة ونموذج للاحتذاء به؛ لأنّ الموارد البشريّة في عاشوراء اختيرت من بين مختلف طبقات المجتمع الإنسانيّ ومن مختلف الأعمار، بدءًا من الأطفال والصغار مرورًا بالشباب والكهول، ووصولًا إلى كبار السنّ والشيوخ، ومن حديثي العرس إلى الوالدين الثكالى، ومن أبيض إلى أسود ومن حرّ إلى عبد، ومن قريبٍ وصديقٍ إلى أجنبيٍّ وجنديٍّ منشق من جيش العدوّ، فكان كلّ

١. سعادت، اسفنديار، مديريت منابع انسانى: ٤١؛ سيد جوادين، سيد رضا، برنامه ريزى نيروى انسانى: ٤٠.
٢ . شمس الدين، الشيخ محمد، بيضاء الحسين: ١١٨.

شيء مدرجًا ضمن هذه المجموعة المثاليّة، مجموعة قال عنها الإمام الحسين عليه السلام:

**فَإنّي لا أعلم أصحابًا أوفَى، ولا خيرٌ من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله خير الجزاء.**[1]

**سمات الموارد البشريّة**

وفيما يلي بعض خصائص القوّة العاملة لحركة الإمام الحسين عليه السلام:

**أ) المقاومة**

وقد عانت السيدة زينب عليها السلام خلال حركة الإمام الحسين عليه السلام، من أشدّ المصائب، بوصفها بطلة كربلاء، والتي يمكن أن تسمّى بحقّ "أمّ المصائب".

وبغض النظر عن المعاناة التي تحمّلتها في فراق جدّه وأبيه وأمّه وأخيه، فقد شهدت يوم عاشوراء قتل أكثر من عشرين شخصًا من أقرب أفراد عائلتها وسفك دمائهم بأشدّ وجهٍ وبطريقة فظيعة؛ لذلك فإنّ زينب عليها السلام هي أمّ الشهيد (٣ من أبنائها) وأخت الشهيد (٨ من إخوتها) وعمّة الشهيد (٩ من أبناء أخوتها) وخالة الشهيد (٣ من أولاد أختها)، وقد أعطيت بلا شكٍّ ولا ريبٍ الصبر الجميل.

**ب) الوفاء**

مع أنّ جميع أنصار الإمام الحسين عليه السلام في معركة كربلاء كانوا أوفياء، لكنّ أبا الفضل العباس عليه السلام كان على رأس الجميع، والتعابير التي وردت عن صاحب لواء عاشوراء، هذا كلّها تدلّ على الفضائل والمناقب التي أظهرها على مسرح عاشوراء، منها كونه نافذ البصيرة، وصلب الإيمان، وآثر وأبلى، والعبد الصالح، والمطيع لله ولرسوله، والفادي، والواقي، والساعي، والسقاء، وصاحب اللواء، وأخيرًا الشهيد والمجاهد في ركب إمامه، كما قال الإمام الصادق عليه السلام في رواية:

**كان عمّنا العباس بن على نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبيعبدالله وأبلى بلاء حسنًا ومضى شهيدًا.**[2]

١. شريفى: ١٩٦.

٢. أبو مخنف، مقتل الحسين: ١٧٥.

وقال الإمام السجّادعليه السلام:

**رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه...**[١]

**ج) قدوة للتائبين**

انضمام حرّ إلى الإمام الحسينعليه السلام هو أحد الأحداث البارزة في كربلاء وكذلك نموذخ آخر من إدارة الموارد البشريّة للإمام الحسينعليه السلام؛ فإنّ خطبهعليه السلام في غديب الهجانات ونحوه، وسقي الحرّ وجيشه وحتّى خيولهم، كان بمثابة مصباح نوراني ليضيء روحه، ويحدث في داخله ثورة، ويوقظ إحساسه بطلب الحقّ، ويجذبه نحو ولايتهعليه السلام النورانيّة والإنسانيّة، وأخيرًا نال مقام الشهادة بين يدي الإمام بكل بسالة.

وقد عبّر الحرّ عن ندمه عندما أتى الحسينعليه السلام قائلًا:

**يا بن رسول الله! كنت أوّل خارج عليك، فائذن لي لأكون أوّل قتيلٍ بين يديك، وأوّل من يصافح جدّك غدًا.**[٢]

**د) الولاء للإمام**

وقيل لمحمد بن بشر الحضرمي وكان من صحابة النبيصلى الله عليه وآله:

**قد أسر ابنك بيد رجال ابن زياد، فقال له الحسينعليه السلام: رحمك الله! أنت في حلّ من بيعتي، فاعمل في فكاك ابنك، فقال: أكلتني السباع حيًّا إن فارقتك، قال: فأعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه، فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار.**[٣]

ويُعتبر "عابس" من الشخصيّات الشيعية البارزة في كربلاء، وكان قائدًا شريفًا شجاعًا بليغًا، متهجّدًا في آناء الليل، وكان يعتبر من أعظم الثوّار من حيث الإخلاص والبطولة والحماسة، وها هو يقول للإمام:

---

١. المصدر نفسه: ١٧٥.

٢. المجلسي، بحار الأنوار: ١٣/٤٥.

٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ٧/ ٣٢٢ .

**يا أبا عبدالله! أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضَيم أو القتل بشيءٍ أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت.**[١]

**هـ) حفظ الأسرار**

قيس بن مُسهِر الصيداوي الأسدي، سفير الإمام الحسين عليه السلام، وكانت مهمّته التوسّط بين الإمام عليه السلام وبين أهل الكوفة في إيصال الرسائل التي تمّ تبادلها بينهم، وقد لعب دورًا مهمًّا في تحقيق حركة عاشوراء، كما عانى معاناةً كثيرةً في طريق حفظ أسرار الإمام عليه السلام حينما قَبض عليه ابن زياد وعذّبه تعذيبًا فقتله قبل واقعة الطف بأيام.[٢]

**و) العقيدة الراسخة**

وفي خضمّ المعركة يومَ عاشوراء، انتبه أحد أصحاب الإمام عليه السلام يُدعى "أبو ثمامة الصيداوي" أنّه قد حان وقت صلاة الظهر، فقال للحسين عليه السلام:

**«يا أبا عبد الله! نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك، وأُحبّ أن ألقى الله ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال: «ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها، ثمّ قال: سلوهم أن يكفوا عنّا حتّى نصلي.**[٣]

وكان بين أبطال كربلاء، من يوصَف بـ "كثير الصلاة"، وربّما جعلتهم كثرة صلواتهم يبرزون بشجاعة مثاليّة في ساحة المعركة. ومن هؤلاء الذين لعبوا دور القدوة هو "سويد بن عمرو" الذي ورد في وصفه: "كان شريفًا كثير الصلاة"، وأمّا في ساحة المعركة "فقد قاتل قتال الأسد الباسل وبالغ في الصبر على الخطب النازل".[٤]

١. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٥/ ٢٩.
٢. المصدر نفسه: ٤٤/ ٣٧٠.
٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٥ /٢١.
٤. المصدر نفسه: ٤٥ /٢٤

**ز) الإيثار**

حنظلة بن أسعد التهامي [أو الشبامي] بَطَلٌ آخر من أبطال ملحمة كربلاء العظام؛ إذ جعل نفسه درعًا للإمام مقابل سيوف الأعداء ونبالهم ورماحهم، كما ورد في بعض المقاتل في وصفه: "وقف بين يدي الحسين ليقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره".[١]

ومن هؤلاء الشهداء "سعيد بن عبد الله الحنفي" الذي "تقدّم أمام الحسين عليه السلام فاستهدف لهم يرمونه بالنبل، كلما أخذ الحسين عليه السلام يمينًا وشمالًا قام بين يديه، فما زال يُرمى به حتّى سقط إلى الأرض..."[٢]

**الخامس: القيادة**

القيادة تعني عملية التوجيه والتأثير في أنشطة المجموعة أو أعضاء المنظمة،[٣] ومكانة القيادة ودورها في الحركات الإصلاحيّة والسياسيّة، لا سيّما في البنية الاجتماعيّة والنظام السياسيّ، وتوجيه الإمام الحسين عليه السلام وتولّي القيادة في حركة كربلاء وإدارتها من أوّلها إلى آخرها مؤثّرة وبارزة للغاية، بحيث يمكن اعتبار حركة كربلاء وملحمة عاشوراء مساويةً للحسين عليه السلام، يبدو وكأنّ كلّ ما حدث في المعركة من البداية إلى النهاية وحتى بعد استشهاده عليه السلام من سبي آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فقد نشأ من شعاع إمامته، وبراعة إدارته وتدبيره، وهكذا كانت حركة عاشوراء قائمة على قيادة الحسين عليه السلام ومنطقه، فضلًا عن سموّ شخصيّة أهله وأصحابه المخلصين ودورهم الخالد في هذه النهضة.

وهناك نقاطٌ ومحاورٌ يمكن استخدامها للوصول إلى نموذج "القيادة الحسينيّة" وإنشاء مدرسة كربلاء يتمّ من خلالها تعليم طريقة الإدارة الدينيّة والقيادة الإسلاميّة، ومن جملتها: الشموليّة، وملاحظة عاقبة الأمور، واللطف، والمداراة، والعطف، والشجاعة، والحزم في

١. المصدر نفسه: ٤٥ / ٢٣.

٢. المصدر نفسه: ٤٥ /٢١.

٣. استونر، جيمز اى.اف و آخرون، مديريت: ٨٠٤/٢-٨٠٥.

الإدارة وعدم الخلط بينه وبين الاستبداد في الرأي، والصبر، والرزانة، والنظم، والتخطيط والتنظيم، والتنوير والإرشاد والدعوة، والاهتمام بالمعنويّات والعبادة والصلاة وتوثيق العلاقة مع الله، والسعي والتدبير للاستفادة القصوى من الفرص.

**١. مبادئ القيادة**

في الواقع كانت القيادة والإمامة في حركة الإمام الحسين عليه السلام قائمةً على مبادئ وقيم دينيّة، وفيما يلي بعض مبادئ القيادة في نهضة كربلاء:

**أ) مبدأ التوعية**

يعد مبدأ توعية الأعضاء بأهداف وقواعد المنظمة من واجبات المدير في منصب القيادة؛ لذلك فإنّ الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية حركته، قد انتهز كلّ فرصة لتبليغ رسالته للناس، وخاصّة أولئك الذين أرادوا مرافقته.

وكما سبق ذكره، أنّ الإمام عليه السلام في آخر يوم من إقامته في مكّة، ألقى خطبةً مبسوطةً عن الذهاب إلى كربلاء ومخاطره، وفيما يلي بعض منها:

**من كان باذلًا فينا مهجته وموطنًا على لقاء الله نفسه فليرحل، فإنّي راحل مصبحًا إن شاء الله تعالى.**[١]

كما ألقى ليلةَ عاشوراء خطبةً مفصّلةً قد رفع فيها البيعة عن رقاب أصحابه وخيّرهم بين الترك والبقاء؛ لأنّ الإمام عليه السلام كان مصرًّا على المجتمعين تحت رايته على أن يتصرّفوا ببصيرة؛ ذلك ليتميّز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب.

**ب) مبدأ التحفيز**

وكان من المبادئ المهمّة لقيادة كربلاء مبدأ الحثّ والتحفيز؛ لذلك التفت الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء بعد صلاة الفجر إلى أصحابه وقال:

**أيّها العظام، عليكم بالصبر، فما الموت إلّا جسر ينقلكم من عالم الشدائد والمصاعب**

١. محمد صادق، سخنان حسين بن علي عليه السلام از مدينه تا شهادت: ٤٤ .

**إلى الجنة الواسعة والنعم الدائمة.. إنّه ينقلكم من السجن إلى قصرٍ كبيرٍ، واعلموا أنّ الموت لأعدائكم ليس إلّا جسرًا ينقلهم من القصر إلى السجن والعذاب.**[١]

**ج) مبدأ الشرعيّة**

قلَّ من يلتزم بالقانون والمعايير الاجتماعيّة أو الشرعيّة عادة في المواقف الحرجة، لكنّ أولياء الله – ولا سيّما الإمام الحسين عليه السلام – قد اعتمدوا في القيادة على مراعاة القانون والالتزام بالمعايير الشرعية في أصعب المواقف، ومن هذا المنطلق عندما اقترح بعض قادة جيشه المبادرة بالقتال عند مواجهتهم أوّل مجموعة من جيش العدو، حيث قال زهير بن القين:

**يا بن رسول الله، إنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم، فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قِبَل لنا به، أجاب الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال**[٢]

**د) مبدأ تفويض الاختيار**

ومن المعالم البارزة الأخرى لقيادة عاشوراء إعطاء السلطة وتفويضها للقوّات العاملة، كما ورد نموذج من هذا الأصل خلال زيارة الحرّ للإمام عليه السلام يوم عاشوراء؛ إذ قال له الأمام عليه السلام:

**انزل، قال: فأنا لك فارسٌ خيرٌ من راجل، أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري، فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع – رحمك الله – ما بدا لك.**[٣]

وها هو الإمام عليه السلام يخاطب أصحابه ليلة عاشوراء بقوله:

**اللّٰهُمَّ إنّي لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحابًا هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون وأنتم في حلٍّ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمّة، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملًا وتفرّقوا في سواده؛ فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري.**[٤]



---

١. المصدر نفسه:٢٢٦.

٢. المصدر نفسه:١٧٥.

٣. القمي، نفس المهموم: ١١٧ – ١٤٠.

٤. نجمي، محمد صادق، سخنان حسين بن علي عليه السلام از مدينه تا شهادت: ٢٠٨.

فكما ترون، فإنّ الحرّية في أخذ القرار ومنح الاستقلاليّة للقوى البشرية تسبّب المزيد من الدافع والحماس لأعضاء المنظمة؛ حيث ضحّت قوّات الإمام الحسين عليه السلام بكلّ ما لديها من الطاقة حتّى آخر قطرة دم لديهم.

**٢. خصائص القائد**

ومن الأدوار المهمّة والأساسيّة للقادة هو توجيه الأمّة في الأزمات والمحن، خاصّة عندما يُسيل الأعداء من الجنّ والإنس فيضانًا من الشبهات في قلب المجتمع ويزعزعون إيمان معظم الناس ويضعونهم في برزخ الشكوك، فحينئذٍ يجب أن يتمتّع القائد بالكمالات اللازمة ليكون ملجأ للشعب، كما ورد في أشعار العطار النيسابوري ما مضمونه:

**لا يمكن للمرء أن يواصل طريقه ويبلغ المقصد مع الشك. وإذا وقعت الأمّة في فخ الشبهات، فلا بدّ من قائد إلهيّ متحلّ بالعلم والمعرفة والروحانيّة لينجي الناس من تلك الورطة وإعادة اليقين إليهم.**[١]

**أ) الحسم والصرامة**

بعد أن قرّر الإمام الحسين عليه السلام الخروج وقد شخّص تكليفه الإلهيّ وشعوره بالوظيفة لمحاربة حكم يزيد الغاصب، اتّخذ إجراءات حاسمة، ولم يثنه أيّ شخص عن قراره حتّى رجاء الأشخاص المخلصين كعمر بن عبد الرحمن المخزومي، وعبد الله بن عباس، ومحمد بن الحنفية، فقام بإطلاق حركته الإلهيّة بإرادةٍ قويّةٍ للوصول إلى أهدافه السامية والمقدسة، يقول الإمام الحسين عليه السلام في خطبته الشهيرة بمكة:

**اَلْحَمْدُ لله وَما شاءَ الله وَلا قُوَّة إلّا بِالله وصَلّى الله عَلى رَسُولِهِ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقلادَةِ عَلى جِيدِ الفَتاةِ، وَما أَوْلَهَنِي إلى أَسْلافي اِشْتِياقِ يَعْقُوبَ إلى يُوسُفَ، وَخَيَّر لي مَصْرَعًا أنَا لاقِيه كَأَنِّي بِأَوْصالِي تَتَقَطَّعها عُسْلان الْفَلَواتِ بَيْنَ النّواويس وَكَرْبَلاء، فَيَمْلأنَّ مِنِّي أَكْراشًا جوفًا وأَجْرِبَة سُغْبًا لا مَحيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ رِضَا الله، رِضانا أَهْل البَيْتِ نَصْبِرُ عَلى بَلائِهِ، وَيُوَفِّينا أُجُورَ الصّابِرِين، لَنْ تُشذَّ عَنْ رَسُولِ الله لُحْمَتُهُ، بَلْ**

١. عطار النيسابوری، فريد الدين، منطق الطير، المقال الخامس عشر.

**هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حظِيرَة الْقُدْسِ تُقَرُّبِهِمْ عَيْنُهُ وَيُنْجَزُبِهِمْ وَعْدُهُ، ألا وَمَنْ كانَ فينا باذِلًا مُهْجَتَهُ، مُوَطِّنًا عَلى لِقاءِ الله نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَل مَعَنا، فَإنّي راحِلٌ مُصْبِحًا إنْ شاءَ الله.**[1]

وقال الإمام الحسين عليه السلام في بيان آخر:

**لا وَاللهِ لا أُعطيهِم بِيَدي إعطاءَ الذَليلِ وأقِرُّ إقرارَ العَبيد.**[2]

**ب) البصيرة في الدين**

وكان الإمام الحسين عليه السلام قائدًا بصيرًا كمثل أبيه ومقتداه الإمام علي عليه السلام؛ حيث قال لـ "ذعلب اليماني" في خضم المعركة وصلاصل السيوف:

**أَفأَعبُدُ ما لا أرى؟ موضحًا: لَاتُدْرِكُهُ الْعُيُونَ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ.**[3] **ثم قال: عَمِيَت عَينٌ لا تَراكَ.**[4]

**ج) المشاورة**

وكان الإمام الحسين عليه السلام يستمع إلى كلام من يظهر في ثوب الناصح الأمين برصانةٍ تامّةٍ، ثمّ يجيب كلّ واحدٍ حسب شخصيّته وموقفه واستيعابه. يشهد التاريخ أنّه قد استمع حتّى إلى "مروان بن الحكم" (الذي كان عناده وكرهه لآل البيت وخاصّة أبي عبد الله واضحًا كوضح النهار)، فجاء عنده متظاهرًا بالنصح. روى ابن طاووس ما يلي:

**وأصبح الحسين عليه السلام فخرج من منزله يستمع الأخبار، فلقيه مروان [وكان الذي قد أشار الليلة السابقة على الوليد أمير المدينة: لو لم يبايع الحسين فاقتله!] فقال له: يا أبا عبد الله، إني لك ناصح فأطعني ترشد، فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك قل حتّى أسمع! فقال مروان: إنّي آمرك ببيعة يزيد بن معاوية؛ فإنّه خيرٌ لك في دينك ودنياك، فقال الحسين عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الاسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأمّة براعٍ مثل يزيد ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الخلافة محرّمة على أبي سفيان...**

١. السيد بن طاووس، اللهوف: ٥٣؛ ناسخ التواريخ: ١٢٠/٢.
٢ . الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ٤٢٥/٥.
٣. نهج البلاغة: ١٧٩.
٤. المجلسي، بحار الأنوار: ١٣٩/٦٧.

وقال بن طاووس في تعليقة:

**والذي تحقّقناه أنّ الحسين عليه السلام كان عالمًا بما انتهت حاله إليه وكان تكليفه ما اعتمد عليه.**[١]

**د) الخوض في المحن**

وقد تعلّم الإمام الحسين عليه السلام بين يدي والده الكريم عليه السلام أنَّ نهج الإيمان رغم وضوحه وجلائه، فهو صعب وشاقّ، وحينئذٍ لا يتمكّن أحدٌ من سلوكه إلّا إذا كان من الخواصّ والمشمولين لعناية الحقّ تعالى وأولئك هم الفائزون، كما قال عليه السلام:

**إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ.**[٢]

لذلك كان الإمام عالمًا بأنّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، الذين يمشون على الصراط السوي والمستقيم، يجب أن يمرّوا بالعقبات، والنفي، والهجر، وقلّة الأصحاب، والمحن الدنيويّة، وأخيرًا يلقون مصارعهم في الموعد المقرر الإلهيّ: «خُيِّرَ لي مَصرَعٌ أنَا لاقيهِ».[٣]

**هـ) الغيرة والحمية في الدين**

بينما كان الحسين عليه السلام جالسًا بين يدي أستاذه علي عليه السلام، ذلك المعلم الفذ، حيث يشرح موضوع العصبية في الخطبة القاصعة، حتّى وصل إلى هذه النقطة، فقال:

**فإن كانَ لا بُدَّ مِنَ العَصَبِيَّةِ فلْيَكُن تَعَصُّبُكُم لِمَكارِمِ الخِصالِ، ومَحامِدِ الأفعالِ، ومَحاسِنِ الأُمورِ، الّتي تَفاضَلَت فيها المُجَداءُ والنُجَداءُ مِن بُيوتاتِ العَرَبِ، ويَعاسيبُ القَبائلِ، بِالأخلاقِ الرَّغيبة، والأحلامِ العَظيمَةِ، والأخطارِ الجَليلَةِ، والآثارِ المَحمودَةِ. فتَعَصَّبوا لِخِلالِ الحَمدِ مِنَ الحِفظِ لِلجِوارِ، والوَفاءِ بِالذِّمامِ، والطاعَةِ لِلبِرِّ، والمَعصيَةِ لِلكِبرِ، والأخذِ بِالفَضلِ، والكَفِّ عَنِ البَغيِ، والإعظامِ لِلقَتلِ، والإنصافِ لِلخَلقِ، والكَظمِ لِلغَيظِ، واجتِنابِ الفَسادِ في الأرضِ...**[٤]

---

١. المصدر نفسه: ١٩١/٢.

٢. دزفولي، سوگنامه كربلا: ٥٢.

٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٣٦٦/٤٤.

٤. الصدوق، ابن بابويه، معاني الأخبار: ٢٨.

**السادس: الرقابة**

الرقابة هي عمليّة تقييم الأداء الفرديّ والتنظيميّ، ومن خلال عمليّة الرقابة يمكن قياس مدى التقدّم نحو الأهداف وتمكين المدراء من التعرّف على جوانب الانحراف - إن وجدت - عن الخطّة واتّخاذ الإجراءات الإصلاحيّة اللازمة.[١]

كان الإمام الحسين عليه السلام يدرك جيّدًا أهمّيّة هذا الأمر في حركته الخالدة، ومن الأمثلة على ذلك:

١. في ليلة عاشوراء خرج الإمام الحسين عليه السلام من الخيام إلى مقربة جيش العدو، فسأله نافع بن هلال (وهو من أصحابه) عن سبب اقترابه من جيش العدوّ في هذا الوقت من الليل؟ فأجاب الإمام عليه السلام:

**إِنِّي خَرَجْتُ أَتَوَقَّعُ التَّلاعَ والرَّوابي مَخافَةَ أَنْ تكُون مَكْمَنًا لهُجُوم الْخَيلِ يَوْمَ تَحْمِلُونَ وَيَحْمِلُون.**[٢]

٢. وقد ورد أنّ من الأنشطة والواجبات التي حدّدها الإمام عليه السلام ليلة عاشوراء تجهيز الأسلحة الحربيّة والتأكّد من عملها، فكان رجلٌ يُدعى جون (مولى أبي ذر الغفاري)، وهو خبير في معالجة الأسلحة، يعمل في خيمته، وقد تفقّد الإمام عليه السلام خيمته ليلة عاشوراء.[٣]

٣. عن نافع بن هلال أنّه قال: دخل الحسين خيمة زينب، ووقفتُ بإزاء الخيمة أنتظره، فسمعت زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ فإنّي أخشى أن يُسلموك عند الوثبة! فقال لها:

**وَاللهِ لَقَدْ بَلَوْتُهُمْ فَما وَجَدْتُ فيهِم إلّا الأشْوَسَ الأقْعَسَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالْمَنِيَّةِ دُوني اِسْتِئناسَ الطِّفْلِ إلَى مَحالِبِ أُمِّه.**[٤]

١. رضائيان، علي، مباني سازمان و مديريت: ٤٩٦.
٢. نجمي، محمد صادق، سخنان حسين بن علي عليه السلام از مدينه تا شهادت: ٢١٤.
٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ٧/ ٣٢٢.
٤. نجمي، محمد صادق، سخنان حسين بن علي عليه السلام از مدينه تا شهادت:٢١٤.

**نتيجة البحث**

يعتمد مستقبل المنظّمات ونجاحها المستمرّ كثيرًا ما على قدرة مديريها؛ لأنّهم يتّخذون قرارات أساسيّة وحيويّة باستمرار، فإذا لم يكن لدى مديري المؤسّسة المهارات اللازمة، فلن يتوقف نموّ المنظمة فحسب بل تصيبها ضربات مهلكة وتتفكّك تحت ضغوط داخليّة وخارجيّة. وعليه، فإذا بحثنا خصال الإمام الحسين عليه السلام فيما يتعلّق بفنّ الإدارة، أقررنا بأنّه يتمتّع بكفاءةٍ كاملةٍ في جميع جوانب المهارات الإداريّة، بما في ذلك المهارات الفنّيّة (الفنون العسكريّة)، والمهارات المعرفيّة، والمهارات البشريّة، كان الإمام عليه السلام طيلة حياته يسطع النور كالشمس، ويتنوّر بنوره الناس، ففريق استخرج دروسًا إلهيّة من سلوكه، وفريق تعلّم طريق تزكية النفس من أخلاقه، وفريق آخر تعلّم دروس الأدب من خطاباته البليغة، ونحن من خلال هذه الأسطر الذي مرّت بنا، تعلمنا درس الإدارة والقيادة من حركته الخالدة والتي تتلخّص في الآتي:

١. حركة الإمام الحسين عليه السلام تتضمّن عمليّة إدارة واضحة.

٢. حركة الإمام الحسين عليه السلام مبنيّة على مخطّطٍ دقيقٍ.

٣. قامت إدارة الإمام الحسين عليه السلام على أهدافٍ دقيقةٍ وواضحةٍ.

٤. من جملة أهداف حركة الإمام الحسين عليه السلام التي تحقّقت من خلالها: إحياء الدين، ونيل رضا الله، وإحياء السنّة النبويّة، ومحو البدع، وتغيير النظام الحكوميّ، وعمليّة الإصلاح، وإقامة العدل ومكافحة الظلم، والسعي إلى الكرامة والحرّيّة.

٥. لم يكن الإمام الحسين عليه السلام مردّدًا في اتّخاذ قرارٍ ضدّ يزيد، بل وقد رأى الظروف مواتية وعرف أنّه لا يمكن إصلاح هذا الانحراف إلّا بموته؛ الانحراف الذي حصل على ضوء إدارة بني أميّة وحكمها الجائر خلال عدّة سنوات.

٦. إنّ اصطحابه أهله معه إلى كربلاء، وفيهم البنات والأطفال، وتوجيههم للقيام بدورٍ ثقافيٍّ بعد استشهاده عليه السلام، هو أحد أبرز مظاهر تنظيم القوّات في الحركة الحسينيّة.

٧. قام الإمام الحسين عليه السلام بإلقاء دروس في الإدارة والقيادة لجميع المديرين والقادة الإسلاميّين كمدير في دور قائدٍ ملتزمٍ ومتعهّد وكنموذج على التربية الإسلاميّة.

٨. بعض الصفات القياديّة للحركة الحسينيّة هي: الحسم، وتحديد الهدف، والبصيرة في الإيمان، والتشاور في الأمور، وتحمل الصعوبات، والمبادرة في القيام بأمور...

٩. تمّت إدارة القوى البشريّة على أفضل وجهٍ ضمن الحركة الحسينيّة بسماتٍ مثل: الوفاء، والمقاومة، وموالاة القائد، والإيثار، والإيمان الراسخ.

## مصادر البحث

القرآن الكريم
١. ابن الأثير، معز الدين، الكامل في التاريخ، بيروت، بدون تاريخ.
٢. ابن القيس العامري، سليم، كتاب سليم بن قيس، النجف، بدون تاريخ.
٣. ابن بابويه، الصدوق، معاني الأخبار، منشورات جماعة المدرسين للحوزة العلمية بقم، الطبعة الأولى، ١٣٦١ ش.
٤. ابن شهرآشوب، ابوجعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، قم، نشر علّامة، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ش.
٥. ابن طاووس، اللهوف، ترجمه: علي رضا رجائي طهراني، نشر نبوغ، بدون تاريخ.
٦. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل، البداية والنهاية، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
٧. ابن نما، مثير الأحزان، طهران، نشر حاذق، قم، ١٣٨٠ش.
٨. أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي، مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق: حسن غفّاري، قم، المطبعة العلميّة، ١٣٩٨ش.
٩. إستونر، جيمز إي. إف وآخرون، ترجمه: پارساييان وأعرابى، مديريت [الإدارة]، منشورات مكتب البحوث الثقافية، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ش.
١٠. آغا بيروز، علي وآخرون، مديريّت در اسلام [الإدارة في الإسلام]، معهد الحوزة والجامعة للأبحاث، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ش.
١١. ألواني، سيد مهدي، مديريت عمومى [الإدارة العامّة]، طهران، الطبعة الثلاثون، ١٣٨٦ش.
١٢. بارنارد تشستر، وظيفه مديران [مهامّ المدراء]، ترجمه: محمد علي طوسي، مركز مديريت دولتي، طهران.
١٣. بيشوايي، مهدي، سيماى پيشوايان در آينه تاريخ، دار العلم، ١٣٨٧ش.
١٤. الحرّاني، أبو محمد حسن، تحف العقول، ترجمه: صادق حسن زاده، منشورات آل علي، قم.
١٥. حق‌شناس، علي محمد وآخرون، فرهنگ معاصر هزاره، منشورات مؤسسة معاصر الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٣٨١ش.
١٦. الخوارزمي، أخطب، المناقب، النجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥ش.
١٧. دسلر، غرى، مبانى مديريت [مبادئ الإدارة]، ترجمه: داود مدني، طهران، پيشبرد، الطبعة الثانية، ١٣٧٦ش.
١٨. دهخدا، علي أكبر، لغت نامه دهخدا، منشورات جامعة طهران، ١٣٧٣ش.
١٩. الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصر، بدون تاريخ.

٢٠. رحماني، جعفر ونصرآبادي، علي باقر، مدير موفق [المدير الناجح]، منشورات لوح محفوظ، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ش.
٢١. رضائيان، علي، أصول مديريت، نشر مؤسسة سمت، الطبعة الحادية العاشرة، ١٣٨٧ش.
٢٢. ساجدي نيا، محمد حسين، أصول ومبانى مديريت إسلامي، نشر شهر آشوب، ١٣٨٣ش.
٢٣. سعادت، إسفنديار، مديريت منابع إنسانى [إدارة الموارد البشريّة]، منشورات سمت، ١٣٧٠ش.
٢٤. سماوي، محمد، أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، بصيرتى، قم.
٢٥. سيدجوادين، سيدرضا، برنامه ريزى نيروى انسانى [تخطيط الموارد البشريّة]، كليّة الإدارة بجامعة طهران.
٢٦. شهيدي، جعفر، قيام الحسين عليه السلام، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامي، ١٣٥٩ ش.
٢٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك؛ بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ق.
٢٨. الطبري، محمد جرير، تاريخ الطبري، مطبعة ليدن.
٢٩. علاقه بند، علي، مديريت عمومى، طهران، بعثت، ١٣٧٥ش.
٣٠. علاقه بند، علي، مقدمات مديريت آموزشى، بيام نور، ١٣٧٤ش.
٣١. عميد، حسن، فرهنگ فارسى عميد، منشورات أميركبير، الطبعة السادسة، ١٣٦٤ش.
٣٢. القمي ، عباس، نفس المهموم، انتشارات اسلامية، بدون تاريخ.
٣٣. القمي، عباس، منتهى الآمال، مطبعة كتابچي، بدون تاريخ.
٣٤. كونتز، هارولد وآخرون؛ اصول مديريت، ترجمه: محمدعلي طوسي وآخرون، طهران، مؤسسة مديريت دولتي، الطبعة الثالثة، ١٣٧٤ش.
٣٥. لسان الملك (سبهر)، محمدتقي، ناسخ التواريخ، حالات سيد الشهداء عليه السلام، طهران، ١٣٣٦ش.
٣٦. المجلسي، محمد باقر، بحارالأنوار، موسسه الوفاء ودار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ ق.
٣٧. محدثي، جواد، ره توشه راهيان نور، قم: مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية بقم، ١٣٧٦ش.
٣٨. محدثي، جواد، فرهنگ عاشورا [ثقافة عاشوراء]، منشورات معروف، ١٣٧٤ش.
٣٩. محمود شريفي وآخرون، فرهنگ جامع سخنان امام حسين عليه السلام، «ترجمه موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام»، قم، مشرقين.
٤٠. مطهري، مرتضى، حماسه حسيني [الملحمة الحسينيّة]، انتشارات صدرا.
٤١. المفيد، محمد، الإرشاد، ترجمه: محمدباقر ساعدي خراساني، انتشارات إسلاميّة.

٤٢. المقرم، عبد الرزاق، مقتل المقرّم، مطبعة آداب النجف، ١٣٩٢ش.
٤٣. نجمي، محمدصادق، سخنان حسين بن علي عليهما السلام از مدينه تا كربلا، الطبعة الثامنة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، بدون تاريخ.
٤٤. هرسي، باول وبلانتشارد، كنت، ترجمه: قاسم كبيري، مديريت رفتار سازماني [إدارة السلوك التنظيمي]، منشورات جهاد دانشگاهى (ماجد)، الطبعة السادسة، ١٣٧٨ش.

# تحليلٌ سياسيٌّ لحركة عاشوراء من وجهة نظر المستشرقين الألمان والإنكليز

السيد محسن شيخ الإسلامي[1]
أمير تيمور رفيعي[2]
السيد حسن قريشي كيرين[3]

**خلاصة البحث**

إنَّ النظرة السياسيّة للمستشرقين الألمان والإنكليز حول مدرسة عاشوراء لها العديد من التقلّبات والتحدّيات؛ فقد حاول علماء الألمان والإنكليز، كروّاد الدراسات الإسلاميّة بشكلٍ عامٍّ، ودراسة عاشوراء بشكلٍ خاصٍّ، التحقيق في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام وأهداف ومعطيات نهضته من منظورٍ مادّيٍّ ومستقلٍّ عن الدين؛ ونظرًا لحقيقة أنّ العالم الإسلاميّ والمصادر المتاحة كانت تحت سيطرة الجماعة السنّيّة منذ البداية، وأنّ المصادر الشيعيّة كانت معرَّضة للتحريف أو قَلَّما رأت اهتمامًا، نشهد في الغالب نتائج متحيّزة وغير منصفة، فمن ناحية ينظر المستشرقون إلى الإمام الحسين عليه السلام على أنّه عضو من مُعارضي الحكومة المركزيّة ولديه أفكار معادية للعلمانيّة، فيخلطون بين أفكاره الدينيّة والعقديّة وآرائه السياسيّة والاقتصاديّة، ومن ناحية أخرى فمن الصعب العثور على مستشرق لم يتأثّر بالعواطف الشخصيّة والوطنيّة والدينيّة أثناء دراسته لهذه الحركة والتحقيق فيها من وجهة نظر علميّة بحتة.

---

١. قسم التاريخ، جامعة آزاد الإسلاميّة، محلات، إيران. البريد الإلكتروني: Mpa9262@yahoo.com.
٢. قسم التاريخ، جامعة آزاد الإسلاميّة، محلات، إيران. البريد الإلكتروني: Amirteymour_rafiei@yahoo.com .
٣. قسم التاريخ، جامعة بيام نور، قم، إيران. البريد الإلكتروني: Shquorishi@gmail.com.

والغرض من هذا البحث هو دراسة مقارنة للمواقف السياسيّة للمستشرقين الألمان والإنكليز فيما يتعلّق بحادثة عاشوراء بجانب دراسة المبادئ الفكريّة والمنهج العمليّ لهم، وفي هذا البحث يتمّ السعي من خلال منهج تحليليّ وتوضيحيّ، الإجابة عن هذه الأسئلة: ما الموقف السياسيّ للمستشرقين الألمان والإنكليز من حادثة كربلاء؟ كيف كانت الأسس الفكرية لدراسات عاشوراء من الناحية السياسيّة؟ وفقًا لباحثي الشيعة البارزين والعديد من معاهد البحوث الإسلاميّة الشيعيّة، من المحتمل جدًّا أن المستشرقين الألمان والإنكليز قد أهملوا البعد العقديّ لحركة كربلاء تحت تأثير الوطأة السياسيّة.

**المفردات الرئيسة**: الإمام الحسين عليه السلام، المستشرقون، عاشوراء، الألمان، الإنكليز

**مقدّمة**

إنّ (حركة كربلاء) باعتبارها الحركة السياسيّة والدينيّة الأكثر استقرارًا في الثقافة الشيعيّة، هي في الواقع آخر جهدٌ أيديولوجيٌّ شيعيٌّ لإعادة الحكم إلى آل علي عليه السلام، فمن المهمّ ذكر نقطتين قبل الدخول في البحث: إحداهما تؤثّر الأحداث عمومًا، والحرب خصوصًا، في شخصيّة الناس، لكن في حادثة كربلاء، لم يتأثّر الإمام الحسين عليه السلام بالحادثة فحسب، بل هو الذي أثّر فيها. والأخرى أنّ هذه الحادثة قد تحوّلت إلى مدرسة تتكوّن من جوهر شخصيّة الإمام عليه السلام وهدفه السامي، ومع كلّ هذا، فكان للمذهب الشيعي وحركة كربلاء غموض كبير منذ الماضي وحتّى اليوم بسبب هيمنة الدراسات السنيّة على دراسات المجتمعات الغربيّة وأبحاثها العلميّة، وأمّا كُتّاب "الملل والنحل" المنتمين لأهل السنّة، فهم يعتبرون الشيعةَ عمومًا منحرفون عن النهج المستقيم، بل الشيعة تُمثّل عندهم عقيدة منحرفة في مقابل العقيدة الصحيحة؛ لذلك فإنّ العديد من الباحثين الغربيين الذين درسوا الإسلام، قد اقتبسوا هذه التحريفات واعتبروا الإسلام الشيعي بمثابة بدعة في دين الإسلام.

أمّا فيما يخصّ محدوديَّة البحث، فيكفي القول إنَّ مِن كلِّ ٣٥٠ كتابًا ومقالًا عن الإسلام لا يرتبط بالشيعة الاثني عشريّة إلّا كتابًا واحدًا تقريبًا، وهو أقلّ بكثير من المؤلّفات عن الشيعة الزيديّة والإسماعيليّة، وقد اُتّخذت الخطوة الأولى الجديدة نحو الدراسات الشيعيّة في العالم الغربي، من قبل معاهد الدراسات الشيعيّة في ألمانيا وإنجلترا؛ فإنّ هذين البلدين، باعتبارهما أقدم مراكز الدراسات الشيعية في أوروبا، بالإضافة إلى العمق العلمي والسلامة البحثيّة نسبيًّا، لهما تاريخ أطول من الدول الأوروبيّة الأخرى؛ لوجود معاهد بحثيّة ومفكّرين بارزين فيها، وأنَّ وجود قائمة طويلة من المستشرقين المرموقين ومراكز البحوث الألمانيّة ذات السمعة الطيبة والمنشورات والمجلّات الإنجليزيّة تدلّ على مستوى عالٍ لهذين البلدين من الناحية الكميّة والكيفيّة في

البحوث، ولكن النهج المنحاز والمشوَّه والتفسيريّ والاستعماريّ من ناحية، ومن ناحية أخرى ظهور المدرسة الماركسيّة، وهي تفسير مادّي واقتصاديّ للتطوّرات التاريخيّة لحادثة كربلاء، فقد قادت عامّة المستشرقين إلى نتيجة غير واقعيّة.

**الأول: عاشوراء**

مفردة (عاشوراء) اشتقّت من مادة (عشر) تعني (العاشر).[١] وجاءت في *"المعجم الوسيط"* على النحو التالي: «العاشور: اليوم العاشر من المحرم»، وقد وردت بثلاثة أشكال: عاشوراء، والعاشور، والعاشوراء[٢]. وتمّت الإشارة إلى هذا الحادث بعناوين وأسماء مختلفة نحو (حادثة كربلاء)، و(القيام الحسيني)، و(نهضة عاشوراء)، و(نهضة كربلاء)، و(واقعة الطف أو نينوى) و(مكتب عاشوراء).

**الثاني: المستشرق**

وردت لفظة (المستشرق) في اللغة بمعنى الواضح والمبين.[٣] وما يعرف بالاستشراق من قبل الباحثين هو في الواقع مزيج من دراسة تاريخ الثقافة والحضارة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي للشعوب والأقوام الشرقيّة، والتي تمّ إنشاؤها ودراستها من قبل مختلف مجالات العلوم الإنسانيّة الحديثة في الغرب.[٤]

**١. الاستشراق**

تُعرف جوانب مختلفة من الدراسات الغربيّة حول الشرق وما يتعلّق به باسم الاستشراق، أي: دراسة الشرق (بالفارسيّة: شرق شناسى، خاورشناسى)، ودراسة

١ . ذوالفقاري، ١٣٧٢: ٣٢.
٢ . أنيس، ١٩٧٣م: ٢/٦٠٢.
٣ . دهخدا، ١٣٣٧: ٣١.
٤ . مترز، ١٣٧٧: ٣.

الإسلام، ودراسة إيران.[١] ويعتبر "إدوارد سعيد" أنّ أساس وتفسير الاستشراق يرتكز على أربعة مبادئ: أ. هناك فرق مطلق ومنظّم بين الغرب والشرق. **ب.** إنّ القراءات الغربيّة حول الشرق لا تستند إلى واقع المجتمعات الشرقيّة الحديثة، وإنّما على التحليلات النصّيّة والعقليّة. **ج.** الشرق ثابت وراكد، وله نسقٌ واحدٌ، وغير قادر على شرح هويته. **د.** هو تابع ومطيع.[٢]

يقول النراقي: «الاستشراق مسألة غربية بطبيعتها».[٣] ونتيجة لذلك ينظر الغرب إلى الشرق على أنّه موضوعٌ مستقلٌّ تمامًا؛ فإنّ إظهار المجتمع الإسلاميّ كمجتمع مفكّك، والاستخفاف بإنجازات الحضارة الإسلاميّة، واختلاق المفاهيم غير العلميّة، وهيمنة الرجال على النساء في مختلف الشؤون، هي بعض الأمثلة على الأمور غير الدقيقة التي أكّد عليها المستشرقون، لقلّة معرفتهم بالدين الإسلامي وفهمهم الناقص حوله؛ ولهذا يقول الأسعدي:

**الدراسات الإسلاميّة في الغرب، كانت مناهضة للإسلام تأسيسًا، وهي معادية للإسلام أساسًا.**[٤]

**٢. تاريخ معرفة الغرب بالتشيع وحركة كربلاء**

تمّ إجراء العديد من التقسيمات حول الدراسات الإسلاميّة للغرب عن الشرق، بما في ذلك تقسيمها إلى أربعة أجزاء: **أ.** العصور الوسطى. **ب.** العصر العثماني. **ج.** العصر الحديث. **د.** النصف الثاني من القرن العشرين.[٥] فيمكن القول إنّ التعرف الجادّ الأول للغرب بالإسلام والتشيع، حدث من خلال "مذكرات السفر للرَّحالة" في العقود الأخيرة

١. الويري، ١٣٨١: ٧.
٢. فاروقي، ١٣٦١: ٢.
٣. النراقي، ١٣٥٤ :٢.
٤. الأسعدي، ١٣٨١ :١.
٥. الويري، ١٣٨١ :٤٠.

من القرن الثالث عشر وبدايات القرن الرابع عشر، وكانت طليعتها مذكرات "ماركوبولو" عن رحلاته، وكتابات عن إسماعيليّة الشام،[١] ثمّ سبّبت (الحروب الصليبيّة) في المزيد من تعرف الغرب على العالم الشيعي؛ وذلك من خلال المعلومات الضئيلة والمشوّهة عن تلك الفترة، التي اقتبسها الكتاب الغربيون بشكلٍ عامّ من آراء ابن حزم وابن قتيبة.[٢]

وازدادت هذه المعرفة مع تأسيس "الدولة الصفويّة" وارتفاع نسبة العلاقات السياسيّة والاقتصاديّة بين الأوروبيين وإيران خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، كما أنّ الملاحظات والأوصاف التفصيليّة لـ: "رافائيل دومانز وجان شاردان"، جعلت الغرب أكثر معرفة بالشيعة الاثني عشريّة،[٣] وفي بداية القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، لعبت "المجالس الإنجيلية" الدور الرئيس في هذا الخصوص، وكان رجال الدين المسيحيّون، بصفتهم متصدّين لتوجيه الدراسات الإسلاميّة ونوع العلاقة بين أوروبا والعالم الإسلاميّ، يحاولون من خلال دعواتهم التبشيريّة تنصير المسلمين والسيطرة عليهم سياسيًّا واقتصاديًّا بدعم من الحكومات الاستعماريّة ومشاريعها.[٤]

وكان حينئذٍ العديد من المستشرقين المشاهير أعضاء أو عمّال في السفارات والقنصليّات والوكالات السياسيّة والتجسّسية والعسكريّة للحكومات الاستعماريّة بشكلٍ مباشر.[٥] ولم يكن هناك أيّ ذكر للمذهب الشيعي في أوروبا بسبب عدم إتاحة المصادر الشيعيّة، إلى أن أطلق معهد "ستراسبورغ" للأبحاث في عام ١٩٦٨م، عن طريق مجموعة عمل مكوّنة من ٢٣ شخصًا من الأساتذة الأوروبيّين البارزين، بحثًا أساسيًّا

١ . مطهري‌نيا، ١٣٨٩ :٤١.
٢ . إحيا حسيني، ١٣٨٧: ٢٣.
٣ . سحاب ، ١٣٥٦: ٧٢.
٤ . الويري ١٣٨١: ٨٨.
٥ . بدوي، ١٩٣٢ :٥٣٢.

ومستمرًّا حول المذهب الشيعي في القرن الثاني عشر وفحصه ودراسته من شتّى الجوانب.[١]

ومع انتصار الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة عام ١٣٥٧ ش، ونهج الإمام الخميني قدس سره الذي كان له تركيزٌ خاصّ على دور محرّم وصفر في تأسيس الثورة واستمرارها، واستناده المستمرّ في مواقفه السياسيّة إلى ذكريات حادثة كربلاء،[٢] فضلًا عن تحوّل الفكر العلماني (في إيران) إلى حكومة إسلاميّة شيعيّة، اتّخذت الإجراءات السياسيّة للعالم الغربي للتحقيق في منشأ الثورة ومكوّناتها وتيّاراتها شكلًا أكثر جدّيةً، ومن ثمَّ دخل البحث عن الشيعة وحركة كربلاء مرحلة جديدة، يقول الشهيد مطهري قدس سره عن الفكر العلماني لبني أميّة ويزيد:

**إنّ أكبر ضربة قد تعرَّض لها جسد الإسلام بدأت منذ انفصال السياسة عن الدين، فلم يكن هناك عدالة ولامساواة ولا أي دعم للعلم والتعليم في العصر الأموي، ولم يكن أيّ خطّةٍ ترويجيّةٍ إلّا للشعر والعادات والآداب الجاهليّة، فقد كانت السياسة منفصلة عن الديانة بالفعل.**[٣]

## الثالث. تاريخ الدراسات عن عاشوراء

تعتبر حادثة عاشوراء من أبرز رموز الشيعة والعامل الأساس في تعرّف المستشرقين على الثقافة الشيعيّة، وهناك مجموعتان من الآراء العامّة للمستشرقين حول حركة عاشوراء المجموعة الأولى هي عبارة عن مستشرقين قد اعتبروا نهضة عاشوراء عدوانيّة ومادّيّة؛ اعتمادًا على النظرة السنّية السائدة في البحوث الإسلاميّة، والمجموعة الثانية كانت لها نهج واقعي وقد أدركت الغرض الأساس لهذه الحركة الإسلاميّة الناجية. ففي المجموعة الأولى هناك مستشرق بارز مثل "ويلفريد مادلونغ"، الذي نسب حركة التوّابين بعد حادثة عاشوراء إلى المختار الثقفي، وفي المجموعة الثانية "توماس أرنولد" الذي اتّهمه المستشرقون المتعصبون بالوُدّ والخنوع تجاه المسلمين.[٤]

1 .Colloque De Strasbourg, 1968: 6-9.

٢ . عنايت ، ٢٤٥: ١٣٦١.

٣ . المطهري، ١٣٤٩: ٣٢-٣١.

٤ . الويري، ١٣٨١: ٨١.

والخوض في مصادر التاريخ الإسلامي وترجمة الكتب التاريخية نحو" *مقتل الحسين*" لأبي مخنف، و"*تاريخ الطبري*"، و"*تجارب الأمم*"، والرحلات السياسيّة والاقتصاديّة إلى بلاد الإسلام الشرقيّة والحروب الصليبيّة شكّلت المرحلة الأولى من تعرّف الغربيين بعالم التشيّع.[١] وكما قال "برنارد لوئيس":

**أخذ العالم الغربي خلال الحروب الصليبيّة لأوّل مرّة في التعرّف على الشيعة الفاطميين في مصر، دون الشيعة الاثني عشرية.**[٢]

وفي العصر الحديث قام المستشرق الإنجليزي "فريدريك أمدرور" (١٨٥٤-١٩١٧ م) بتصحيح وترجمة التواريخ العامّة أو الكتب الخاصّة بالشيعة، نحو:" *الإرشاد*" للشيخ المفيد، وخلافة يزيد بن معاوية من" *تاريخ الطبري*"، و"*تجارب الأمم*" لابن مسكوية (٤٣١ ق)، كما قام المستشرق "مادلونغ" بترجمة فصل علي بن أبي طالب وأبنائه من كتاب" *أنساب الأشراف*" للبلاذري (٢٧٩ ق) ممّا قاد المستشرقين الغربيين إلى التعرّف أكثر على شخصيّة الإمام الحسين.[٣]

لكنّه - وبغض النظر عن الدراسات والأبحاث التي قد أُجريت إلى الآن - يبدو أنّ جملة "إدوارد براون" لا تزال سارية؛ حيث قال: «ما زلنا لا نملك أثرًا مبسوطًا وكافيًا وموثوقًا عن الشيعة في أيّ من اللغات الأوروبيّة»، وهكذا يشتكي من نقصٍ أو قلّة المصادر والمآخذ الغربيّة عن الشيعة.[٤] كما يعتقد "مونتجري وات" في خصوص تاريخ الشيعة، أنَّ النهج السني يميل إلى إبقاء كلّ شيء في الظلام والغموض.[٥]



---

١. سحاب، ١٣٥٦: ٦.

٢. إحيا حسيني، ١٣٨٧: ٢٣؛ دونالدسن، ١٣٩٥: ٣٩.

3 . I.K.A Howard, 1990: 19.

٤. دونالدسن، ١٣٩٥، ج١: ٥٦.

٥. وات، ١٣٧٠: ٦٧.

**١. عاشوراء.. طليعة الشيعة**

يعتقد جُلّ المستشرقين تقريبًا أنّ المذهب الشيعي قد نشأ من حركة كربلاء، ويقول "أنكري" حول حادثة عاشوراء، في مقام المقارنة:

**إنّ المقارنة بين الحسين ويزيد، هي المقارنة بين التقوى والمعصية، وبين الشجاعة والدنائة، وبين الروح والجسد.**[١]

وأوردت لـ"مبتون" حول منشأ التشيع:

**إنّ التشييع كحركة دينيّة، استلهمت في نشوئها ونموها من استشهاد الإمام الحسين عام ٦١ق.**[٢]

فإنّ التشيع هو نتيجة استشهاد الحسين عليه السلام، كما تَذكُر "آنا ماري شيمل":

**إنّ أولى نقاط العقائد والأفكار التي أصبحت فيما بعد أساس المعتقدات الكلاميّة للشيعة تتمحور حول محور كربلاء حيث اتّخذت لونًا أكثر جدّيّة.**[٣]

**٢. موقف المستشرقين الألمان من حادثة عاشوراء**

**أ. أنجلبرت كمبفر**[٤] **(١٦٥١ ـ ١٧١٦م)**

إنّ "كمبفر"، هو أوّل من قام بتحليل حركة عاشوراء من منظور مقتل "*روضة الشهداء*" بالفارسيّة، للملّا حسين كاشفي.[٥]

**ب. فرديناند وستنفلد**[٦] **(١٨٠٨ -١٨٩٩م)**

"وستنفلد" مستشرق ومتخصّص في تاريخ الإسلام والأدب العربي، وهو أوّل باحث قد عرّف العلماء الغربيين بكتابات المقتل حول الإمام

١. أنكري، ١٣٧٨: ٢٠٥.

٢. لمبتون، ١٣٨٩: ٣٦٤.

٣. شيمل، ١٣٧٥: ١٥٩.

4 . Engelbert Kaempfer

٥. كمبفر، ١٣٦٣: ١٨٠.

6 . Ferdinand Wustenfeld

الحسين عليه السلام، من خلال نشر مقال عن (*مقتل الحسين* لأبي مخنف)[١].

**ج. تئودور نلدكه[٢] (١٨٣٦-١٩٣٠م)**

يعد "نلدكه" أحد أبرز المستشرقين والمترجمين للقرآن الكريم باللغة الألمانيّة[٣] فقد سافر إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي لإجراء أبحاثه، كما قام ببحث حول حادثة كربلاء، ضمن دراسة مقارنة بين الإمام الحسين عليه السلام والسيد المسيح عليه السلام؛ حيث يَعتبر كلًّا منهما صاحب شريعة حقّة وصراط مبين.

**د. يوليوس ولهاوزن[٤] (١٨٤٤ـ ١٩١٨م)**

تحدّث "ويلهاوزن" في كتابَيه بالتفصيل عن الحسين بن علي صلى الله عليه وآله وحادثة كربلاء،[٥] وقد تناول دور الحسين بن علي أثناء الخلافة الأمويّة من منظور تاريخي وعلم الاجتماع وعلم الكلام، كما حاول "ولهاوزن" اعتمادًا على معلوماته، رسم صورة دقيقة من المواضع والشخصيّات من جهة، ونفي وجود أيّ دافعٍ دينيّ في حركة الإمام الحسين عليه السلام من جهةٍ أخرى، بل اعتبرها محاولة من شخص طموح للوصول إلى السلطة العليا.

**هـ. آنا ماري شيمل[٦] (١٩٩٢-٢٠٠٣م)**

الدكتورة "شيمل" دارسة وباحثة في الدين الإسلامي، وهي مستشرقة وباحثة مولوية شهيرة ألمانيّة، وقد ألّفت كتابًا بعنوان (*مِن علي إلى الزهراء*). وهي في أعمالها تعتبر يزيدَ مستحقًّا باللعن من قبل المسلمين، وتوجّهه مسؤولية فاجعة كربلاء.[٧]



---

١. سحاب، ١٣٥٦: ٣٣٢-٣٣٣.

2 . Theodor Noldeke

٣. محمدي، س، ١٣٩٣: ٧.

4. Julius Wellhausen

٥. ولهاوزن، ١٣٧٥: ٦٦.

6 . Anne Marie Schimmel

٧. زوارق موسوي، ١٣٩٢: ١٤٨.

**٣. موقف المستشرقين الناطقين بالإنجليزية من حادثة عاشوراء**

**أ. دوايت دونالسن[1] (١٨٨٤-١٩٧٦م)**

قام "دونالسن" بتأليف أوّل كتاب عن التشيع بعنوان (المذهب الشيعي) عام ١٩٣٣م،[2] وقد قوبل هذا العمل بردود فعلٍ سلبيّة من قبل المثقّفين الشيعة؛ لوجود الغلوّ وشبهات مختلفة حول الإمام الحسين عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام، وخلافًا لموقف أتباع المذهب الشيعي، لم يلق هذا العمل ترحيبًا من المستشرقين فحسب، بل وإنّ الكُتّاب العرب الذين تختلف مواقفهم عن الشيعة، استخدموه كمصدر كثير الإرجاع.

**ب. إدوارد براون[3] (١٨٦٢-١٩٢٦م)**

فقد حاول المستشرق "براون"، مقارنة الأحداث الاجتماعيّة لإيران المعاصرة مع الأحداث السياسيّة في كربلاء، فقد كتب في كتابه "*تاريخ إيران الأدبي*":

> إنَّ إراقة دم حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله في ظروف وحشيّة وغير مسبوقة بكلّ أنواع التعذيب، تسبّب في الاستياء والكراهيّة العامّة، ومنذ ذلك الحين نُفخت روح الاستشهاد والتضحية والاستخفاف بالموت في قلوب الناس، وأعطت لتطور الشيعة ونشاطها قوةً تزداد يوما بعد يوم.[4]

**ج. جون نورمان هاليستر[5] (١٩٠٧-١٩٧١م)**

إنّه نظير "دونالدسن"، وهو من أصل بريطاني، وقد أجرى أبحاثًا مستفيضة حول التشيع والإمام الحسين عليه السلام في منطقة آسيا، ويعتقد أنّه ليس في تاريخ الإسلام حادث يجرح مشاعر

1 . Dwight Donaldson

٢ . دونالدسن، ١٣٩٥، ج١: ١.

3 . Edward Browne

٤ . أنكري، ١٣٧٨: ٢٣٩.

5 . John Norman Hollister

المسلمين بعمق كما فعلت مجزرة كربلاء، وكانت كربلاء القوّة الحقيقيّة التي قد قادت أعمق التيّارات الفكريّة والاجتماعيّة للشيعة خلال عدة قرون، وأضاف قائلًا:

**إنّ محمّدًا وعليًّا والحسين هم الأقانيم الثلاثة للشيعة، فكان محمّدﷺ هو الكاشف (للحق)، وعليعليه السلام هو المبيّن للمحكمات والمتشابهات، والحسينعليه السلام هو وسيلة النجاة.**

**٤. عدم انتباه المستشرقين إلى البعد الروحي لكربلاء**

لابدّ من البوح بأنّ المستشرقين قد تأثّروا بشكلٍ مفرط بـ(المنهجية الميكانيكيّة) أو (المنهج العلمي التاريخي) في جانب بحوثاتهم لحركة عاشوراء، مما أدّى إلى أنّ العديد من المفاهيم والقضايا الدينيّة والمعنويّة والأخلاقيّة في الفكر العلميّ للغرب تبقى بلا قيمة علميّة ومعرفيّة أو ضعيفة علميًّا للغاية؛ فقد أورد "ماربين" في كتاب "*سياسة الإسلام*" حول حادثة كربلاء العظمى:

**إنّ سلوك الحسين عندما غادر مكة لمجابهة يزيد، هو سلوك رجل لديه أسمى عواطف إنسانيّة، فكان الحسين يؤمن بأنَّ ذِكراه والقضيّة التي يدافع عنها لن تُمحى من القلوب أبدًا، وستؤتي ثمارها الطيّبة، وأنّ التضحية بالنفس هي السبيل الوحيد للكشف عن هداة الإسلام المستقبليّة.**[1]

يعتقد "توماس كارلايل" البريطاني أنّ أفضل درس يمكن أن نتلقاه من مأساة كربلاء، هو أنّ الإمام الحسينعليه السلام وأصحابه كان لديهم إيمانٌ راسخ بالله، وقد أثبتوا بعملهم أنّ التفوّق العددي ليس مهمًّا عندما يتوقّف الأمر بين الحقّ والباطل، وأنّ موالاة هؤلاء للإمام الحسينعليه السلام على الرغم من قلّة عددهم، هو مدعاة للحيرة،[2] إنّ عدم استيعاب المستشرقين حقيقة حادثة كربلاء، لم يكن مؤثّرًا أبدًا في النهج القائم على التفكير الديني والحضاري للإمام الحسينعليه السلام، بل على العكس، لقد شهدنا في العصر

١. أنكرى، ١٣٧٨: ٢٦٠.

٢. زوارق موسوي، ١٣٩٢: ٣١٧؛ ماجراجو، ١٣٨٣: ١٨٦.

الراهن، النزعة النسبيّة للمستشرقين نحو المدرسة الشيعيّة، وهذا العامل هو مصداق ذلك الحديث المشهور عن رسول اللهﷺ؛ حيث قال: «إنَّ لقتل الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدًا».[١]

## الرابع: الأغراض والعناصر السياسيّة المكوِّنة لحادثة عاشوراء

### ١. اعتلاء العرش

يعتقد بعض المستشرقين أنّ هدف الإمام الحسينؑ من الخروج كان اعتلاء العرش وتولي الحُكم، فمن حقّ الطبقة الحاكمة الدفاع عن النظام بأيّ شكل من الأشكال؛ وبذلك يحاولون إظهار قيام سيد الشهداءؑ كمجرّد حركة باحثة عن السلطة، والحسينؑ كشخص متمرّد على الحكومة القوميّة العربيّة المتمركزة في دمشق، كما يكتب "جون بايرناس":

**كان الحسين يسعى وراء حقّه الموروث والموهوب، فقتل بأمر من الخليفة الأموي يزيد.**[٢]

وقد أورد "دزموند هارني":

**يولي المذهب الشيعي أهمّيّة كبيرة للجهاد والشهادة، ويرجع معظمه إلى النزاع حول هزيمة فئةٍ قليلةٍ من المسلمين في حرب سياسيّة قبل حوالي ١٣٠٠ عام.**[٣]

لكن وفقًا للنصوص والروايات الإسلاميّة، والتي هي عمومًا ضدّ حكم الأمويّين، يُعتبر الإمام الحسينؑ هو الشهيد المظلوم ويزيد هو المسؤول عن قتله، مع ذلك هناك بين المؤرّخين الجدد نحو "سير دبيليو ماير"، مَن يتّفق مع النظرية القائلة بأنّ الحسين ارتكب فعلًا قد عرّض المجتمع للخطر؛ ذلك بسبب انقلابٍ فاشل ضدّ النظام، وكان

١. بروجردي، ج١٢: ٥٥٦.
٢. بايرناس، ١٣٨٠: ٨٥٠.
٣. هارني، ١٣٧٧: ١٥٧.

من الضروري قمعه فورًا،[١] إلّا أن "نيكلسون" يعترف بأنّ الأمويين هم الطغاة بسبب مخالفتهم لأحكام الإسلام وتمرّدهم على مُثله، وبما أنّهم ظالمون فليس لهم الحقّ في قتل المؤمنين الذين انتفضوا مسلّحين لإحقاق حقوقهم المغصوبة.[٢]

وفي هذا الصدد، لا بدّ من الإشارة إلى بعض النقاط المهمّة:

**الأولى:** حاول بعض المستشرقين أن ينزّلوا الإمام الحسين عليه السلام إلى منزلة زعيم سياسيّ، بينما هو معصوم وهدايته عامّة.

**الثانية:** إنّ الحركة العسكريّة في كربلاء بدأت من جانب العدو، وكانت حركة الإمام الحسين عليه السلام دفاعيّة بحتة.

**الثالثة:** في حال عدم خروج الإمام الحسين عليه السلام، فكان عليه قبول بيعة يزيد كُرهًا، وهذا يتناقض مع آيات القرآن الكريم؛ حيث يقضي بعدم التعاون في الإثم والخطيئة، قوله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**[٣]﴾.

وعليه، فلم يكن هدف الإمام الحسين عليه السلام من القيام هو اعتلاء العرش، ولكنّ الله أمر بوضوح في القرآن الكريم بعدم التعاون في المعاصي والعدوان (أي: مبايعة آل يزيد).

**٢. دور عبد الله بن الزبير في خروج الإمام الحسين عليه السلام**

يختلف المؤرّخون الإسلاميّون حول موقف عبد الله بن الزبير في خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة إلى الكوفة، فيرى البعض أنّ الحسين عليه السلام كان عبئًا ثقيلًا على ابن الزبير؛ لأنّ أهل الحجاز ما كانوا ليبايعوه والحسين بن علي صلى الله عليه وآله فيهم، فكانت بيعة الناس له مستحيلة.[٤]

ويروي ابن الأثير عن الإمام الحسين عليه السلام:

١. بروكلمان، بدون تاريخ، ج٣؛ نيكلسون، ١٣٨٠: ٢١١.
٢. نيكلسون، ١٣٨٠: ٢١٢.
٣. المائدة: ٢.
٤. ابن الأثير، ١٩٨٦: ٥/ ١١٢.

**إِنَّ هَذَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَيْهِ (ابن الزبير) مِنْ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْحِجَازِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْدِلُونَهُ بِي، فَوَدَّ أَنِّي خَرَجْتُ حَتَّى يَخْلُوَ لَهُ.**[١]

وعلى عكسه يكتب المسعودي وابن كثير أنّه بعد قرار الإمام الحسين عليه السلام بالخروج من مكّة، طلب منه الكثيرون عدم الذهاب إلى الكوفة والبقاء في مكة، ومن بينهم عبد الله بن الزبير،[٢] كما يعتقد بعض المستشرقين أنّ ابن الزبير أبدى عداوته مع يزيد علنًا وشجّع الإمام الحسين عليه السلام في خروجه إلى العراق حتّى يكون بعد استشهاد سيد الشهداء، هو المطالب الوحيد بالخلافة. فهم يعتقدون أنّ ابن الزبير كان يعرف أنّه لن يصل إلى هدفه ما دام الحسين على قيد الحياة.[٣]

ويحاول المستشرقون في هذه القصّة أن يقدّموا عبد الله بن الزبير كشخصيّة في طليعة حركة كربلاء؛ ذلك من خلال إظهار الوضع السياسي للحجاز والشام بشكلٍ مقلوب، وإلقاء الضوء على بعض الأحداث الجانبيّة، لكنهم يجهلون أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعرف حقيقة ابن الزبير، ويعلم جيّدًا بعداوته لأهل البيت عليهم السلام، خاصّة أن أباه كان من رؤوس معركة الجمل، وكان هو بالذات من حملة جيش عائشة وطلحة والزبير؛ ولهذا قال الإمام الحسين عليه السلام في الرد على هؤلاء الذين طالبوه بالتخلّي عن الخروج، مشيرًا إلى الحكومة الأمويّة وحكومة الحجاز الغاصبتين: «ألا ترونَ إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغبَ المؤمن في لقاء ربه حقًّا.[٤]

**٣. دور الكوفيين في وقوع حادثة عاشوراء**

يقول المستشرق "إشبولر":

---

١. ابن الأثير، ١٩٨٦: ١٣٧/٥.

٢. المسعودي، ١٣٧٠: ٥٩/٢-٦٠؛ ابن كثير، ١٣٥١: ١٧٤/٨.

٣. سايكس: ٧٤٩/١؛ حِتِّي، ١٣٨٠: ٢٤٨/١.

٤. الطبري، ١٤٠٩: ٣٠٤/٤.

**بعد دعوة الكوفيين للإمام، رغم أنّهم أبلغوه بأنّ الإجراءات الاحترازيّة الحكوميّة وضعت مناصريه في الكوفة في وضعٍ حرجٍ، فقد رفض التراجع حفاظًا على شرفه، ورغم الظروف المواتية التي اقترحوها عليه، أنّه رفض التنازل عن حقّه (أي حق أهل البيت عليهم السلام)، وقد قُتل بعد صراع قصير في كربلاء، غربيّ الفرات، بجوار صحراء الشام.**[1]

وفي نظريّة مثيرة للتأمّل، يتحدّث "ولهاوزن" عن رفض الكوفيين الخضوعَ لحكم مدن أخرى عليهم، كما يعتبر خروج حجر بن عدي مقدّمة لقيام الإمام الحسين عليه السلام.[2]

ويقول "سايكس":

**إنّ إرسال الكتب من جانب الكوفيين، كان السبب الرئيس لقيام الحسين ضدّ الحاكم الإسلامي (يزيد).**[3]

ورغم أنّه قام بدراسات مكثّفة إلّا أنّه قد أخطأ؛ لأنّ كلّ المستشرقين تقريبًا يرون أنّ الإمام الحسين عليه السلام أحدث قيام عاشوراء حتّى لا يخضع لحكم يزيد الجائر والظالم. وعلى كلّ حال، كانت الكوفة تعيش ظروفًا مضطربة وغير مستقرّة، وبالنظر إلى وجود الأعراق والأديان والمدارس المختلفة والآراء والأفكار المشتّتة والصراعات الطائفيّة، ولو كان أهل الكوفة قد ساعدوا الإمام الحسين عليه السلام فَرَضًا؛ فذلك كانت محاولة لنقل السلطة من الشام أو الحجاز إلى الكوفة والعراق، وليس لغرض ديني.

ويقول "دونالدسن":

**إنّ كلّ الجنود المشاركين في معركة عاشوراء التي أدّت إلى مقتل الحسين، كانوا من الكوفة، ولم يكن بينهم شامي واحد.**

ولعله أهمّ أدلّة على هذا البحث ما يكمن في كلمات سيد الشهداء عليه السلام قبل تلقّيه دعوة الكوفيين ومغادرة المدينة، الأمر الذي سيصلون حركة عاشوراء إلى الأبد من أيّ

١ . إشبولر، ١٣٥٤: ٧٢.

٢. دونالدسن، ١٣٩٥: ١/٤٦-٤٧.

٣ . سايكس، ١٣٦٦: ١/٧٤٩.

تحريف وتزوير؛ ففي بيان أهداف ثورته وحركته، فقد أشار في وصيّةٍ لأخيه محمد ابن الحنفية إلى هدفَيه الساميين: أحدهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والآخر إصلاح أمّة جده وأبيه، ومع غضّ النظر عما ورد أعلاه، هناك عاملان كان لهما دورٌ كبيرٌ في عدم تعاون أهل الكوفة مع الإمام الحسين عليه السلام، وهما:

**أ.** قطع العلاقة بين القيادة والحركة: فإنّ أهمّ وظيفة القائد – رسميًّا كان أو غير رسمي – الحث والتخطيط لسير الحركة واتّجاهها وتقديم نموذج للسلوك (صنع القرار وتقديم نموذج يحتذى به)، ورسم مستقبل الحركة، والتركيز على وحدة الأمّة وإخراجها من الحيرة؛ فكان معاوية ويزيد يحاولان دائما القضاء على هذا العامل؛ ولهذا تمّ اغتيال مسلم بن عقيل كوسيط بين الإمام الحسين عليه السلام وأهل الكوفة، وتمّ القضاء على دوره الحاسم بيد عبيد الله بن زياد.[1]

**ب.** فقدان التنظيم وشنّ الحرب النفسيّة: فقد أمر ابن زياد بنشر دعايات وخطب متتالية من على القصر ضدّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل، وأعلن على نطاق واسع بأنّ قوّات يزيد تتّجه في طريقها من الشام صوب الكوفة، ولو فكّر الناس قليلًا، لعلموا أنّه حتّى لو صحّت الإشاعة فإنّ وصول جيش يزيد إلى الكوفة يستغرق شهرًا، ممّا يكفي للقضاء على أمر عبيدالله خلال بضع ساعات فقط.[2]

**٤. إصرار أولياء دم مسلم بن عقيل**

يقول المسعودي: "إنّ مُسلم بن عقيل، هو أوّل شهيد من بني هاشم الذي شُنق جسده"،[3] وبحسب المصادر فإنّ أسماء إخوة مسلم هي: عبدالله وعلي ومحمد وأبو سعيد

١. باقي، ١٣٧٩: ٢٧-٢٨.
٢. باقي، ١٣٧٩: ٢٩-٢٨.
٣. المسعودي، ١٣٧٠: ٢/١٠.

وعبد الرحمن وجعفر وعون،[١] وكان الجميع قد حضروا في كربلاء نصرةً للإمام الحسين عليه السلام، وكان جعفر بن عقيل من مفاخر آل عقيل، والذي قاتل في ساحة المعركة ببسالة حتّى استشهد على يد عروة بن عبد الله الخثعمي،[٢] وكان محمّد بن عقيل بن أبي طالب من فقهاء عصره، الذي استشهد يوم عاشوراء بجوار سيد الشهداء عليه السلام،[٣] وقال الإمام الحسين عليه السلام في صبر آل عقيل وصمودهم:

**صبرًا يا بني عمومتي، صبرًا يا أهل بيتي، لا رأيتم هوانًا بعد هذا اليوم أبدًا.**[٤]

ومن خلال حركة كربلاء، ركّز بعض المستشرقين على ضغوط آل مسلم على الحسين عليه السلام ليأخذ بثأره. يقول "نيكلسون" في *تاريخ الأدب العربي*:

**بعد استشهاد مسلم بن عقيل، كان لا يزال الطريق مفتوحًا لرجوع الإمام الحسين عليه السلام، لكنّ أنصاره قد صاحوا بضرورة أخذ ثأر المسلم.**[٥]

ويقول "سايكس" في السياق نفسه:

**إنّ وصول خبر قتل مسلم تسبّب في ذعر الحسين وقلقه، وخيبة أمله في الرحلة تمامًا، لكنّه رأى أنّ المسافة التي قطعها كانت أكبر من أن يتراجع عنها، بالإضافة إلى ذلك، قام أقاربه وأرحامه بمطالبة ثأر مسلم.**[٦]

وقد أخطأ بعض المستشرقين كـ: "دونالدسن وبروكلمان"؛ حيث اعتبروا هذا العامل كمصدر للاتّجاهات القوميّة بعد قيام كربلاء؛ إذ يكتب بروكلمان:



١. ابن شهر آشوب، ١٤١٢: ١١٢/٤.
٢. شريف القرشي، ١٤١٣: ٢٥١/٣.
٣. المصدر نفسه: ٢٥٢.
٤. المجلسي، ١٤١٢: ٣٦/٤٥.
٥. ولهاوزن، ١٣٧٥: ٦٥.
٦. سايكس، ١٣٦٦: ٧٤٩/١.

استشهاد الإمام الحسين عليه السلام جعل التشيع قُطبًا للتوجهات المعادية للعرب.[١]

ويقول "هاليستر" من خلال دراسته الجغرافيّة حول حركة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء:

**عندما وصل خبر مقتل مسلم إلى الحسين، كان هو وأهله قد وصلوا إلى القادسيّة، وكان لا يزال لديه فرصة للعودة، لكن إخوة مسلم رفضوا ذلك؛ لأنّهم كانوا يطالبون بثأر أخيهم.[٢]**

لكن المستشرقين ليسوا على دراية بأنّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ولا سيّما إخوة ابن عمه مسلم، كانوا يتبعون وليّ أمرهم اتباعًا محضًا، بحسب الآية المباركة: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ..[٣]﴾.

**٥. قضيّة ندامة يزيد**

ومن المواضيع المهمّة التي أثارها المستشرقون بعد حادثة كربلاء هي ندامة يزيد؛ فقد أورد "كارل بروكلمان" أنّه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام نقلوا رأسه إلى يزيد، فتأثّر يزيد برؤيته تأثّرًا شديدًا؛ إذ لم تكن هذه النتيجة ما يتوقّعها يزيد، فأمر بإعادة أهل بيته الذين نجوا من كربلاء باحترام إلى المدينة،[٤] وإنّ سلوك يزيد العاطفي تجاه أهل بيت الحسين عليه السلام جعل بعض مقرّبيه (دفاعًا عن يزيد) أن يُلقوا اللوم على قادة الحرب فيما يتعلّق بمجزرة كربلاء، فقالوا إنّ القادة عصوا أوامر الخليفة، لكنَّ مؤرخّي الشيعة والعديد من كتّاب السنّة رفضوا ذلك قائلين: إنّ يزيد لم يتظاهر بالتصرف برفق، إلّا لوعيه بالعواقب الخطيرة لقتل الحسين، وتوقّعه حصول بعض الاضطرابات والاحتجاجات من قبل بني هاشم في دمشق، مع ذلك لم يحدّد أيّ فديةٍ أو غرامةٍ لقادة

١ . بروكلمان، بدون تاريخ: ٣/٣١٩-٣٢١.

٢ . هاليستر، ١٣٧٣: ٢٤.

٣. النساء: ٥٩.

٤ . بروكلمان، ١٣٦٤: ٣/٣١٩.

المعركة والمسؤولين عن مجزرة كربلاء، بل بالعكس، فقد منح بعضهم مكافآت ضخمة.[١]

وعلى عكس "بروكلمان" يقول "ولهاوزن":

**لقد أصبح يزيد مسرورًا للغاية بما حدث، وكيف لا وهو يستمتع بقرع ثغر الإمام الحسين ويلعب برأسه.**[٢]

ولكنّه ينفي وجود أيّ دافعٍ دينيّ في حركة الإمام ويعتبرها محاولة من شخص طموح لاكتساب سلطة عليا، وقد أجرى دراسات مستفيضة عن الأمويين ويزيد، ووصل إلى نتيجة أن يزيد نشأ بغرائز بدويّة، وهو يكره التقوى ويُهمل أحكام الشريعة،[٣] لكن يبدو أن رؤوس بني أميّة (على عكس يزيد) كانوا يتجنّبون قتل الحسين، على أمل أسره حيًّا، إلّا أنّ شمر بن ذي الجوشن لم يكن لديه أيّ تردّد في هذا الخصوص.[٤] كما أنّ له نظرة فاحصة في مجلس يزيد بحضور أسرى كربلاء؛ إذ بين المستشرقين قلَّ من تحدّث في دراساته عن دور خطب السيدة زينب عليها السلام والإمام سجاد عليه السلام في خلود حركة كربلاء.

**الخامس: المبادئ السياسيّة للحكومة الشيعيّة والسلطنة الأمويّة**

**١. عهد الامام الحسين عليه السلام أو سلطنة يزيد**

يقول "ماربين":

**كان لبني أميّة الأفضليّة في الثروة والسياسة، وكان لبني هاشم الأفضليّة في العلم والمعنويّة، وأمّا الحسين فكان أولّ سياسي يتبنّى مثل هذه السياسة الفعّالة حتّى اليوم.**[٥]

وقد أثار بعض المستشرقين، سواء عن حقد أو عن جهل، قضايا تظهر أنّ الإمام

١. أنكري، ١٣٧٨: ٢٤١-٢٤٠.
٢. ولهاوزن، ١٣٧٥: ٦٥.
٣. نيكلسون، ١٣٨٠: ٢١٠.
٤. نيكلسون، ١٣٨٠: ٢١١.
٥. ماربين وآخرون، ١٣٣٦: ٣.

الحسين عليه السلام كان يعارض خليفة المسلمين، في حين لقد تغيّرت الحكومة في عهد يزيد من شكلٍ دينيٍّ إلى شكل لا ديني بل هو دنيويّ بحت؛ حيث اختفت روح العبادة والتوحيد التى كانت في العصور الإسلاميّة السابقة، فأصبحت بداية السلطة الأمويّة نهاية الحكم الإسلامي؛ ولهذا أطلق ولهاوزن على كتابه عن العصر الأموي عنوان" *الإمبراطوريّة العربية وسقوطها*.[1]

وقد أورد "مطهري نيا" نقلًا عن "ألفريد فون كرمر":

> **إنّ أساس الفكر الشيعي وفكر الإمام الحسين عليه السلام، هو عقيدة حرّة وليبرالية يتعارض مع الأفق الضيّق للسنة (الأمويين) المتعصبين.**[2]

فهو كمثل بعض المستشرقين، يعتبر سيد الشهداء رجلًا يستحقّ الثناء من قبل شيعته؛ حيث يتبعون عقيدة دينيّة معيّنة، ويوضّح "هاليستر" أنّه على الرغم من أنّ الحسين كان يعيش في المدينة المنوّرة، إلّا أنّه رفض التدخّل في الشؤون طالما كان شقيقه الإمام الحسن على قيد الحياة، وكما يقول "ماربين":

> **على الرغم من أنّ الحسين كان تحت تأثير أخيه الحسن، إلّا أنّه لم يكن مستعدًّا لطاعة الأمويين، ولم يعترض على ذلك، فكان يردّد شعاره المعروف: "ولأن أُقتَل في سبيل الحقّ خيرٌ من أن أبايع الطاغوت".**[3]

**٢. المرجعيّة السياسيّة للإمام عليه السلام**

كان أهمّ عامل نشوء الخلاف في المجتمع الإسلامي هو قضيّة المرجعيّة والأصلحيّة لخليفة النبي صلى الله عليه وآله، والتي ظلّت قائمة إلى حادثة كربلاء، ويعتبر "ويلفرد مادلونغ"، الذي يتمتّع بسجلّ حافل بالنجاح في مجال دراسة التيّارات الشيعيّة، أنّ مرجعيّة الإمام السياسيّة تقوم على ثلاثة مبادئ:

---

١. هولت، ١٣٧٨: ١٢٥.

٢. مطهري نيا، ١٣٨٩: ٤٤.

٣. ماربين وآخرون، ١٣٣٦: ٦.

**أ.** من واجبات الإمام رئاسة المجتمع.

**ب.** المرجعيّة في المجتمع الإسلاميّ بعد رسول اللهﷺ هي من حقّ أهل بيتهعليهم السلام.

**ج.** مَن يغصب هذا المنصب ظلمًا، هو سلطان جور.[١]

وإنّ "مادلونغ" - وفقًا لتحليله الشخصي للتعاليم الإسلاميّة وشخصيّة الرسول الأكرمﷺ، وليس بناءً على الروايات التاريخيّة والكلاميّة المقبولة عند المسلمين والشيعة – قد توصّل إلى نتيجة مفادها أنّه لا يستحقّ خلافة الرسولﷺ إلّا شخصٌ مثل الإمام عليعليه السلام وأولاده، لكنّ أساس تفكيره يعود إلى أهل السنّة الذين يعتبرون مسألة الخلافة حقًّا للناس، من غير استناد إلى العقائد الكلاميّة القائلة بأنّها فعل من أفعال الله تعالى.[٢]

ويقول "برنارد لويس" بعد تفحّصه مرجعيّة الإمام في شكل الولاية:

> **إنّ "الولاية" هو صلاحيّة إصدار الأمر والتي يبرر بها السلاطين أفعالهم نظريًّا وشرعيًّا، والولاية ليست إلّا نتيجة القوّة العسكريّة، ومَن يبايعه صاحبُ القوّة العسكريّة يكون هو الخليفة.**[٣]

ويتابع قائلًا:

> **بما أنَّ الحاكم لا يستطيع تغيير الشريعة المقدّسة، فلا يستطيع التعدّي عن نطاق قدرته القانونيّة شرعًا. فإذا حاول إصدار حكمٍ مخالفٍ للشريعة، يُتّهَم بمخالفة الشريعة ويخضع للعقاب.**[٤]

كما يوضّح مطّردًا: كان الحسين بإمكانه أن يدمّر جيش عبيد الله بن زياد حاكم العراقِين أو يحرقهم ويحوّلهم إلى رماد بإشارة واحدة، لكنّه لم يستخدم قوّة إمامته لمحوهم، وبغض النظر عن آراء المستشرقين المختلفة في هذا الصدد، فإنّ مبادئ الشيعة

١. بهشتي مهر، ١٣٩٧: ١٥٩.
٢. بهشتي مهر، ١٣٩٧: ١٥٩.
٣. لويس، ١٣٨٥: ٧٥.
٤. المصدرنفسه: ٧١.

ومبانيها في هذا الصدد واضحة ومبرهنة، ولا بدّ من أخذها بعين الاعتبار.

**٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**

إنّ العامل الأساس الذي ذكره الإمام الحسين عليه السلام كدليل أساس على قيامه هو فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعتقد "مايكل كوك" – استنادًا إلى المصادر الشيعيّة وسيرة الحسين بن علي صلى الله عليه وآله – أنّ مجرّد احتمال الضرر الشخصيّ لا يمنع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فربما أن يكون الشيء الذي تعرّض للخطر أكبر أهمّيّة من حياة الفرد وماله وكرامته في نظر الإسلام، كما هو الحال عندما يكون القرآن في خطر،[١] ثمّ إنّ الخوض أو عدمه في معركة عاشوراء هو من أبرز مظاهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ الشيعة الإماميّة يعتقدون أنّه لو يؤدّي النهي عن المنكر إلى الجرح أو قتل، فلا يجوز إلّا بإذن الإمام (المعصوم).[٢]

ومن ناحية أخرى، فإنّ المبدأ الأساس للحياة السياسيّة والاجتماعيّة للمسلمين، كما يتجلّى في كثير من الأحيان في أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو المسؤوليّة المشتركة للحاكم والرعية، أو وفقًا للمصطلح العصري: الدولة والمواطن.[٣]

إنّ كلّ الأدلّة المذكورة تدلّ على المشاركة والتعاون بين الأمّة والإمام، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن بسبب عدم معرفة المستشرقين بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقع معظمهم كـ"ألفريد فون كرمر" (١٨٦٨م) في الخطأ، وأحيانًا تحدّثوا عن التعصّب المفرط للشيعة وعن عدم تسامحهم مع سائر المسلمين بل معاملتهم بوحشية.[٤]

فمن النادر أن نجد مستشرقًا يكون قد اهتمّ في دراساته بكلام الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكّة، حيث قال:

---

١. كوك، ١٣٨٤: ٢/٨٣٩.

٢. المصدر نفسه: ٨٤٥.

٣. لويس، ١٣٨٥: ٦٨.

٤. مطهري نيا، ١٣٨٩: ٤٤.

**إنّي لم أخرج أشِرًا ولا بطَرًا، ولامفسدًا ولا ظالمًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ...**[١]

فهم لم يلاحظوا سوى القتال في يوم عاشوراء، فلم تقدّموا الإمام الحسين عليه السلام على أنه مروّج حربٍ فحسب، بل وإنّما تجاهلوا أفعاله السلمية والإنسانيّة في محو البدع ومنع التفتيش عن العقائد، ومن المثير للاهتمام أنّ "مايكل كوك" الذي فهم هذا المبدأ جيّدًا، يعتقد أنّ الثقافة الغربيّة تخلو من الأفكار القيّمة مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر الذي سبّب أن يكون دافعه وغرضه من تأليف أثره، هو كيفيّة تحقيق الإسلام لهذه الفريضة وترسيخه في المجتمع الغربي.[٢]

**٤. اتّباع القيادة في حركة عاشوراء**

إنّ معظم التعاليم الإسلاميّة بشأن السياسة، تحمل رسالة ثنائيّة متكوّنة من جزأين: أحدهما للحاكم وهو صلاحيّة إصدار الأمر. والآخر للرعيّة وهو الانقياد والامتثال، وإنّ الواجب الأساس والرئيس للرعيّة في الشريعة هو طاعة الحاكم، ويعتبر العصيان ضدّه، جريمة ومعصية،[٣] وقد وردت هذه النقطة المهمّة في الآية الكريمة بوضوح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤]. لكن كما أشار إليه جعفريان، فإنّ الحكومة الأمويّة ولا سيّما حكومة يزيد، أخذت سيرًا مختلفًا؛ إذ ابتنت على استخدام مفاهيم سياسيّة مزدوجة لإقناع الناس، وبيان المبدأين: (مبدأ الجماعة) (في حالة وجود جماعة: أخذ البيعة) و(مبدأ نقض البيعة) (أخذ البيعة باستخدام القوّة وفي حالة نقض البيعة: مؤاخذة شديدة)،[٥] ووفقًا لهذه الظروف، لم تكن الحكومة مبنيّة على الإيمان الباطني، بل كانت القوّة والرشوة، هما الدافعان الأصليّان لاتباع الحاكم المسلم.

١. المجلسي، ١٤١٢: ٣٢٩/٤٤.
٢. كوك، ١٣٨٤: مقدمة.
٣. لويس، ١٣٨٥: ١٧١.
٤. الفتح: ٢٩.
٥. جعفريان، ١٣٨٨: ٥٧-٥٨.

**نتيجة البحث**

إنّ النهج السياسيّ للمستشرقين الألمان والإنكليز تجاه حركة عاشوراء، يتمتّع بعمق وبصيرة أكثر من سائر المستشرقين الغربيين.

فيمكن تقسيم المستشرقين البارزين الذين حلّلوا حادثة عاشوراء إلى ثلاث مجموعات: "مستبصر"، و"باحث عام"، و"عملاء تخريب"، ولسوء الحظّ، كانت منابر الدعاية غالبًا ما بأيدي المجموعة الثالثة، وثمّة قصور في مواقف المستشرقين بشأن حادثة عاشوراء كما يلي:

**أوّلًا**: لا يدقّق المستشرقون أسناد الروايات بشكلٍّ عامٍّ (أي علم الدراية)، بل يهتمّون فقط بالنصّ والمحتوى.

**ثانيًا**: يتأثّرون بشدّة بالمصادر السنيّة وقلّما يعتمدون على المصادر الشيعيّة الرئيسة.

**ثالثًا**: عند طرحهم لفرضيّة معيّنة لا يبحثون عن الحقيقة، وإنّما همّهم الوحيد هو إثباتها بأي نحو كان، وللأسف، فلم يكن لباحثي المسلمين والشيعة موقف واحدٌ ضدّ الموجة العلميّة والسياسيّة للمستشرقين في العصر الحديث؛ فإنّ مجموعة منهم كرّست نفسها للقبول المطلق، ومجموعة أخرى للإنكار المطلق، والمجموعة الثالثة اتّخذت الاستدلال المنطقيّ والنقد طريقًا لها، الأمر الذي أدّى إلى فقدان وجود نظرةٍ موحّدةٍ حتّى اليوم.

واللافت للنظر هو أنّ الاستشراق قد تحوّل إلى حركة علميّة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وقد تمكّن المستشرقون من تحليل حركة كربلاء من وجهة نظر اجتماعيّة وسياسيّة وفهم آثارها المعنويّة ولو إجمالًا، ومن نتائج هذه الدراسات الإيجابيّة تقديم العديد من الأعمال حول حادثة عاشوراء، وضرورة إعادة التعرف على الهويّة الشيعيّة، واتّخاذ أساليب جديدةٍ وعلميّةٍ في دراسات عن عاشوراء، وخلق آراء وأفكار جديدة حول الإمام الحسين عليه السلام ومدرسته الفكريّة.

وأخيرًا لابد من القول: إنَّ الاستراتيجيّة الأنسب لمنع الانحراف وتفكير المستشرقين الخاطئ هي نشر الكتب والرسائل العلميّة باللغات الغربية، وانتقاد أعمالهم بشكلٍ دقيقٍ وعلميّ، والمشاركة الفعّالة في المؤتمرات والندوات، ومحاربة تيار الغلوّ، وإلقاء الضوء على الإيجابيّات في أعمال المستشرقين.

## مصادر البحث

### أ. بالفارسيّة


١. إحيا حسيني، غلام (١٣٨٧)، شيعه پژوهى و شيعه پژوهان انگليسى زبان، قم: شيعه شناسي.
٢. إشبولر، برتولد (١٣٥٤)، جهان اسلام (دوران خلافت)، مترجم: قمر آريان، طهران: أمير كبير .
٣. أنكري، غابريل (١٣٧٨)، علي و حسين ، دو قهرمان إسلام [علي والحسين: بطلا الإسلام]، مترجم: فروغ شهاب، طهران: أرمغان .
٤. باقي، عمادالدين (١٣٧٩)، جامعه شناسى قيام إمام حسين عليه السلام و مردم كوفه ، طهران: ني.
٥. بايرناس، جان (١٣٨٠)، تاريخ جامع أديان [تاريخ الأديان الشامل]، مترجم: علي أصغر حكمت، طهران: علمي و فرهنگى .
٦. بروجردي، حسين (١٤٢٢)، جامع أحاديث الشيعة، ج١٢، مترجم: مهدى حسينيان قمي، قم: مهر .
٧. بروكلمان، كارل (١٣٦٤)، تاريخ ملل ودول إسلامي [تاريخ الملل والدول الإسلامية] ،ج٣، مترجم: هادي جزايري، طهران: بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
٨. بروكلمان، كارل (بدون تاريخ)، تاريخ الأدب العربي ، ج٣، ترجمة: عبدالحليم النجار، قم: دار الكتب الإسلاميّة.
٩. بهشتي مهر، أحمد (١٣٩٧)، تشيع إمامي در آثار ويلفرد مادلونگ [ الشيعة الإمامية في أعمال ولفرد مادلونغ]، قم: شيعه‌شناسى.
١٠. جعفريان، رسول (١٣٨٨)، تأملى در نهضت عاشورا [بحث في حركة عاشوراء]، طهران: علم.
١١. حِتّي، فيليب (١٣٨٠)، تاريخ العرب، ج١، مترجم: أبو القاسم بايندە، طهران: علمى وفرهنگى.
١٢. دهخدا، علي أكبر (١٣٧٧)، لغت نامه دهخدا، ج٣١، ذيل مدخل (عاشورا)، طهران: مطبعة إيران الحكومية.
١٣. دونالدسن، دوايت (١٣٩٥)، مذهب شيعه [المذهب الشيعي]، ج١، مترجم: عباس أحمدوند، قم: معهد العلوم والثقافة الإسلامية للأبحاث.
١٤. زوارق موسوي، داوود (١٣٩٢)، واقعه عاشورا از ديدگاه مستشرقان [وقعة كربلاء من منظور المستشرقين]، طهران: مصباح الهدى.
١٥. سايكس، سِير پرسي (١٣٦٦)، تاريخ إيران، ج١، مترجم: محمد فخر داعي جيلاني، طهران: دنياى كتاب.
١٦. سحاب، أبو القاسم (١٣٥٦)، فرهنگ خاورشناسان [معجم المستشرقين]، طهران: سحاب .

١٧. سهامي انتشار.
١٨. شيمل، آنا ماري (١٣٧٥)، درآمدى بر اسلام [مقدمة عن الإسلام]، مترجم: عبدالرحيم كواهي، طهران: فرهنگ اسلامى.
١٩. عنايت، حميد (١٣٦١)، انديشه سياسي در اسلام معاصر [الفكر السياسي في الإسلام المعاصر]، طهران: خوارزمي .
٢٠. فاروقي، فؤاد (١٣٦١)، سيرى در سفرنامه ها، مصحح: حامد فولادوند، طهران: عطائي.
٢١. فلاطوري، عبد الجواد (١٣٥٢)، تحقيق عقايد وعلوم شيعى، يادنامه علامه أميني، إعداد: سيد جعفر شهيدي و محمدرضا حكيمي، طهران: شركت
٢٢. كمبفر، انجلبرت (١٣٦٣)، سفرنامه كمپفر ، مترجم: كي كاووس جهانداري، طهران: خوارزمي.
٢٣. كوك، مايكل (١٣٨٤)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢، مترجم: أحمد نمايي، مشهد: مؤسسة البحوث الإسلاميّة.
٢٤. لالاني، أرزينه (١٣٨١)، نخستين انديشه هاى شيعى تعاليم امام باقر عليه السلام [الأفكار الشيعية الأولى: تعاليم الإمام الباقر عليه السلام] ، مترجم: فريدون بدره اي، طهران: فروزان روز .
٢٥. لمبتون، آن. كى إس (١٣٨٩)، دولت وحكومت در اسلام [الدولة والحكومة في الإسلام]، مترجم: محمدمهدى فقيهى، بدون مكان: شفيعي.
٢٦. لويس، برنارد (١٣٨٥)، زبان سياسى اسلام [لغة الإسلام السياسيّة]، مترجم: غلامرضا بهروز لک، قم: بوستان كتاب .
٢٧. ماجراجو، محسن و آخرون (١٣٨٣)، نينوا و انتظار ت أملى نو ، طهران: مؤسسة المهدي الموعود عليه السلام الثقافيّة .
٢٨. ماربين وآخرون (١٣٣٦)، قيام حسين ويارانش [قيام الحسين وأصحابه] ، مترجم: ناصر دهاقاني، أصفهان: شهريار .
٢٩. متز، آدام (١٣٧٧)، تمدن اسلامى در قرن چهارم هجرى يا رنسانس اسلامي، مترجم : عليرضا زكاوتي، قراجوزلو، طهران: أمير كبير.
٣٠. المسعودي، أبو الحسن (١٣٧٠)، مروج الذهب، ج٢، مترجم: أبوالقاسم بايندە، طهران: علمي وفرهنگى.
٣١. مطهري نيا، محمود (١٣٨٩)، مستشرقان و نبى أعظم [المستشرقون والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله] ، طهران:

پژوهشگاه فرهنگ، هنر و ارتباطات .
٣٢. مطهري، مرتضى (١٣٤٩)، امامت و رهبرى [الإمامة والقيادة]، طهران: نشر صدرا.
٣٣. نيكلسون، رينولد (١٣٨٠)، تاريخ ادبيات عرب [تاريخ الأدب العربي]، مترجم: كيواندخت كيواني، طهران: ويستار.
٣٤. هارني، دزموند (١٣٧٧)، روحاني وشاه؛ گزارش شاهد عينى از انقلاب ايران، مترجم: أصغر أندرودى، بدون مكان: پيكان.
٣٥. هاشمي نجاد، عبدالكريم (١٣٨١)، درسى كه حسين عليه السلام به انسان ها آموخت [الدرس الذي علّمه الحسين البشر]، طهران: فراهاني.
٣٦. هاليستر، جان نورمن (١٣٧٣)، تشيع در هند [الشيعة في الهند]، مترجم: آزرميدخت مشايخ فريدني، طهران: مركز نشر دانشگاهى .
٣٧. هولت.پي. إم؛ لمبتون.إن.ك.س (١٣٧٨)، تاريخ الإسلام، مترجم: أحمد آرام، طهران: أميركبير.
٣٨. وات، مونتغمرى (١٣٧٠)، فلسفه و كلام اسلامى، مترجم: أبوالفضل عزتي، قم: علمى و فرهنگى .
٣٩. ولهاوزن، يوليوس (١٣٧٥)، تاريخ سياسى صدر اسلام، مترجم: محمود افتخارزاده، قم: معارف .
٤٠. الويري، محسن (١٣٨١)، مطالعات إسلامى د ر غرب [دراسات إسلامية في الغرب] ، طهران: سمت .

**ب. بالعربية**

القرآن الكريم
١. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبدالكريم (١٩٨٦)، الكامل في التاريخ، ج٥، بيروت، دار الكتاب العربي.
٢. ابن شهر آشوب، محمد بن علي (١٤١٢)، مناقب آل أبي طالب، ج٤، بيروت، دار الأضواء.
٣. ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (١٣٥١)، البداية والنهاية، ج٨، بيروت، دار الفكر العربي.
٤. أنيس، إبراهيم وآخرون (١٩٧٣)، المعجم الوسيط، ج٢، مصر، مطابع دار المعارف .
٥. البدوي، عبد الرحمن (١٩٣٣)، موسوعة المستشرقين، الطعبة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين.
٦. شريف القرشي، باقر (١٤١٣)، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ج٣، قم: مدرسة الإيرواني العلميّة.
٧. الطبري، محمد بن جرير (١٤٠٩)، تاريخ الطبري، ج٤، بيروت: مؤسسة الأعلمي .
٨. المجلسي، محمد باقر (١٤١٢)، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي .

**ج. بالإنجليزيّة**

1.Tabari Muhammad ibn jarir the history if al-tabari: vol. The caliphate of yazid bn muawiyah, L.K.A. howard, Albany, new york, 1990.

2. Le shiism imamate, Paris: PresssesUniversitaires de France1968 Colloque
de Strasbourg.

**د. المقالات**

١. ذوالفقاري، حسن (١٣٧٢)، (فرهنگنامه عاشورا)، كيهان فرهنگی، شماره، ٩٨خردادماه.

٢. محمدي، س. (١٣٩٣)، (دائرة المعارف قرآن يک الگوست)، روزنامه ايران، ٢٢ تيرماه.

٣. نراقي، إحسان (١٣٥٤)، (راهيابی نو برای شرقشناسی)، راهنمای كتاب، السنة الثامنة عشرة .

**هـ الإنترنت**

http://www.iran-newspaper.com/newspaper/page/5693/7/269911/0

# دراسة تاريخ تطوّرات مراسم العزاء في محرّم

السيد لطف الله جلالي[1]

**خلاصة البحث**

كانت ولا تزال مراسم العزاء في شهر محرم شعيرة من الشعائر الشيعيّة، وتحتلّ مكانةً مهمّةً عبر التاريخ الشيعيّ، ويمكن القول إنّها رمز يمثّل وجهة الشيعة كمذهب أتباع أهل البيت عليهم السلام.

تتناول هذه المقالة، بطريقةٍ وصفيّةٍ تحليليّةٍ، تاريخ تطوّر مراسم العزاء في أيّام محرّم الحرام، وبحسب نتائج هذا البحث، فإنّ مبدأ العزاء في محرّم متجذّر في سيرة أهل البيت عليهم السلام؛ حيث أكّد عليه الأئمّة عليهم السلام أيّما تأكيد، لكن قد طرأت على مرّ التاريخ، تغيّرات كثيرة في مراسم العزاء كمًّا وكيفًا، وتعود معظم هذه التغييرات إلى العصر الصفوي فما بعد، ويمكن اعتبار بعض هذه التطوّرات مشروعة بناءً على الأحاديث وسنّة الأئمّة التي تدلّ على شرعيّتها، لكن بعضها قد تعرّض لانتقادات من قبل علماء الشيعة بشكلٍ أو بآخر، وقد أصبحت تعزية محرّم تدريجيًّا من أهمّ الشعائر الشيعيّة على مرّ التاريخ، وهي تقام اليوم في الأماكن العامّة، فضلًا عن إقامتها في الأماكن الخاصّة والبيوت.

**المفردات الرئيسة**: عزاء الإمام الحسين عليه السلام، الشعائر، قراءة عزاء، ذكر المصيبة، إنشاد المراثي، التطبير، التعزية.

---

١. معهد المصطفى صلى الله عليه وآله الدولي للبحوث والدراسات، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، هلمند، أفغانستان. البريد الإلكتروني: Syedlotfolah_jalali@miu.ac.ir.

**مقدّمة**

إنَّ الطقوس والمناسك الشيعيّة هي في الواقع رموز تمثّل وجهة الشيعة ومظهره كمذهبٍ إسلاميّ في ساحة المجتمع الإسلاميّ، وبالتالي فهي في غاية من الأهمّيّة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، مع أنّ المذهب الشيعي هو في الأصل مذهب فكريّ وكلاميّ تلعب فيه المعتقدات والمبادئ الفكريّة دورًا محوريًّا بحيث تميّزه عن الطوائف الإسلاميّة الأخرى، لكن على مدار التاريخ، هذه الطقوس والمناسك أصبحت تدريجيًّا هي السمة المميّزة للشيعة من غيرها؛ لكثرة حدوثها في المجتمع الشيعيّ؛ لذلك فمع أنّ المعتقدات الشيعيّة لم تفقد يومًا ما أثرها ولا تزال الجوانب الكلاميّة والعَقَديّة مهمّة للشيعة، بل بالأحرى تعتبر هي دعمًا للطقوس والمناسك الشيعيّة التي اكتسبت أهمّيّة متزايدة في الآونة الأخيرة، كيف لا وهي الرموز التي تمثّل وجهة الشيعة وحقيقتها؛ لذلك فإنّ مدى تأثير هذه الشعائر والمناسك كبير بقدر مديات الانحراف وكثرة احتمال الانزلاق فيها، وبالتالي فإنّ هذه الطقوس والمناسك تتطلّب دائمًا عنايةً جادّةً ودفع الضرر؛ لئلّا تنقلب هذه الطقوس على المعتقدات والمبادئ الفكريّة، فبدلًا من أن تكون منبثقة من الأصول الاعتقاديّة ، تكون هي التي تؤثّرفيها وتتحكّم بها.

ومن ناحية أخرى، فإنَّ مراسم محرّم الحرام وإقامة العزاء الحسينيّ هي من بين أبرز الشعائر والمناسك الشيعيّة في العالم الإسلاميّ، بل تقام خارج العالم الإسلاميّ وفي البلدان غير الإسلاميّة، حيث كانت هناك جالية من جاليات الشيعة، وأصبحت هذه المراسم عنصرًا مهمًّا في تحديد الهويّة الشيعيّة، كما تستوعب مراسم العزاء للإمام حسين عليه السلام فترة طويلة جدًّا، ويمكن أن تشمل من أسبوع إلى شهرين حسب المجتمعات والإمكانيّات المختلفة، وهي مراسم فريدة من نوعها من حيث التأثير والمشاركة العامّة فيها، وربّما لا تجد شيعيًّا في العالم، صغيرًا كان أم كبيرًا، ذكرًا كان أم أنثى، ألّا يشارك في هذه المراسم بطريقة أو بأخرى ولا يكون له حصّة من العزاء لسيد الشهداء عليه السلام، بل أكثر من ذلك،

فإنَّ مراسم العزاء لأبي عبدالله الحسين عليه السلام لا تنحصر في شهرَي محرّم وصفر، بل تقام ولو جزئيًّا في أيّام أخرى من العام خلال مناسبات مختلفة، خاصّة خلال مجالس تأبين للمتوفّين، بذكر المصيبة وإنشاد المراثي تارةً وإقامة التعزية واللطمية تارةً أخرى؛ فإنّ مراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام تحظى بأهمّيّة خاصّة في الحياة الاجتماعيّة الشيعيّة، وأصبحت اليوم من أبرز رموزها، ففي هذه المقالة، نشير أوّلًا إلى خلفيّة العزاء في شهر محرّم، ثمّ ننظر في القضايا والتطوّرات التاريخيّة الأخرى المتعلّقة بعزاء الإمام الحسين عليه السلام.

**الأوّل: خلفيّة العزاء للإمام الحسين عليه السلام**

لقد روي العديد من الروايات عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام التي تحثّ على إقامة العزاء على الإمام حسين عليه السلام؛ وفقًا لرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قد تنبّأ باستشهاد سبطه الحسين عليه السلام على أساس الأخبار الغيبيّة، وقد بكى على مقتل فلذة كبده،[١] كما أنّ ابنه الإمام السجاد عليه السلام ذكر مرارًا مصائب عاشوراء وأجرى فيها الدموع، وأنّ بعض الأئمّة المعصومين كالإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام قد أثنوا على الشعراء الذين ينشدون قصائد في رثاء أبي عبد الله عليه السلام ودعوا في حقهم،[٢] ناهيك عن تشجيع الشيعة على زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، وثمّة رواية عن الإمام الرضا عليه السلام، أنّه لما كان يحلّ هلال شهر محرم، لم يكن يرى أحدٌ أبا موسى بن جعفر ضاحكًا، بل كان مغمومًا وباكيًا على مصيبة جدّه المظلوم،[٣] كما ورد عن الإمام رضا عليه السلام وهو يوصي شيعته مثل ريّان بن شبيب أنّه لو أرادو البكاء فليبكوا على الحسين عليه السلام؛[٤] فإنّ البكاء وإقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وكذلك زيارة

١. المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار: ٤٤/ ٤٢١؛ شوشترى، جعفر، الخصائص الحسينية: ٢٥٢ـ٢٨٠.
٢. انظر: بن قولويه، جعفر، كامل الزيارات، باب ٣٢، ص١١٢؛ الطريحي، فخرالدين، المنتخب: ٤٨٣/٢؛ الأميني، عبدالحسين، الغدير: ٢٠٢/٢.
٣. الطريحي، المصدر نفسه.
٤. الصدوق، الأمالي: ١٢٩/٢٧ ـ ١٣٠.

قبره الشريف، هي من الأمور التي أكّدت عليها العديد من الروايات.[١]

ومع ذلك، لم يعثر المؤلّف على بيّنة تدلّ على أنّ مراسم محرّم في عصر الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانت من الطقوس الشيعيّة، أو أن يكون المجتمع الشيعي في الكوفة أو قم أو بغداد قد أقاموا العزاء في محرّم، أو ورد في التاريخ أنّه مثلًا في مسجد الكوفة أو قم أو بغداد أو المدينة المنورة، قد اجتمعت الشيعة وأقاموا مجلس عزاء للحسين عليه السلام، ربما هذا، كان بسبب الوضع السياسيّ الحاكم على الشيعة في عصر المعصومين عليهم السلام؛ إذ لم يتمكّنوا من ممارسة شعائرهم الخاصّة،[٢] وليس هناك أيّ أثرٍ يدلّ على وجودها آنذاك سوى شواهد غير واضحة في بداية حركة التوّابين؛ حيث بدأوا حركتهم بإظهار الندم والبكاء على سيد الشهداء عليه السلام يزورون قبره باكين ونائحين،[٣] ولكن يبدو أنّه لا يمكن اعتبار البكاء والندب كمصداق من مصاديق الشعائر؛ إذ لا يدلّ دلالة واضحة على ممارسة طقوس، بل انعكاسًا لأحاسيسهم النزيهة والناشئة من صدقهم واستقامتهم على هذا المسار. نعم، يمكن اعتبارها واحدة من المظاهر البارزة للتعاطف الشيعي مع مصرع الحسين عليه السلام منذ السنوات الأولى من استشهاده عليه السلام؛ إذ كانت مأساة كربلاء لَكبيرةٌ على شيعة أهل البيت دائمًا.

على أيّ حال، يبدو أنّه للمرّة الأولى في القرن الرابع الهجري، عقدت الحكومتان الشيعيّتان البويهيّة والصفويّة مراسم العزاء رسميًّا؛ حيث أقامتا مجالس العزاء الحسيني كطقوس شيعيّة رسميّة، وربما كان الفاطميّون أكثر تقدّمًا وتطوّرًا في هذا المضمار، فقد أورد "المقريزي" أنّ الدولة الفاطميّة قد حددت يوم عاشوراء كيوم الحزن، وأغلقت

١. انظر: بن قولويه، المصدر نفسه: ١٠٩ ـ ١١٤؛ العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٢٢ (كتاب المزار): ٣٥٦؛ العاملي، السيد محسن أمين، إقناع الآثم على إقامة المآتم: ١٧٥ ـ ١٩٨.

٢. انظر: مؤسسة شيعه‌شناسى، سنت عزادارى ومنقبت‌خوانى در تاريخ شيعه اماميه: ٥٧ فما بعد.

٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ٤٦٢/٤.

الأسواق والدكاكين، فكانوا يبسطون في عاشوراء مائدة كبيرة تسمى (سماط الحزن)،[١] وكانت الشيعة تتوجّه إلى ضريح أم كلثوم والسيدة نفيسة أفواجًا، وكذلك إلى جامع الأزهر لإقامة العزاء وقراءة المراثي،[٢] وكان معزّ الدولة البويهي هو الذي أمر بإقامة عزاء محرّم لأوّل مرّة عند الشيعة رسميًّا وبشكل جماعي؛ بناءً على أمر من معزّ الدولة، عقدت مراسم العزاء في بغداد في العاشر من محرم اعتبارًا من عام (٣٥٢ ق)، واستمرّت منذئذٍ حتّى انقراض آل بويه في بغداد، فكانت الأسواق تغلق يوم عاشوراء بأمر من معزّ الدولة، وتمارس الشيعة طقوس الحزن والمأتم في مقتل الحسين عليه السلام، كما تبعثر النساء أيضًا شعرهنّ ويسوّدن وجوههنّ ويشققن جيوبهنّ ويرتدين الملابس السوداء ويخرجن من البيوت ويسيرون في أزقة المدينة ويلطمن على خدودهن في مأتم الإمام الحسين عليه السلام، وكانت مشاركة عدد كبير من الشيعة ودعم السلاطين البويهيّين لهم سببًا في عجز السنة من منعهم عن القيام بذلك.[٣]

ثمّ استمرّت هذه الطقوس في خفاء،[٤] في عهد السلاجقة ومن ثمّ المغول، إلّا أنّه في أواخر عهد المغول، وخاصّة في عصر التيموريين ومغول الهند في شرق العالم الإسلاميّ، وكذلك في أراضي الأتراك من آق قويونلو وقراقويونلو في الجزء الغربي من العالم الإسلاميّ، كانت مراسم العزاء تقام بشكلٍ محدود؛ حيث تمتّعت الشيعة بالقليل من الحرّية،[٥] لكن مع ظهور الصفويين وأخذ المذهب الشيعيّ صفة رسميّة في هذه الحكومة،

١. المقريزي، أحمد بن علي، الخطط: ٤٩٠/١.

٢. المصدر نفسه: ٤٣٠ ـ ٤٣٢.

٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٧٩/٧؛ ابن الجوزي، المنتظم: ١٥٠/١٤.

٤. وتجدر الإشارة إلى أنّ الحكام السلجوقيين لم يطبقوا سياسة موحدة تجاه الشيعة وكذلك مسألة العزاء. فكان بعضهم متشددين جدًّا ضدّها، لكن بعض الآخر كانوا متسامحين، وحتى بعض علماء السنة كانوا يمارسون سنة العزاء والبكاء في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام بحضور بعض حكّام السلاجقة. [انظر: القزويني الرازي عبدالجليل، نقض: ١١٤، ٣٧٠]

٥. مؤسسة شيعه‌شناسي: ١٢٩.

تمّ إحياء مراسم العزاء بالكامل؛ حيث أصبحت أكثر نموًّا واتّساعًا، وظهرت العديد من الطقوس التي سنناقشها أدناه.

**الثاني: تحوُّل العزاء شكلًا ومضمونًا اعتبارًا من العصر الصفوي**

ثمّ مع إضفاء الصفة الرسميّة على المذهب الشيعي في بداية الحكم الصفوي، قد خرجت الشعائر والطقوس الشيعيّة من خلف ستار التقيّة، وأصبحت شأنها شأن سائر الشعائر الدينيّة كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الغدير...، وأصبحت مراسم العزاء في محرّم وصفر خلال العصر الصفوي، لا سيّما منذ انتقال العاصمة من قزوين إلى أصفهان تمارس بجدّيّة أكثر؛ حيث كان شخص الملك الصفوي وقادة الحكم يحضرون المراسم ويقيمون العزاء وفقًا لمعتقدات المذهب الشيعي،[1] وبالإضافة إلى ذاك، قد مرّت مراسم العزاء الحسيني بتطوّرات مهمّة في الشكل والمحتوى؛ حيث أضيفت إليها بعض الأعمال التي لم تكن مسبوقة في عزاء محرّم خلال عصر البويهيين والفاطميين، وهذا ما سنتعرّض إليه بشكل أوسع في هذا البحث، فكانت الشيعة قبل الصفويين، أي في عصر البويهيين والفاطميين، يشكّلون مواكب يردّدون فيها النوحات ويلطمون على الصدور، ويرتدون السواد أحيانًا، ويقدّمون المعزّين ما يسعهم من الطعام والشراب، وتارةً تسوّد النساء وجوههنّ ويشققن جيوبهنّ علامة على الحزن،[2] ولم يكن هناك شيءٌ أكثر من ذلك، لكن في العصر الصفوي، تمّت إضافة أشياء إلى مراسم العزاء مثل الضرب بالسلاسل، وقرع الطبول والصنوج، وحمل العلَم، وتسيير الحصان، والتطبير، ورمي الأحجار...، كما تمّ إحداث تغييرات فيها من حيث المحتوى؛ حيث التصق إليها بعض الأشياء غير التاريخيّة وغير الواقعيّة، ولا تزال بعض هذه الملحقات مستمرّة، وقد نُسخ

١. انظر: إيزدي، حسين، شكل‌گيرى وتحول مراسم مذهبى در عهد صفويه: ١٦٥ ـ ١٧١؛ بهرام‌نژاد، محسن، تاريخ فرهنگ و تمدن ايران در دوره صفويان: ٤٣٠ ـ ٤٥١.

٢. ابن الأثير، الكامل فى التاريخ: ٢٧٩/٧؛ ابن الجوزي، المنتظم: ١٥٠/١٤.

بعضها وعفا عليه الزمن، كما تعرّض عدد منها في بعض المناطق الشيعيّة لتغييرات أخرى ما جعلته أشد مما كان عليه.

لقد تأثّرت الشيعة في أنحاء العالم بشدّة بالثقافة الصفويّة متزامنًا مع العصر الصفوي وخارج أراضي هذه الدولة، خصوصًا في الهند وبعض المناطق الأخرى التي كانت تتمتّع بحرّيّة كاملة أو نسبيّة؛ إذ تأسّوا بهم بسرعة في ممارسة الأنماط الصفويّة المستخدمة في مراسم العزاء، ونظرًا لكثرة المراودات والمبادلات بين هذه الأراضي وشعوبها، فكانت الشيعة في تلك المناطق تعتبر أنفسها فكرّيًّا وهويّةً تابعة للشيعة الإيرانيين، وينظرون إلى إيران كعاصمة علميّة وفكريّة ومذهبيّة وثقافيّة لهم، وهكذا جرت الأمور بعد الصفويين - كما سبق ذكره في مبحث الحكومات - باستثناء عصر "نادر شاه" الأفشار الذي منع من إقامة العزاء، خاصة بعد غزو الهند؛[1] لكن بعد فترةٍ وجيزة خلال عصر الزنديّة والقاجار، تمّ استئناف مراسم العزاء على غرار العصر الصفوي، بل وحتّى ظهرت بعض الأشكال الجديدة من العزاء، كعرض التمثيليّة (ما يسمّى التعزية)، وفي هذا الصدد ننظر أوّلًا إلى أشكال العزاء، ومن ثمّ سنتناول تطورات العزاء من حيث المحتوى.

**الثالث: أشكال وأدوات العزاء**

وكما أنّ مجالس التأبين بين شتّى المجتمعات تقام حسب الثقافات المختلفة بأشكال وأنماط متفاوتة ولها طقوسها ورسومها وعاداتها، فكذلك في مجتمعات الشيعة، يقام العزاء على الإمام الحسين عليه السلام بأشكال مختلفة أيضًا، وكانت بعض هذه الأشكال، مثل البكاء وذكر المصيبة والندب والنياح، شائعة منذ أمدٍ بعيدٍ من عصر المعصومين عليهم السلام إلى يومنا هذا، وبالتالي فلا شكّ في مشروعيّتها، لكن بعضها الآخر قد ظهرت في فترات لاحقة، وتحديدًا منذ العصر الصفوي، ولا بدّ من إجراء بحوث حول شرعيّة بعضها كاللطم على

١. المرعشي الصفوي محمدخليل، مجمع التواريخ: ٨٤؛ مروي، محمدكاظم، عالم آراي نادري: ٩٨٢/٣.

الصدور، فعلى الرغم من عدم ورود دليلٍ عن طريق المعصومين عليهم السلام يثبت مشروعيّتها، لكنّها تعتبر من الأمور العاديّة ولا إشكال فيها، وهناك ممارسات أخرى كحركة الموكب بشكل دائريّ، واللطم على الصدور بإيقاع محدّد، أو ضرب السلاسل على الظهور (ما لم يؤد إلى إلحاق الضرر للجسم) تعتبر خالية من الإشكال، وذلك من باب "التسامح في أدلّة السنن" أو "أصالة الإباحة"، لكن هناك تساؤلات وإشكالات قد أوردتها علماء الشيعة والباحثين حول بعض أشكال العزاء التي ظهرت خلال العصر الصفوي فما بعد، وقد أفتى بعض علماء الشيعة كالمقدس الأردبيلي، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والعلامة السيد محسن أمين العاملي قدس سره، وآية الله الخامنئي (دام ظله) والعديد من الفقهاء الآخرين على حرمة بعض أشكال العزاء، كالتطبير بالقامات، أو استخدام سلاسل ذات رؤوس حادّة، وفيما يلي بيان أهمّ أشكال العزاء الشيعي باختصار.

**١. قراءة مجلس عزاء (بالفارسيّة: روضه خواني)**

كانت أكثر أشكال العزاء شيوعًا في أوساط الشيعة منذ القديم هو ذكر المصائب التي صُبّت على سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام، فكان هذا النوع من العزاء موجودًا منذ العصور القديمة، وقد مارسه الأئمّة عليهم السلام أنفسهم كذلك، فقد كان الإمام السجاد عليه السلام بصفته شاهدًا عينيًّا على هذه المأساة، ومتحمّلًا العديد من المصائب كالأسر والسجن وسوء معاملة العدوّ، يذكر هذه الأحداث مرارًا وتكرارًا إلى الصحابة والأصدقاء، أو أولئك الذين يتساءلون عن وقائع كربلاء ما إذا حلّت بأبيه وأصحابه وأهله في يوم عاشوراء، نحو ما ورد في المصادر الشيعية كالتالي:

**وَخَرَجَ يَوْمًا زَيْنُ اَلْعَابِدِينَ عليه السلام يَمْشِي فِي أَسْوَاقِ دِمَشْقَ، فَلَقِيَهُ اَلْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: كَيْفَ أَمْسَيْتَ يَا بْنَ رَسُولِ اَللَّهِ؟ قَالَ: أَمْسَيْنَا كَمَثَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ!**[١]

١. محمدي ريشهري وآخرون، محمد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ٢٦٨/٥، ح٢٤١٤.

كما قال الإمام الرضاعليه السلام في خطابه لابن شبيب، حول مقتل الإمام الحسينعليه السلام: «وذبحوه كما يذبح الكبش».[١]

وقد استمرّت هذه السيرة، بعد عصر المعصومينعليهم السلام أيضًا، فقد ألّف الملا حسين بن علي واعظ الكاشفي (ت: ٩١٠ ق) كتابًا سمّاه "روضة الشهداء" في البلاد الناطقة بالفارسيّة في عهد التيموريين؛ حيث تناول فيه مصائب شهداء كربلاء، فكان معظم النعاة الفرس يقرؤون المقتل من هذا الكتاب في مجالس العزاء، وهكذا ظهر شكلٌ معيّنٌ من أشكال النعي، يطلق عليه (قراءة روضة)، وبعد ذلك اليوم، أصبح كلّ أنواع النعي لسيد الشهداءعليه السلام وأصحابه وأهله وحتّى نعي الآخرين من أهل بيت النبيصلى الله عليه وآله تطلق عليه (قراءة روضة)، حتّى ولو لم يكن مطابقًا لما ورد في كتاب "روضة الشهداء"؛ لذلك فإنّ المصطلح الفارسي (روضه خوانى) يطلق على أيّ نوعٍ من ذكر المصيبة؛ لغرض إدخال حزن في قلوب المستمعين في مقتل أهل البيتعليهم السلام، وتعتبر (قراءة مجلس عزاء) من أبرز أشكال العزاء وأهمّها.

**٢. اللطم على الصدور**

ومن أهمّ الطقوس الشائعة في عزاء محرّم اليوم في جميع الأوساط الشيعيّة في أنحاء العالم هو اللطم على الصدور، ولا شكّ في أنّ الضرب على الرأس أو الوجه أو الصدر قيامًا أو على الركبتين والفخذين قعودًا هو من أقسام ردود فعل الطبيعيّة في حالات الحزن الشديد، وقد يكون هذا بسبب ثورة المشاعر والشعور بالحزن وزيادة الهمّ والغمّ، لكن هذه الحركة لا تستمرّ بطبيعة الحال، بل تنتهي بضربةٍ واحدةٍ أو أكثر؛ لذلك يمكن القول: إنّ أصل هذا التصرّف حالة من الحالات الطبيعية، لكنّها ليس من الواضح متى وكيف أصبحت هذه الحركة من عادات العزاء، بل صارت من أهمّ مظاهر الحزن وأشكال العزاء في شهر محرم.

١. الصدوق، عيون أخبار الرضاعليه السلام: ١/٥٥، ح٢٩٩.

وقيل: إنّ الحكّام البويهيين هم الذين أدخلوا هذه العادة ضمن أنماط العزاء للإمام الحسين عليه السلام لأوّل مرّة، واستنادًا لهذا الادّعاء، كان اللطم على الصدور وربط الياقات السوداء يعتبران من تقاليد الحداد الإيرانيّة (قبل الإسلام)، وقد استخدمهما حكّام آل بويه في عزاء الإمام الحسين عليه السلام أيضًا،[1] ومع ذلك كان اللطم على الصدور شائعًا جدًّا في العصر الصفوي، وكان الناس يلطمون بشكلٍ جماعيّ يوم عاشوراء، يدورون في مواكب مختلفة، حول الساحة الأصليّة للمدينة وأمام بوّابة القصر والمسجد الجامع، ويتفرّقون بعد قراءة الدعاء والصلاة،[2] وقد اعتبر منذئذٍ اللطم على الصدور من السنن الأصليّة للعزاء الشيعيّ في أشكال مختلفة.

**٣. إلقاء المحاضرة وارتقاء المنابر**

إنّ إقامة مجلس الوعظ والخطابة والمحاضرة على المنبر هي من أهمّ أجزاء العزاء الشيعي في شهر محرم على مرّ التاريخ والتي يلتزم بها علماء الدين، لشرح فلسفة القيام الحسينيّ وتحليل الأحداث التاريخيّة في عاشوراء، جنبًا إلى جنب مع تعليم المعارف الدينيّة والأحكام الشرعيّة، ويمكن اعتبارها كمدرسة عامّة يتعلّم عموم الناس فيها التعاليم والأحكام الدينيّة؛ إنّ سنة إلقاء المحاضرة وارتقاء المنبر رغم أنّها ليست تعزية في نفسها، لكنّها أصبحت جزءًا لا ينفك عن مجلس العزاء الشيعيّ في مُصاب الإمام الحسين عليه السلام وسائر المناسبات الدينيّة، فهي من نقاط القوّة الرئيسيّة لمجلس العزاء؛ إذ تُخرجه من كونه عاطفيًّا بحتًا، بل تضفي عليه طابعًا علميًّا ومعرفيًّا، وما يستنبط من التاريخ هو أنّ استخدام الوعظ والمنبر والخطابة كان شائعًا أيضًا منذ العصر الصفوي على أقلّ تقدير؛ حيث كان الناس يستفيدون من وجود العلماء والخطباء والوعاظ الدينيين في مجالس العزاء.[3]



---

١. مرعشي، ظهيرالدين، تاريخ گيلان و ديلمستان: ٢٢٣.

٢. دلاواله، بيتر، سفرنامه بيتر دلاواله: ١٢٥؛ كاري، جملي، سفرنامه كاري: ١٢٥؛ تاورنيه، جان باتيست، سفرنامه تاورنيه: ٨١ ـ ٨٢.

٣. فيغوئروا، دن‌غارسيا دسيلوا، سفرنامه: ٣٠٩ ـ ٣١٠؛ فرير، رانلد دبليو، برگزيده و شرح سفرنامه شاردن: ٢١٤؛ شاردن، جان، سياحت‌نامه شاردن: ٤/٤٥؛ كمبفر، انغلبرت، سفرنامه كمبفر: ١٨٠.

**٤. النياحة**

قراءة النوح والنعي هي من أركان العزاء التي كانت شائعة منذ عصر المعصومين عليهم السلام، وكان الشعراء ينشدون قصائد ومراثٍ في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بغية إبكاء الناس،[١] والنياحة هي من الأشكال والمكوّنات الرئيسيّة لعزاء الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، والتي يبدو قد تمّ دمجها مع اللطم وضرب السلاسل والطبول والصنوج منذ عهد الصفويين، فبالإضافة إلى جانبها العاطفي وذكر المصيبة، فلها جانب فنّيٌّ أيضًا، وربّما أحد أسباب بقاء هذه السنّة هو هذ الجانب الفنّيّ بالذات، وقد شاع النعي والنياحة بلغات مختلفة بين الشيعة، منذ العصور القديمة إلى اليوم، وهي من المكوّنات الرئيسة للعزاء الشيعيّ، الذي ينمو ويتّسع باطراد.

**٥. قراءة المناقب**

كانت قراءة المناقب إلى جانب النياحة من أهمّ أشكال العزاء الشيعيّ قبل الصفويّين، والتي كانت شائعة في العصر الصفوي إلى حدٍّ ما، ففي قراءة المناقب في عاشوراء، يقوم قارئ المناقب أو المدائح بذكر الخصال والسجايا الأخلاقيّة، بل الامتيازات الجسديّة والروحيّة للإمام الحسين عليه السلام وأبي الفضل العباس وسائر أبطال كربلاء، وأحيانًا خصائص سائر الأئمة عليهم السلام ولا سيّما الإمام علي عليه السلام، واعتبارًا من العصر الصفوي، كان في بعض الأحيان تُطرح مباحث غير واقعيّةٍ وجانبيّةٍ ضمن المناقب، بل وأحيانًا ينخرط قارئ المنقبة والناعي في متاهة الغلوّ، أو في مسائل ظاهريّة بحتة.[٢]

**٦. الضرب بالسلاسل**

إنّ الضرب بالسلاسل هو شكلٌ آخر من أشكال العزاء في محرّم وصفر، وهو أمرٌ شائع في بلدان مثل إيران والعراق والبحرين وباكستان وأفغانستان والهند، وأمّا السلاسل

١. انظر: الشهرستاني، السيد صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام.
٢. كاشاني، حبيب‌الله شريف، وسيلة المعاد: ١٧٤ ـ ١٧٧.

المستخدمة في العزاء على نوعين: سلاسل ذات رؤوس حادّة وسلاسل عادّيّة، وليس هناك أيّ تقريرٍ تاريخي يدلّ على وجود هذه العادة في العصر الصفوي أو ما قبله، ولم يتحدّث أيّ من الرحالة نحو: "جان شاردين" و"بيتر ديلاوله"، الذين سافروا إلى أصفهان في القرنين العاشر والحادي عشر، عن الضرب بالسلاسل، رغم تقريرهم المفصّل عن طقوس العزاء هناك، فليس من الواضح مَن أبدع بالضبط هذا النوع من العزاء لأوّل مرّة، وكيف تمّ إبداعه، ومتى انتشر تحديدًا بين الشيعة؟ يبدو الأمر كما لو أنّ التقرير الأوّل عن الضرب بالسلاسل هو يتعلّق بعصر ما بعد الصفويّة، كما قدم "أوجن فلاندن"، الذي كان في إيران خلال الأعوام ١٢٥٦ ـ ١٢٥٧ق / ١٨٤٠ ـ ١٨٤١م، تقريرًا عن الضرب بالسلاسل في طهران ما يدلّ على أنّه كان شائعًا بين الناس،[١] ويبدو أنّ ثقافة السلاسل قد دخلت العزاء الشيعي من الهند وكشمير؛ لأنّ التقارير الأولى عن سلاسل في طهران كانت مرتبطة بمجموعة من قبائل البربر الكشميري والكابلي المقيمين في طهران،[٢] ومنذ ذاك الحين ظهرت العديد من التقارير عن الضرب بالسلاسل،[٣] وقد أفتى بعض علماء الشيعة مثل: السيد أبي الحسن الأصفهاني قدس سره والسيد محسن الأمين العاملي قدس سره بحرمة استخدام السلاسل في العزاء.[٤]

**٧. استخدام الطبل والصنج والبوق**

تستخدم الدفوف، والطبول، والصنوج والأبواق في معظم أنحاء إيران وفي بعض البلدان الأخرى خلال إقامة العزاء الحسيني، وخاصّة في مواكب اللطميّة، وليس

١. فلاندن، أوجن، سفرنامه: ١٠٢.

٢. المصدر نفسه.

٣. انظر: باقي، عمادالدين، «زنجيرزنى»، دائرةالمعارف بزرگ اسلامى، مقتبس من موقع دائرةالمعارف بزرگ اسلامى، https://cgie.org.ir/fa/article/257521

٤. انظر: العاملي، التنزيه لأعمال الشبيه: ١٧١/٢.

لاستخدامه تاريخ طويل جدًّا،[١] فقد بدأ استخدام هذه الأدوات ليصبح شائعًا في المناطق الجنوبيّة من إيران، وخاصّة بوشهر، ثمّ توسّع إلى كلّ من إيران وغيرها من المناطق الشيعيّة. وقيل: إنّ الصنج والدمام (الطبل) قد دخلًا عن طريق الهند أو زنجبار إلى بوشهر،[٢] وإنّ أدواتٍ كالدف والطبل والصنج والبوق، والتي تستخدم بشكل أساس لتنسيق المواكب وتنظيم حركة المعزين، ليس لها ثمرة سوى التلوث الصوتي، وقد عارض بعض العلماء كالشيخ عباس القميﷺ استخدامها في العزاء،[٣] بينما أجازها بعضهم الآخر كالميرزا محمد حسين النائينيﷺ.[٤]

**٨. التطبير وربط القفل ورمي الحجر وما شابه**

تقوم الشيعة في بعض مناطق إيران والعراق وسائر البلاد الشيعيّة، بأمور أغلبها مستحدثة في مراسم العزاء تعاطفًا مع شهداء كربلاء وأسرى أهل البيتﷺ، وهي محلّ بحث ونظر لدى علماء الشيعة، منهم من أجازها ومنهم من حرّمها، ومن تلكم الأمور هو أنّ بعض المعزّين في مناطق من إيران أو العراق أو غيرهما، يطبّرون (يضربون) بسيف أو قامة كبيرة على رؤوسهم أو رؤوس غيرهم بما فيهم الأطفال، بحيث يشقق الجلد ويتدفّق الدم، ولا يصل السيف (غالبًا ما) إلى عظم الرأس أو الجبهة، مع ذلك في بعض الأحيان يمكن أن يسبب إصابة شديدة وحتى يؤدّي إلى الموت، ومنها: ربط القفل، والذي كان سائدًا في بعض مناطق إيران في عصر القاجار؛ حيث كان بعض الناس يفتحون قفلًا ويدخلون رأسه في مناطق حساسة من الجسم مثل الحلمات، بحيث يتعلق القفل بأجسادهم، وهم يتنقلون هنا وهناك،[٥] ومنها رمي الحجر الذي كان رائجًا في مناطق

١. انظر: مسعودي نيا، علي، «سنج»، دائرة المعارف بزرگ اسلامى: https://cgie.org.ir/fa/article/257715
٢. أحمدي ريشهري، عبدالحسين، «دمام»، مجله مقام موسيقايي، العدد ٢٠/٢٤.
٣. القمي، الشيخ عباس، «اصلاح سوگوارى»، عاشورا، عزادارى، تحريفات: ١٦٥ ـ ١٦٦.
٤. رباني خلخالي، علي، عزاداري از ديدگاه مرجعيت شيعه: ٥٥.
٥. آجند، يعقوب، نمايش در دوره صفوى: ٦٥؛ مظاهري، محسن حسام، رسانه شيعه: ٧١.

كأردبيل وأصفهان كما ورد في التاريخ، فكان رماة الأحجار مجموعة من الأشخاص بيدهم قطعتان من الخشب المستدير أو العظام أو الأحجار، فيرمونها نحو الآخرين بإيقاع محدّد، أو يضربون بها على صدورهم وهم يرددون بعض اللطميات، وكان هؤلاء الأشخاص يعرون أجسامهم سوى عوراتهم ويدهنون أنفسهم بالزفت أو الفحم الأسود واللامع، أو باللون الأحمر.[١]

وليس هناك تاريخٌ دقيقٌ لظهور مثل هذه العادات، ويبدو الأمر كما لو أنّ عادات كاستخدام الحجر والقفل في العزاء كان سائدًا منذ العصر الصفوي، كما تدلّ التقارير أعلاه عن وجودها آنذاك، فقد أورد بعض علماء الشيعة كالميرزا عبدالله الأفنديﷺ، صاحب شرح "حال‌شناختى رياض العلماء"، والأستاذ جعفريان صاحب "تحفة فيروزية" تقريرًا مفصّلًا عنها، ولكن لم يتمّ نشره بعد، حول دخول هذه العادة الغريبة العزاء؛ حيث يقول:

> **منذ سنواتٍ عديدة، كانت ولاتزال سنّة الملوك والسلاطين الصفويين، بُنيت على أنّ في العقد الأوّل من محرم الحرام، وخاصّة في يوم عاشوراء، في جميع مقاطعات إيران، بل وفي كل يوم، وفي كلّ عام، أن تضاف مجموعة من العادات والأنماط الغريبة إلى الأنماط السابقة وهلمّ جرا.**[٢]

ومن هنا، فليس هناك شكّ في أنّ معظم هذه الطقوس قد تمّت إضافتها اعتبارًا من العصر الصفوي، بل وحتّى بعد ذلك العصر، وأمّا من أين أتت هذه الطقوس؟ وما منشأها؟ فهناك العديد من الآراء: يرى بعض أنّها دخلت من قبل المسيحيّة؛ حيث يحتفلون بما يسمّى "مصائب المسيح" تعظيمًا له،[٣] وقد ذهب الآخرون إلى أنّها تقاليد عربيّة تبقت من الثقافة العربيّة، ويعتقد الآخرون أنّ هذه الطقوس قد تسرّبت إلى



١. آجند، المصدر نفسه: ٦٥ ـ ٦٦؛ اولئاريوس، آدام، سفرنامه: ١١٢ ـ ١١٣.
٢. انظر: جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين، فرهنگ و سياست: ٤٦٤/١ ـ ٤٦٥.
٣. شريعتي، علي، تشيع علوي و تشيع صفوي، في مجموعة الآثار: ١٧٠/٩ ـ ١٧١.

أعراف المسلمين من خلال الهند وهي طقوس هندوسيّة،[١] وأخيرًا، تعتبر المجموعة الرابعة أنّ هذه العادات مستمدة من الأتراك في أذربيجان وقزلباش الأناضول،[٢] ولكنّ الأصح هو أن نعتبر لكلّ من هذه العادات أصول منفصلة، فقد اشتق بعضها من المسيحيّة، وبعضها من الأتراك في أذربيجان والأناضوليا، وبعضها من الهند والهندوسيّة، ومن المستبعد جدًّا أن تكون هذه الطقوس قد استمدّت من التقاليد العربيّة، ويكون لها سابقٌ في تاريخ العرب.

**٩. التعزية**

هناك أشكال أخرى من العزاء ما شاع في القرون الأخيرة، وهي مراسم التعزية (التشبيه) أو عرض التمثيليّة، والتي لا يصل تاريخها حتّى إلى العصر الصفوي، فلم يكن في العصر الصفوي، مراسم التعزية شائعة على شكل مسرحيّة وتمثيل الناس دور أبطال كربلاء، ولم يرد عنه أي تقرير في التاريخ. نعم، وردت بعض التقارير التي تشير إلى أمورٍ مثل: رسم بعض مشاهد كربلاء على اللوحات وإظهارها في يوم العزاء في العصر الصفوي،[٣] أمّا عرض التعزية بهذا الشكل، فأخذت في الشيوع في بعض مناطق إيران منذ عصر الزندية، وبلغت ذروتها في عصر القاجار،[٤] ويجري حاليًّا في مناطق كثيرة من إيران والعراق وبعض البلاد الشيعيّة الأخرى، كما هو الحال بشأن استعراض فرسٍ كذي الجناح وتزيينه في بعض مناطق الهند وباكستان وبلدان أخرى.

**١٠. العَلَم والخيل والبيرق والنخل**

ومن المكوّنات المهمّة الأخرى لمراسم العزاء اليوم في العديد من المناطق الشيعيّة هي

١. آجند، المصدر نفسه: ٦٣.
٢. حيدري، أبراهيم، تراژدى كربلا: ٤٧٥؛ مظاهرى، المصدر نفسه: ٧٠.
٣. دلاواله: ١٢٤ ـ ١٢٥؛ بلوكباشي، علي، تعزيه‌خوانى حديث قدسى مصائب در نمايش آيينى: ٣٠ و ٣٢ ـ ٣٤.
٤. آجند، نمايش در دوره صفوى: ٨٧.

استخدام العَلَم (العلامة)، والخيل والطوق والبيرق والنخل؛ حيث تستخدم كشاراتٍ ورموز لبعض الحقائق أو الأحداث في كربلاء، حسب عادات المناطق الشيعيّة المختلفة، فإنّ بعض هذه العلامات والرموز شاعت في بعض المناطق أكثر، وبعضها تختصّ ببعض المناطق دون غيرها، وتختلف نوع الأشكال والألوان والزخارف وكيفيّة استخدامها باختلاف المناطق التي تستخدمها، وكذلك باختلاف العادات والمعتقدات حول كلّ منها، كما أنّ لبعض هذه الأدوات كالبيرق، المزيد من الخلفيّة التاريخيّة إذ كانت شائعة منذ العصر البويهيّ،[1] ولكنّه تمّ إلحاق معظمها إلى العزاء الشيعيّ خلال العصر الصفوي، ويبدو أنّ معظمها مستعارة من ثقافاتٍ أخرى، ويرى مشهور العلماء أنّ هذه العلامات مستمدّة من المسيحيّة ومراسم الحداد المسيحي.[2]

**الرابع: مكوّنات محتوى العزاء ودخول بعض التحريفات فيه**

ومن المكوّنات المهمّة المتعلقة بمراسم العزاء في المحرّم ما يتعلّق بجانب المحتوى في العزاء، فإنّ أمورًا كذكر مصائب شهداء كربلاء ورواية القضايا التاريخيّة، وكذلك إنشاد القصائد في رثاء شهداء كربلاء والمصائب التي حلّت بأهل الإمام الحسين عليه السلام، هي من جملة مكوّنات محتوى عزاء محرم التي كانت منذ عصر المعصومين عليهم السلام ولا تزال تستمرّ في مراسم العزاء لدى الشيعة الإماميّة، وقد أكّد عليها علماء الشيعة ولا شكّ في شرعيّتها، وكان علماء الشيعة يغتنمون مجالس العزاء كفرصة ذهبيّةٍ لبيان الأحكام الشرعيّة، وتفسير القرآن، وشرح تعاليم القرآن وأهل البيت عليهم السلام ومواعظهم؛ إذ تلعب هذه المجالس دورًا مهمًّا في توعية المجتمع الشيعي ونموّه الروحي من خلال المحافظة على أصالة المحتوى لعزاء محرّم، وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ شعراء الشيعة وغيرهم البارزين منذ عصر الأئمّة عليهم السلام حتّى الآن، قد ساهموا في غناء محتوى العزاء الحسيني من خلال قرض القصائد وإنشاد

١. ابن الجوزي، المنتظم: ١٧٩/٨.

٢. محدثي، جواد، فرهنگ عاشورا: ٣٤٦؛ نيازمند، رضا، شيعه در تاريخ إيران: ١٧٥.

المراثي حول مصرع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه ومصيبة أهل بيته، الأمر الذي كان مدعومًا من قبل الأئمّة عليهم السلام وعلماء الشيعة، وبالتالي كانت قصائدهم ومراثيهم تستخدم دائمًا في مراسم العزاء، ومع ذلك، فإنّ القضيّة المهمّة هي أنّه على الرغم من الجهود التي بذلها بعض علماء الشيعة لحماية أصالة محتوى العزاء ومكوّناته الأصيلة، حصل هناك العديد من الانحرافات والتحريفات في مراسم عاشوراء ممّا تطرق إليها بعض العلماء كالميرزا حسين النوري رحمه الله في كتاب "اللؤلؤ والمرجان"، والشهيد مطهري رحمه الله في "الملحمة الحسينية"، وفيما يلي بعض التحريفات التي حدثت في مراسم العزاء الحسيني:

١. المبالغة في التأكيد على العناصر العاطفيّة والمأساويّة استنادًا إلى المصادر التاريخيّة غير الموثّقة.

٢. المبالغة في التأكيد على عطش الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهله بغيةَ إثارة المشاعر والإكثار من الحزن والبكاء.

٣. طرح بعض الأمور كمطالبات الإمام عليه السلام وأصحابه من العدوّ، بينما هي مخالفة لشأنهم.

٤. المبالغة في إسناد الجرائم والأفعال غير الواقعيّة إلى آل يزيد وجيشه وأهل الشام والكوفة.

٥. المبالغة في كيفيّة قتال الإمام حسين عليه السلام ووصف الأعداء الذين قُتلوا على يد الإمام وأصحابه.

٦. نقل الروايات الموضوعة حول بعض أحداث عاشوراء، كعرس قاسم بن الحسن عليه السلام.

٧. المبالغة في وصف جمال وأناقة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، خاصّة العباس وسائر شباب بني هاشم.

٨. تناول أساطير مثل قصة فضّة وزعفر الجنّي.

٩. إثارة الخلافات الطائفيّة والإساءة إلى مقدّسات أهل السنّة وتجريح مشاعرهم وتعزيز التعصبات المذهبيّة بين الفريقين الشيعة والسنّة.

١٠. الاهتمام بالظواهر وكيفيّة عقد المراسم وفرض بعض التكاليف الماديّة والمعنويّة على الناس، وإهمال الحقائق الدينيّة.[١]

١. انظر: النوري، حسين، لؤلؤ و مرجان، صفحات ٤٣ ـ ٨٧؛ مطهري، مرتضى، حماسه حسيني: ١١٢/٢.

وهناك الكثير من العوامل التي تسبّب هذه الانحرافات ولا يزال بإمكانها خلق تحريفاتٍ جديدة، لكن يبدو أنّ العوامل التالية لها أهمّية خاصّة:

أ. المدى الثقافيّ واللغويّ الشيعيّ في جميع أنحاء العالم الإسلاميّ وإمكانيّة تأثّر الشيعة في كلّ منطقة من ثقافة العزاء لدى جيرانهم المحليين.

ب. عدم ذكر العلماء الشيعة الموثوق بهم في القرون الأولى فلسفة عاشوراء وأسباب خروج الإمام الحسين عليه السلام.

ج. الافتقار إلى مصادر موثقة كافية وضروريّة حول حركة الإمام الحسين عليه السلام، وخاصّة عدم وجود المصادر الشيعيّة الكافية ورفع مستوى الوعي التاريخي للناس.

د. دور بعض الحكومات كآل بويه والسلاجقة وحركة سربداران، والتيموريين والصفويين والزند والقاجار في ترويج العزاء لاستغلاله لمصالح حكوماتهم.

هـ. المصالح والميول والمنافسات والأذواق الشخصيّة لقراء مجالس عزاء والنعاة والخطباء وغيرهم من القائمين على مجالس عزاء.

و. تسلّل أفكار باطلة عبر طوائف كالصوفيّة والغلاة وأهل السنّة إلى معتقدات الشيعة ومراسم العزاء الحسيني.

**الخامس: أماكن العزاء**

هناك مسألة مهمّة أخرى ترتبط بمراسم العزاء الحسيني وهو مكان العزاء، فلم يكن هناك مكان خاصّ لإقامة العزاء في زمن الأئمّة عليهم السلام وفي العصر البويهي وما قبل الصفويّة، بل كان المأتم الحسيني يقام في المساجد والمنازل، ولم يرد أيّ تقريرٍ تاريخيّ يدلّ على وجود أماكن خاصّة بالعزاء كالحسينيّات وما شابه، ولكن انطلاقًا من العصر الصفوي، تمّ تخصيص أماكن مؤقّتة ودائمة لإقامة العزاء فيها، فقد أنشئت أماكن ثابتة للعزاء في مناطق مختلفة من إيران والعراق وغيرهما والتي سميت (حسينية)، أي أنّها تأسّست أساسًا باسم الإمام

الحسين عليه السلام وخصّصت لعزاء محرم، طبعًا كانت هذه الأماكن الخاصّة تسمّى أحيانًا (التكية) و(تكيه خانه) و(الهيئة)، كما هو الحال في مناطق مختلفة من الهند وتحت سلطة الحكام المحليين الشيعة في الهند، مثل الدولة قطب شاهية، وعادل شاهية، ونظام شاهية، ودولة أودة الشيعية، فكانت هناك أماكن خاصّة بعزاء الإمام الحسين عليه السلام، والتي سمّيت (إمام باره)، و(إمام باركاه) و(عاشورخانه)،[1] وكانت هناك أيضًا أماكن خاصّة بالعزاء في مناطق مختلفة من البحرين وشرقي المملكة العربيّة السعوديّة، والتي أطلق إليها اسم (مأتم)،[2] وفي مناطق من أفغانستان تسمّى هذه الأماكن المخصّصة للعزاء (الحسينيّة) و(المنبر) و(امام باره).[3]

كلّ هذه الأشكال المختلفة من الأماكن الخاصّة بالعزاء لا تزال قائمة في المناطق الشيعيّة، وبطبيعة الحال قد يكون لها بناء مختلف وهندسة معماريّة خاصّة تتناسب مع الثقافة المحلّيّة وكذلك حاجات وإمكانيّات الناس، فضلًا عن استخدام المساجد والمدارس أيضًا لإقامة العزاء فيها، وتجدر الإشارة إلى أنّه بالرغم من أنّ هذه الأماكن قد أنشئت أساسًا لأجل عزاء محرّم، إلّا أنّها تستخدم كمراكز ثقافيّة أيضًا؛ لذلك هذه الأماكن بالإضافة إلى العزاء، تستخدم للأنشطة الثقافيّة الأخرى مثل إقامة صلاة الجماعة اليوميّة، وتعليم القرآن، وتدريس الأحكام الشرعيّة، ومراسم التأبين للموتى، وجلسات ختم القرآن، وإلقاء المحاضرات الأسبوعيّة.

وبالإضافة إلى هذه الأماكن الثابتة للعزاء، تقام أيضًا أماكن مؤقّتة في موسم عزاء محرّم في مناطق مختلفة، خلال أيّام العشرة الأولى من محرّم أو في بعض الأحيان لمدّة عقدين من محرّم أو حتّى شهرين، كمثل الخيام والقاعات الكبيرة والأندية وما إلى ذلك لعقد مجالس العزاء في مدن وقرى مختلفة.

١. سميعي، مجيد، «أوده»، دائرة المعارف بزرگ اسلامى: ١٠/ ٤١٨؛ رضايي وآخرون، حسن، وضعيت‌شناسى شيعيان در جهان معاصر: ١٠٣/٤ ـ ١٠٧.

٢. نظري، داريوش، جامعه شيعيان بحرين: ٣٥٢ و ٢٥٤ـ٢٥٥.

٣. بختياري، محمدعزيز، شيعيان افغانستان: ٢١٦ به بعد.

**السادس: الجانب المالي وتكاليف العزاء**

وآخر ما يجب التنويه إليه حول العزاء في هذا المقال هو المسائل الاقتصاديّة وتكاليف العزاء، إنّ الجانب المالي للعزاء يعتمد إلى حدّ كبير على تبرّعات الناس ومساهماتهم، ومن أهمّ أشكال هذه التبرّعات والعطايا الشعبيّة هي سنّة الوقف الإسلاميّة، إذ إنّ الكثير من الموقوفات كانت بنيّة إحياء ثقافة العزاء،[١] ومع أنّ مساعدات الناس وإحسانهم كانت توفّر بعض تكاليف العزاء، لكن الدور الأكبر في هذا الجانب، كان من حصّة أصحاب السوق والتجّار والأثرياء الشيعة، وبالإضافة إلى عامّة الناس، وخاصّة الشيعة الأثرياء والأغنياء، كان هناك دعم مالي من قبل الملوك ورجال الحكومة في إقامة مواكب العزاء أو مساهمتهم في بناء الحسينيّات والتكايا، ناهيك عن مساهمة سكّان الأحياء في هذه الأمور من خلال تقديم الهدايا النقديّة وغير النقديّة، أو إعارة بعض الأثاث الضروريّة لتجهيز التكايا والمواكب، أو إطعام المعزين، ومن أهمّ مساهمات الناس لمجالس العزاء كان ذبح البقر والغنم والجمل والماعز، ونذر الطحين والأرز والزيت لبيوت العزاء، وكذلك إنشاء التكايا والحسينيّات، والتي تصل إلى ذروتها خلال موسم العزاء في شهر محرم.[٢]



١. أحمدي، نزهت، «كاركرد موقوفات در گسترش مراسم مذهبى دوره صفوى»، ١٣٨٥، ص٩ـ١٠؛ جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين، فرهنگ و سياست: ٩٠٥/٢.

٢. آجند، المصدر نفسه: ٨٥ ـ ٨٦.

**نتيجة البحث**

يمكن الاستنتاج من مجموع ما ذكر أعلاه، أنّ مراسم العزاء في شهر محرّم تحظى بأهمّيّة بالغة لدى الشيعة، هذه السنّة هي في الواقع أهمّ الشعائر الشيعيّة، والتي تمثّل أساسًا وجهة الشيعة كمذهب من المذاهب الإسلاميّة، وإنّ أصل العزاء في المحرّم، هو متجذر في سيرة أهل البيت عليهم السلام حيث وافق بل أكّد عليه الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ومع ذلك على مدار التاريخ - خاصّةً منذ العصر الصفوي فما بعد - طرأ العديد من التغييرات في كيفيّة مراسم العزاء وأدواته كمًّا وكيفًا، والتي يمكن اعتبار بعضها مستندة إلى الأحاديث والروايات وسيرة الأئمّة عليهم السلام، وبالتالي لا شكّ في شرعيّتها، وأمّا بعض الآخر فكان محلّ النقد والنقاش لدى علماء الشيعة.

## مصادر البحث


١. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤١٤ق.
٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢ق.
٣. ابن قولويه، جعفر، كامل الزيارات، ترجمة: السيد محمدجواد ذهني الطهراني، طهران، بيام حق، ١٣٧٧.
٤. أحمدي ريشهري، عبدالحسين، «دمام»، مجلة مقام موسيقايي، العدد ٢٠، ربيع ١٣٨٢.
٥. أحمدي، نزهت، «كاركرد موقوفات در گسترش مراسم مذهبي دوره صفوى»، پژوهش‌هاى تاريخى، خريف وشتاء ١٣٨٥ش.
٦. أمين العاملي، السيد محسن، إقناع الآثم على إقامة المآتم، تحقيق: محمد البدري، قم، مؤسسة معارف إسلامي، ١٤١٨ق.
٧. ـــــــــــــــــ، التنزيه لأعمال الشبيه، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٤٧ق.
٨. الأميني، عبدالحسين، الغدير، بيروت، دار الكتب العربية، ١٤٠٣ق.
٩. أولئاريوس، آدام، سفرنامه أولئاريوس، مترجم: حسين كردبچه، طهران، كتاب براى همه، ١٣٦٩ش.
١٠. إيزدي، حسين وآخرون، شكل‌گيرى و تحول مراسم مذهبي در عهد صفويه، قم، معهد علوم و فرهنگ اسلامى للبحوث، ١٣٩٥ش.
١١. آجند، يعقوب، نمايش در دوره صفوى، طهران، منشورات الإرشاد الإسلامي، ١٣٨٥ش.
١٢. باقي، عماد الدين، «زنجيرزنى»، دائرة المعارف بزرگ اسلامى، مقتبس من موقع دائرة المعارف بزرگ اسلامى، على العنوان التالى: https://cgie.org.ir/fa/article/257521 (تاريخ الاستلام ١٤٠١/٧/٢٠).
١٣. بختياري، محمدعزيز، شيعيان افغانستان، قم، مؤسسه شيعه‌شناسى، ١٣٨٥ش.
١٤. برغو، محمدعلي و غلامزاده، صديقة، «عزادارى محرم در عهد صفوى؛ يک بررسى آسيب‌شناختى»، تاريخ إسلام، العدد ٦٣، خريف ١٣٩٤ق.
١٥. بلوكباشي، علي، تعزيه‌خوانى حديث قدسى مصائب در نمايش آيينى، طهران، أمير كبير، ١٣٨٣ش.
١٦. بهرام‌نجاد، محسن، تاريخ فرهنگ و تمدن ايران در دوره صفويان، طهران، سمت، ١٣٩٧ش.
١٧. تاورنيه، جان باتيست، سفرنامه تاورنيه، ترجمة: أبوتراب نوري، طهران، سنايي، ١٣٦٣.
١٨. جعفريان، رسول، اطلس شيعه، طهران، سازمان جغرافيايى نيروهاى مسلح، ط٣، ١٣٨٩ش.
١٩. جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين، فرهنگ و سياست، قم، معهد الحوزه والجامعة للبحوث، ط١، ١٣٧٩ش.

٢٠. الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، قم، مؤسسة آل البيت:، ١٤٠٩ق.
٢١. حسام مظاهري، محسن، رسانه شيعه، طهران، منظمة الإعلام الإسلامي للطبع والنشر، ١٣٨٧ش.
٢٢. حيدري، إبراهيم، تراژدى كربلا: مطالعه جامعه‌شناختى گفتمان شيعه، ترجمة: علي معموري ومحمدجواد معموري، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٣٨١ش.
٢٣. دسيلوا فيغوئروا، دن‌غارسيا، سفرنامه، ترجمة: غلامرضا سميعى، طهران، نو، ١٣٦٣ش.
٢٤. دلاواله، بيتر، سفرنامه پيتر دلاواله، ترجمة: شجاع‌الدين شفا، طهران، شركت چاپ و نشر كتاب، ١٣٤٨ش.
٢٥. ربانى خلخالى، على، عزادارى از ديدگاه مرجعيت شيعه، قم، مكتب الحسين عليه السلام، ١٤١٥ق.
٢٦. رضائي، حسن وآخرون، وضعيت‌شناسى شيعيان در جهان معاصر، قم، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، ١٣٩٤ش.
٢٧. سميعي، مجيد، «اوده»، سيدكاظم موسوى بجنوردى (بإشرافه)، دائرة المعارف بزرگ اسلامى، ج١٠، طهران، مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامى، ١٣٨٠ش.
٢٨. شاردن، جان، سياحت‌نامه شاردن، ترجمة: محمد عباسي، طهران، أمير كبير، ١٣٣٦ش.
٢٩. شريعتي، علي، تشيع علوي و تشيع صفوي، في مجموعه آثار، ج٩، طهران، شركت چاپخش، ١٣٧٧ش.
٣٠. شريف كاشاني، حبيب‌الله، وسيلة المعاد: التعليقة على الوائد الرضوية، لا مكان، لا تاريخ.
٣١. شوشتري، جعفر، الخصائص الحسينية: ويژگى‌هاى امام حسين عليه السلام، ترجمة: علي كرمي، قم، حاذق، ١٣٨٠ش.
٣٢. الشهرستاني، السيد صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام، تحقيق: نبيل علوان، قم، أنصاريان، ١٣٨٢ش.
٣٣. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، ترجمة: محمّدباقر كمره‌اي، طهران، كتابچي، ١٣٧٦ش.
٣٤. ـــــــــــــ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ترجمة: علي أكبر غفاري وحميد رضا مستفيد، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ط٤، ١٣٨٧ش.
٣٥. الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٣٥٨ق.
٣٦. الطريحي، فخر الدين، المنتخب في جمع المراثي والخطب، قم، منشورات الرضى، بى‌تا.
٣٧. فرير، راندل دبليو، برگزيده و شرح سفرنامه شاردن، ترجمة: حسين هژبريان و حسن اسدى، طهران، بدون اسم، ١٣٨٤ش.
٣٨. فلاندن، أوجن، *سفرنامه، ترجمة: حسين صادقي، طهران، إشراقي*، ١٣٥٦ش.
٣٩. القزويني الرازي، عبدالجليل، نقض: بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض، تصحيح: ميرجلال الدين محدث الأرموي، قم، دار الحديث، ط١، ١٣٩١ش.

٤٠. القمي، الشيخ عباس، «اصلاح سوگواری»، عاشورا، عزاداری، تحریفات، إعداد: مجمع مدرسين ومحققين حوزه علميّه قم، قم، صحيفه خرد، ١٣٨٥ش.
٤١. كاري، جمي، سفرنامه كاري، ترجمة: عباس نخجواني وعبد العلي كارنگ، تبريز، منشورات فرهنگ وهنر آذربايجان شرقي، ١٣٤٨ش.
٤٢. الكاشفي، حسين بن علي، روضة الشهداء، تصحيح: عقيقي بخشايشي، قم، نويد إسلام، ١٣٨١ش.
٤٣. كمبفر، انغلبرت، سفرنامه كمپفر، ترجمة: كيكاووس جهانداري، طهران، خوارزمي، ١٣٦٣ش.
٤٤. المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٠٣ق.
٤٥. محدثي، جواد، فرهنگ عاشورا، قم، معروف، ١٣٨٦ش.
٤٦. محمدي ري‌شهري، محمد وآخرون، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، قم، دار الحديث، ١٣٩١ش.
٤٧. المرعشي الصفوي، محمدخليل، مجمع التواريخ، تصحيح: عباس إقبال آشتياني، طهران، طهوري، ١٣٦٢ش.
٤٨. مرعشي، ظهير الدين، تاريخ گيلان وديلمستان، تصحيح: منوچهر ستوده، طهران، بنياد فرهنگ إيران، ١٣٤٧ش.
٤٩. مروي، محمّد كاظم، عالم آراي نادري، تصحيح: محمد أمين رياحي، لا مكان، مكتبة زوار، ط١، ١٣٦٤ش.
٥٠. مسعودي نيا، علي، «سنج»، دائرة المعارف بزرگ اسلامي، مقتبس من موقع دائرة‌المعارف بزرگ إسلامي، على العنوان التالي: https://cgie.org.ir/fa/article/257715 (تاريخ الاستلام ١٤٠١/٧/٢٠).
٥١. مطهّري، مرتضى، حماسه حسيني، طهران، صدرا، ١٣٨١ش.
٥٢. مفتخري، حسين ورنجبر، محسن، «رويكرد احساسی ـ عاطفی به واقعه عاشورا در ايران: از صفويه تا مشروطه»، شيعه‌شناسی، العدد ٢٤، شتاء ١٣٨٧ش.
٥٣. المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ«الخطط المقريزية»، بغداد، مكتبة المثنى (قاسم محمد الرجب)، بلا تاريخ.
٥٤. مؤسسة شيعه‌شناسی، سنت عزاداری ومنقبت‌خوانی در تاريخ شيعه إماميه، مقدّمة بقلم: محمود تقي‌زاده داوري، قم، مؤسسة شيعه‌شناسی، ١٣٨٦ش.
٥٥. نظری، داريوش، جامعه شيعيان بحرين، قم، مؤسسة شيعه‌شناسی، ١٣٩٩ش.
٥٦. النوري، حسين، لؤلؤ ومرجان، طهران، فراهاني، ١٣٨٣ش.
٥٧. نيازمند، رضا، شيعه در تاريخ إيران، طهران، قلم نوين، ١٣٨٣ش.

# الإماميّة والمأتم الحسينيّ؛ من الصفوية حتى العصر الحديث

**محمد رضا ضيائي**[1]

**خلاصة البحث**

إنَّ إقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام له تاريخٌ طويلٌ وماضٍ عريقٌ لدى محبّي أهل البيت عليهم السلام، وقد أخذ دورًا متّسع النطاق في ظلّ عناية الدولة الصفويّة؛ حيث انتشرت ثقافة العزاء الحسيني في إيران ودول إسلاميّة مختلفة، إنَّ تحليل أشكال العزاء عند الشيعة الإماميّة له أهمّيّة خاصّة في التاريخ الاجتماعيّ للشيعة وهكذا من منظور التحليل التاريخيّ، وأمّا إشكاليّة البحث فهي تحليل أشكال العزاء بشكلٍ عامٍّ لدى الشيعة الإماميّة في مختلف المناطق، وقد أُجري هذا البحث بدافع معرفة كيفيّة تعازي الشيعة الإماميّة في مختلف بلدان العالم الإسلاميّ من العصر الصفويّ إلى عصرنا الراهن، ولتحقيق هذا الهدف تمّ شرح أشكال التعزية الحسينيّة في شتّى المجتمعات عن طريق جمع البيانات من المكتبات والمنهج الوصفيّ التحليليّ، وقد نتج هذا البحث عن شرح عادات الشيعة الإماميّة وآدابهم في مأتم أبي عبد الله الحسين عليه السلام حسب كلٍّ من المجتمعات الإسلاميّة؛ فإنَّ قاطبة الشيعة الإماميّة في مناطق جغرافيّة مختلفة ينعون الإمام الحسين عليه السلام في أيّام عاشوراء، لكن طريقة النعي وعادات الشيعة تختلف من بلدٍ إلى آخر، بل وإنَّ أشكال العزاء لديهم تختلف باختلاف أسلوب حياتهم أيضًا.

**المفردات الرئيسة**: التعزية، أشكال العزاء، الإمام الحسين عليه السلام ، الشيعة الإماميّة.

---

١. قسم الفقه والدراسات الإسلاميّة، فرع التاريخ الإسلاميّ، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، ميدان شهر، أفغانستان. البريد الإلكتروني: Rezaziaee19@yahoo.com.

**مقدّمة**

كان ولا بدَّ للإنسان من معاناة المحن والمصائب في حياته الاجتماعيّة كالموت والاضطهاد من قبل الآخرين، والكوارث الطبيعيّة التي تشكّل الجزء المرير من حياة الإنسان، ولا مفرَّ منها أساسًا، لكن يمكن تخفيفها بالنوح والبكاء، وإنَّ الشيعة بالإضافة إلى البكاء لهذا النوع من المصائب الفرديّة، يبكون أيضًا للمصائب الدينيّة بما في ذلك مصيبة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام. وبالتالي فإنَّ البكاء والعزاء له مكانة خاصّة في المذهب الشيعيّ؛ لأنَّ تاريخ الشيعة مليء بالحزن والألم؛ إذ لم يمت معظم أئمة الشيعة موتًا طبيعيًّا، بل استشهدوا على يد أعدائهم؛ ولهذا فإنَّ الشيعة يشكّلون مجالس عزاء في ذكرى مصائب أهل البيت عليهم السلام، وأهمّ مجالس العزاء لدى الشيعة خلال سنة هو ما يقام في أيام محرم من النعي والبكاء على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام واستشهاد أصحابه وسبي أهله، فإنّ هذا النوع من العزاء والنياحة على أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما الإمام الحسين عليه السلام، يُستند إلى سيرة المعصومين عليهم السلام،[1] وأخيرًا، كانت هناك العديد من الأبحاث حول العزاء الحسيني في بلدان مختلفة، ولكن دراسة أشكال التعزية على الإمام الحسين عليه السلام في مجتمعات إسلاميّة مختلفة حسب كلّ منطقة وأعرافها، وهو ما لم يحظَ باهتمام كافٍ من قبل الباحثين؛ وعلى هذا الأساس، يمكن القول إنّ البحث الحالي مبتكرًا وبديعًا.

**الأوّل: التعزية في إيران**

إنّ لإقامة العزاء على الأئمّة المعصومين عليهم السلام خلفيّة تاريخيّة في إيران، ولكن بعد ظهور الدولة الصفويّة وتأسيس الحكومة الشيعيّة، أصبحت هي أكثر ازدهارًا؛ حيث أخذ علماء الشيعة وقرّاء العزاء بإلقاء الخطب والمدائح والمراثي في مجالس العزاء،

١. ميبدي: ٣٢٧؛ المسعودي: ٢/٢٩١.

وأصبحت هذه السنّة مستمرّة حتّى يومنا هذا في جميع أنحاء إيران الإسلاميّة، وقد أجريت العديد من الأبحاث في هذا المجال. وفي الآتي يتمّ تلخيص أشكال التعزية الشائعة في العصر الصفوي على الأغلب في خمسة محاور:

١- **المحاضرة**: كان علماء الدين يرتقون المنبر لإلقاء خطابٍ يركّز عادة على انتفاضة الإمام الحسين عليه السلام وأهداف ثورته وفلسفتها.

٢- **قراءة العزاء**: كان في هذه المراسم، يقرأ النعاة والرواديد المقتل، وعلى الغالب يُقرأ من كتاب "*روضة الشهداء*" للملا حسين الكاشفي.

٣- **قراءة اللطمية**: كانت النياحة أحيانًا مصحوبة بمواكب اللطمية، بحيث يجتمعون حول قبور بعض أولياء الله أو أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وينوحون ويلطمون على صدورهم.

٤- **سُنّة المدفونين**: كانت هذه المراسم خاصّة بالصوفيّة ممّن يقومون بحفر الأرض ويدفنون أنفسهم حتى الرؤوس تشبيهًا للرؤوس المقطوعة لشهداء كربلاء.

٥- **إطعام الزوار وتقديم الطعام والنذورات**: كان الشيعة يُطعمون المُعزّين في أيام عاشوراء، فكلٌّ يقدّم على قدر استطاعته من الطعام والشراب كالشاي والماء البارد.

**الثاني: التعزية في العراق**

إنَّ التعزية في العراق تحظى بأهمّيّة أكثر لكونه مكان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ويحتوي على المضاجع الشريفة والمطهّرة لشهداء كربلاء وكذلك بعض الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فتقام مراسم العزاء في معظم مدن العراق وقُراه منذ فترة طويلة، إلّا أنَّ أهم أماكنها هي كربلاء والنجف، ومع أنَّ حكومات الجور في العراق، كما في العديد من الدول الإسلاميّة - كإيران وأفغانستان وغيرهما - حاولت منع إقامة العزاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام وإحياء ذكراه، لكنه بشكلٍ عامٍّ، تقام مراسم العزاء في العراق في غاية من الفخامة

وفي نطاق واسع.[١] يقوم شيعة العراق لاستعدادات لأيام العزاء قبل أسابيع من حلول شهر محرم، والتي تشمل إعداد أماكن خاصة بالعزاء واختيار النعاة... ومن المهم جدًّا اختيار قارئ عزاء مشهور، بل يمكن أن يؤدّي ذلك إلى رجحان مجلس على مجلس آخر، أمّا أماكن العزاء فهي تغطّى بالكامل بقطعة قماش سوداء مكتوب عليها آيات من القرآن أو قصائد دينيّة أو شعارات عن عظمة الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.[٢] وبشكل عام، يمكن تلخيص ثقافة التعزية لدى الشيعة في العراق ومثلها على النحو التالي:

**١. مجالس العزاء**

تُعقد هذه المجالس غالبًا ما في أماكن كبيرة مسقوفة وساحات وطرق ومساجد بل في الأسواق، وعادة يتولّى الكسبة والتجار مسؤوليّة مجالس العزاء في الأيام العشر الأولى من محرم، وفي هذه المجالس، يجلس عامة الناس على الأرض، كما أنّ الشخصيات من العلماء وغيرهم قد يجلسون على الكراسي أو مكان مميّز نوها ما، وأمّا الوعاظ وقرّاء المقتل فهم يأخذون أماكنهم في صدر المجلس وعلى المنبر، ويستوي أسلوب الوعاظ وقرّاء المقتل في كل مكان، بحيث إنّهم يقرأون آياتٍ من القرآن أولًا، ثمّ يفسرونها، ويهيّئون تدريجيًّا المجلسَ لذكر المصيبة وقراءة المقتل. كان مجلس العزاء في الماضي يُدار من قبل الوعاظ فقط، لكن في الآونة الأخيرة تدار المجالس بثلاثة أشخاص، فهناك واعظ يُدعى "مقدِّم" وهو الذي يهيئ المجلس بدايةً، ثم يصعد واعظان آخران على المنبر.[٣]

**٢. التعزية على شكل مواكب وتمثيليّات**

ومن الأشكال الأخرى للإقامة العزاء في العراق، إقامة مواكب العزاء في السكك خلال مجموعات من المعزّين في أماكن مفتوحة مثل الشوارع، ولكلّ موكبٍ رئيس أو

١. إدارة بحوث المنشورات والتعليم: ٢٦، ١٢٨، ٣١٧، ٣١٨.
٢. خدوم جميلي: ٤٤.
٣. الشرقي، رقم١٢، ١٩٩١م: ٢١١.

أكثر، يتولّى مسؤوليّة قيادة المجموعة وإدارتها، ومن خصائص هذه المواكب تشكيل دائرة من المعزّين أثناء الحركة يلطمون على صدورهم ويضربون على ظهورهم بالسلاسل ضمن نغمةٍ خاصّةٍ، ويتقدّم بعضهم أمام المواكب بفوانيس وأقمشة سوداء منقوشة عليها اسم الموكب، وتبلغ التعزية ذروتها في الليلة الأخيرة من محرم، ومن بين ليالي العزاء في محرم، تتميز الليلة الثامنة بميزة خاصّةٍ في العراق، ذلك لعرض التمثيليّة (التشبيه) فيها؛ فتتعلّق هذه الليلة باحتفال زواج قاسم بن الحسن عليه السلام وابنة الإمام الحسين عليه السلام؛[1] حيث يشارك فيه الناس بإرسال صواني مليئة بالخضار المعطرة والحلويات والشموع الملونة.[2]

**٣. المشي**

ومن أبهى صور العزاء وأشكالها هي الزيارة مشيًا إلى العتبات المقدسة في شهر محرم الحرام في العراق، فيتّجه الشيعة في أيام محرم من مختلف أنحاء العراق إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهدفهم إظهار روح التقوى والمثابرة، وكذلك البوح بالرضا الديني عن اتّباع أسلوب حياة الأئمّة عليهم السلام، ونيل شفاعتهم.[3]

**٤. التشبيه (عرض التمثيليّة)**

ومن أنماط العزاء الرمزيّة بين شيعة العراق التشبيه أو العروض التمثيليّة والمسرحيّة، وهذه المراسم التي لها تاريخ طويل في العراق، قد اتّسعت وازدهرت في السنوات الأخيرة، فكانت هذه المراسم تقام سابقًا في صحن مقام الإمام علي عليه السلام أو المساجد والمساحات المفتوحة في المدن، لكن لأنّها قد أنشد إليها الكثير من المشاهدين، فقد تمّ نقلها إلى ضواحي النجف وكربلاء. وفي أداء هذا العرض، ينقسم الممثّلون إلى مجموعتين: مجموعة تمثّل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ومجموعة أخرى، وهي

١. المصدر نفسه: ٢٢٤.
٢. جميلي: ٤٨..
٣. الشرقي، رقم١٢، ١٩٩١م: ٢٢٧.

أكثر عددًا، تمثّل جيش يزيد. يرتدي معسكر الحسين ملابس خضراء أمّا جيش يزيد فتكون ملابسهم حمراء، وتحتشد حولهم حشود كبيرة في مكان محدد لمشاهدة التشبيه من الساعات الأولى من اليوم الموعود، يقدّم الممثّلون مشهد عاشوراء بأكملها، ويتأثّر الجمهور بشدّة ويجهشون بالبكاء، وعلى سبيل المثال، عندما يقطع شمر رأس الإمام في التمثيليّة، لا يتحمل بعض المتفرّجين هذا المشهد ويهاجمون شمرَ وهم يلعنون قتلة الحسين عليه السلام، وتنتهي المسرحيّة بإحراق خيم الحسين عليه السلام من قبل جيش يزيد وسبي أهله وسوقها من كربلاء إلى الشام.[١] فإنّ شيعة العراق هم من روّاد الشيعة الذين يقيمون العزاء على أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما الإمام الحسين عليه السلام.

**الثالث: التعزية في البحرين وسورية**

وفي دول عربية أخرى، مثل البحرين وسوريا، حيث يتواجد الشيعة الإماميّة، يقام عزاء الإمام الحسين عليه السلام كلّ عام، ولا يختلف شكل العزاء في هذه البلدان عمّا هو في العراق، بحيث يرثو الوعاظ والنعاة وقرّاء المقتل في المساجد والحسينيات، وتسيَّر المواكب في الطرق باللطلم على الصدور والضرب على الظهور بالسلاسل، فضلًا عن النعي والتشبيه.[٢]

**الرابع: التعزية في لبنان**

ومن البلدان التي تهتم شيعتها بإقامة مراسم العزاء هي لبنان، ويعتقد أحد الباحثين أن تاريخ مراسم العزاء في هذا البلد يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.[٣] وقد واجه التعزية في لبنان مشاكل عديدة خلال الحكم العثماني، حيث منعتها الحكومة،

١. جميلي: ٥٠-٥٢.
٢. حيدري: ١٦٧-١٦٨؛ رضائي: ٦٨-٨٣؛ جميلي: ٦٩-٧١.
٣. حيدري: ١٥٩.

لكن الشيعة لم يتوقفوا يومًا واحدًا عن عقد مجالس العزاء.[١] ولأوّل مرّة، في عام (١٩٢١م) قام مجموعة من الشباب اللبنانيين بعرض مسرحيّة كربلاء (التشبيه) في مدينة النبطية،[٢] وبالتالي فكانت أشكال العزاء في لبنان هي عبارة عن التعزية وعروض تمثيليّة، لكن للأسف، ظهرت في الآونة الأخيرة ممارسة بدعة التطبير بين المعزّين اللبنانيين، وحتى الفتيات الصغيرات يشاركن في هذه المراسم للتعبير عن تعاطفهن مع بنات الحسين عليه السلام.[٣] هذا النوع من التعزية تتعارض مع سنة العزاء الشيعيّة؛ لأنَّ الفقهاء والشيوخ الشيعة يرفضونها رفضًا تامًّا، هذا وإنَّ العديد من الشيعة لا يعتبرونه جزءًا من الثقافة الشيعيّة، وقد رأى السيد القائد الخامنئي (دام ظله) بأن التطبير حرامٌ شرعًا.[٤]

**الخامس: التعزية في أفغانستان**

وللتعزية على الإمام الحسين عليه السلام في أفغانستان تاريخ طويل، وقد ألّف كمال الدين الملا حسين واعظ الكاشفي في هرات كتابًا بعنوان "روضة الشهداء"، الأمر الذي منح هذه الشعيرة الدينيّة رونقًا أكثر؛[٥] ولهذا السبب يعتقد بعض الباحثين أنّه عندما دخل بعض القزلباش [أصحاب العمائم الحمراء] وهم أعوان الحكومة الصفويّة، إلى كابول، أقاموا مجالس العزاء على أهل البيت عليهم السلام نظرًا لوفرة ما كانوا يتمتّعون من الحريّة، وهذا بدوره أدّى فيما بعد إلى توسّع الفكر الشيعي في أفغانستان، وكان فخر الدين علي صفي الكاشفي، وهو ابن الملا محسن الكاشفي أحد الخطباء وقرّاء العزاء، حيث يقوم بالوعظ والرثاء في أفغانستان بعد سقوط التيموريين والصفويين، ثمّ بعد سقوط التيموريين،

١. معتوق، العدد ٦، بيروت، ١٩٩٥م: ١٤٨-١٤٩.
٢. خليل: ٨٠.
٣. حيدري: ١٦٤-١٦٥.
٤. الخامنئي: ٣٩٣.
٥. بينش وآخرون: ٦٩.

ذهب إلى جورجيا لبعض الوقت وقام بالوعظ والنعي والرثاء هناك وكتب أهمّ مؤلفاته حول تحديد هوية أهل البيت عليهم السلام هناك وباسم حاكم جورجيا آنذاك.[١] وفي هذه الفترة التاريخيّة، كان للشيعة الأفغان تكايا أو بيوت العزاء التي كانت قد بُنيت لإقامة العزاء في أيام محرم، لكن عندما تولى عبد الرحمن السلطة حاكمًا لأفغانستان، أمر بتدمير الحسينيات والتكايا الشيعيّة برمتها، أو تغيير وضعها، وزاد على ذلك تشدّد علماء السنّة في الدعوة إلى المذهب السني، وإلزام الشيعة بالاقتداء بهم في صلاة الجماعة.[٢]

ولم تكن شيعة أفغانستان أحرارًا دائمًا في أداء الشعائر والطقوس الدينيّة، بل كانت تؤدّي معظم أعمالها في الخفاء أو حالة التقية. وقد وصل السلوك العنصري ضدّ الشيعة في عهد عبد الرحمن إلى ذروته؛ حيث أعلن عن منع العزاء على سيد الشهداء رسميًّا باسم الدولة الأفغانيّة خلال مرسوم متشدد أصدر في عام (١٣١٣ش)؛ الأمر الذي تسبب في صراعات ومواجهات دامية بين الشرطة والناس.[٣] لكنَّ العزاء كان يقام ولو سرًّا في أغلب الأماكن وتحت أيّ ظرفٍ كان.[٤] كما كان للشيخ محمد رضا، أحد رجال الدين ومبلّغي الشيعة، مجلس عزاء سري في كابل في عهد حبيب الله خان، حيث قد أُعلن مرة أخرى حظر العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، فكان الشيخ محمد رضا يحضر في مجالس عزاء سرًّا ويبث تعاليم المذهب الشيعي،[٥] إلى أن حصلت الشيعة على الحرّيّة في أداء شعائرها الدينيّة وتمكنت من إقامة مراسم عزاء على سيد الشهداء عليه السلام بعد احتجاجاتٍ كثيرة وجهود العلماء حوالي عام ١٣٤٠ الشمسي.[٦]



١. ميرزا صفوي: ٦٦؛ داوودي: ٢٥١.
٢. غبار، ١٣٨٤: ٦٦٩ ؛ ضيائي، ١٣٩٦: ٢٤٧ ؛ شيوائي، ١٣٨٥: ١٣١-١٧٨.
٣. سجادي: ١٥٦.
٤. إيزدي، السنة الثانية، العدد ٥، ربيع ١٣٨٣ش: ١٥٩-١٧٨.
٥. شيواني، ١٩٧٨-١٧٧٨م: ١٣١-١٧٨.
٦. إيزدي ، العدد ٥، ربيع ١٣٨٣ش: ١٥٩-١٧٨.

تقام مراسم عزاء سيد الشهداء عليه السلام في مناطق مختلفة من أفغانستان بأنماط مختلفة، فتبدأ في بعض المناطق قبل محرم بثلاثة أيّام، وفي بعض المناطق من الثالث والرابع إلى الثالث عشر من محرّم، وفي بعض المناطق تقام ليلًا وفي أخرى نهارًا. أمّا عناصر العزاء في أفغانستان فهي:

١- **التوطيد**: يفتتح المجلس عادةً بواسطة رجل دينٍ يحظى بمكانة علميّة واجتماعيّة كبيرة، بذكر الصلاة والسلام على محمد وآل محمّد، ثم يتلو بعض القصائد في مدح أحد المعصومين عليهم السلام، ثمّ يهيئ الأرضية للذاكر (المنشد) مشجّعًا الناس على الصلاة على النبي وآله.

٢- **الذاكر، وقارئ المقدمة والخطيب**: في بداية المجلس يقف شخص يدعى "ذاكر" – وقد يكون مراهقًا - على الدرج الأول من المنبر ويقرأ بضعة أبيات من الشعر، ثمّ يصعد قارئ المقدمة على المنبر، فيقدم موعظة موجزة ويقرأ عزاء لتهيئة الأرضية لحضور الخطيب وهو رجل دين مشهور على الأغلب يخطب في النهاية، حيث يلقي محاضرةً أوّلًا ثمّ يختم المجلس بذكر مصيبة والدعاء.

٣- **النياحة واللطم على الصدور**: وبعد انتهاء محاضرة الخطيب تبدأ النياحة، فيشكل الناس صفوفًا منظمة ويجلسون متقابلين يلطمون على صدورهم وركبهم في حركات منظمة متناغمة مع الرادود. بالطبع، كانت النياحة واللطميّة في الماضي يتمّ بأسلوب مختلف، ما قد خضع لتغييرات عدّة في السنوات الأخيرة.[١]

وكانت التعزية في الماضي، تقام فقط في المساجد والحسينيات في أفغانستان، ولا تسيَّر المواكب العزائيّة خارج المساجد والحسينيات، لكنّه وفي الآونة الأخيرة تنزل المواكب إلى الشوارع في بعض مدن أفغانستان، رغم أنّ البلاد لا تتمتع بالكثير من الأمن، وعادةً ما ينتقلون من حسينيّة إلى أخرى في تاسوعاء وعاشوراء والسابع من محرم حيث يُنسب إلى أبي الفضل العباس عليه السلام.[٢]

١. فرهنک: ٣١٢؛ بختياري: ٣٦٤-٣٦٧؛ آيتي: ١٤٤-١٤٦.
٢. بختياري: ٣٦٦.

٤- **دور المرأة**: منذ القديم كانت النساء يشاركن في مراسم العزاء لكنّهن كنّ مستمعات فقط، إذ تقام مجالس مشتركة بين الرجال والنساء بالفصل بينهما بواسطة ستائر أو نوافذ مشبَّكة؛ ويوضع المنبر في مكان يمكن أن يبلغ فيه صوت الخطيب آذان النساء حيث لم يكن هناك نظام صوتي مثل مكبّرات الصوت وما شابه ذلك، فكانت النساء يستمعن فقط، من دون أن يكون لهن مجالس عزاء أو النياحة خاصّة بهن، لكنّه في الآونة الأخيرة، أصبح تدريجيًّا من العادة أن يكون للنساء مجالس عزاء مستقلّة، خاصّةً في بعض الولايات مثل أوروزغان، وبلخ، وهرات، وقندهار، حيث يقوم النساء بقراءة العزاء وإنشاد المراثي في المجالس النسائيّة. وفي بعض المناطق، مثل بدخشان، إذا أقيم المجلس خلال النهار، لا يشارك فيه سوى الرجال، ولكن إذا أقيم ليلًا، تشارك النساء أيضًا. بالطبع، تلعب المرأة دورًا نشطًا في الأمور الجانبيّة المرتبطة بإقامة المجالس مثل الطهي وغيره.[١]

٥- **إكرام المُعزّين**: من آداب التعزية استقبال المعزّين في الأيام العشرة الأولى من محرم. في أفغانستان، يتمّ استقبال المعزين بحفاوة بالغة، وعادةً ما تقوم كلّ عائلة بإعداد شاةٍ لأيّام محرّم، وتُدعى في بعض المناطق "نذر محرم" أو "نذر الإمام"، وفي بعض الأحيان تذبح عائلتان بقرةً بالمشاركة، كما كتب أحد الباحثين في هذا المجال: "كل أسرة تفي بعهدها ونذرها حسب ذوقها ورغبتها، ويعتبر ذبح الشاة والعنزة والبقرة جزءًا من تقاليد الشيعة الأفغان، إذ تُذبح أكثرُ من مليون رأس غنم وماعز في أيام العزاء فضلًا عن النذورات الأخرى.[٢] وعليه، فإنَّ مسألة إكرام المعزين له تاريخ طويل في أفغانستان، والذي عادةً ما يكون لدى الهزارة الأفغانيّة بشكل مرق أو حساء حليم، وهكذا أصبح العزاء على أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما الإمام الحسين عليه السلام، جزءًا من الرسوم والحياة الثقافيّة للشيعة الأفغان بعد اعتلاء السلالة الصفويّة الحكم.

١. بختياري: ٣٦٧.
٢. لعلي: ١٤٣.

**السادس: التعزية في شبه القارة الهندية (باكستان والهند)**

إن لتعزية الشيعة في شبه القارة الهندية سمات خاصّة قد لا توجد بين سائر الشيعة في المناطق الأخرى، فالتعزية في شهر محرّم هي أكبر وأهمّ مراسم دينيّة للشيعة في الهند وباكستان، والذين يعظمون أيّام محرم إلى أبعد الحدود ويقيمونها بحماس كبير. يتكوّن عزاء محرّم لدى شيعة شبه القارة الهندية من أربعة أركان رئيسة، هي: سوزخاني (المراثي)، وسلام (المدائح)، والخطابة، واللطميّة.[١]

**١. التعزية في باكستان**

وكما تختلف أشكال العزاء بين الشيعة في الدول الإسلاميّة المختلفة، فكذلك تختلف ثقافة العزاء في الولايات الأربع والمناطق الشماليّة وكشمير في باكستان. في كويتة عاصمة ولاية بلوشستان، تبدأ مراسم العزاء اعتبارًا من (٢٧) ذي الحجة وتنتهي في (١٣) محرم. وفي هذه المنطقة لا تقام مراسم "سوزخوانى" و"سلام" بوصفهما ركيزتَي العزاء في باكستان، بل يُكتفى فيها بالخطابة ونعي رجال الدين الشيعة، وتستمر باللطميّة والنياحة على الطريقة الباكستانيّة، وتنتهي بدعاء الخطيب وقراءة الفاتحة وتأدية سلام قصير. ومن سنن العزاء الشائعة في هذه المدينة عادة "إخراج الراية". كما في مراسم العزاء هذه، ينقل أحد أصحاب النذور علَمًا من الحسينيّة إلى منزله، وبعد بضعة أيام، يتّجه موكبٌ متكوّنٌ غالبًا من الشباب إلى بيته حيث يُخرجون العلَم من بيته ويعيدونه إلى الحسينيّة، وفي هذا المجلس، يرحّب صاحب المنزل بالمعزّين، من خلال تقديم الشاي بالحليب، والأرز بالحليب، والبرياني.[٢]

وفي ولاية "سرحدّ"، تختلف مراسم العزاء عن غيرها قليلًا؛ حيث يبدأ مجلس العزاء بتلاوة الفاتحة على أرواح شهداء كربلاء، ثمّ اللطم على الصدور والنياحة، ثمّ تنشد

١. عارفي، العدد ٥: ٢.

٢. المصدر نفسه: ١٦٢.

المراثي، ثم يأتي دور الخطيب الرئيس، الذي يبدأ الجلسة بإلقاء خطبة ومحاضرة، ومن ثمّ قراءة عزاء، وأخيرًا يختمها بالدعاء.[١] وفي البنجاب والسند، تقام مراسم "سوزخواني" وهي قصائد حزينة تُنشد قبل المراثي على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وأمّا مراسم "السلام" فهي عبارة عن إنشاد قصائد تتضمن فضائل الأئمة عليهم السلام، ثمّ الخطابة والمرثية يلقيها العلماء أو الرواديد المحترفين من غير العلماء غالبًا، وأخيرًا اللطميّة والدعاء، وقراءة الزيارة هي العناصر الرئيسة لمراسم العزاء في هذه المنطقة.

يبدأ الشيعة في المناطق الشماليّة من باكستان جلسة العزاء بثلاث صلوات ثم يلعنون يزيد، ثمّ يقف الناعي وينعى لبعض الوقت، وأخيرًا يصعد الخطيب المنبر ويلقي محاضرة مشجية ويُبكي الناس، وفي ختام المجلس، تُنشَد بعض النياح واللطميات.[٢]

يبدو أنّ الشيعة الوحيدين في العالم الذين يقيمون مراسم العزاء مرتين في السنة بناءً على معتقداتهم الخاصّة، هم شيعة بلتستان شمالي باكستان؛ فيعتقد هؤلاء أنّ محرم حدث في الشهر الثاني من الصيف؛ ولهذا السبب يقيمون مجلس عزاء مرّة في شهر محرم (حسب التقويم القمري) ومرة في شهر "أسد" (أغسطس)، وهو الشهر الثاني من الصيف، وهذه العادة موجودةٌ في البنجاب على نطاق أضيق.[٣]

ونظرًا لأهمّيّة مراسم عاشوراء ومكانتها الخاصّة في الثقافة الدينيّة والمذهبيّة لشيعة باكستان، توفّرت الأرضيّة لتشكيل العديد من العادات والتقاليد الأقلّ تشابهًا في المجتمعات الشيعيّة الأخرى وسائر البلدان الإسلاميّة؛ لهذا السبب، فإنّ شيعة باكستان متفردون في عادات العزاء الخاصّة بهم؛ إذ حوّلوا تقريبًا كلّ أحداث كربلاء إلى رموزٍ يعرضونها خلال عشرة محرم، وهو ما يرحب به الناس، حتّى أهل السنة، وأمّا أهم أنماط العزاء في عاشوراء بين الشيعة الباكستانيين، فهي كالتالي:

١. آخوندزاده: ٣٩.
٢. شاهد نقوي: ٤٧٤-٤٧٥.
٣. عارفي: ١٦٣.

**أ) حمل الراية (تسيير المواكب العزائيّة)**

ومن مراسم العزاء الأصيلة لشيعة باكستان في شهر محرم ما يصطلح عليه "علم گشي" (إخراج الراية) أو تسيير مواكب العزاء.[١] ففي هذه المراسم تنتقل هيئات العزاء من حسينيّة إلى أخرى وهم ينوحون في الطريق ويلطمون على صدورهم، ومراسم العزاء هذه متداولة حتى الآن في مناطق مثل إيران وأفغانستان ودول أخرى؛ حيث تتقدم مواكب العزاء في الغالب نحو ساحة المدن أو مقابر أولياء الله في يومَي تاسوعاء وعاشوراء، ولكن اليوم السابع من محرم في باكستان وأفغانستان خاصّ بحمل راية العباس؛ فهم يحملون يومئذٍ العَلَم الذي هو رمز لأبي الفضل العباس من حسينيّة إلى أخرى نائحين ولاطمين على صدورهم، ولا يقرأ الروايد إلّا نوحة العباس في هذا اليوم.[٢]

**ب) تسيير ذي الجناح**

ومن مراسم العزاء الفريدة والخاصّة لدى شيعة باكستان خلال شهر محرم هي مراسم تسيير ذي الجناح، وهو عبارة عن حصان أبيض أو أحمر يُزيَّن بشكلٍ جيّدٍ ويجهّز بغمد وسيفٍ ودرعٍ وتاجٍ وعمامةٍ معلّقة على جانبيه وسرجه، وهذا الحصان - بوصفه رمزًا لذي الجناح فرس الإمام الحسين في يوم عاشوراء - يحظى باحترام جميع الناس في باكستان، بما فيهم أهل السنّة، فإنَّ نساء السنة اللواتي لديهن حاجات أو مشاكل، يقدّمن أموالهن ومجوهراتهن نذرًا للعباس قضاءً لحاجاتهنّ.[٣] ويساير المشاركون في العزاء الحسيني الفرس ذا الجناح، فيجتمع الناس حوله باحترام ويزورونه ويلقون عليه مناديل وثياب وأموال نذور، وفي المدن الباكستانيّة الكبرى، يحتفظون بأحصنة كثيرة باسم ذي الجناح، ما يحظى باحترام كبير باعتباره حصانًا مقدّسًا، ولا يحقّ لأحد أن يركبه ما دام حيًّا، وبعد موته يُدفن في حظيرةٍ باحترام.[٤]

---

١. بختياري، ص٣-٣٧٢.

٢. عارفي: ١٦٣؛ داوودي: ٤٩/٢.

٣. صافي: ٧٥؛ أميردهي، العدد ١٢، خريف ١٣٨٦: ١١٥-١٣٠.

٤. عارفي: ١٦٤؛ حيدري، تراجدي كربلا: ١٥٧.

**ج) مراسم الحنّاء**

وثمّة مراسم أخرى للعزاء الشيعي في باكستان هي مراسم الحناء، وهي تستند إلى تلك التقارير التاريخيّة التي تعتقد أنّ قاسم بن الحسنﷺ تزوّج من فاطمة بنت الإمام الحسينﷺ في أيام عاشوراء عام (٦١ هـ)، وكان أوّل من ادّعى ذلك هو الملا حسين واعظ الكاشفي.[١] يقام هذا الاحتفال في باكستان في السابع من محرّم لإحياء ذكرى زواج قاسم بن الحسن المجتبيﷺ. ففي هذه المراسم، يوضع وعاء من الحناء، الذي قد زُيّن بشكل جيّدٍ، داخل صينيّة أو ما يسمّى "تام جهام"، ثم يُطاف بها في الأزقة والشوارع من قبل مجموعة من الشباب والمراهقين على الجمال والخيول، بل بالأحرى على السيارات في الوقت الحاضر.[٢] وطبعًا، كانت هذه العادة ولو جزئيًّا موجودة أيضًا في إيران، وأمّا اليوم السادس من شهر محرّم فهو خاصّ بقاسم بن الحسن، الشهيد الشاب في نينوى، وفقًا لسنّة المداحين؛ ففي هذه الليلة يقام في بعض المواكب مراسم الحنّاء ونصب حجلة قاسم؛ لاعتقادهم أنّه قد تزوّج في كربلاء؛ الأمر الذي دفع الشهيد المطهريﷺ للتدخّل في الموضوع والرد عليه بقوّة.[٣]

**د) حمل المهد**

تعتبر مراسم "حمل المهد" من أشكال العزاء في المجتمعات الشيعيّة، والتي تقام في بلدان مختلفة بأسلوب وسياق خاصّ بكلّ بلد، فعلى سبيل المثال، في إيران، يُنظَّم اجتماع الرُّضع الحسينيين في أوّل جمعة من شهر محرم تخليدًا لذكرى عليّ الأصغر الطفل الرضيع للإمام الحسينﷺ، وفي أفغانستان - في اليوم التاسع من شهر محرم - يُؤتى بكفن الرضيع عليّ الأصغر إلى قاعة العزاء حيث يتداول بين المعزّين. وفي باكستان يقوم

١. مجموعة من باحثي التاريخ: ٢/ ٦ - ٥٥٥.
٢. شاهد نقوي: ٤-٣٤٣.
٣. المطهري: ٨١/١٧.

المعزّين بحمل المهد المنسوب لعليّ الأصغر في الليلة السادسة من محرم وهم يندبون ويلطمون على صدورهم وينوحون حوله.[١]

**هـ) حمل التابوت**

وهناك مراسم عزاء أخرى شائعة لدى بعض الشيعة في العالم الإسلاميّ، بمن فيهم شيعة باكستان، وهي حمل التابوت. واليوم يحمل المعزّين في بعض مدن إيران، في الثالث عشر من محرم، وهو يوم دفن شهداء كربلاء، تابوتًا رمزيًّا يُخلِد ذكرى شهداء كربلاء، لكن في باكستان يمارَس هذا التقليد غالبًا ما خلال أيام استشهاد الإمام علي والإمام الحسن والإمام كاظم عليهم السلام.[٢]

**و) التعزية**

ومن أشكال العزاء هو ما يعرف باسم "التعزية" اصطلاحًا، وتختلف هذه المراسم من بلد إلى آخر.[٣] فعلى سبيل المثال يُطلق هذا الاصطلاح على ضريح الإمام الحسين عليه السلام في باكستان، بحيث يصنع الشيعة نماذج مصغرة من مرقد الإمام الحسين عليه السلام، مصحوبة بنقوش وزخارف جميلة، ويحملونها في أيّام محرّم، خاصّةً يوم عاشوراء، بين مواكب العزاء وفرق اللطميّة، فمن خلال هذه المراسم يعبّر الشيعة عن مزيدٍ من الولاء للإمام الحسين عليه السلام وتوقير حرمه. وقد يكون نموذج الضريح المقدس كبيرًا لدرجة أنّه لا يمكن نقله إلّا بعربات ذات أربع عجلات، وتحظى مراسم التعزية هذه بالعديد من المعجبين في باكستان، وحتى أنّ أهل السنة يصنعون نماذج ضخمة من الضريح النبوي أو أحد الأماكن المقدّسة، وهم يشاركون يوم عاشوراء إلى جانب الشيعة في مراسم التعزية.[٤] وعليه، فإنّ مراسم التعزيه في باكستان تختلف تمامًا عن مصطلح التعزية لدى سائر الشيعة.

---

١. عارفي: ١٦٤.
٢. المصدر نفسه.
٣. شميم: ٣٩٨.
٤. نقوي: ٣٤٣-٣٤٤.

**ز) السبيل: (المحطة الصلواتيّة أو المواكب الخيريّة)**

المحطات الصلواتيّة، التي يقال عنها في باكستان "السبيل"، هي نوع آخر من أنماط العزاء. وكان هذا الرسم ولا يزال بين جميع شيعة العالم، ويقام عادة في عاشوراء وأربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام، يبلغ نشاط المحطات الصلواتيّة أو المواكب الخيريّة التي تحظى بشعبيّة كبيرةٍ ذروتَها، خلال أيام الأربعين في العراق؛ حيث يتدفّق ملايين الزوار من مختلف دول العالم إليه غضون أيام قليلة، وهم ينتفعون بالمواكب الخيريّة هذه، فلا يفكر أحدٌ من الزوار المشاة في مسيرة الأربعين في الحصول على فندق أو مطعم أو غيرهما، وتجري هذه السنة بين جميع الشيعة بالطريقة نفسها من حيث تقديم الخدمة؛ فهم يقدّمون في أيام محرم أنواعًا مختلفة من الخدمات للمعزّين، لكن في باكستان، يتمثّل الجزء الرئيس من الخدمة في توزيع العصائر والأطعمة الجاهزة والفواكه والعصير والشاي بالحليب والماء البارد وغيرها من الأطعمة والأشربة للمعزّين، ويتضاعف عدد هذه المواكب خلال تاسوعاء وعاشوراء، بحيث يستفيد من هذه الخدمات جميع المشاركين في المسيرة المليونيّة يوم عاشوراء. وتقام هذه السنة بالجودة نفسها في دول إسلاميّة أخرى، فضلًا عن إطعام المعزّين بحيث إنّه بعد انتهاء جلسة العزاء في المساجد والحسينيّات، يتمّ تقديم الطعام إلى المعزّين من قبل بعض المحسنين.[1]

**٢. التعزية في الهند**

يهتمّ الشيعة الهنود، كسائر الشيعة في العالم، اهتمامًا بالغًا بالعزاء الحسيني، خاصّة خلال شهر محرم، فقد ادّعى أحد الباحثين أنّه ما من شعبٍ في العالم يُنفق على مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام كما يُنفق شيعة البنغال في الهند (نسبةً إلى عدد سكان الشيعة)، ويقيم الشيعة مجالس عزاء في شهري محرم وصفر، كما تسيّر المواكب في الشوارع

١. عارفي: ١٦٥.

الرئيسة بالمدن، ويقوم الناس بإطعام المعزّين، ويتناوب العلماء على إلقاء خطب وإنشاد مراثٍ، ثم يبدأ الروايد بالنوح والرثاء، ويرافقهم الناس في ذلك، وأخيرًا تنتهي مراسم العزاء بقراءة زيارة الإمام الحسين عليه السلام.[١] وفقًا للعديد من المؤرخين، فإنَّ أوّل تعزية على الإمام الحسين عليه السلام في الهند يعود إلى فترة حكم المغول في الهند في القرن السابع عشر الميلادي.[٢] وهناك عادات وطقوس أخرى شائعة في الهند إلى جانب قراءة العزاء والرثاء كمراسم الزيارة التي تقام في يوم عاشوراء والأربعين.[٣] وفيما يلي عناصر التعزية في الهند خاصة منطقة البنغال، باختصار:

١. يستقبل شيعة الهند - وخاصّة البنغال - شهر العزاء بحفاوة قبل حلول شهر محرم؛ حيث ينظفون الحسينيّات ويكسونها بالسواد، وينصبون رايات العزاء فوق الحسينيات وبعض المنازل، ويقللون من حجم أعمالهم الدنيويّة خلال هذا الشهر.

٢. ومع حلول شهر محرم، يرتدي الشيعة ملابس سوداء أو ثياب بسيطة ويتخذون حالة مأتم، ويستمرّ هذا الأمر حتّى الليلة التاسعة من ربيع الأوّل. وفي يومَي تاسوعاء وعاشوراء، يخرقون جيوبهم، ويشمرون عن سواعدهم حتى المرفق، ويمشون حفاة الأقدام، ويمتنعون عن شرب الماء البارد احترامًا لشهداء كربلاء العطاشى إلى نهاية عشيّة عزاء عاشوراء.

٣. وهكذا النساء الشيعيات يُقمن المأتم حتى الأربعين الحسيني، حيث يتجنبن الزينة (أي المكياج)، وارتداء الملابس الجديدة، بل وحتّى طهي الطعام اللذيذ.

٤. تقام مراسم التعزية خلال أيام عاشوراء في مواضع خاصّة تسمى "كربلاء"؛ حيث يتمّ استعراض ساحة القتال في كربلاء.[٤]

---

١. زين العابدين: ٣٩٦.

٢. حيدري: ١٥٢-١٥٣.

٣. المصدر نفسه: ١٥٤.

٤. زين العابدين: ٣٩٦ - ٤٠٠.

٥. إشعال النار، وهو من جملة أنماط العزاء في بعض مناطق الهند، بما في ذلك البنغال؛ حيث يشارك الأطفال والمراهقون بجانب الكبار في حفر ما يقرب من مترين إلى ثلاثة أمتار من الأرض أمام الحسينيّات، ثم يملأونها بخشب المانجو أو أخشاب أخرى، وبعد أن اتّقدت النار جيّدًا، يمشون عليها نائحين ولاطمين على صدورهم. ويرى أحد الباحثين أنّ فلسفة هذا النوع من العزاء غير معلومة، لكن بعض الشيعة يقولون إنّ هذا بسبب إظهار الشفقة للسيدة زينب عليها السلام وأهل بيت الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ أحرقوا خيامهم في عصر عاشوراء.[١]

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا النوع من التعزية هو من البدع التي وجدت طريقها للأسف إلى الشيعة في الهند؛ إذ في هذا النوع من العزاء، بالإضافة إلى الإضرار بالجسم، فإنّه موجب لوهن الدين، وتشويه سمعة المذهب الشيعي الاثني عشري في نظر الناس، وهذا لا يجوز قطعًا، كما أفتى به مراجع التقليد وعلماء الدين بما فيهم السيد القائد الإمام الخامنئي (دام ظله):

> **ما يوجب ضررًا على الإنسان، أو يوجب وهن الدين والمذهب، فهو حرام يجب على المؤمنين الاجتناب عنه. ولا يخفى ما في كثير من تلك المذكورات من سوء السمعة ووهن مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهذا من أكبر الضرر وأعظم الخسارة.**[٢]

وبناءً عليه، فإنَّ بعض أشكال العزاء التي شاعت بين الشيعة، مثل التطبير والمشي على النار، ليست جزءًا من ثقافة العزاء الشيعيّة، ويرفضها علماء الشيعة رفضًا تامًّا؛ لهذا السبب يعتقد البعض أنّ العادات مثل المشي على النار، أو حمل قطع من الجمر في الكفّ أو وضعها على أجسادهم وتعذيب أنفسهم، قد نشأت من العادات القديمة للهندوس، وانتشرت تدريجيًّا بين شيعة الهند وباكستان.[٣]



---

١. المصدر نفسه: ٤٠١.
٢. الخامنئي: ٣٩٣.
٣. حيدري: ١٥٦.

وعليه، فإنّ هذه الأشكال من العزاء لا علاقة لها بالعزاء الشيعي، ولا تعتبر من مظاهر الثقافة الشيعية، خاصّة وأنَّ علماء الشيعة لا يعتبرون هذا النوع من العزاء جائزًا، بل يعتبرونه من موجبات الوهن للدين والمذهب. وثمّةَ مراسم أخرى للشيعة الهنود تسمّى التعزية، وقد اتّخذ مصطلح التعزية أبعادًا متفاوتة في مناطق شيعيّة خلال فترات تاريخيّة مختلفة، واليوم، تشير التعزية في شمال الهند كما في باكستان، إلى ضريح رمزي يشبه ضريح الإمام الحسين عليه السلام، والذي يتمّ عرضه بأفضل طريقةٍ في مواكب العزاء يوم عاشوراء، وأمّا في جنوب الهند، فإنّ هذا النوع من التعزية يطلق عليها "التابوت"، ويُقال إنّ تاريخ حمل الضريح (التعزية) يعود إلى عهد تيمور (٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م)، وهو أوّل حاكم من السلسلة التيمورية.[١]

وفيما يلي شرح مراسم "حمل الراية" كنموذج بارز من أشكال العزاء في الهند:

**تشير آخر الأبحاث إلى أنّ أوّل راية في عصر قطب شاه، قد صُنعت من جانب محمد قلي عامَ (١٠٠١ هـ)، ونُصِبت في عاشوراخانه (بيت العزاء) الملكي بقلعة غولكنده، ولا يزال يُحتفظ بها وتُعرف باسم العلَم الحسيني لغولكنده؛ حيث يقام فيها مجلس عزاء في شهر محرم سنويًّا. فكما مرّ يعتبر العزاء على الإمام الحسين وسائر المعصومين عليهم السلام من أبرز شعائر شيعة الهند، والتي تقام كلّ عام.**

**وإذا كان عزاء الشيعة - وخاصّة شيعة باكستان - مصحوبًا بالخرافات في بعض الحالات، فقد اعتبره علماء الشيعة محرَّمًا وبدعةً.[٢]**

كما سُئل السيد القائد الخامنئي (حفظه الله) في هذا المجال:

**س ١٤٥٩: تقام في عاشوراء بعض المراسم، مثل الضرب على الرأس بالسيف (ما يسمّى بـ"التطبير")، والمشي حافيًا على النار والجمر، مما يسبّب أضرارًا نفسيّة وجسديّة، مضافًا إلى ما يترتّب على مثل هذه الأعمال من تشويه للتشيع (المذهب الاثنا عشري) في أنظار علماء وأبناء المذاهب الإسلامية والعالم، وقد تترتّب على ذلك إهانة للمذهب، فما هو رأيكم الشريف بذلك؟**

١. هاليستر: ١٨٩.

٢. الخامنئي: ٣٩٣.

**ج: ما يوجب ضررًا على الإنسان، أو يوجب وهن الدين والمذهب، فهو حرام يجب على المؤمنين الاجتناب عنه. ولا يخفى ما في كثير من تلك المذكورات من سوء السمعة ووهن مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهذا من أكبر الضرر وأعظم الخسارة.**[1]

وختام القول: إنّ إقامة العزاء هو جزء من ثقافة شيعة الهند، وإن كانت أشكالها مختلفة في شتّى المناطق الشيعيّة.



١. الخميني: ٢/١٠٢٦.

**نتيجة البحث**

يعقد الشيعة المأتم على الحسين عليه السلام في بلدان مختلفة، خاصّة في شهرَي محرم وصفر، وهناك فرقٌ في طريقة أداء مراسم العزاء بين الشيعة في شتّى المناطق، وبعد وصول الدولة الصفويّة الشيعيّة إلى الحكم في إيران، ازدهرت وتوسّعت مراسم العزاء أكثر في أنحاء العالم، ففي أفغانستان ولبنان مثلًا، بسبب الأجواء المعادية للشيعة فيهما، واجهت مراسم العزاء الحسيني مشاكل كثيرة في بعض الفترات التاريخيّة، ولربّما مُنعت من إقامة مراسم العزاء علنًا. وفي المقابل تقام مراسم العزاء في بعض المناطق الشيعيّة مصحوبةً بالخرافات والبدع التي لا يقبلها الشيعة الاثني عشريّة، ولا تعتبر جزءًا من الثقافة الشيعيّة، بل يعارضها علماء الشيعة بشدّة ويعتبرونها حرامًا؛ فإن أعمالًا كالتطبير، والمشي على النار، وضرب السلاسل التي يكون في رأس كلّ سلسلة منها موسى (قطعة سكين) حادّ، وتعظيم حصان يطلق عليه اسم ذي الجناح، وتجهيز حجلة زفاف تسمّى حجلة زفاف قاسم، هي من الخرافات والبدع التي دخلت ثقافة الشيعة في بعض المناطق؛ لهذا السبب ردّ علماء الدين والمراجع العظام على هذه التصرّفات بقوّة واعتبروها حرامًا وبدعةً.

## مصادر البحث


١. ابن بابويه الصدوق، محمد بن علي، (١٣٧٦ش)، الأمالي (للصدوق)، طهران، الطبعة السادسة.
٢. ابن عساكر، علي بن حسن، ( ١٤١٥ ق)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، - بيروت، الطبعة الأولى.
٣. ابن قولويه، جعفر بن محمد، (١٣٥٦ش)، كامل الزيارات، النجف الأشرف، الطبعة الأولى.
٤. إدارة بحوث المنشورات والتعليم (١٣٧١ش)، خشونت وفرهنک، طهران، سازمان أسناد ملي إيران.
٥. أزكي، مرضية، (١٣٨٥ش)، عزاداری در ايران، طهران،كانون پرورش فكرى كودک و نوجوان.
٦. أميردهي، ع،ر، (١٣٨٦ش)، سرزمين‌هاى جهان اسلام: جمهوري إسلامي باكستان (١)، مجلة أنديشه تقريب، العدد ١٢، الخريف، ص١١٥-١٣٠.
٧. الأندلسي، ابن عبد ربه، (١٤٠٤ق)، العقد الفريد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
٨. إيزدي، حسين، (١٣٩١ش)، شاهان صفوى و زيارت، مجلة شيعه شناسى الفصلية، السنة العاشرة، العدد ٣٩، ص١٣١-١٥٢.
٩. آخوندزاده، مختار على نير، (بدون تاريخ)، عزاداری در استان سر حد، بيشاور، الملحق الثقافي للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.
١٠. آني زاده، علي، (١٣٨٩ش)،جلوه‌هاى نمادين عزادارى ماه محرم در مناطق مختلف ايران، طهران، مركز صدا وسيما للدراسات.
١١. آيتي، عبدالقيوم، (١٣٩٠ش)، تمدن و فرهنگ شيعيان افغانستان، از صفويه تا معاصر، قم، مركز المصطفىﷺ الدولي للترجمة والنشر، الطبعة الأولى.
١٢. بختياري، محمدعزيز، (١٣٨٥ش)، شيعيان افغانستان، بمساعدة محمود تقى زاده داورى، قم، شيعه شناسي، الطبعة الأولى.
١٣. بينش، وحيد، أنصاري، فاروق، خلوصي، محمدحسين،(١٣٩٠ش)، شيعيان افغانستان، روابط، جايگاه و جريان ها و احزاب، طهران، مؤسسة انديشه سازان نور للبحوث، الطبعة الأولى.
١٤. تاورنيه، جان بابتيست، سفرنامه تاورنيه، الترجمة: حميد أرباب شيراني، طهران، نيلوفر، الطبعة السادسة،١٣٨٩ش.
١٥. جادي، عبدالقيم، (١٣٨٠ش)، جامعه شناسى سياسى افغانستان، قم، بوستان كتاب، الطبعة الأولى.
١٦. جميلي ، عباس خدوم، (١٣٨٥ش)، تعزيه در عراق و جند كشور اسلامى، الترجمة: مجيد سرسنكى، طهران، فرهنكستان هنر، الطبعة الأولى.

١٧. حيدري، إبراهيم، (١٣٨١ش)، تراجدي كربلا مطالعه جامعه شناختى گفتمان شيعه، الترجمة: علي معموري ومحمدجواد معموري، قم، دار الكتاب الإسلامى.
١٨. حيدري، أصغر، (١٣٩١ش)، تاريخ و جلوه هاى عزادارى امام حسين عليه السلام در ايران با تكيه بر دوره صفوى، طهران، تاريخ إيران المعاصر، الطبعة الأولى.
١٩. الخامنئي، السيد علي، (بدون تاريخ) رساله آموزشى ٢، أحكام المعاملات (فقه روز)، التابعة لمنشورات انقلاب إسلامي.
٢٠. خليل، حسن خليل، (١٩٧٤م)، مسرح عاشوراء في التَبَطية، بيروت، (بدون تاريخ).
٢١. الخميني، السيد روح الله الموسوي، (١٤٢٤ق)، توضيح المسائل (محشّى - الإمام الخميني)، مكتب الانتشارات الإسلاميّة التابعة لجماعة مدرسي الحوزه العلمية بقم، إيران، قم، الطبعة الثامنة، بدون تاريخ.
٢٢. دلاواله ، بيترو، (١٣٩١ش)، سفرنامه دلاواله، الترجمة والشرح: شجاع الدين شفا، طهران، انتشارات علمى و فرهنكى، الطبعة السادسة.
٢٣. راوندي، مرتضى(١٣٨٢ش) ، تاريخ اجتماعى إيران، طهران، نشر نگاه، الطبعة الثانية.
٢٤. رحماني ولوي، مهدي،(١٣٨٦ش)، تاريخ علماي بلخ، العتبة الرضوية المقدسة، مؤسسة البحوث الإسلاميّة، إيران، مشهد المقدسة، الطبعة الأولى.
٢٥. رضائي، صفية، عزادارى امام حسين عليه السلام درجهان، قم، سبط النبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ش.
٢٦. زين العابدين، محمد (١٣٩٥ش)، تاريخ تشيع در بنغال هند از آغاز تا دوره معاصر، قم، مركز المصطفى للترجمة والنشر، الطبعة الأولى.
٢٧. الشرقي، طالب (١٩٩١م )، تاريخ الشعائر الحسينية في النجف الأشرف، رقم ١٢.
٢٨. شميم، علي أصغر، (١٣٨٧ش)، ايران در دوره سلطنت قاجار، طهران، انتشارات بهزاد، الطبعة الأولى.
٢٩. شهيدي، عنايت الله، (١٣٨٠ش)، پژوهشى در تعزيه و تعزيه خوانى از آغاز تا پايان دوره قاجاريه در طهران، الإعداد والتقييم العلمي: علي بلوك‌باشي، طهران، مكتب البحوث الثقافية، كميسيون ملي يونسكو در ايران، الطبعة الأولى.
٣٠. شيواني، محمد وحيد، (١٣٨٥ش)، تشيع در كابل، (١٩٧٨-١٧٧٨م)، مجلة سفير نور، الشتاء، عدد خاص ٣.
٣١. صافي، قاسم، (١٣٦٦ش)، سفرنامه باكستان، طهران، كلمة.
٣٢. صفوي، سام ميرزا، (١٣٨٩ش)، تحفه سامي، الإعداد: أحمد مدقق يزدي، يزد، سامي.

٣٣. ضيائي، محمدرضا،(١٣٩٦ش)، تاريخ حوزه‌هاى علميه شيعه در افغانستان، قم، مركز المصطفى للترجمة والنشر، الطبعة الأولى.
٣٤. عارفي، محمد أكرم، (١٣٨٥ش)، شيعيان پاكستان، الإشراف: محمود تقي زاده داوري، قم، شيعه شناسى، الطبعة الأولى.
٣٥. غبار، مير غلام محمد، (١٣٨٤ش)، أفغانستان در مسير تاريخ، انتشارات جمهوري إسلامي، الطبعة الأولى.
٣٦. فتال النيشابوري، محمد بن أحمد، (١٣٧٥ش)، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين (ط - القديمة)، إيران، قم، الطبعة الأولى.
٣٧. فردريك معتوق، (١٩٩٥م)، عاشوراء، مجلة أبواب، العدد ٦، بيروت، ص١٤٨-١٤٩.
٣٨. فرهنک، سيد محمدحسين، (١٣٨٠ش)، جامعه شناسى و مردم شناسى شيعيان أفغانستان، قم، مؤسسة الإمام الخميني قدس سره للتعليم والبحوث.
٣٩. قادري، محي الدين، (١٣٨٧ش)، مير محمد مؤمن آسترآبادي مروج تشيع در جنوب هند، نشر مؤرخ، إيران، قم.
٤٠. مجموعة من باحثي التاريخ، (١٣٩٢ش)، مقتل جامع سيد الشهداء، الإشراف: مهدى بيشوايى، قم، مؤسسة الإمام الخميني قدس سره للتعليم والبحوث، الطبعة الرابعة.
٤١. مركز أسناد انقلاب اسلامى، (١٣٧٨ش)، هفتاد سال خاطره از آية الله حسين حسين بُدَلا، طهران، مركز أسناد إنقلاب إسلامى.
٤٢. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (١٤٠٩ق)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، التحقيق: أسعد داغر، قم، دار الهجرة، الطبعة الثانية.
٤٣. المطهري، مرتضى، (١٣٧٢ش)، مجموعه آثار الأستاد الشهيد المطهري، قم، صدرا، الطبعة الثامنة.
٤٤. الميبدي، حسين بن معين الدين، (١٤١١ق)، ديوان أمير المؤمنين عليه السلام، الترجمة والتصحيح: مصطفى زماني، قم، الطبعة الأولى.
٤٥. ناصري داوودي، عبدالمجيد، (١٣٧٨ش)، تشيع در خراسان عهد تيموريان، مشهد، العتبة الرضويّة المقدّسة، مؤسسة البحوث الإسلاميّة، الطبعة الأولى.
٤٦. ناصري داوودي، عبدالمجيد، (١٣٩٦ش)، جاغورى، فرهنک و اقتصاد/٢، بدون مكان، نشر خار، الطبعة الأولى.
٤٧. نقوى، شاهد، (٢٠٠٢م)، عزاداري، لاهور، إظهار سنز پرنترز.
٤٨. هاليستر، جان نورمن، (١٣٧٣ش)، تشيع در هند، الترجمة: آزرميدخت مشايخ فريدني، طهران، مركز نشر دانشگاهى، الطبعة الأولى.
٤٩. هوشي سادات، هاشم، (١٣٩٢ش)، مبانى و أهداف عزادارى إمام حسين عليه السلام و سير تاريخى آن در إيران، طهران.

# إحياء الشعائر الحسينية؛ قراءة تاريخية

**غلام حسن محرّمي**[1]

**خلاصة البحث**

كلّما بدت طلعة العام الهجري يتذكّر المسلمون ببالغ الأسى وعظيم التأثر مصارع آل الرسول وأهل بيته وما أمعنه الجيش الأُموي فيهم من القتل والتنكيل والتمثيل، فيستعدّ المسلمون في معظم أنحاء المعمورة للتعبير عن شعورهم إزاء هذه الذكرى الدامية وخاصّةً في اليوم العاشر من محرم، وليس هذا التعبير عن شعور التأثّر والتألّم تجاه مصرع الإمام الحسين عليه السلام أمرًا مستحدثًا، بل يرقى تاريخُ هذه المشاعر الصادقة إلى عهدٍ قديمٍ فى الإسلام، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته الكرام أوّل من بكوا الحسين عليه السلام ثمّ الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ إذ أقاموا العزاء على جدّهم الشهيد سرًّا وعلانيّةً، وقد اتّسع نطاق إقامة المناحات ومجالس العزاء على الحسين عليه السلام في عهد آل بويه في العراق وإيران، وأخيرًا أخذ العزاء الحسينيّ دورًا متّسع النطاق في ظلّ عناية الدولة الصفويّة، ونال الموالون لآل البيت عليهم السلام كلّ حرّيّتهم في إظهار رغباتهم وشعائرهم لإحياء ذكرى شهيد الحقّ الإمام الحسين عليه السلام.

**المفردات الرئيسة**: العزاء الحسينيّ، الرثاء، النياحة، العهد البويهيّ، العهد الصفويّ، التاريخ، الشيعة.

---

١. قسم التأريخ، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، تبريز، إيران. البريد الإلكتروني: Moharami47@gmail.com.

**مقدّمة**

كانت شيعة آل بيت النبي (صلوات الله عليهم) وأحباؤهم يُقيمون العزاء والمأتم كلّ عام في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام منذ عصر الأئمّة عليهم السلام بتوجيهٍ وتشجيعٍ منهم، ثمّ مع اعتلاء البويهيين الحكم وتأسيس دولةٍ شيعيّةٍ، توسّعت هذه الثقافة، وانتشرت في الشوارع والأسواق علنًا، وأصبحت رمزًا وشعارًا للشيعة على مدى القرون، وأمّا في القرون الأخيرة، فمع تأسيس الدولة الصفويّة في إيران واهتمامهم بهذه المسألة، فهي توسّعت أكثر مما كانت عليه.

وأمّا تاريخ العزاء الحسينيّ، فينقسم إلى أربع مراحل هي:

١. أوّل نياحة على الإمام الحسين عليه السلام بعد دفنه.

٢. العزاء الحسيني منذ عصر الإمام الباقر عليه السلام فما بعد.

٣. العزاء العلني على الإمام الحسين عليه السلام منذ العهد البويهيّ (٣٥٢ ق) إلى العهد الصفويّ.

٤. التطوّر الشكليّ للعزاء الحسينيّ من العصر الصفويّ إلى العصر الراهن.

**١. أوّل من رثى الإمام الحسين عليه السلام**

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ أول من رثى وبكى الإمامَ الحسين عليه السلام في استشهاده هم أهل بيته وبنو هاشم، فكان أوّل عزاء أقيم على الإمام الحسين عليه السلام في أرض كربلاء فورَ استشهاده، وقد روي أنّه بعد أن سقط الإمام الحسين عليه السلام على الأرض من الفرس، أقبل فرسُه ملطّخًا بالدماء إلى الخيام، فما إن سمعت نساؤه وأخواته وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله صوت ذي الجناح حتّى خرجن من الخيام ولطمن على رؤوسهن وخدودهن، فصاحت السيدة أم كلثوم بالبكاء:

**وا محمّداه، وا جدّاه، وا أبتاه، وا أبا القاسماه، وا عليّاه، وا جعفراه، وا حمزتاه، وا حسناه، هذا حسين**

**بالعراء، صريع بكربلاء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء»، ثمّ غُشي عليها.**[١]

وقد ورد في زيارة الناحية المقدّسة:

**فلما نظرن النساء إلى الجواد مخزيًا، والسرج عليه ملويًا، خَرَجْنَ من الحذور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، وللوجوه سافرات، وبالعويل واعيات، وبعد العزّ مذللات، وإلى مصرع الحسين مبادرات.**[٢]

لم يرد في كتب المقتل الموثقة ما يدلّ على كيفيّة رثاء آل هاشم وأحوالهم ليلة عاشوراء، ومع ذلك، في اليوم الحادي عشر من محرّم، عندما أخرجوهم من الخيام وقادوهم نحو الكوفة بأمرٍ من عمر بن سعد، سجلت أصحاب المقاتل كيفيّة توديع أمّهات الشهداء الثكالى وزوجاتهم الأرامل وبناتهم وأطفالهم الأيتام، ومنها ما أورده أبو مخنف في مقتله أنّ زينب الكبري عليها السلام تكلّمت بكلمات نارية، فخاطبت جدّها قائلة:

**يا مُحَمّداه، صَلّ عَلَيكَ مَليكُ السَّماءِ، هذا حُسَينٌ بِالعَراء، مُزَمَّلٌ بالدِّماءِ، مُعَفَّرٌ بِالتُّرابِ، مُقَطَّعُ الأَعضاءِ، يا مُحَمَّداه! بَناتُكَ فِي العَسكَرِ سَبايا، وذُرِّيَّتُكَ قَتلى تَسفي عَلَيهِمُ الصَّبا..!**

وأضاف أبو مخنف:

**وما زالَت تَقولُ هذَا القَول، حَتّى أبكَت وَاللهِ كُلَّ صَديقٍ وعَدُوٍّ.**[٣]

وأمّا المرّة الثانية التي ناح فيها آل هاشم وبكوا على أحبّائهم وأبكوا الناس فيهم، كان في الكوفة، وعلى الرغم من أنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام كانوا من أهل هذه المدينة، إلّا أنّ شيعة الإمام الحسين عليه السلام كانوا يعيشون فيها أيضًا، وكانت هذه المدينة أساسًا تعتبر مركزًا للشيعة منذ خلافة الإمام علي عليه السلام؛ لذلك لمّا رأى أهل الكوفة حالة الأسرى بدأت عيونهم تُدمع لما جرى على الحسين لدرجة أنّ الإمام سجاد عليه السلام نهرهم قائلًا:

**يا أهل الكوفة، إنّكم تبكون علينا، فمن قتلنا غيركم؟**[٤]

وقد ألقى الإمام سجاد عليه السلام وزينب كبري عليها السلام وأم كلثوم وفاطمة الصغري خُطبًا في الكوفة عن

١. الخوارزمي: ٤٣.
٢. بحار الأنوار: ١٠١/٣٢٢.
٣. يوسفي الغروي: ٢٥٩.
٤. المفيد، الأمالي: ٣٢١.

ظلامة القوم في حقّهم، وقد تحدّثت المصادر التاريخيّة عن تأثير هذه الخطب على النحو التالي:

**بعد خطبة الإمام سجاد عليه السلام ارتفعت الأصوات بالنوح من جميع الجهات، وهم يقولون لبعضهم البعض: لقد هلكتم، ولكنّكم لا تشعرون.**[١]

وعندما وصل أسرى أهل البيت عليهم السلام، فقد أهلَّ أهلُ الشام واستهلّوا فرحًا،[٢] لكن بعدما عرّف الإمام السجاد عليه السلام بحسبه ونسبه من خلال خطبةٍ ناريّةٍ ألقاها في جامع دمشق:

**أنا ابن المقتول ظلمًا، أنا ابن المجزور الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتّى قضى، أنا ابن صريع كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تُسبى.. أيُّها الناس إنّ الله تعالى - وله الحمد - ابتلانا أهل البيت ببلاءٍ حسن؛ حيث جعل راية الهدى والتُقى فينا، وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا...**[٣]

وتحدَّث عن مظلوميّة أبيه للناس، عمّ المجلس النحيب والبكاء، وأثّر فيهم تأثيرًا بالغًا، وقد انقلبت أجواء الشام بحيث اضطرّ يزيد الملعون أن يلقي مسؤوليّة قتل الحسين على الآخرين كعبيدالله بن زياد، ممّا أتاح لأهل الحسين عليه السلام فرصةً لإقامة العزاء لمدّة ثلاثة أيّام في الشام، ونقل السيد بن طاووس:

**كانت من بين نساء يزيد، امرأة من محبّي بني هاشم، فلمّا رأت رأس الإمام حسين عليه السلام رفعت صوته بالبكاء والعويل.**[٤]

ومن مواضع عزاء آل هاشم على الإمام الحسين عليه السلام هو اليوم الأربعين من استشهاده في أرض كربلاء، فعندما كانت السبايا تقاد من الشام إلى المدينة، عرجوا طريقهم نحو كربلاء لزيارة قبور أعزائهم القتلى، وعندما وصلوا هناك، التقوا بجابر بن عبد الله

١. ابن طاووس: ٦٩.
٢. الخوارزمي: ٦٧-٧٨.
٣. ابن شهر آشوب: ١١٥/٤.
٤. ابن طاووس: ٧٨.

الأنصاري، صحابي النبيﷺ وبعض من بني هاشم الذين قد جاؤوا لزيارة قبر الإمام حسينؑ، فأقاموا العزاء على شهداء كربلاء لبضعة أيّام، فلمّا سمعت النساء بصرخة البكاء لحرم الحسينؑ ضججن بالبكاء والنوح.[١]

### ٢. أوّل من بكت من النساء على الحسينؑ في المدينة

وكان من الأماكن التي أقيم فيها العزاء بعد استشهاد الإمام حسينؑ هي المدينة المنورة. فكانت المدينة هي حرم بني هاشم وآل بيت النبيﷺ وزوجاته؛ حيث كان أغلب الناس من أتباع أهل البيتؑ يُنسب أوّل رثاء الحسين في المدينة لزوجة النبيﷺ أم سلمة؛ وفقًا للمصادر التاريخيّة:

> **دخلت أم سلمة النبيّﷺ يومًا ما، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبيﷺ يبكي وإذا في يده شيء يقبّله، فقال النبيﷺ: يا أم سلمة، إنّ هذا جبرئيل يخبرني أنّ ابني هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دمًا فقد قُتل حبيبي...**[٢]

وعن أمّ سلمة أنّها قالت:

> **فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشدّدت رأسها واحتفظت بها، فلمّا خرج الحسين من مكّة متوجّهًا نحو العراق كنت أخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة فأشمها وأنظر إليها ثم أبكي لمصابه، فلمّا كان اليوم العاشر من محرّم - وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين - أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها ثمّ عدت إليها آخر النهار، فإذا هي دمٌ عبيطٌ، فضججتُ في بيتي وبكيت...**[٣]

### ٣. رثاء الحسينؑ في المدينة للمرّة الثانية

وقد ارتفعت الأصوات للبكاء على الحسينؑ للمرّة الثانية في المدينة، عندما وصل خبر قتل الحسينؑ إلى والي المدينة؛ حيث أمر بأعلان الناس هذا الخبر، فلم يبق

١. المفيد: ٤٦؛ البيروني: ٣٢٩؛ ابن طاووس: ٨٦؛ ابن نما: ١٠٧.
٢. ابن قولويه: ٥٨.
٣. ابن واضح: ١٥٩/٢.

بالمدينة أحدٌ إلّا وخرجوا وهم يضجّون بالبكاء ما لم يسبق له نظيرٌ، فإذا بزينب بنت عقيل بن أبي طالب خرجت من بيتها وهي تصيح: واحسيناه، وا أخوياه، وا أهلاه، وا محمداه، ثم أنشدت هذه الأشعار:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي؟ أما لكم ... عهد؟ أما أنتم توفون بالذمم؟
ذريتي وبنو عمي بمضيعة ... منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمِ[1]

### ٤. رثاء الحسين عليه السلام في المدينة للمرّة الثالثة

وقد بكى أهل المدينة بما فيهم آل هاشم على شهداء كربلاء للمرّة الثالثة؛ حيث وصلت قافلة السبايا إلى المدينة في طريقهم من كربلاء، فحينما وصل ركب السبايا والأسرى ضواحي المدينة المنورة، قال الإمام زين العابدين عليه السلام لبشر بن حذلم - وكان معروفًا بقرض الشعر -: أُدخل المدينة وانعَ أبا عبد الله الحسين عليه السلام؛ قال بشر:

**فركبت فرسي وركضت حتّى دخلت المدينة، فلمّا بلغت مسجد النبيّ رفعت صوتي بالبكاء، وأنشدت أقول:**

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فادمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج ... والرأس منه على القناة يدار[2]

**ثم قلت: يا أهل المدينة، وجّهني مولاي علي بن الحسين وهو نازلٌ بوضع كذا مع عيال أبي عبد الله الحسين ونسائه، قال: فتركوني مكاني وغادروني؛ فضربت فرسي حتّى رجعت، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطّأت رقاب الناس حتّى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين داخلًا، فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، فجلس وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كلّ ناحيةٍ يعزّونه، فضجّت تلك البقعة ضجّةً شديدةً، فأومأ بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فخطب فيهم خطبةً مؤثّرة، ثمّ دخل زين العابدين عليه السلام إلى المدينة فرآها موحشة باكية، ووجد ديار أهله خالية، تنعى أهلها، وتندب سكانها.. وهكذا أقامت**

١. انظر: المفيد، الأمالي: ٣١٩؛ الإرشاد: ١٢٣/٢ و 124؛ المسعودي: ٨٠/٣ ؛ البلاذري: ٢٢١/٣
٢. الأمين: ٦١٢/١.

**مدينة الرسول أيّامًا بلياليها تشهد المأتم الرهيب، وتصغي إلى النواح الفاجع...[١] وما تحنأت امرأة من بني هاشم، ولا أجالت في عينها مرودًا، ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.[٢]**

## ٥. نُعاة الحسين عليه السلام الأوائل

لقد تأثّر عددٌ من الشخصيّات الكبيرة في العالم الإسلاميّ بمظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام إثر استشهاده، فبكوا عليه وأنشدوا له المراثي؛ فيروى أنّ خالدًا بن معدان وهو من فضلاء التابعين، لمّا شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهرًا من جميع أصحابه، فلمّا وجدوه بعد أن افتقدوه وسألوه عن سبب ذلك، فقال: ألا ترون ما نزل بنا؟ ثم أنشأ يقول:

**جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد ... مترمّلًا بدمائه ترميلا**
**وكأنّما بك يا بن بنت محمد ... قتلوا جهارًا عامدين رسولا**
**قتلوك عطشانًا ولما يرقبوا ... في قتلك التأويل والتنزيلا**
**ويكبرون بأن قتلت وإنّما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا[٣]**

ومن أوّل من أنشد قصيدة في مصيبة الإمام حسين عليه السلام عبيد الله بن حر الجعفي وسليمان بن قتة.[٤] ولما كان مقتل الحسين عليه السلام جاء عبيد الله بن حرّ إلى كربلاء ووقف على أجداث الشهداء، وبكى بكاءً شديدًا واستعبر ورثى الحسين وأصحابه، منشدًا قصيدة طويلة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وندمه لعدم اشتراكه في القتال، وهذه الأبيات من تلك القصيدة:

**يقول أمير غادر وابن غادر ... ألا كنت قابلت الشهيد بن فاطمة**
**ونفسي على خذلانه واعتزاله ... وبيعة هذا الناكث العهد لائمة**
**فيا ندمي أن لا أكون نصرته ... ألا كلُّ نفس لا تسدد نادمة**
**ويا ندمي أن لم أكن من حماته ... لذو حسرة ما إن تفارق لازمة**
**سقى الله أرواح الذين تآزروا ... على نَصره سقيًا من الغيث دائمة**
**وقفت على أجداثهم ومجالهم ... فكاد الحشى ينفض والعين ساجمة**

١. ابن طاووس: ٨٧ و٨٨.
٢. ابن داود: ٢٧٧.
٣. ابن طاووس: ٧٦.
٤. التستري: ٥/٢٩٢، باب السين.

لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى ... سراعًا إلى الهيجا حماة خضارمة
تآسوا على نصر ابن بنت نبيهم ... بأسيافهم آسادَ غيلٍ ضراغمة
فإن تقتلوا فكل نفس تقية ... على الأرض قد أضحت لذلك واجمة
وما إن رأى الراؤون أفضل منهم ... لدى الموت سادات وزهرًا قماقمة
أتقتلهم ظلمًا وترجوا ودادنا ... فدع خطة ليست لنا بملائمة
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم ... فكم ناقم منا عليكم وناقمة
أهُمّ مرارًا أن أسير بجحفل ... إلى فئة زاغت عن الحق ظالمة
فكفوا وإلا زرتكم في كتائب ... أشدّ عليكم من رصوف الديالمة[1]

وكذلك سليمان بن قتة، وكان من أوائل الراثين له، فمن شعره فيه قوله:

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أر أمثالها إذ تجلت
ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أضحت منهم برغم تخلّت
وكانوا رجاء ثمّ عادوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
أتسألنا قيس فنعطي فقيرها ... وتقتلنا قيس إذا النعل زلت
وعند غنى قطرة من دمائنا ... سنطلها يومًا بها حيث حلت
أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم ... ولم تكثر القتلى بها حين سلت
فإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقاب المسلمين فذلّت[2]

وممن أنشد مرثية في الحسين عليه السلام هو أبو الرمح الخزاعي، وفيما يلي بعض منها:

أجالت على عيني سحائب عبرة ... فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلت
تبكي على آل النبي محمد ... وما أكثرت في الدمع لا بل أقلت
أولئك قوم لم يشجوا سيوفهم ... وقد نكأت أعداؤهم حين سلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقابًا من قريش فذلت[3]

### ٦. العزاء الحسيني في عصر الأئمّة عليهم السلام

يبدو أنّه كان هناك العديد من العوامل المؤثّرة في ترويج وانتشار الرثاء في عصر الأئمّة عليهم السلام نذكرها فيما يلي:

١. أبو مخنف: ٢٧٦ و ٢٧٧.
٢. المصدر نفسه.
٣. ابن نما: ١١١.

**أوّلًا: السيرة العمليّة للأئمّة عليهم السلام**

كان من سيرة الأئمّة المعصومين عليهم السلام المؤكّدة البكاء على جدّهم الشهيد عليه السلام وكانوا يرثونه أيّام محرم، ويحاولون إقامة العزاء على الإمام حسين عليه السلام، وقد روى الشيخ المفيد في "***مسار الشيعة***" عن الإمام صادق عليه السلام أنّ في يوم عاشوراء، يستحبّ إقامة تبيين سنن المصائب والإمساك عن الطعام والشراب إلى أن تزول الشمس والتغذّي بعد ذلك بما يتغذّى أصحاب المصائب كالألبان وما أشبهما دون اللذيذ من الطعام والشراب.[١]

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال حول تعظيم ذكرى استشهاد الإمام حسين عليه السلام عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام:

**عندما دخل شهر محرّم، لم يُر والدي فرحًا؛ بل كان حزينًا دائمًا، إلى أن يدخل العاشر من محرم، فكان ذاك اليوم له يوم المصيبة والحزن، فيقول: هذا هو اليوم الذي استشهد فيه الحسين عليه السلام.[٢]**

وأورد ابن شهر آشوب عن الإمام رضا عليه السلام أنه قال:

**إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبدًا.[٣]**

وفي عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام؛ حيث تسنّى لهما عقد جلسات الرثاء جماعةً بحضورهما، وكان الشعراء يقرؤون الأشعار في رثاء الإمام الحسين عليه السلام؛ فلمّا دخل كميت الأسدي الشاعر الشيعي المرموق على الإمام أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام، قال:

**يا بن رسول الله؟ إني قد قلت فيكم أبياتًا أفتأذن لي في إنشادها؟ قال: هات! فأنشأ يقول:**

**أضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف وألوان**

١. المفيد: ٤٣.

٢. الحرّ العاملي: ٣٩٤/١٠.

٣. ابن شهر آشوب: ٨٩/٤.

لتسعةٍ بالطف قد غودروا صاروا جميعًا رهن أكفان

فبكى الإمام عليه السلام وبكى ابنه الصادق عليه السلام، وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء.. فلما بلغت إلى قولي:

من كان مسرورًا بما مسَّكم أو شامتًا يومًا من الآن
فقد ذللتم بعد عزٍّ فما أدفع ضيمًا حين يغشاني

فأخذ بيدي، ثم قال: اللّهُمَّ اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وما تأخر.[1]

وفي عصر الإمام صادق عليه السلام، كان الرثاء الحسيني أكثر ازدهارًا من أيّ وقتٍ مضى، فعن الإمام الصادق عليه السلام وهو يقول:

إنّ جدّي الحسين عليه السلام ليرى مَن يبكيه فيستغفر له رحمةً له، ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: لو تعلم أيّها الباكي ما أعدَّ لك لفرحتَ أكثر ممّا جزعتَ.[2]

لذلك كان الشعراء الشيعة الأفاضل يرتادون إليه وينعون جدّه الحسين عليه السلام، فقد أورد أبو الفرج الإصفهاني عن إسماعيل التميمي أنّه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام، إذا استأذن آذنه السيد الحميري، فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس، فاستنشده فأنشد قوله:

أمرر على جدَث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة
يا أعظمًا لا زلت من وطفاء ساكبة رويّة
فإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيّة
وابك المطهر للمطهر والمطهّرة النقيّة
كبكاء معولة أتت يومًا لواحدها المنية[3]

بالإضافة إلى السيد الحميري وأبو هارون المكفوف، ثمّة شعراء كبار آخرون نحو: كميت الأسدي، سفيان بن مصعب العبدي، عبد الله بن غالب، جعفر بن عفّان، فضيل الرّسان وأبو عمارة أنشدوا في رثاء الحسين عليه السلام بين يدي الإمام الصادق عليه السلام وفي بيته الشريف.[4]

١. الأميني: ٢/٢٠٢.
٢. المصدر نفسه: ٢/٢٣٥.
٣. انظر: الأميني: ٢٣٥، ٢٠١، ٢٩٤، ٢٩٥؛ ابن قولويه: ١١٢.
٤. المصدر نفسه.

وكان الإمام رضا عليه السلام حزينًا ومغمومًا على مدار عشرة محرّم، يعقد مجلس عزاء في رثاء جدّه عليه السلام، ويطلب من الشعراء أو الخطباء الحاضرين في مجلسه أن ينشدوا قصائد في رثاء الإمام حسين عليه السلام، تارةً يَبكي وتارة يُبكي الآخرين على مصاب جدّه؛ كما عن دعبل الخزاعي أنّه قال:

**رأيته عليه السلام جالسًا جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه من حوله، فلمّا رآني مقبلًا قال لي: مرحبًا بك يا دعبل، من بكى وأبكى على مصابنا ولو واحدًا كان أجره على الله.. ثمّ التفت إليّ وقال لي: يا دعبل، ارث الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيًّا فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت، قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:**

**مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات**
**أفاطم لو خلت الحسين مجدلا ... وقد مات عطشانًا بشط فرات**
**إذن للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات**
**أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلات**
**قبور بكوفان وأخرى بطيبة ... وأخرى بفخ نالها صلواتِ**
**قبور ببطن النهر من جنب كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات**
**توفرا عطاشًا بالفرات فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاتِ**
**إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم ... سقتنى بكاس الثكل والفزعات**
**بنات زياد فى القصور مصونة ... وآل رسول الله منهتكات**
**وآل رسول الله تُسبى حريمهم ... وآل زياد آمنوا السربات[1]**

**ثانيًا: حث الأئمّة عليهم السلام على إقامة العزاء على الحسين عليه السلام**

كانت توجيهات الأئمّة عليهم السلام وتشجيعهم على إقامة العزاء الحسيني على ثلاثة أشكال:

١. الروايات التي وردت في ثواب البكاء وذرف الدموع للحسين عليه السلام.

٢. الروايات التي وردت في ثواب الإبكاء وإنشاد المراثي للحسين عليه السلام.

٣. حثّ الأئمّة عليهم السلام على إقامة مجلس العزاء الحسينيّ في بيوت الشيعة.

كما أنّ مالك الجُهنيّ سأل أبا جعفر الباقر عليه السلام عن زيارة قبر الحسين عليه السلام عن بُعد، فقال:

١. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٢٠/١٤٨؛ الخوانساري: ٣/٣١٥.

**من لم يمكنه السفر فلينْدُب الحسين عليه السلام ويَبكيه ويأمر مَن في داره بالبُكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبُكاء بعضهم بعضًا في البيوت، وليعزّ بعضهم بعضًا بمصاب الحسين عليه السلام، فأنا ضامِنٌ لهم إذا فعلوا ذلك على الله عزَّ وجلَّ جميع هذا الثَّواب.. فإن استطعت ألّا تنتشر يومك في حاجةٍ فافعل.. ولا تدَّخِرنَّ لمنزلك شيئًا...**[1]

وها هو مِسْمَع بن عبد الملك كِرْدين البصريّ، يسأله الإمام الصادق عليه السلام:

**أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قال: لا؛ أنا رَجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير، ولستُ آمنهم أنْ يرفعوا حالي عند الخليفة، قال له: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله وأستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع مِن الطّعام حتّى يستبين ذلك في وَجهي، قال: رحِمَ الله دَمعتَك، أما إنّك مِن الَّذين يُعدُّون مِن أهل الجزع لنا، والّذينَ يَفرحون لِفَرحِنا ويحزنون لِحُزننا.**[2]

### ٧. شعراء المراثي

وقد قلّ إنشاد المراثي من جانب الشعراء الشيعة في العصر الأموي؛ بسبب ضغوط جهاز السلطة وقمعه الشديد، وكانت معظم القصائد في رثاء الحسين تكتب سرًّا، كما يقول أبو الفرج الأصفهاني: «لم يصلنا شيء من الشعراء المتقدمين في رثاء الحسين؛ لأنّهم لم يجرؤوا على ذلك خوفًا ورهبة من بني أميّة»،[3] وحتّى بعض الشعراء الشيعة اضطروا إلى إنشاد الشعر في مدح الأمويين حفظًا لأنفسهم، كما ينقل أخو كميت الأسدي أنّه أرسله كميت إلى الإمام الباقر عليه السلام واستأذنه بشأن إنشاد الشعر في مدح بني أُميّة حفظًا لنفسه. فقال الإمام عليه السلام: «لا بأس عليه، وليقل ما يريد».[4]

وفي بعض فترات العصر العباسي، كان الوضع أكثر حدّة؛ لكن في بداية ظهور دولة العبّاسيّين؛ حيث لم تتعزّز بعد، وهكذا في بعض الفترات التي لم تتخذ الدولة الاتّجاه المعادي

١. ابن قولويه: ٩٣/٧.
٢. المصدر نفسه، باب ٣٢، ح ٦، ١٠٨.
٣. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٢١.
٤. المصدر نفسه: ٣١/١٧.

للشيعة، تمكّن الشعراء الشيعة من قرض العديد من القصائد في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

وقد أورد المرحوم السيد محسن الأمين قائمة بأسماء الذين كتبوا الشعر عن الإمام حسين عليه السلام في القرون الثلاثة الأولى، منهم: عقبة بن عمرو الرازي، وسليمان بن قتة، وأبو الفرج الخزاعي، ورباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين عليه السلام، وبشير بن حذلم، وأم لقمان بنت عقيل، وفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، وأبو دهبل الجمحي، وخالد بن معدان، وعبيد الله بن حر الجعفي، وجعفر بن عفان الطائي، ومنصور النمري، ودعبل الخزاعي، وحسين بن ضحاك، وقاسم بن يوسف الكاتب.[١]

وكان في كلّ عصر عدد من الشعراء الشيعة المشاهير رواد الشعر الشيعي ورثاء الإمام حسين عليه السلام، وقد أذابوا أنفسهم في ولاية أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم، فكان من بين هؤلاء الشعراء كميت بن زيد الأسدي، وكُثَيِّر عَزَّه، وفرزدق، والسيد الحميري في عهد الأمويّين، وفي العصر العباسي الأوّل (١٣٢ ـ ٢٣٢ ق) كان هناك شاعران عملاقان هما: منصور النمري ودعبل الخزاعي، وفي العصر العباسي الثاني (٢٣٢ – ٣٣٤ ق) أُنشد الكثير من الشعر الشيعي، وإنّ بعض هذه القصائد قد كتبها الشعراء العلويون، ومن جملة هؤلاء: محمد بن صالح العلوي الحماني ومحمد بن علي، وكانا من أحفاد العباس بن علي.[٢]

### ٨. خصائص الرثاء الحسيني في عصر الأئمّة عليهم السلام

يمكن دراسة خصائص الرثاء الحسيني في عصر الأئمّة عليهم السلام من ناحيتين:

**١. من حيث المكان**: كانت مجالس العزاء تقام علنًا بجوار ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء،[٣] ولكن حفاظًا على الشيعة في أموالهم وأنفسهم، كانت تعقد مجالس العزاء في غير كربلاء في البيوت؛ حيث تجتمع الشيعة أيّام محرّم في المنازل ويعزي بعضهم البعض، ذلك بتوجيه من قبل الأئمّة عليهم السلام.[٤]

---

١. الأمين، أعيان الشيعة: ٦٢٢/١.

٢. شوقي ضيف: ٣٨٦.

٣. ابن قولويه باب ١٠٨، ح ١، ص ٣٤٠.

٤. المصدر نفسه، باب ٧١، ح ٧، ص ٩٣.

**٢. من حيث الشكل**: كان العزاء في عصر الأئمّةعليهم السلام، يقتصر على إنشاد المراثي والبُكاء والإبكاء، وكان غالبًا ما في شكل شعر بحيث كان الشعراء الشيعة يلقون المراثي على الحضور، وكان هناك من يُعرف بالمنشد وهو من يقرأ قصائد شعراء آخرين، ومنهم من أنشد بين يدي الإمام الصادقعليه السلام، كما يقول العلّامة الأميني في سيرة السيد الحميري:

> **بالإضافة إلى السيد، هناك آخرون قد قرأوا قصائدهم في رثاء الإمام الحسينعليه السلام في محضر الإمام صادقعليه السلام مثل فضيل بن رسّان وأبو هارون المكفوف"، و"منهم من كان يدعى أبو عمارة المنشد".**[١]

## ٩. العزاء الحسيني في العصر البويهي

ومن أهمّ مراحل العزاء للإمام الحسينعليه السلام هي ما وقعت بعد تولّي آل بويه الحكم في القرن الرابع الهجري؛ حيث كانت ذروة ازدهار الشيعة، لقد وصلت العديد من الحكومات الشيعيّة إلى السلطة خلال هذا القرن كالدولة العلوية في طبرستان، والزيدية في اليمن، والحمدانيين في شمال العراق، والفاطميين في مصر، وآل بويه في العراق وإيران. وقد أقيم مجلس العزاء الحسيني لأوّل مرّة في هذا القرن علانيةً في الأزقة والأسواق من قبل عموم الناس، وقد سجّل عامّة المؤرخين الإسلاميّين كيفيّة إقامة مجالس العزاء الحسيني، خاصّة المؤرخين الذين كتبوا الوقائع على ترتيب السنوات، من جملتهم: ابن الجوزي في *"المنتظم"*،[٢] وابن كثير في *"البداية والنهاية"*،[٣] وابن الأثير في *"الكامل"*،[٤] واليافعي في *"مرآة الجنان"*[٥] والذهبي في *"تاريخ الإسلام"*[٦] ضمن وقائع سنة ٣٥٢ ق.

---

١. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ١٢.
٢. ج ١٥/٧.
٣. ج ٢٤٣/١١.
٤. ج ٥٤٩/٨.
٥. ج ٣/ ٢٤٧.
٦. ص ١١.

والبويهيّون هم أوّل من بادروا بتخليد ذكر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء؛ إذ أمر السلطان معزّ الدولة، في شهر محرم سنة ٣٥٢ هـ - بتعطيل الأسواق، ومنع البيع والشراء، فالتزمت الناس بإقامة المأتم للحسين الشهيد عليه السلام وإبرازها في هيئة مواكب خارج البيوت، فكانت النساء يخرجن ليلًا، والرجال نهارًا، حاسرين وحفاة، تحيتهم التعزية والمواساة بمأساة الحسين عليه السلام، وقد أعطى ابن الأثير تقريرًا من الاحتفالات التي أقيمت في ذكرى استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، نقلًا عن مشاهداتهما في اليوم العاشر من شهر محرّم الذي كانت الشيعة تقيم فيه من المآتم، والنَوح وإظهار الحزن، وأنّها كانت مشهورة آنذاك.

> **وقد استخدم البويهيّون شتّى طقوس العزاء الإيرانيّة والتي تأصّلت لاحقًا في ذكرى استشهاد أبي عبد الله، كاللطم (على الصدور) وارتداء قطعة من اللُبد السوداء كانت تتدلّى من طرفي أعناقهم، وقد لقي هذا الأمر إقبالًا على نطاق واسع من قبل المناطق الشيعيّة لا سيّما بغداد، كما أصدر سيف الدولة الحمداني، أحد حكام آل حمدان في أراضي حكومته، في شمال العراق، أمرًا للعزاء العام للإمام الحسين عليه السلام.**[١]

وفي عصر الفاطميين في مصر، على الرغم من منافستهم لآل بوية في الحكم، اتبعوا طريقتهم، وأقاموا المآتم في يوم عاشوراء، كما أورد المقريزي ما يلي:

> **في عهد المعزّ لدين الله، عام (٣٦٣ ق)، كان شيعة مصر يقيمون المأتم يوم عاشوراء عند قبر بنات الأئمة، أم كلثوم ونفيسة، ويدفعون أموالًا هائلةً على إطعام الناس من المأكولات والمشروبات، وفي عام (٣٩٦ ق) أمروا بتعطيل الأسواق، كما عطل ابن مامون في (٥١٥ ق) يوم عاشوراء وجعله يوم صدقة.**[٢]

وقد استمرّ تمسّك الناس بإقامة العزاء وفقًا للمقريزي، بعد سقوط الفاطميين في مصر، ولم تتمكّن الأيّوبيّون من إيقافه.[٣] ومن ذلك الحين انتشرت ثقافة مأتم الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بين الشيعة بسرعة وأصبحت من أهم الطقوس الشيعيّة،

١. ابن الجوزي، المصدر نفسه.
٢. المقريزي: ٣١٤ ـ ٣١٨.
٣. المصدر نفسه.

وقد أشار إليه أبو ريحان البيروني من علماء القرن الرابع الهجري في *الآثار الباقية*:

**وأمّا الشيعة فهم يندبون ويبكون في هذا اليوم؛ يقام المأتم في مدينة السلام (بغداد) وفي مدنٍ أخرى على حدّ سواء.**[١]

كان في عهد البويهيّين في بغداد، يمنع ويؤجَّل حفل النيروز إن صادف عاشوراء.[٢] ولم يتمكّن الحنابلة من منع المأتم لكثرة عدد الشيعة ودعم البويهيين لهم،[٣] وإن كانت ردود فعلهم قويّة في بعض الأحيان؛ إذ تقوم الحنابلة في الثامنة عشرة من محرّم وهو يوم مقتل مصعب بن الزبير بإقامة العزاء تعندًا للشيعة، ممّا أدّى إلى حدوث اشتباكات بين السنّة والشيعة في بغداد، وزادت حدّة الاشتباكات في يوم عاشوراء، ولم تتمكّن الحكومة من إحلال الأمن والاستقرار؛ لذلك طلب بعض الوزراء البويهيين الذين حكموا بغداد عدم إقامة المآتم، ومنعوها أعوامًا أخرى؛ حفظًا للأمن وحقنًا للدماء.[٤]

وبعد زوال دولة البويهيين، تمّ استبدالهم بحنابلة بغداد بدعم من السلجوقيين واشتدّ الخناق على الشيعة في أيّام عاشوراء خصوصًا والتحرّكات الشيعيّة عمومًا؛ حيث مسحوا شعارات شيعيّة من المساجد، وأمروا بقراءة (الصلاة خير من النوم) بدلًا من (حي على خير العمل) في حي كرخ،[٥] واشتدّت المضايقات على الشيعة لدرجة أنّ الشيخ الطوسي، العالم الشيعي الكبير، قد أُجبر على ترك بغداد والهجرة إلى النجف الأشرف عام (٤٤٨ ق)، لكن بمرور الوقت، خفّت من حدّة تعصّب السنّة حيث بدأوا بالتعايش السلمي مع الشيعة، بحيث دخلت فيهم كذلك ثقافة العزاء في يوم عاشوراء.[٦]



---

١. البيروني: ٣٢٩.
٢. الأتابكي: ٤/٢١٨.
٣. ابن الكثير، البداية والنهاية: ١١/٢٤٣.
٤. المصدر نفسه.
٥. المصدر نفسه: ١٢/٦٨.
٦. الرازي: ٣٧٠ ـ ٣٧٣.

**١٠. العزاء الحسينيّ في عهد الصفوية**

لا شكّ أنّه في عصر الصفوي، دخلت ثقافة العزاء الحسيني مرحلة جديدة، فلم يكن ملوك الصفويّة من محبّي أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل وإنّهم كانوا يروّجون لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ونشر المذهب الشيعي؛ فإنَّ ذكر قيام عاشوراء بوصفه من أهمّ الشعائر الشيعيّة، نما وازدهر إلى شكلٍ كبيرٍ في هذه الحقبة الزمنيّة؛ لذلك سنقوم بدراسة المأتم الحسيني في هذا العصر من ناحيتين:

**أ) من حيث التوسّع**: لقد امتدّ في هذا العصر العزاء الحسيني إلى جميع مناطق الدولة الصفوية، وحتّى إلى القرى، الأمر الذي كان مستحيلًا سابقًا، وبالنظر إلى أنّ أغلبيّة الناس في بعض المناطق كإصفهان كانوا من السنّة المتعصبين.[١] ومن ناحية أخرى، فإنّ فترة المأتم بالإضافة إلى العشرة الأولى من محرّم، توسّعت لتشمل أيام استشهاد الأئمّة عليهم السلام في صفر ورمضان، في حين ليس في التقارير ما يدلّ على العزاء الشيعي قبله، عدا ما ورد في مأتم يوم عاشوراء، ولا يخفى منذ عصر الإمام صادق عليه السلام، كانت شيعة العراق تقيم المأتم في كربلاء وحول قبور الأئمّة عليهم السلام في أيّام غير عاشوراء، وقد وردت فيها فضل زيارة الحسين عليه السلام.[٢]

وهذا الأمر قد جعل المجتمع الشيعي متماسكًا، نظرًا لعناية الملوك الصفويّين، فكانوا يشجّعون الشعراء، بدلًا من مدحهم ينشدون أشعارًا عن مناقب الأئمّة الأطهار عليهم السلام ومقتل الإمام الحسين عليه السلام، كما أشار إليه إسكندر بيك التركماني في "*تاريخ عالم آراء عباسي*"، ذيل الشاه طهماسب:

> **في الأيّام الأولى من فترة حكمه كان يهتمّ بأمر هذه الطبقة (الشعراء).. وفي أواخر حياته يبالغ جدًّا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّه أخذ يعتبر هذه الطبقة واسعةَ المشرب لا في زمرة الصلحاء والأتقياء، فلم يعد يهتمّ بهم كثيرًا.[3]**

١. ابن بطوطة: ٢١٤.
٢. ابن قولويه: ١، الأبواب: ٧٠، ٧١، ٧٢،٧٣، ص ١٨٦ ـ ٢٠٠.
3. التركماني: ٢/٢٣.

وقد ترك الشعراء الكبار كمحتشم الكاشاني تراثًا شعريًّا رائعًا في رثاء الإمام الحسين عليه السلام خلال هذه الفترة، والتي كانت مادّة المنابر ومجالس العزاء؛ ومن ناحية أخرى، كان للملوك الصفويّين الكثير من الاهتمام بالشعائر الدينيّة والشيعيّة؛ يشير نصر الله فلسفي إليه في كتابه:

**كان في الأيام العشرة الأولى من محرم تقام مجالس عزاء من قبل السلطان والشيوخ وأمراء البلاد في العاصمة وسائر المدن، كما تقام مواكب العزاء في يوم وليلة عاشوراء واليوم الحادى عشر من رمضان في مدن إيران المختلفة. وكان الشاه عباس يقيم العزاء حتى في رحلات الحرب، كما قام به وقد حاصر قلعة الإيروان في حربه مع الأتراك العثمانيين، وفي ليلة عاشورا صاح من معسكره صيحةً أذعرت سكان القلعة المحاصرين وزعموا أنّ الشاه عباس قد أمر بهجومٍ مباغتٍ ليلًا، فسقطت القلعة ووقعت بيد الإيرانيين.**[1]

وتشير تقارير الرحّالة، بالرغم من احتوائها على الأخطاء وسوء الفهم والتشاؤم، إلى انتشار العزاء الحسيني على نطاقٍ واسعٍ في عصر الصفويّة في جميع أنحاء إيران، وحتّى تأثّرت حكومة المغول في الهند بحكومة الصفويّة، وقد وصل مؤسّس أسرة غوركان الهنديّة إلى الحكم بدعمٍ من الصفويين، فشاع من ذلك الحين فصاعدًا إقامة مأتم للإمام الحسين عليه السلام بين المسلمين في أجزاء مختلفةٍ من شبه القارة الهنديّة، ولا يزال الشيعة والسنة يقومون بإقامة مجالس عزاء المشتركة.[2]

### ١١. شكل العزاء الحسيني في العهد الصفوي

كان عصر الصفويّة – وهو عصر إقامة الدولة الشيعيّة في إيران – فترةَ إحياء الآداب والرسوم الدينيّة والتراث الثقافي الشيعي، وكان من بينها أشكال العزاء والنواح على الإمام الحسين عليه السلام، كما يمكن اعتبار هذا العصر فترة ازدهار العزاء الحسينيّ، مع أنّ تطوّره لم يكتمل خلال هذه الفترة، إلّا أنّه يمكن القول

١. فلسفي: ٨٤٧/٣.
2. هاليستر: ١٩٩ ـ ٢٠٢.

إنّ الشكل المتطوّر لعزاء عاشوراء ومحرّم متجذّر في العصر الصفوي. وفيما يلي شرح ذلك:

١. قراءة مرثية (بالفارسيّة: روضه خواني): ظهرت كلمة روضة و "روضه خواني" (بالفارسيّة) في أوائل العصر الصفوي، ولم يكن المصطلح موجودًا قبل ذلك، يقول المرحوم الميرزا حسين النوري في كتاب *اللؤلو والمرجان*:

> **لما قام الفاضل المتبحر الألمعي الملّا حسين كاشفي بتأليف كتاب "*روضة الشهداء*" حوالي عام تسعمئة، كان لدى الناس رغبة في قراءة هذا الكتاب في مجالس العزاء، وبسبب البلاغة الجارية في نصّه لم يكن الجميع يتمكّنون من قراءته، ولكنّ الأشخاص المميّزين كانوا يقرأونه بشكل صحيح ويلقونه على الناس في المآتم، فأصبح هؤلاء يُعرفون باسم قراء الروضة لقراءتهم كتاب "*روضة الشهداء*"، ثمّ تدريجيًّا انتقلوا من هذا الكتاب إلى كتب أخرى، ثمّ بدأوا أن يلقوا المطالب حفظًا، لكن اللقب بقي كما هو.**[١]

وتجدر الإشارة إلى أنّه في العصر الصفوي، كان قرّاء الروضة (العزاء) يقومون بعمل قرّاء المناقب ومنشدي المراثي والمداحين في الماضي، فقد احتلّوا مكانة رواة القصص وقرّاء مقتل وحتّى الوعاظ.

**٢. مواكب اللطميّة**: فقد راجت مواكب اللطميّة في أوساط الشيعة منذ زمن البويهيّين؛ فكانت مواكب اللطميّة في العصر الصفوي، تنزل إلى الطرق والأزقة، مردّدة الأشعار الموزونة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، وقد شاع في هذه الحقبة، قرع الطبول والصنوج واستعمال بعض المعدّات المستخدمة في ساحة المعركة، لزيادة تشجيع الناس على المراسيم هذه وتعظيمها، كما راج نفخ الصور، وحمل الراية، وتزيين الفرس من قبل أصحاب المواكب الحسينيّة، وكذلك يُعدّ تسيير المركب بدون راكب في الطرق العامّة والممرّات أثناء حركة الموكب من التقاليد الشائعة في ذاك العصر.[٢]

**٣. التعزية والتشبيه**: وفقًا لتقارير كتب الرحالة عن كيفيّة المآتم في عصر الصفويّة،

١. النوري:٨.

٢. تشلكووسكي، بترو، تعزيه هنر بومى ايران: ١/ ١٠.

يمكن القول إنّ التعزية والتشبيه كشكلٍ مستقلٍّ من عزاء محرم بجانب مواكب اللطميّة، لم تكن موجودة كما هي اليوم، ولكنّها كانت في المراحل الأوّليّة والابتدائيّة منها؛ ورد في مذكرات رحالة بيتر ودلاوله في عصر الشاه عباس:

**بعدما حان اليوم العاشر من شهر محرم، ومقتل الحسين (وقد تزامن هذا العام مع ٨ يناير) في أصفهان وجميع ضواحيها، وكما وصفت آنفًا في مقتل عليّ، نزلَت مواكب عزاء كبيرة يحملون بطريقتهم الخاصّة الأعلام والبيارق ويضعون على خيولهم العديد من الأسلحة والعمائم، ويرافقها العديد من الجمال يحمل عليها الصناديق، داخل كلّ منها عدّة أطفال يمثّلون أطفال الحسين الشهيد، بالإضافة إلى ذلك، هناك توابيت تحملها المواكب ملفوفة بالمخمل الأسود، وعليها عمامة خضراء - على الأرجح - بجانب حسام ...**[١]

لكن بالنسبة لتطوّر التعزية (التشبيه) كما هو اليوم وتاريخه، فقد أورد نصر الله فلسفي ما يلي:

**يبدو أنّ التعزية لم تكن رائجة في إيران خلال عهد الشاه عباس وخلفائه؛ لأنّنا لا نجد ذكرًا لها في أيّ كتابٍ سواء للمؤرخين أم الرحالة عند ذاك، أصبح إقامة مجالس العزاء تشيع منذ عهد كريم خان الزند، لقد كتبوا أنّ في عهده جاء سفير من الإفرنج إلى إيران، وتحدّث له حول تأثير المشاهد المأساويّة، فأمر كريم خان بعد سماع حديثه، بإعداد تمثيليّة حول مشاهد من حادثة عاشوراء وقصّة اثنين وسبعين نفرًا استشهدوا في كربلاء، وهكذا رتّب التمثيليّة التي أصبحت تعرف اليوم باسم "التعزية".**[٢]

**وكانت التعزية في البدايات تُقام على الساحات والميادين الوسيعة، ثمّ بعد ذلك انتقلت إلى الأسواق والخانات والمنازل الشخصيّة والحسينيّات التي أنشات في عصر القاجار. وعلى كلّ حال، تطور العزاء الحسيني في فترة القاجار، سواء من حيث الكيف والمحتوى أم من حيث المكان لإقامة العزاء.**[٣]

١. بيتر و دلاوله: ١٢٥.
٢. زندگانی شاه عباس اوّل: ٥: ٣/ ٨٤٨.
٣. تشلكووسكي، بترو، تعزيه هنر بومی ايران: ١٢و ١٣.

## نتيجة البحث

لقد اتّضح من خلال هذا البحث أنّ إقامة العزاء على سيد الشهداءﷺ له تاريخ طويل وماضٍ عتيق في الإسلام، ابتداءً بعهد النبيﷺ والأئمّة المعصومينﷺ، مرورًا بعصر البويهيّين والصفويّين، ووصولًا إلى العصر الحديث. وعليه يمكن تقسيم تاريخ تطوّر العزاء الحسيني إلى أربع مراحل كالتالي؛ منها: النياحات الأولى على الحسينﷺ بعد دفنه مباشرةً؛ إذ كان بنو هاشم وأهل المدينة هم أوّل من بكوه بعد استشهاده. ومنها: العزاء الحسيني منذ عصر الإمام الباقرﷺ فما بعد؛ حيث كان الشيعة الموالون لآل البيتﷺ يُقيمون العزاء والمأتم كلّ عامٍ في ذكرى استشهاد الإمام الحسينﷺ بتشجيع الأئمّةﷺ وتوجيهٍ منهم. ومنها: إقامة العزاء على الحسين علانيّةً منذ العهد البويهي (٣٥٢ ق) حتّى العهد الصفوي؛ حيث اتّسع نطاق إقامة المناحات ومجالس العزاء على الحسينﷺ في العراق وإيران. ومنها: التطوّر الشكلي للعزاء الحسيني من العصر الصفويّ إلى العصر الراهن؛ إذ أخذ العزاء الحسينيّ دورًا متّسعَ النطاق في ظلّ عناية الدولة الصفويّة ونال شيعة آل البيتﷺ كلّ حرّيّتهم في إظهار رغباتهم وشعائرهم لإحياء ذكرى شهيد الحقّ الإمام الحسينﷺ.

## مصادر البحث

القرآن الكريم
١. ابن الأثير، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون تاريخ).
٢. ابن الأثير، عز الدين، الكامل فى التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ش.
٣. ابن الجوزي، سبط، تذكرة الخواص، منشورات الشريف الرضى، قم، ١٤١٨ق.
٤. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
٥. ابن شهر آشوب، أبو جعفر رشيد الدين، مناقب آل ابى طالب، موسسة انتشارات علّامة، قم، ٣٧٩ ش.
٦. ابن قولويه، أبو القاسم، كامل الزيارات، مكتبة الصدوق، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ ش.
٧. ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٨ق.
٨. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).
٩. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيّين، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٦ق.
١٠. أبو مخنف الأزدي، لوط، وقعة الطف، تحقيق: محمد هادي يوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى، ١٣٦٧ش.
١١. الأتابكي، أبو المحاسن تغري البردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، (بدون تاريخ).
١٢. أسد، حيدر، الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ق.
١٣. الأمين، السيد محسن (م ١٣٧١) أعيان الشيعة، دار التعاريف للمطبوعات، بيروت، (بدون تاريخ).
١٤. الأميني، عبد الحسين، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ق.
١٥. اين الجوزي، أبو الفرج، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدرآباد ركن، ١٣٥٨ش.
١٦. البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: الشيخ محمد باقر محمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ش.
١٧. بيتر ودلاوله، سفرنامه بيتر ودلاوله، ترجمة: شعاع الدين شفا، شركت انتشارات علمى وفرهنگى، ١٣٧٠ش.
١٨. البيروني، أبو ريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).
١٩. تاورنيه، سفرنامه تاورنيه، ترجمة: أبوتراب نوري، منشورات مكتبة سنائي ومكتبة تأييد أصفهان، (بدون تاريخ)
٢٠. التركماني، إسكندر بيك، تاريخ عالم آراي عباسي، نشر طلوع وسيروس (طبعة رحلية)، ١٣٦٤ش.
٢١. التستري، محمّد تقي، قاموس الرجال، جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم، مكتب الانتشارات الإسلاميّة، الطبعة الثانية، ١٤١٠ق.

٢٢. تشلكووسكي، بترو، تعزيه هنر بومى ايران، ترجمة: داوود حاتمى، شركت انتشارات علمى و فرهنگى، ١٣٦٧ش.
٢٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، المكتبة الإسلامية، طهران، الطبعة السادسة، ١٤٠٣ق.
٢٤. الحلي، ابن داود، رجال ابن داود، منشورات الرضى، قم، (بدون تاريخ)
٢٥. الحلي، ابن نما، مثير الأحزان، قم، مدرسة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤٠٢ق.
٢٦. الخوارزمي، موفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء الثاني، دار أنوار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ق.
٢٧. الخوانساري، محمّد باقر موسوي، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، مكتبة إسماعيليان، قم، الطبعة الأولى، ١٣٩٠ ش.
٢٨. الرازى، عبد الجليل: النقص، (بدون مكان) (بدون تاريخ)
٢٩. السيد ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ ق.
٣٠. السيد ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٩ ش.
٣١. شوقي، ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف بمصر، (بدون تاريخ).
٣٢. الشيبي، كامل مصطفى، تشيّع وتصوف، ترجمة: عليرضا ذكاوتي قراغوزلو، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران، ١٣٧٤ش.
٣٣. الصدوق، ابن بابويه، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠ ق.
٣٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
٣٥. فلسفي، نصر الله، زندگانى شاه عباس اول، انتشارات علمى، طهران، ١٣٦٩ش
٣٦. الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول للكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ش.
٣٧. المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ ق.
٣٨. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (١٤٠٩ق)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، التحقيق: أسعد داغر، قم، دار الهجرة، الطبعة الثانية.
٣٩. المفيد، محمد بن نعمان، الإرشاد، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣ق.
٤٠. المفيد، محمد بن نعمان، مسار الشيعة، المؤتمر العالمى لألفيّة الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣ق.
٤١. المقريزي، تقي الدين، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مصر، (بدون تاريخ).
٤٢. المولوي البلخي، محمد، مثنوي معنوي، انتشارات گنجينه، الطبعة الرابعة، ١٣٨٠ ش.

٤٣ .ناصري، عبد الحميد، تشيّع در خراسان عهد تيموريان، آستان قدس رضوى، مؤسّسة البحوث الإسلاميّة، ١٣٧٨ ش.
٤٤ . النوري، حسين بن محمدتقي، اللؤلؤ والمرجان، كانون انتشارات عابدي، طهران، (بدون تاريخ).
٤٥ . هاليستر، جان نورمن، تشيّع در هند، ترجمة: آزر ميدخت، مشايخ فريدي، مركز نشر دانشگاهى، ١٣٧٣ ش.
٤٦ . واصفي، زين الدين محمود، بدايع الوقايع، انتشارات بنياد فرهنگى ايران، الطبعة الثانية، ١٣٤٩ ش.
٤٧ . اليافعي، عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدرآباد دكن، ١٣٣٨ هـ (بدون تاريخ).
٤٨ . اليعقوبي، ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ

# دراسة أنثرُوبُولوجيّة للكوفة

**نعمة الله صفري فروشاني**[1]

**خلاصة البحث**

إنَّ استخدام الدراسات التحليليّة للتاريخ - لا سيّما في مجال دراسات التاريخ لأهل البيت عليهم السلام - يعود بالنفع العظيم على الباحث المتحرّر، وتُظهر دراسات كهذه أنَّ العديد من الأحداث التاريخيّة المتعلّقة بتاريخ أهل البيت عليهم السلام لم تعتمد أبدًا على عاملٍ واحدٍ، وإنَّ الاكتفاء بعاملٍ منفردٍ معيّنٍ في هذا المجال، يُعتبر خطأً إستراتيجيًّا على المدى الطويل؛ فإنَّ معرفة المزيد عن الأحداث المتعلّقة بالأئمة الثلاثة الأوائل عليهم السلام، وخاصّة دراسة عاشوراء، سوف يمنح مزيدًا من العمق لمثل هذه الدراسات.

وأمّا ما تمّت دراسته في هذا المقال بالطريقة التاريخيّة، فهو توسيع الدراسة إلى سياقات مختلفة سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وإداريّة وحتّى نفسيّة؛ بُغية اكتشاف أسباب وقوع عاشوراء، خاصّة مع التركيز على مدينة إستراتيجيّة مثل «الكوفة»، بجانب الاستفادة القصوى من المصادر ذات الصلة، ولا سيما المصادر التاريخيّة. فيمكن الاستنتاج أنَّ الاعتماد التامّ على محوريّة النصّ في الدراسات المتعلقة بتاريخ أهل البيت عليهم السلام وإهمال جوانب مختلفة من الخلفيّات المحيطة بالمسألة لم يساعد كثيرًا في اكتشاف أسباب وقوع عاشوراء والأحداث

١. قسم التأريخ، مجمع الإمام الخميني قدس سره، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، إصفهان، إيران. البريد الإلكتروني: Nsafari8@gmail.com.

المتشابهة، ولكنْ للتمعّن في هذه الأحداث المتعددة العوامل وفهمها بشكل أفضل نحتاج فعلًا إلى دراسات تحليلية للتاريخ.

**المفردات الرئيسة**: الأنثروبولوجيّة، الكوفة، عاشوراء، الإمام الحسين عليه السلام، التاريخ التحليليّ، معرفة الخلفيّة التاريخيّة.

**مقدّمة**

يمكن القول إنَّ واقعةَ عاشوراء العظيمة والمأساوية هو موضوع قد حَظِي بالنصيب الأوفر من بين مؤلّفات الشيعة وحتى الفِرَق الإسلاميّة الأُخرى لقرونٍ عدَّة، لكنّه لم يتناول سوى جزء صغير من هذه الأعمال والمؤلّفات، الأوضاعَ الاجتماعيةَ للعالم الإسلاميّ أثناءَ حدوث وقعة كربلاء بشكل عام، ومدينة الكوفة بشكلٍ خاصّ، في حين أنَّ هذه الدراسة يمكن أن تساعد على فهم أسباب ودوافع نهضة الإمام الحسين عليه السلام بشكلٍ أفضل، وكذلك أسباب فشلها الظاهريّ.

وهذا المقال هو جهدٌ متواضع نحو دراسة "أنثروبولوجيّةٍ" لمدينة الكوفة، والذي يتناول ضمن ثلاثة مباحث، دراسةً ديموغرافيّةً لسُكّان الكوفة والظروف التي كانت تحكمها، وثانيًا: النظام الإداريّ لمجتمع الكوفة، وثالثًا: النظام الماليّ الحاكم فيها قبل حركة الإمام الحسين عليه السلام وأثنائها، وفي كلٍّ من هذه الحالات يحاول الباحث التنويه إلى مدى تأثير القضيّة قيد البحث على النهضة الحسينيّة؛ تقدّمًا كان أو تثبّطًا.

فعلى أمل أن يقع موقع قبولٍ في عتبة سيد الشهداء عليه السلام المقدّسة.

**المبحث الأوّل: سكّان الكوفة والظروف المحيطة بها**

**١- عدد سكان الكوفة أثناء قيام عاشوراء**

لقد أُسّست الكوفة في العام السابع عشر للهجرة، في زمن الخليفة الثاني، على يد "سعد بن أبي وقاص"، كقاعدة عسكريّة لمتابعة الفتوحات الإسلاميّة داخل بلاد إيران قدر الإمكان،[١] وكتب "عمر بن الخطاب" إلى سعد أن اختطَّ موضع المسجد الجامع على عدّة مقاتلتكم، فخطّ على أربعين ألف إنسان،[٢] فيمكننا الاستنتاج أنّه كان في الكوفة

١ . الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ١٤٥/٣.

٢ . الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ٤٩١/٤.

حوالي أربعين ألف جندي في بداية تأسيسها، ونظرًا إلى أنَّ العديد من هؤلاء الجنود كانت تصطحبهم زوجاتهم وأطفالهم، يمكننا الوصول إلى عدد ما يبلغ حوالي مئة ألف نسمة عند إحداثها، وهذا الرقم يبدو معقولًا، كما كتب الطبري، وهو يروي أحداث سنة (٢٢ ق)، بعد أن استشهد بجملةٍ عن عمر ذكر فيها العدد «مئة ألف» دون أيّ معدود، بقوله: «واختطَّت الكوفةُ حين اختطّت على مئة ألف مقاتل».[1]

فإذا قبلنا هذا الاستنتاج، يجب أن نعتبر أنَّ أهالي الكوفة في ذلك الحين كان أكثر من مئتي ألف شخص، وهو بالإضافة إلى استعصائه على العقل، فإنّه يتعارض أيضًا مع حجم المسجد آنذاك، فمن الأصحّ افتراض معدود (مئة ألف) في كلام عمر، (نفرًا) وليس مقاتلًا، حتّى ينسجم مع الواقع التاريخيّ.

وأمّا الكوفة، بعد تأسيسها وبسبب مناخها اللطيف وقربها من نهر الفرات وبلاد فارس والوضع الاقتصاديّ الجيّد الذي اكتسبته من الغنائم وفرض ضرائب على البلاد المفتوحة، فهي استقبلت سيلًا من المهاجرين من قبائل وجماعات مختلفة من أنحاء البلاد الإسلاميّة الشاسعة، واشتدّت هذه الهجرات خاصّة في عام (٣٦ هـ ق)، عندما جعل الإمام علي عليه السلام هذه المدينة عاصمة الدولة الإسلاميّة، حتى أنّه يُقدَّر عدد مقاتلة الكوفة في جيش الإمام علي عليه السلام في معركة صفّين (٣٧ هـ) قد بلغ (٦٥٠٠٠) مقاتلًا[2] ومع احتساب أسرهم والأشخاص الذين لم يشاركوا في الحرب، يمكن أن يبلغ بسهولة (١٥٠.٠٠٠) شخصًا، هذا ونحن قد تجاهلنا تقرير (المسعودي) عن جنود الإمام علي عليه السلام في معركة صفين المتكوّن من (٩٠.٠٠٠) أو (١٢٠.٠٠٠) مقاتلًا.[3]

وبعد صلح الإمام الحسن عليه السلام سنة (٤٠ هـ ق)، تحدّث بعض أصحاب الإمام عليه السلام عن

1 . تاريخ الطبري: ٢٤٣/٣.

2 . المصدر نفسه: ٤٩/٤.

٣ . المسعودي، علي بن حسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣٨٥/٢.

وجود جيش قوامه (١٠٠) ألف جندي من الكوفة، احتجاجًا على موقفه عليه السلام.[١]

واعتبارًا من عام (٥٠ هق)، عندما تولى (زياد بن أبيه) إمارة الكوفة من قبل معاوية، نظرًا لكثرة الشيعة هناك، أراد كسر شوكتهم فأجلى عددًا كبيرًا منهم إلى الشام وخراسان وأماكن أُخرى، لدرجة يقال إنّه قد سفّر (٥٠٠٠٠) شخصًا فقط إلى خراسان.[٢]

وحينئذٍ انخفض عدد سكان الكوفة إلى (١٤٠) ألفًا، منهم (٦٠) ألف مقاتل و(٨٠) ألف عائلة،٣ فقام (زياد) في توسيع جامع الكوفة حيث تستوعب سعته (٦٠.٠٠٠) شخصًا.[٤]

وبعد موت معاوية عام (٦٠ ق)، كتب بعض الكوفيين رسائل إلى الإمام الحسين عليه السلام يتحدّثون فيها عن جيش قوامه (١٠٠) ألف جنديّ مستعدّ للقتال،[٥] ورغم أنّها تبالغ في استعداد الكوفيين للقتال، لكنّها تُظهر - على الأقل - عدد سكان الكوفة أثناء حركة الإمام الحسين عليه السلام.

وأمّا النتائج التي يمكن استخلاصها ممّا سبق في حركة الإمام الحسين عليه السلام، فهي كما يلي:

١- إنَّ العدد المذكور (١٢) ألفَ رسالةٍ موجّهةٍ للإمام الحسين عليه السلام[٦] وإن يبدو مبالغًا فيه جدًّا، إلّا أنّه أقلّ من نصف سكان الكوفة، وإن كان بعض هذه الرسائل قد كتبت بيد عدّة أشخاص أو مجموعات؛ لذلك لم يكتف الإمام الحسين عليه السلام بها وأرسل (مسلمًا) إلى الكوفة؛ ليحصل على المزيد من المعلومات.

٢- وقد ذكروا عددَ من بايع مسلمًا بن عقيل ما يتراوح بين (١٢) ألفًا و(٤٠) ألفًا،[٧] وأمّا في حديث منسوب للإمام الباقر عليه السلام فقد ذكر عدد المبايعين (٢٠) ألفًا.[٨]



---

١ . الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١٨٥/١.

٢ . شريف القرشي، باقر، حياة الإمام الحسين بن علي: ١٧٨/٢ منقول من تاريخ الشعوب الإسلاميّة: ١٤٧/١

٣ . البلاذري، أبو الحسن، فتوح البلدان: ٣٤٥.

٤ . معجم البلدان: ٤٩١/٤.

٥ . تاريخ الطبري: ٤٩٤/٤؛ المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار: ٣٣٧/٤٤.

٦ . بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٤.

٧ . المصدر نفسه: ٣٣٧.

٨ . المصدر نفسه: ٦٨.

فإن قبلنا هذا العدد، سنصل إلى نتيجة أنّ الذين قد بايعوه كانوا حوالي خُمس المقاتلين في الكوفة، ما يقودنا إلى مبرّر لعدم اتّخاذ إجراءٍ جادٍّ من جانب مسلم.

ومن الواضح جدًّا أنَّه في حال الإقدام الجادّ وتشكيل الحكومة من قبل مسلم، فإنَّ العديد من العناصر المحايدة وحتى المعارضة كانت ستنضمُّ إلى ثورته الفتية.

٣- والظاهر أنَّ عدد جيش عمر بن سعد (٣٠) ألفًا الوارد في رواية الإمام الصادق عليه السلام[١] يبدو معقولًا، لا سيّما بعد أمر ابن زياد بالنفير العام، وبالطبع هذا العدد لم يعد يبلغ نصف مجموع مقاتلي الكوفة، ومن هنا يمكن تبرير العدد الكبير لجيش "المختار الثقفي" الذي قُدّر بـ(٦٠) ألف نفر؛[٢] إذ إنَّ جنوده كانوا ممّن لم ينضمّوا إلى جيش "عمر بن سعد" في كربلاء.

**٢- دراسة المجتمع الكوفي**

وفيما يلي سنقوم بدراسة المجتمع الكوفي من ناحيتين: العِرقيّة والإيدولوجيّة:

**أوّلًا: التركيبة العِرقيّة للمجتمع الكوفي**

يمكن تقسيم المجتمع الكوفي من الناحية العرقيّة إلى قسمين هما: العرب، وغير العرب. فكان العرب الساكنون في الكوفة عبارة عن قبائل رحلت من شبه الجزيرة العربية نحو العراق - مع بداية الفتوح الإسلاميّة في إيران - بهدف المشاركة في الفتوح، وأخيرًا استقرّت في الكوفة والبصرة بعد نهاية الفتوح.

وكان هؤلاء العرب الذين قد شكّلوا نواة أهل الكوفة، ينتمون إلى قبيلتَي القحطان والعدنان، اللذَين كان يُشار إليهما باليمانيين والنزاريين، ومن بين (٢٠٠٠٠) دار تمّ بناؤها في بداية تأسيس الكوفة، خُصّصت (١٢٠٠٠) دارًا لليمانيين و(٨٠٠٠) دارًا للنزاريين.[٣]

---

١ . المصدر نفسه: ٤٥/٤.

٢ . الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ٣٠٥.

٣ . الزيدي، محمد حسين، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري: ٤٢.

وفي البداية، كان اليمانيون (اليمنيون) يميلون إلى أهل البيت^٨؛ لذلك صبّ معاوية جلّ اهتمامه عليهم وقرّبهم إلى نفسه.[١]

وكان هناك قسم آخر من العرب الساكنين في الكوفة يتألّفون من قبائل، مثل: بني تغلب؛[٢] حيث كانوا يقطنون العراق من بداية الإسلام، وكانت هذه القبائل في حالة حرب دائمة مع الإيرانيّين، وانضمّت القبائل المشار إليها إلى القبائل المسلمة مع بداية الفتوح الإسلاميّة وأعانتها في الفتوح، ثمّ سكن قسمٌ منها في المدن الإسلاميّة المؤسّسة حديثًا، وكانت العناصر غير العربية في الكوفة تتألّف من شرائح كالموالي والسريانيّين والأنباط.[٣]

أمّا الموالي فهم أولئك الذين قد عقدوا معاهدات مع مختلف القبائل العربيّة وخضعوا لما يصطلح عليه بـ(الولاء)، وكانوا يُعتبرون من حيث الحقوق كأعضاء تلك القبيلة.

فكان الموالي متألّفة من أعراق مختلفة، مثل: الفرس، والروم، والترك، وما إلى ذلك، وكان قد أطلق العرب على الجميع عنوان (العجم).

وكان أكبر مجموعة من الموالي في الكوفة تتشكّل من الإيرانيين، تسمّى (حمراء ديلم)، والحمراء هو الاسم الشائع الذي أطلقه العرب على الإيرانيين، وضمّت هذه المجموعة فيلقًا من (٤٠٠٠) إيراني، بقيادة شخص يدعى (ديلم)؛ حيث انضموا إلى الجيش الإسلاميّ بقيادة سعد بن أبي وقاص، وأبرموا ميثاق تعاونٍ معه.[٤]

ثم استقرّت هؤلاء لاحقًا في الكوفة وأدارت العديد من المهن والصناعات فيها،[٥] وفي بعض النصوص ذُكر عدد الموالي في عصر المختار، عام (٦٦ ق)، نحو (٢٠) ألف نسمة.[٦]

١ . جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي: ٣٣٨/٤.
٢ . الحياة الاجتماعية: ٤٢.
٣ . حياة الإمام الحسين عليه السلام: ٤٣٨/٢.
٤ . فتوح البلدان: ٢٧٩.
٥ . الجنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والأثرية: ٤٢.
٦ . المصدر نفسه: ٢٦٠.

وكان نسبة نموّ عدد الموالي في الكوفة أكبر بكثير من العرب، بحيث أصبحت بعد بضع سنوات قليلة، نسبة الموالي من العرب واحد من خمسة،[١] ما أدّى إلى توجس معاوية خيفةً من هذا النموّ العظيم، وأمر زياد بإخراجهم من الكوفة، فأخرج زياد بعضهم إلى بلاد الشام، وبعضهم إلى البصرة، وبعضهم إلى إيران.[٢]

مع ذلك كان عدد الموالي في جيش المختار عام (٦٦ ق)، يفوق على مقاتلي العرب بعدّة مرات،[٣] ما يدلّ على كثرة هذه الجماعة في بداية حركة الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة.

وأمّا السريانيّون، فهم أناسٌ عاشوا قبل الفتوحات في الأديرة بقرب الحيرة، واعتنقوا المسيحيّة.[٤]

وأمّا الأنباط، والذين يعتبرهم البعض عربًا، فهم أولئك الذين عاشوا قبل الفتوحات في السهول والمناطق المحيطة بالعراق، وجاؤوا إلى الكوفة بعد بنائها، واشتغلوا فيها بالزراعة.[٥]

طبعًا لم تكن تشكّل هاتان المجموعتان الأخيرتان إلّا جزءًا صغيرًا من سكّان الكوفة.

**ثانيًا: التركيبة الأيدولوجيّة للمجتمع الكوفي**

فمن الناحية الأيديولوجيّة والعقديّة،[٦] يمكن تقسيم مجتمع الكوفة آنذاك إلى قسمين: مسلم وغير مسلم؛ حيث كان يشكّل القسم غير المسلم المسيحيّون العرب من بني تغلب، ومسيحيّو نجران، ومسيحيّو الأنباط، واليهود المبعدون من شبه الجزيرة العربيّة في عهد عمر، والمجوس الإيرانيّون،[٧] وقد كان هذا القسم يمثّل بشكل عامّ الأقلّية من مجموع سكّان الكوفة، أمّا الجزء المسلم في الكوفة، فكان يضمّ شيعة علي عليه السلام وأنصار الأمويّين والخوارج والمحايدين.



١ . تاريخ التمدن الإسلامي: ٣٧٠/٤.
٢ . فتوح البلدان: ٢٧٩.
٣ . تاريخ التمدن الإسلامي: ٣٧١/٤.
٤ . تخطيط مدينة الكوفة: ٢٦.
٥ . المصدر نفسه: ٤٣؛ حياة الإمام الحسين عليه السلام: ٤٣٨/٢.
٦ . ونقصد بلفظة (الأيديولوجية) هاهنا، معناها العام بحيث تشمل الفكر السياسي أيضًا فضلًا عن العقيدة الدينيّة.
٧ . حياة الإمام الحسين عليه السلام: ٤٤١/٢ فما بعدها.

ثمّ يمكن تقسيم الشيعة إلى قسمين: الزعماء، وعامّة الشيعة. أمّا زعماء الشيعة فهم سليمان بن صرد الخزاعي، ومسيّب بن نجبة الفرازي، ومسلم بن عوسجة، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وأبو ثمامة الصائدي، وغيرهم من أصحاب الإمام عليه السلام الذين قاتلوا معه في صفّين وحروب أخرى، وكان هؤلاء الجماعة يعشقون آل بيت النبي (صلوات الله عليهم) بشدّة، وهُم من فتحوا باب المراسلات مع الإمام الحسين عليه السلام بعد موت معاوية.[١]

ومن النقاط الغامضة والسوداء لنهضة الكوفة هو غياب هؤلاء الشخصيّات، عشية السابع من ذي الحجة سنة (٦٠ ق)، حيث حاصر (مسلم) قصر (عبيد الله)، ثم انخذل فمضى على وجهه متلددًا في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب.[٢]

فوردت وجوه في تبرير هذا الغياب، لعلّ أكثرها تفاؤلًا أنّهم قد انفضّوا من حوله بأمره؛ حفظًا لأنفسهم لغرض الانضمام إلى الإمام الحسين عليه السلام في المستقبل.[٣]

لكنَّ هذا التبرير يبدو غيرَ وجيهٍ بالنظر إلى الوضع المأساوي لممثّل الثورة في الكوفة، أي: مسلم بن عقيل (عليه الرحمة).

والنقطة الأكثر سوداويّة هي أنّه على الرغم من وجود بعض هؤلاء الأشخاص مثل حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وأبو ثمامة الصائدي في ساحة كربلاء، إلّا أنَّه لا أثرَ من سائر الأسماء الكبار مثل سليمان بن صرد الخزاعي ورفاعة بن شداد البجلي ومسيب بن نجبة الفرازي، كما لا نجد ولا نصادف نصًّا تاريخيًّا يدلّ على نيّتهم على الانضمام إلى الإمام الحسين عليه السلام، بل وإنّما توبتهم بعد حادثة كربلاء وتشكيل نهضة التوابين تدلّ بوضوح على عدم رغبتهم في الانضمام إلى حركة الإمام الحسين عليه السلام من أولها.

١ . تاريخ الطبري: ٤/٢٦١.

٢ . المصدر نفسه: ٢٩٤.

٣ . لاستزادة المعرفة راجع: محمد علي عابدين، الدوافع الذاتية لأنصار الحسين عليه السلام؛ محمد علي عابدين، زندگانی سفير حسين عليه السلام مسلم بن عقيل.

وأمّا عامّة الشيعة الذين قد شكّلوا جزءًا كبيرًا من أهل الكوفة، فرغم أنّهم كانوا يحبّون جدًّا آل بيت الوحي والعصمةﷺ، لكنَّ وُلاةَ الكوفة كزياد بن أبيه وابنه عبيد الله قد خلقوا جوًّا مُكفهرًّا من الرُّعب والوحشة، فضلًا عن السياسات العامّة للأمويّين في اجتثاث الشيعة من المجتمع الإسلامي، فكان من الصعب أن يدخلوا في حركةٍ إلّا إذا تأكّدوا من إمكانيّة النصر، وربّما كان سبب مراسلاتهم وانضمامهم لحركة مسلم وقيام المختار أنّهم كانوا يرون الانتصار محتملًا جدًّا، وبالتالي ما إن شمّوا رائحة هزيمة مسلم حتى غادروا الساحة، ومع أنَّ عددًا لا بأس به منهم شاركوا لاحقًا في حركة التوّابين وقيام المختار، لكن ليس من الواضح أنّه كم من هؤلاء شاركوا في جيش عمر بن سعد وقاتلوا ضدّ إمامهم، ومن غير المرجح أن يكون عدد كبير منهم شاركوا في كربلاء؛ إذ إنَّ غالبيّة جيش الكوفة في كربلاء كانت تتشّكل من عناصر أخرى من المسلمين، ولا يخفى على القارئ أنّ مراسلة الإمام وحدها ليست دليلًا على كون الكاتب شيعيًّا.

وكانت نسبة كبيرة من أهل الكوفة تتشكّل من أنصار الأمويّين، أبرزهم عمرو بن حجاج الزبيدي، ويزيد بن حرث، وعمرو بن حريث، وعبد الله بن مسلم، وعمارة بن عقبة، وعمر بن سعد، ومسلم بن عمرو الباهلي،[1] هذا وكانت قد مرّت عشرون سنة على الحكم الأموي في الكوفة، حيث استطاعوا اكتساب قوّة كبيرة خلال تلكم الأعوام.

وهؤلاء هم الذين كتبوا رسالة إلى الشام وطلبوا من يزيد حلًّا للقضيّة، حيث شعروا بالتهديد من تقدّم حركة مسلم بن عقيل وضعف وفتور والي الكوفة النعمان بن بشير، وكان زعماء معظم القبائل وأصحاب النفوذ منتمين إلى هذا الحزب، وهذا الأمر بحدّ ذاته دفع الكثير من الناس إلى هذا الجانب.

وقد استفحل أمر الخوارج في الكوفة بعد تلقّيهم ضربةً موجعة في معركة النهروان، وذلك في عهد معاوية وعلى أثر سياسته غير الإسلاميّة، كما ثاروا عام (٤٣) للهجرة في

١ . المقرّم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين: ١٤٩؛ حياة الإمام الحسينﷺ: ٤٤١/٣.

عهد حكم المغيرة بن شعبة بقيادة (المستورد بن عُلَّفَةَ)، ولكنّ ثورتهم باءت بالفشل، وكان لزياد بن أبيه دورٌ مهمٌّ في قمعهم بعد تولّيه إمارة الكوفة عام (٥٠) للهجرة، وبعد موت (زياد) بخمس سنوات، أي: عام (٥٣) للهجرة قاموا بثورة أُخرى سنة (٥٨) للهجرة بقيادة «حيّان بن ظبيان» لكن عمد «ابن زياد» بعد العهد له بولاية الكوفة إلى قمعهم أيضًا[١] ولذا لا نجد لهؤلاء الشرذمة دورًا كبيرًا في وقعة كربلاء.

ولعلّه يقال إنَّ الحصة الكبرى من أهل الكوفة كانت تتشكّل من اللامبالين والانتهازيين، الطائفة التي لم تكن تهتمّ إلّا بإشباع بطنها وشهوتها، وعندما رأى هؤلاء أنّ حركة مسلم بن عقيل توشك بالانتصار التحقوا به، ولكن مع ظهور بوادر الفشل سرعان ما تركوا الساحة وسبّبوا ضغطًا نفسيًّا كبيرًا على الداعمين الحقيقيّين للحركة، وبالتالي لعبوا دورًا كبيرًا في إفشال حركة مسلم بن عقيل، ثم إثر وعود ابن زياد ووعيده التحقوا بجيش الكوفة وحاربوا الإمام الحسين عليه السلام وقتلوه في النهاية، في حين لو انتصرت حركة مسلم، لكان هؤلاء الأشخاص أنفسهم غالبيّة مؤيدي ثورة مسلم الفتية، وهؤلاء هم الذين وصفهم فرزدق في لقائه مع الإمام الحسين عليه السلام: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك».[٢]

**٣- التحليل النفسي لأهل الكوفة**

يمكن بشكلٍ عامّ أن نذكر الخصائص النفسية لغالبيّة المجتمع الكوفي، والتي كان لها دورٌ في الفشل الظاهري لثورة الإمام الحسين عليه السلام كالتالي:

**أوّلًا: انعدام التنظيم**

كانت القبائل البدويّة الساكنة في الصحراء تشكّل النواة الرئيسة لمدينة الكوفة، وقد شاركت لأسباب مختلفة في الفتوحات الإسلاميّة، ثمّ اتّجهت من حياة البداوة والترحال

١ . تاريخ الطبري: ١٣٢/٤؛ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي: ١٨٦/٢.

٢ . ابن مسكوية الرازي، أبو علي، تجارب الأمم **وتعاقب الهمم**: ٥٧/٢. وراجع: تذكرة الخواصّ: ٢٤٠؛ والأمالي للشجري: ١/ ١٦٦؛ والحدائق الورديّة: ١١٤/١.

إلى حياة الحضر والسكن في المدن، ولكنّهم مع ذلك لم يفقدوا طبيعتهم البدويّة، ومن صفات القاطنين في الصحراء، تمتّعهم بحرّية لا حدّ لها في الصحاري؛ ولذلك فقد عمدوا منذ البدء إلى التنازع مع أُمرائهم، بحيث ضاق بالخليفة الثاني ذرعًا منهم وهو يشتكي منهم قائلًا: «وأيُّ نائبٍ أعظم من مئة ألفٍ لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير».[1]

ويمكن القول: إنّ مثل هذا المجتمع لا يحتمل الأمير العادل والمتحرّر الفكر، فهذا المجتمع يستغلّ مثل هؤلاء الأمراء ويهبّ لمعارضتهم ولا يطيع أوامرهم، وهكذا نرى في مسار الكوفة التاريخي أنّهم كانوا يعارضون الأمراء والقادة سواء كانوا عادلين نحو علي بن أبي طالب عليه السلام وعمّار بن ياسر أم جائرين كزياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد.

أجل! طوال تاريخ الكوفة حتى عام (٦١ هـ) لم نواجه سوى حالة واحدة كان فيها الكوفيون أكثر رضًا عن أميرهم وهو داهية من دهاة العرب المشاهير: (المغيرة بن شعبة)! هذا السياسي المخضرم، الذي ولّاه معاوية الكوفة عام (٤١ ق)، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة (٥٠ ق)، حاول أن يتصرف على هذا النحو الأقل تنازعًا بين الناس والأحزاب المختلفة، فإذا قيل له: فلان شيعي أو معارض، أجاب: لقد قدّر الله الاختلاف بين الناس فيقضي بين عباده.[2]

وكان هذا السلوك هو الذي أرضى عنه عامّة الناس، سوى الخوارج حيث بايعوا (المستورد بن عُلَّفَةَ)، وثاروا ضدّه، فظفر بهم المغيرة وقمعت ثورتهم المزعومة.

أمّا (النعمان بن بشير) الذي تولّى حكم الكوفة عام (٥٩ ق)، فربما كان سيصبح أميرًا مناسبًا للكوفيين لو لم يتفاجئ بموت معاوية، الأمر الذي قلّب كلّ المعايير دفعة، وغيّر الظروف، وخلق حوافز أقوى للكوفيّين ما أدّى في النهاية إلى دعوتهم للإمام الحسين عليه السلام من خلال رسائل بعثوها إليه.

١ . تاريخ الطبري: ٢٤٣/٣.
٢ . تجارب الأمم: ١٥/٢.

ويمكن القول إنَّ كثرة حضور الصحابة والقُرّاء كان من العوامل التي عزّزت هذا المزاج؛ لأنّهم كانوا يعتبرون أنفسهم مجتهدين وأصحاب رأي فوق الحكومة، وبالتالي كانوا يعارضون الأمراء مهما استطاعوا ولم يخشوا على حياتهم، ونحن نرى مثاله الواضح في معركة صفّين؛ حيث إنَّ عددًا كبيرًا من خوارج النهروان كانوا من القراء وحُفّاظ القرآن.[١]

ويصحّ القول إنَّ مثل هذا المجتمع لا يتحمّل أميرًا عادلًا وحرًّا، حيث يتعرض للإساءة، بل يُعارض ويخالَف دومًا وأمره غير مطاع، ونحن نشاهد نماذج هذه الإمارات في تعامل أهل الكوفة مع الإمام عليّ عليه السلام والأمير الذي يليق لهذا المجتمع هو أميرٌ مثل (زياد بن أبيه) يُجبرهم على الطاعة بالعنف والظلم.

وعلى عكس مجتمع الكوفة، كان مجتمع الشام شعبًا متحضّرًا وغير عربي وقد اعتادوا على التنظيم المنهجي لقرونٍ، وبالتالي كان لمعاوية أن يحكم مثل هذا المجتمع بسهولة.[٢]

**ثانيًا: حبّ الدنيا**

رغم أنّ الكثير من مسلمي صدر الإسلام شاركوا في الفتوحات الإسلامية بنوايا خالصة ومن أجل كسب مرضاة الخالق، ولكنّ الأشخاص والقبائل الذين كانوا يشاركون في هذه الحروب بهدف الحصول على الغنائم الحربيّة لم يكونوا بالقليلين، فلم يكونوا مستعدّين للتخلّي عن دنياهم بعد إقامتهم في الكوفة، وكانوا يتراجعون بمجرّد أن يشعروا بأنّ الخطر يهدّد دنياهم، وعلى العكس من ذلك، فإنّهم كانوا يدخلون فورًا في كلّ أمرٍ يدرّ عليهم الفوائد، والشاهد الصادق على ذلك مشاركة أهل الكوفة في معركتي الجمل وصفّين، ففي معركة الجمل حينما سار الإمام عليّ عليه السلام من المدينة باتّجاه العراق عام (٣٦) للهجرة لمواجهة المتمرّدين المتواجدين في البصرة، طلب المساعدة من الكوفيّين، ولكنّ الكوفيّين الذين كانوا يرون أنّ حكومة عليّ عليه السلام ما زالت فتيّة، وكانوا يشعرون

١ . مروج الذهب: ٤٠٥/٢.

٢ . زكي صفوت، أحمد، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٤٢٠/١ فما بعدها.

بالقلق إزاء مصير الحرب، خاصّة وأنّ جيش البصرة كان يتفوّق عددًا، فسعوا في التملّص من هذه الدعوة، وبعد الإعلام والتشجيع الواسع النطاق لم يشارك أخيرًا في هذه الحرب سوى اثني عشر ألفًا، أي حوالي (١٠) بالمئة من القادرين على القتال في الكوفة،[١] وبعد نهاية الحرب، كان من جملة اعتراضات نخبهم وخواصّهم، عدم تقسيم الغنائم من قبل عليّ عليه السلام.[٢]

وأمّا في معركة صفّين فقد أظهر أهل الكوفة رغبةً أكبر في المشاركة، بعد أن رأوا حكومة عليّ عليه السلام قد التأم شملها، وبعد أن كان يحدوهم أملٌ كبير في الانتصار، بحيث ذكرت المصادر أنّ عدد جنوده عليه السلام في هذه المعركة بلغ ما بين (٦٥) إلى (١٢٠) ألف مقاتل،[٣] وكان عدد الذين شاركوا فيها من غير أهل الكوفة قليلًا للغاية، ويمكن أن نبرّر كثرة مبايعي مسلم استنادًا إلى هذا المبدأ أيضًا، رغم أنّ الأشخاص المخلصين بينهم لم يكونوا يشكّلون سوى أقلّية.

فكان أهل الكوفة آنذاك يرون من جهةٍ أنّ حكومة الشام المركزيّة ابتُليت بالضعف بسبب موت معاوية ونزق يزيد، ولم يكونوا يرون من جهة أخرى أنّ (النعمان بن بشير) قادرٌ على مواجهة ثورةٍ عارمة؛ ولذلك فإنّ أهل الكوفة سرعان ما رحّبوا بتجمّع عدد من الشيعة المخلصين بقيادة (سليمان بن صرد الخزاعي) وعرض دعوة الإمام الحسين عليه السلام، وإقامة الحكومة في الكوفة من قبلهم؛ لأنّهم كانوا يرون أنّ الانتصار وإقامة الحكومة محتملان إلى حدٍّ كبير.

ولم يفقدوا الأمل بالانتصار حتّى بعد وصول عبيد الله إلى الكوفة؛ ولذلك فقد شارك عددٌ كبير منهم مع مسلم في محاصرة قصر عبيد الله، ولكنّهم سرعان ما خذلوا الثورة

١. تاريخ الطبري: ٥١٣/٣.
٢. المصدر نفسه: ٥٤٥.
٣. المصدر نفسه: ٥٩/٤؛ مروج الذهب: ٣٨٥/٢.

عندما شعروا بالخطر، وسلّموا مُسلمًا وهانيًا بيد عبيد الله! وقد اشتدّ هذا الإحساس بالخطر عندما انتشرت بين الناس شائعة تحرّك جيش الشام من قبل أنصار عبيد الله؛ حيث يمكن اعتبار سبب الخوف من جيش الشام تعلّق أهل الكوفة بالدنيا.[١]

ومن هنا ندرك عمق كلام الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث قال عند نزوله في كربلاء:

**الناس عبيد الدنيا والدين لَعِقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قَلَّ الديّانون.**[٢]

**ثالثًا: اتّباع العواطف**

ومن خلال دراسة المراحل المختلفة من حياة الكوفة، يمكننا أن نلاحظ هذه الخصوصيّة بوضوحٍ فيها، ويمكن اعتبار السبب الرئيس لهذه الخصوصيّة وهو عدم ترسّخ الإيمان في قلوبهم، وبالطبع فإنّنا لا يمكن أن نتوقّع سلوكًا آخر من الأشخاص والقبائل الذين اعتنقوا الإسلام بعد أن رأوا قدرته وسطوته فخرجوا للحرب من أجل دنياهم، وربّما كان اشتهار أهل الكوفة بالغدر والخديعة وعدم الوفاء؛ حيث أدّى إلى ظهور أمثالٍ ذائعةٍ، نظير: (أغدر من كوفيّ)، أو (الكوفي لا يوفي) ناجمًا عن هذه الخصوصية المتمثّلة في اتّباعهم لأحاسيسهم وعواطفهم.

ويمكن القول إنَّ المختار كان من أنجح الأشخاص الذين استطاعوا استغلال أحاسيس الكوفيين بأحسن وجه، لكنّهم بمجرّد ما رأوا أن الظروف قد انقلبت ضدّه تركوه وحده؛ ليقع قتيلًا على يد مصعب ابن الزبير.[٣]

١ . تاريخ الطبري: ٤/٢٧٧.

٢. محمود شريفي وآخرون (معهد تحقيقات باقرالعلوم التابعة لمنظمة الإعلام الإسلامي) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٣٧٣.

٣ . تاريخ الطبري: ٤/٥٥٨ فما بعدها.

**رابعًا: خصائص أخرى**

وقد ذكر بعض الكتاب المعاصرين الخصائص التالية لمجتمع الكوفة:

١- التناقض في السلوك. ٢- المكر. ٣- التمرّد على الولاة. ٤- الهروب عند مواجهة المشاكل. ٥- سوء الأخلاق. ٦- الجشع. ٧-التأثر بالدعاية.[١]

ويبدو أنّ الخصائص التي عددناها آنفًا يمكنها أن تفسّر عميقًا جميع هذه الخصائص السبع.

**٤- أسباب مراسلة الكوفيين ودعوتهم للامام الحسين**عليه السلام

بدأت مراسلات ودعوة الكوفيين للإمام الحسين عليه السلام لأوّل مرّة عام (٤٩) أو (٥٠ هـ ق)، أي بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام وبواسطة (جُعدة بن هُبيرة بن أبي وهب)،[٢] ثمّ توقفت المكاتبات بعد ما رفض الإمام الحسين عليه السلام الخروج احترامًا لعهد أخيه الحسن إلى معاوية.

ولكن بعد موت معاوية عام (٦٠ ق)، ورفضه عليه السلام بيعة يزيد، وخروجه من المدينة إلى مكة، عادت وتكثّفت المراسلات بينه وبين أهل الكوفة؛ حيث ورد أنّ عدد الكتب التي كان يتلقاها يوميًّا بلغت (٦٠٠) رسالة من مجموع (١٢) ألف رسالة،[٣] طبعًا يبدو أن التعبير بـ(١٢) ألف مُراسِل أكثر صحّة من (١٢) ألف رسالة؛ لأنّه قد يكون هناك أسماء كثيرة ضمن رسالةٍ واحدةٍ، وقد وضع الإمام الحسين عليه السلام كلّ هذه الرسائل أو بعضها في كيس وأخذها معه في رحلته إلى الكوفة.[٤]

وبشكل عام، يمكن سرد الأسباب التالية لدعوة الكوفيين:

١- كان من جملة من كتبوا إلى الإمام عليه السلام سليمان بن صرد الخزاعي، ورفاعة بن شداد البجليّ، ومسيّب بن نجبة، وغيرهم، من خواصّ شيعة الإمام علي عليه السلام وقد شهدوا الحكم

١ . حياه الإمام الحسين عليه السلام: ٤٢٠/٢ فما بعدها.

٢ . الأخبار الطوال: ٢٢١.

٣ . بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٤.

٤ . تجارب الأمم: ٥٩/٢.

العادل له، وتضايقوا من السلطة الأمويّة خلال عشرين سنة من الجور والقمع، فكانوا يبحثون عن أدنى فرصة للثورة ضدّ الأمويين، وشخصيّة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه مبايعة يزيد كان أفضل فرصةٍ لهم.

٢- كانت الكوفة تعتبر أهم مدن الدولة الإسلاميّة في عهد الإمام علي عليه السلام؛ لأنّها العاصمة الرسميّة للدولة الإسلاميّة، وكانت الشام حينئذٍ المنافسة الوحيدة لها، حيث كان معاوية يحكمها، ولكن بما أنّ حكمه كان غير مشروع، فكانت الكوفة هي الفائزة في هذه المنافسة، فمن الواضح أنَّ لقب العاصمة، بالإضافة إلى أهمّيّتها السياسيّة، جلبت لسكانها منافع اجتماعيّة واقتصاديّة، لكن بعد تسلّط معاوية على مقدّرات الدولة الإسلاميّة وبسبب حقده وكراهيّته للكوفة، تحوّلت هذه المدينة إلى مدينة عاديّة.

فلمّا مات معاوية، تذكّر الناس الأيام الخالية لها إذ كانت عاصمة البلاد، التي لم تقدَّر قيمتها، فحان أوان استعادة عظمتها الضائعة؛ وهكذا يمكننا تعليل أسباب كتابة بعض الرسائل، وليس جميعها.

٣ – لقد دبَّ شوقٌ وهياجٌ زائدين عن الوصف في الكوفة مع انطلاق المراسلات، وبدأت جماعاتٌ كثيرة تراسل الإمام تحت تأثير هذه الظروف.

٤ – إنّ بعض الزعماء والقبائل من أصحاب النفوذ مثل شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر ويزيد بن حارث وقرة بن قيس وعمرو بن حجاج الزبيدي ومحمد بن عمير بن عطارد[1] في زمرة من لم يكن بينهم وبين آل البيت عليهم السلام مودّة، لكن لكيلا يتأخّروا عن هذا الركب، ويحافظوا على نفوذهم وزعامتهم في الحكومة التي ستشكّلها الإمام الحسين عليه السلام قريبًا في الكوفة، قاموا بإرسال أرهف

١ . الأخبار الطوال: ٢٢٩.

الرسائل العاطفيّة له، ولكن بمجرّد أن انقلبت الصفحة، أصبحوا يتصدّون لأخطر المناصب في جيش عمر بن سعد، حيث خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء قائلًا:

**يا شَبَثُ بْنُ ربْعي، يا حَجّارُ بْنُ أبْجَرِ، يا قَيْسُ بْنُ الأشْعَث، يا يَزيدُ بْنُ الحارِثِ، ألَمْ تَكْتُبُوا إليَّ أنْ أيْنَعَتْ الثِمارُ واخْضَرَّ الجَنابُ، وَإنّما تَقْدِمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدَةٍ؟**[1]

**المبحث الثاني: النظام الإداريّ للمجتمع الكوفيّ**

كانت أهمّ عناصر المنظومة الإداريّة للكوفة عبارة عن:

١. الوالي. ٢. رؤوس الأرباع. ٣. العرفاء. ٤. المناكب.

وفيما يلي سنقدّم لمحةً عامّة عن كلّ عنصرٍ من هذه العناصر:

**أوّلًا: الوالي**

يمثّل "الوالي" أهمّ مسؤول تنفيذي في الكوفة؛ حيث كان يعيّن بشكلٍ مباشر من جانب رئيس الحكومة المركزيّة، وتُوكَل إليه إدارة أُمور الكوفة وتوابعها.

وأمّا توابع الكوفة، فتعني المدن الإيرانيّة الكبرى التي فتحها جيش الكوفة وكانت إدارتها بيد أمير الكوفة، كما كانت معظم عوائدها تنفق على الكوفة.

وفيما يلي أسماء بعض هذه المدن:

قزوين، وزنجان، وطبرستان، وأذربيجان، والري، وكابل، وسيستان، والأنبار،[2] وحكّام هذه المدن عادةً ما يتمّ نصبهم من قبل أمير الكوفة، كما ورد أنَّ عبيد الله بن زياد ولّى عمرَ بن سعد الريَّ، ثم ندم واشترط عليه أن يقتل الحسين أوّلًا.

وبشكل عامّ، فإنَّ مهام وصلاحيّات والي الكوفة كانت كالآتي:

١. تاريخ الطبري: ٣٤٣/٤.

٢. عمر فوزي، فاروق، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية: ٢١؛ الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة: ص ٢٢١ فما بعدها.

١) مسؤوليّة القيادة العامّة للقوات وتنظيم القوّات داخل الكوفة وخارجها لمتابعة الفتوحات.

٢) جباية الضرائب والزكاة.

٣) مسؤوليّة القضاء أو نصب قاضٍ، لكن في عهد عُمر، كان الخليفة ينصب القضاة بالذات.

٤) التمهيد لسفر الحج.[١]

إنَّ الولاة الذين تولّوا إمارة الكوفة من الأمويين لمدّة عشرين عامًا، خلال فترة ما بين (٤١) و(٦١) هـ‍ق، هم عبارة عن:

١) المغيرة بن شعبة: من عام (٤١) إلى عام (٥٠) هـ.

٢) زياد بن أبيه: من عام (٥٠) إلى عام (٥٣) هـ.

٣) عبد الله بن خالد بن أسيد: من عام (٥٣) إلى عام (٥٦) هـ.

٤) ضحاك بن قيس الفهري: من عام (٥٦) إلى عام (٥٨) هـ.

٥) عبد الرحمن بن أم حكم: ابن أخت معاوية، حكم الكوفة عام (٥٨) ق، ولكن سرعان ما طرده أهل الكوفة لسوء معاملته الناس.

٦) النعمان بن بشير الأنصاري: سنة (٥٩) هـ.

٧) عبيد الله بن زياد: تولى الإمارة من سنة (٦٠) هـ، حتى موت يزيد سنة (٦٤) هـ.[٢]

وأمّا الولاة الذين يقعون مورد بحثنا فهم: المغيرة بن شعبة، والنعمان بن بشير، وزياد بن أبيه، وعبيد الله بن زياد.

وكان المغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير كلاهما من صحابة النبيﷺ، وكانت شخصيتهما معروفة لدى المسلمين، وفي الحقيقة كان معاوية هو من استغلّ مكانتهما في حكم الكوفة؛ ومن هنا تصرّف هذان الشخصان بشكلٍ مستقلٍّ إلى حدٍّ كبيرٍ، وعلى الأقلّ لم يريقا دماء الأبرياء من الشيعة على مرأى الناس. وبعبارة أخرى، لم يكونا

١ . البراقي النجفي، السيد حسين بن أحمد، تاريخ الكوفة: ٢٤٢.

٢ . راجع: تاريخ الطبري: ج ٤، ذيل حوادث السنين المذكورة في النص.

مستعدَّين لإفساد آخرتهما بالكامل من أجل دنيا معاوية، وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانا شيخين متقدّمين في السنّ، فيسعيان إلى الهدوء وراحة البال أكثر من أيّ شيء آخر.

وعلى عكسهما، كان زياد وابنه عبيد الله شخصين عدوانيَّين، ومغامرَين، وطموحَين، ولأنّهما يفتقران إلى النسب والشخصيّة، فكانا يعانيان من عقدة النقص في محاولةٍ للانتقام من كلّ الناس:

وكان زياد في عهد الإمام علي عليه السلام كاتبًا وخليفةً لعامل البصرة (عبد الله بن عباس)، ثم وُلّي على ولاية فارس، وحتّى بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام عندما مال العديد من أصحابه إلى معاوية، قاوم زياد مقابل معاوية مرّة أخرى، لكن استطاع معاوية بوصفه خبيرًا في علم النفس، أن يجذبه إلى نفسه بالخداع.

وقد أسدى له معاوية أعظم خدمة؛ إذ منحه نسبته المفقودة، ولقّبه بـ(زياد بن أبي سفيان)؛ لأنَّ زيادًا كان ابن (غير شرعيّ) لسمية وأبي سفيان في عصر الجاهليّة، ثم منحه إمارة البصرة، وبعد موت المغيرة، ضمّ إليها ولاية الكوفة أيضًا.[1]

وفي المقابل، قدَّم (زياد) الكثير من خدمات حسّاسة للأمويّين، من قلع الشيعة وقمعهم في الكوفة بحيث لم يكن يجرؤ أحد أن يصرّح بأنّه شيعي.

وفي الواقع كانت ولاية الكوفة والبصرة - حينئذٍ - تعني الهيمنة على كلّ بلاد إيران والبحرين وعمان وجزء من أفغانستان؛[2] لأنّ كلّ هذه البلدان قد فُتحت بيد مقاتلة هاتين المدينتين، أي: البصرة والكوفة.

وقد أفرط زياد في إسداء الخدمة لمعاوية لدرجة أنّه قد أرسل إليها رسالة يقول فيها:

**يا أمير المؤمنين، قد ضبطتُ لك العراق (البصرة والكوفة) بشِمالي، وفرغت يميني لطاعتك، فولني الحجاز (مكة والمدينة).**[3]

١ . تاريخ الطبري: ١٢٨/٤ فما بعدها.
٢ . تخطيط مدينة الكوفة: ٦٢.
٣ . تاريخ الطبري: ٢١٥/٤.

أمّا عبيد الله بن زياد، فلم تكن تربطه علاقة جيّدة بيزيد، فأراد الأخير إقالته من إمارة البصرة،[١] لكن بعد ظهور ثورة (مسلم) في الكوفة وما شهد من عجز النعمان بن بشير في تولي الأمور، فبالإضافة إلى البصرة منحه إمارة الكوفة أيضًا باقتراح من قبل مستشاره (سير جون النصراني)، ففي مقابل هذه الخدمة العظيمة التي تفاجئت بها عبيد الله، بدأ بقتل الشيعة في الكوفة وقمعهم، بحيث ورد أنّه قد سجن حوالي (١٢) ألف شيعيّ في الكوفة،[٢] ونجح أخيرًا في قمع الثورة في الكوفة، بل وكذلك حشد القوات لقتال الإمام الحسين عليه السلام وحدوث تلك الجرائم ضد آل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين).

**ثانيًا: رؤوس الأرباع**

ممّا يجدر ذكره أنّ القبائل المختلفة التي كانت تشارك في الفتوح كانت تدار قبل تأسيس مدينة الكوفة تحت نظام (الأعشار)، ومعنى ذلك أن (سعيد بن أبي وقاص) قد قسّم جيشه إلى عشرة أعشار واختار رأسًا وقائدًا لكلّ (عُشر)، وقد شاركت في كلّ منها قبيلتان أو أكثر أو عشائر من قبائل مختلفة.

وبعد توطّن جيش سعد مدينة الكوفة أُسّس (نظام الأسباع) بدلًا من (نظام الأعشار) بأمر الخليفة الثاني، [واستمرّ هذا النظام حتّى عهد إمارة "زياد"]، وبالتّالي دعا علماء الأنساب العرب إلى جمع القبائل والعشائر القريبة ضمن مجموعةٍ واحدةٍ، فقسّموا جميع سكان الكوفة العرب إلى سبعة أسباع، ثم عيّنوا رأسًا لكلّ (سُبع).

وكان رؤوس الأسباع في زمن السِّلم، يحكمون القبائل أو العشائر الواقعة على مسؤوليتهم، بحيث يستلمون (العطاءات) والحقوق الماليّة للقبائل من (الوالي) ويقسّمونها بينهم، وفي حال حدوث نزاع بين الأفراد يقومون بحَلّه وكانوا مسؤولين عن جميع الأنشطة السياسيّة للمواطنين أمام الحكومة، وبالتالي يحاولون الحفاظ على السلام ضمن مسؤوليّاتهم

١ . المصدر نفسه: ٢٥٨.

٢ . حياه الإمام الحسين×: ٤١٦/٢.

قدر الإمكان؛ حتّى لا يثيروا استياء الحكومة ولا يوفّروا لها أسبابًا لعزلهم.

وكانت قيادة هذه القبائل والعشائر في وقت الحرب أيضًا من مسؤوليّة رؤوس الأسباع، كما ذكره المؤرّخون في معركة صفين.

وقد أقرّ الإمام علي عليه السلام خلال فترة حكمه نظامَ الأسباع وبه حكم الكوفة، ولم يُقِل سوى بعض القادة السابقين ونصب مكانهم قادة جددًا.

لكن عندما عُيّن (زيادُ بن أبيه) عام (٥٠) للهجرة أميرًا على الكوفة، قام بحلّ نظام الأسباع واستبداله بنظام الأرباع الذي استمرّ طوال حكم الأمويّين بهدف السيطرة الأكثر على هذه المدينة،[١] كما أنّه كان قد استبدل سلفا (نظام الأخماس) بنظام الأسباع في البصرة.[٢]

وفي نظام الأرباع تمّ تقسيم جميع قبائل الكوفة إلى أربعة أرباع: رُبع أهل المدينة، وربع تميم وهمدان، وربع ربيعة وكندة، وربع المذحج والأسد.

وكان الرؤساء الذين اختارهم زياد للأرباع هم بالترتيب كالتالي: عمرو بن حريث، خالد بن عرفطة، قيس بن الوليد وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري.[٣]

وقد استعان مسلم بن عقيل بدوره بهذا النظام أيضًا عند القيام بنهضته وثورته، حين نظّم أفراد كلّ ربع في الربع نفسه، واختار هو نفسه رئيسًا للربع غير الرئيس المنصوب من قبل الحكومة، وتطالعنا خلال ثورة مسلم في الكوفة - وبعد اعتقال هاني ومحاصرة القصر - أسماء رؤساء الأرباع المعيّنين من جانبه وهم: مسلم بن عوسجة الأسدي رئيس ربع مذحج وأسد، عبيد الله بن عمر بن عزيز الكندي رئيس ربع كندة وربيعة، عبّاس بن جعدة الجدلي



١ . راجع: تاريخ الطبري: ١٥١/٣؛ الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة في الكوفة: ٤٨؛ كوفه، پيدايش شهر إسلامى: ٢٦٢ فما بعدها.

٢ . جاسم الجنابي، خالد، تنظيمات جيش العربي الإسلامي في العصر الأموي: ٢٢٣.

٣ . تاريخ الطبري: ١٩٩/٤.

رئيس ربع أهل المدينة، وأبو ثمامة الصائدي رئيس ربع تميم وهمدان.[١]

ولم يكن هاني بن عروة يتولّى رئاسة ربع كندة وربيعة من جانب الحكومة، ولكنّه كان يتمتّع بالاحترام الكبير بين أهالي هذا الربع الذي كان أكثر أرباع الكوفة سكّانًا، وبلغ هذا الاحترام درجةً بحيث يقال: إنّه إذا طلب المساعدة هبّ ثلاثون ألف سيف لنجدته،[٢] ولكنّ ابن زياد استطاع بسياساته واستغلال عمرو بن الحجّاج الزبيدي المنافس لـ«هاني» أن يخفّض هذا التأثير إلى الحدّ الأدنى، وأن يقتله في النهاية دون أن يبدي الربع أيّ تحرك !

وقد اتّخذ جيش عمر بن سعد أيضًا في كربلاء نظام الأرباع، حينئذ كان رأس ربع أهل المدينة عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي، وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي رأس ربع المذحج، وقيس بن أشعث بن قيس رأس ربع ربيعة وكندة، وحر بن يزيد الرياحي رأس ربع تميم وهمدان، وقد خاض الجميع باستثناء الأخير في المعركة ضدّ الإمام الحسين عليه السلام.[٣]

**ثالثًا: العُرفاء**

العرفاء جمع عريف، والعريف يمثّل منصبًا في القبيلة، وهو أن يتولّى رئاسة عدد من أفراد القبيلة ورعاية شؤونهم، ويأخذ على عاتقه مسؤوليّة أعمال أولئك الأشخاص أمام الحكومة، ويطلق على المسؤوليّة التي يقوم بها العريف وعدد الأشخاص الخاضعين لإشرافه عنوان (العرافة).[٤]

وقد كان هذا المنصب معروفًا بين قبائل العرب في العصر الجاهلي، وهو في

١ . المصدر نفسه: ٢٧٥.
٢ . تاريخ الكوفة: ٢٩٧.
٣ . تاريخ الطبري: ٤/٢٨٥.
٤ . ابن منظور، لسان العرب: ٩/١٥٤.

الناحية الإداريّة أدنى من رئاسة القبيلة بدرجةٍ أو درجتين.[١]

لكن بعد تأسيس نظام الأسباع عام (١٧) للهجرة، صار نظام العرفاء بشكلٍ آخر، وذلك بأن جُعل المعيار في عدد الأشخاص الخاضعين لإشراف كلّ عريف، هو أن يكون عطاؤهم وحقوقهم هم ونساؤهم وأولادهم مئة ألف درهم.[٢]

ولذلك فقد كان عدد أفراد (العرافات) المختلفة متباينًا؛ لأنّ النظام الذي كان عمر بن الخطّاب قد أخذ به لدفع عطاءات المقاتلين لم يكن قائمًا على المساواة، بل على أساس فضائل الأشخاص وخصوصيّاتهم، كأن يكونوا صحابيّين ومشاركين في غزوات النبي الأعظمﷺ أو مشاركين في الفتوح، وغير ذلك؛[٣] وبذلك كانت (العرافات) المختلفة تضمّ من عشرين إلى ستّين مقاتلًا بالإضافة إلى نسائهم وأولادهم .

وكانت مهمّة العرفاء في ذلك الوقت تتمثّل في أنّهم كانوا يستلمون عطاءات وحقوق الأفراد الخاضعين لإشرافهم من أمراء الأسباع ويسلّمونها إليهم، وكانوا يستنفرون أفرادهم عند الحرب، ويرفعون أحيانًا تقارير بأسماء المتخلّفين عن الحرب إلى الوالي، أو إلى أمراء الأسباع، واكتسب العرفاء أهمّية أكبر عندما توطّن الجنود غير المتحضّرين في المدن واستقرّوا في الكوفة، فقد أُوكلت إليهم مسؤوليّة إقرار الأمن في نطاق الأفراد المذكورين بالإضافة إلى المسؤوليّات السابقة، وأعدّوا دفاتر خاصّة سجّلوا فيها أسماء المقاتلين ونسائهم وأولادهم ومواليهم، وكانت تسجّل أيضًا أسماء المولودين حديثًا وسنة ولادتهم، كما كان يتمّ محو أسماء الأشخاص المتوفّين، وبذلك فقد كانوا يحيطون علمًا بأفرادهم. ويبدو أنّ تعيين وعزل العرفاء كانا يتمّان بواسطة الوالي؛ ذلك لأنّهم كانوا



١ . تاريخ التمدن الإسلامي: ١٧٦/١.

٢ . تاريخ الطبري: ١٥٢/٣.

٣ . لمعرفة المزيد حول نظام العطاء للخليفة عمر انظر: تاريخ الطبري: ١٠٨/٣.

مسؤولين أمام الوالي تجاه أفراد العرافة.[١] وكان دور العرفاء وأهميّتهم يتضاعفان عند حدوث الاضطرابات في المدن؛ ذلك لأنّهم كانوا مسؤولين عن إقرار النظام في عرافتهم، وبالطبع فإنّ الحكومة المركزية إذا كانت قويّة فإنّها كانت تطلب منهم أن يرفعوا تقارير بأسماء الأشخاص المتمرّدين.[٢]

ومن بين ولاة الكوفة، استغلَّ زياد وابنه عبيد الله هذا النظام أكثر من غيرهما لقمع ثورات الشيعة والخوارج وسائر المعارضين لغرض ما يسمّى باستقرار النظام، فعلى سبيل المثال كتب المؤرّخون حول أول خطوةٍ تنفيذيّةٍ لعبيد الله بن زياد بعد دخوله الكوفة: [كما أورد الطبري في تاريخه]:

> **أَخَذَ [ابنُ زِيادٍ] العُرَفاءَ وَالنّاسَ أخذًا شَديدًا، فَقالَ: اُكتُبوا إلَيَّ [أسماء] الغُرَباءَ، ومَن فيكُم مِن طِلبَةِ أميرِ المُؤمِنينَ، ومَن فيكُم مِنَ الحَروريَّةِ وأهلِ الرَّيبِ، الَّذينَ رَأيُهُمُ الخِلافُ وَالشِّقاقُ، فَمَن كَتَبَهُم لَنا فَبَريءٌ، ومَن لَم يَكتُب لَنا أحَدًا فَيَضمَنُ لَنا ما في عَرافَتِهِ ألّا يُخالِفَنا مِنهُم مُخالِفٌ، ولا يَبغي عَلَينا مِنهُم باغٍ، فَمَن لَم يَفعَل بَرِئَت مِنهُ الذِّمَّةُ، وحَلالٌ لَنا مالُهُ وسَفكُ دَمِه. وأيُّما عَريفٍ وُجِدَ في عَرافَتِهِ مِن بُغيَةِ أميرِ المُؤمِنينَ أحَدٌ لَم يَرفَعهُ إلَينا، صُلِبَ عَلى بابِ دارِهِ، وأُلقِيَت تِلكَ العَرافَةُ مِنَ العَطاء، وسُيِّرَ إلى مَوضِعٍ بِعُمانَ الزّارَةِ.**[٣]

وكان هذا العمل الذي قام به عبيد الله مؤثّرًا للغاية في استخدام العرفاء؛ حيث يعتبر من أهم أسباب فشل ثورة الكوفة.

**رابعًا: المناكب**

كانت المناكب - وهي جمع منكب - أحد المناصب القائمة بين القبائل. وكما يبدو من بعض النصوص أنّ هذا المنصب كان فوق العرفاء؛ إذ يشرف كلّ منكب

١ . تنظيمات الجيش العربي الإسلامي: ٢٢٣؛ الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة في الكوفة: ٤٩ فما بعدها.
٢ . المصدر نفسه.
٣ . تاريخ الطبري، ٢٦٧/٤.

على خمسة عرفاء،[١] كما كان هذا المنصب متداولًا في عصر الجاهليّة.

وقد أفادت بعض النصوص أنَّ ابن زياد هو الذي كان قد استحدث هذا المنصب للإشراف على عمل (العرفاء) والسيطرة عليه،[٢] ويعتقد بعضٌ أيضًا أنّه على الرغم من أنّ هذا المنصب تأسّس منذ فترة طويلة، إلّا أنّه كان أدنى من العريف وكان يعتبر مساعدًا له.[٣]

وعلى كلّ حال، إن قلنا بأيّ من الآراء السابقة، فإنّ القدر المتيقن هو أنّ هذا المنصب كان موجودًا في سنة (٦٠) للهجرة أثناء قيام مسلم بن عقيل، ولكنّنا لم نواجه نصًّا تاريخيًّا يذكره في هذا العام ويشير إلى دوره عند الأحداث.

**المبحث الثالث: النظام الاقتصاديّ الحاكم للكوفة**

وفيما يلي سنقوم بدراسة مصادر ماليّة للمجتمع الكوفي من ناحيتين: مصادر دخل الدولة، ومصادر دخل الشعب:

**الأولى: مصادر دخل الدولة**

كانت الموارد الماليّة بيد والي الكوفة في ذلك الوقت كما يلي:

**١- الخَراج**

كان الحكم الأولي للبلاد المفتوحة خلال الفتوحات أن تُقسَّم بين مقاتلة جيش الإسلام، لكنَّ الخليفة عُمَر، من أجل الحفاظ على هذه الثروة للأجيال في المستقبل والحفاظ على روح القتال في صفوف المجاهدين، وبعد التشاور مع الصحابة ومنهم الإمام علي عليه السلام، لم يقسّم هذه الأراضي، بل قرّر أن يبقيها في أيدي سكّانها، لكنّهم بدلًا من ذلك أن يدفعوا ضريبة معيّنة سمي بـ(الخَراج) كلّ عام، ويُرسَل خراج كلّ مدينة

١ . تاريخ التمدن الإسلامي، ١٧٦/١.

٢ . تنظيمات الجيش العربي الإسلامي، ٢٢٣ منقول من الأوائل لأبي هلال العسكري.

٣ . الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ٥٤ منقول من العقد الفريد، ٨/٥.

مفتوحة إلى المدينة الفاتحة لها؛[١] وبهذا الوصف فإنَّ خراج بلاد مثل أذربيجان، وجرجان، وكابل، وسيستان، والأنبار...، التي فتحتها الكوفة كان يرسل إليها، ويودع في خزانة تسمّى (بيت مال الكوفة)، وبعد أن يصرف منها حاجات المدينة وبعض العطاءات يرسل الفائض إلى الإدارة الماليّة بالعاصمة.[٢]

كما أنَّ الإمام علي عليه السلام بعد وصوله إلى الخلافة، أكّد قرار عمر وثبّت نظام الخراج وعدم تقسيم البلاد المفتوحة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الخراج كان المصدر الرئيس لدخل الحكومة.

**٢- الجزية**

كانت الجزية ضريبة ماليّة يدفعها غير المسلمين في المدن الإسلاميّة، بما في ذلك المجوس واليهود والمسيحيين، للحكومة سنويًّا وحسب أفراد العائلة، وفي ذلك الوقت كان الأغنياء يدفعون عادة (٤٨) درهمًا، والطبقة الوسطى (٢٤) درهمًا، والطبقة الدنيا (١٢) درهمًا في السنة.[٣]

ومع دخول العديد من أهل الذمّة إلى الإسلام، انخفض دخل الحكومة من هذا المصدر، ولكن للتعويض عن هذا النقص، أمر معاوية خلال فترة حكمه أنَّ الإيرانيين الذين يعيشون في العراق، عليهم تقديم هدايا للحكومة كلّ عام بداية الربيع والخريف حيث يحتفلون بعيديهما النيروز ومهرغان وفقًا لعادات ما قبل الإسلام؛ وبهذه الطريقة تدفّق (١٠) ملايين درهم على الخزانة العراقية كلّ عام.[٤]

١ . تنظيمات الجيش العربي الإسلامي: ٨٦ فما بعدها.
٢ . الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة: ٢١٩.
٣ . المصدر نفسه.
٤ . المصدر نفسه، ٢٢٢.

**٣- الغنائم**

كانت الفتوحات داخل إيران والدول المجاورة لها خلال الفترة المذكورة لا تزال جارية؛ وبذلك يتمّ دفع خُمس الغنائم إلى بيت المال، بالإضافة إلى ممتلكات الملوك وقادة العدو المعروفة بـ(الصوافي)، التي تنضمّ إلى خزانة الدولة؛ حيث بلغ دخل الحكومة من صوافي العراق في عهد معاوية (٥٠) مليون درهم في السنة.[١]

**٤- المكوس**

بدأ تحصيل المكوس والرسوم من التجار الذين ينقلون البضائع إلى الكوفة في عهد الخليفة الثاني؛ حيث يقبض عُشر مال التجارة من الكفار غير أهل الذمّة، والعُشر من الكفار الذميين، والعُشر من المسلمين كضرائب مكوس [ما كان أشبه برسوم الجمارك اليوم].[٢]

وقد اتّضح أنَّ حكومة الكوفة كانت قويّةً ماليًّا في حدّ ذاتها، خاصّة عندما كانت الكوفة والبصرة يحكمهما شخصٌ واحدٌ، فتتضاعف هذه السلطة؛ لأنّ الوالي حينئذٍ بتولّيه لبيت المال لمدينتين كان له سلطة التنفيذ لأيّ طريقة، كما حدث في زمن زياد وابنه عبيد الله؛ حيث يدخل العراق من الخراج في زمن عبيد الله ما يقارب نحو (١٣٥) مليون درهم،[٣] واستطاع عبيد الله من خلال زيادة العطاءات ودفع الرشاوى لأشراف وشيوخ الكوفة تشجيعهم على القتال مع الإمام الحسين عليه السلام، كما قال مجمع بن عبد الله العائدي الكوفي عندما التحق بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء:

**أمَّا الأَشرافُ فَقد أُعظِمَت رِشوَتُهُم، ومُلِئَت غَرائِرُهُم لِيُستَمالَ وُدُّهُم، وتُستَنزَلَ نَصائِحُهُم، فَهُم عَلَيكَ إلبٌ واحِدٌ.**[٤]

١ . المصدر نفسه، ٢٢٢.

٢ . المصدر نفسه، ٢٢٠.

٣ . اجتهادي، أبو القاسم، بررسى وضع مالى و ماليه مسلمين از اغاز تا پايان دوران اموى: ١٣٧.

٤ . تاريخ الطبري: ٣٠٦/٤.

**الثانية: مصادر دخل الناس**

ويمكن بشكلٍ عامّ تقسيم طرق دخل الأهالي إلى قسمين: الأوّل: هو الكسب والعمل. والثاني: هو استلام العطاءات والأرزاق من حكومة الكوفة.

**أوّلًا: الكسب والعمل**

كان عمل الناس يتمثّل عادةً في ذلك الوقت في الزراعة والصناعة والتجارة، أو الأعمال الحكوميّة، مثل: الخدمة في الشرطة، ومع الأخذ بنظر الاعتبار ارتباط أهالي الكوفة الوثيق بعطاء الحكومة، يبدو أنّهم لم يكونوا يعملون إلّا قليلًا، حتّى قيل: إنّ الموالي هم الذين كانوا يتولّون معظم الحرف في الكوفة، بل إنّ العرب لا يرون أنّ العمل في الحرف والصناعات لائقًا بشأنهم.[١]

**ثانيًا: العطاءات والأرزاق**

كان (العطاء) عبارة عن مبالغ نقديّة تُدفع من جانب الحكومة مرة أو عدة مرات في كلّ سنة، إلى الأفراد المقاتلين في هذه المدينة، كما كانت تُدفع إليهم الأرزاق التي كانت عبارة عن المساعدات العينية، مثل: التمر والقمح والشعير والزيت وغير ذلك، شهريًّا ودون مقابل.

والذي أسّس نظام العطاءات والأرزاق هو عمر بن الخطّاب، وذلك أنّه كان يعيّن للجند حقوقًا سنويّة من أجل الحيلولة دون انشغال الجنود في أعمال أُخرى، وكانت مقادير العطاءات والأرزاق تحكمها معايير خاصّة، كأن يكون الفرد صحابيًّا، أو بلحاظ عدد مرّات اشتراكه في الحروب، وما إلى ذلك، ويتمّ تأمين هذه الحقوق السنويّة بشكلٍ رئيس من الفتوح وخراج الأراضي المفتوحة حديثًا، وتقسّم على الأشخاص، بمبالغ تتراوح بين (٣٠٠) إلى (٢٠٠٠) درهم في السنة،[٢] ويطلق على حدّها الأقصى اسم

١ . الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة: ٨٢.

٢ . تاريخ الطبري: ١٠٨/٣؛ فتوح البلدان: ٤٣٨.

(شرف العطاء)، وكان يدفع إلى الأشخاص البارزين الذين يتمتّعون بصفات بارزة مثل الشجاعة المتميّزة والبسالة.[١]

وقد وافق الإمام علي عليه السلام في عهده على نظام العطاء، لكنّه ألغى امتيازات وضعها عمر لرفع الاختلاف في الرواتب، وأرسى المساواة الكاملة في العطاء، مما تسبّب في كثير من الاستياء.[٢]

سمة أخرى لدفع العطاء في عهد الإمام علي عليه السلام هو نوع تصرّف الإمام، فما كان أن وصلت الأموال إلى خزانة بيت المال، حتّى يوزّعها الإمام عليه السلام ولا يسمح بتراكم الأموال في الخزانة، كما ورد أنّه بعد تقسيم العطاء لثلاث مرات (خلال سنة واحدة)، وصل الكثير من المال من أصفهان، وطلب الإمام عليه السلام من الناس ورؤوس الأسباع أن يستلموا عطاءاتهم للمرّة الرابعة.[٣]

السمة الثالثة للعطاء، في عهده عليه السلام أنّه كان يدفع هذه الرواتب لخصومه، مثل الخوارج، طالما أنّهم لم يتّخذوا إجراءات عمليّة ضدّ الحكومة الإسلاميّة.[٤]

لكنّ في عهد معاوية، ألغي نظام الدفع هذا تمامًا وأعيد إنشاء نظام العطاء الطبقي، إلّا أنّ هذه المرّة لم تؤخذ معايير الصحبة للنبي صلى الله عليه وآله والأسبقيّة في الإسلام والمشاركة في الحروب وغيرها بعين الاعتبار، وبدلًا من ذلك، أصبح المعيار هو مدى التقرب من الجهاز الأموي والانصياع للحكومة،[٥] كما تمّ القضاء على عطاء الموالي، فقد أصدر معاوية أمرًا بدفع (١٥) درهمًا فقط لهم سنويًّا، الأمر الذي لم يتحقّق أبدًا،[٦] وبالتالي اضطرّ الموالي إلى الارتزاق من عملهم وكدّ يدهم.

١ . الحياه الاجتماعيّة: ٢٤٠؛ تنظيمات الجيش العربي: ٩٨.
٢ . نهج البلاغة، فيض الإسلام، الخطبة ١٢٦.
٣ . مروج الذهب: ٤٢١/٢.
٤ . تاريخ الطبري: ٥٣/٤.
٥ . تنظيمات الجيش العربي: ٩٢.
٦ . الحياة الاجتماعية: ٨٧.

وعلى هذا، فقد كان أهمّ مصادر الموارد الماليّة لأهل الكوفة وتأمين معايشهم بيد نظام الحكم ويعتمدون بشكلٍ كبيرٍ على العطاء والرزق، وقد كانت الحكومة تدرك جيّدًا هذا الضعف وتستغلّه استغلالًا كاملًا لتهديد الأهالي وترغيبهم.

وكانت جماعات المعارضة التي معظمها من الشيعة، تُهدَّد بقطع العطاء، كما رأينا أنَّ عبيد الله كيف هدّد العرفاء بقطع العطاء إن لم يخبروه بأسماء المعارضين.

وعندما حاصر مسلم بن عقيل عليه السلام بجيشه قصر عبيد الله بن زياد وألقى الضغط عليه، كانت إحدى حيل عبيد الله الناجحة تشجيع الناس من حول مسلم على زيادة العطاء في حالة التفرّق، والتهديد بقطعه في حالة استمرار الثورة، ما أدّى فورًا إلى تفرّقهم من حول مسلم،[1] كما تمكّن بالطريقة نفسها - أي: زيادة العطاء - أن يسيّر جيشًا عظيمًا من أهل الكوفة الذين كانت قلوبهم مع الإمام الحسين عليه السلام لقتله عليه السلام.[2]

وفي يوم عاشوراء عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام إتمام الحجّة على الكوفيين، حاولوا منعه عليه السلام من إلقاء خطاب بإحداث ضجيج، لكنّه أخيرًا استطاع الإمام أن يأخذ بزمام الخطبة، حيث أشار إلى العطاء بوصفه عاملًا من عوامل خذلان الكوفيين له؛ حيث قال عليه السلام:

**وكُلُّكُم عاصٍ لِأَمري، غَيرُ مُستَمِعٍ لِقَولي، قَدِ انخَزَلَت عَطِيّاتُكُم مِنَ الحَرامِ، ومُلِئَت بُطونُكُم مِنَ الحَرامِ، فَطَبَعَ اللهُ عَلى قُلوبِكُم، وَيلَكُم ألا تُنصِتونَ؟**[3]

ربما لو كان مسلم قد استولى على خزانة الكوفة واستغلّها لصالح ثورته خلال إقامته حوالي ثلاثة أشهر في الكوفة (من ١٥ من رمضان إلى ٨ من ذي الحجة عام ٦٠ هـ)، لكان

١ . تاريخ الطبري: ٤/٢٧٧.

٢ . حياه الإمام الحسين×: ٢/٤٥٣.

٣ . موسوعه كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ٤٢٢.

انتصاره مضمونًا، كما أنَّ المختار استطاع السيطرة على الكوفة في عام (٦٦) هـ بالاستيلاء على بيت المال وتوزيع (٩) ملايين درهم على أنصاره.[١]

لكنَّ نهضةَ الإمام الحسين عليه السلام لم تكن نهضة تنتصر بالقوة والمال؛ لأنّ الجماعة لو جمعتها الدراهم، غادرت الساحة عندما تكون مصالحها على المحك كما كان الحال مع المختار؛ حيث تخلّوا عنه بمجرّد مواجهة مصعب بن زبير وتركوه وحيدًا.



١ . تجارب الأمم، ١٣٨/٢.

**نتيجة البحث**

فيما يتعلّق بالأحداث التاريخيّة، لا سيّما وقائع صدر الإسلام، وخاصّة الأحداث المهمّة المتعلّقة بالأئمة المعصومين عليهم السلام، لا يجوز أن تكون الدراسة قائمة على النص والاكتفاء بعاملٍ خاصّ أو فكرةٍ معيّنة.

وقد تبيَّن من خلال هذا المقال أنَّ الكوفة، كإحدى أهم المدن الإسلاميّة، لعبت دورًا مهمًّا في وقوع حادثة عاشوراء المأساويّة الخالدة؛ لأنَّ دعوة أهل الكوفة كان لها سهم تاريخيٌّ كبير في حركة الإمام الحسين عليه السلام نحو هذه المدينة؛ فإنّ التحليل الأنثروبولوجي للمجتمع الكوفي قُبيل حركة عاشوراء، بما في ذلك تحديد كمّيّة ونوعيّة هذا المجتمع ودراسة تحليليّة للداعين والمراسلين للإمام الحسين عليه السلام ودراسة دوافعهم، يوضّح هذا الجانب من الواقع للقارئ الكريم، كما أنَّ الدراسة عن الشخصيّات المؤثّرة في واقعة كربلاء، والوضع الاقتصادي للناس آنذاك، وحتّى كيفيّة التقسيمات الإداريّة والسياسيّة، بالإضافة إلى علم النفس الاجتماعيّ، وعلم النفس التاريخيّ، هي بمثابة مَنارة عظيمة لتسليط الضوء على الزوايا الخفيّة لهذه الحادثة المؤلمة.

## مصادر البحث

نهج البلاغة.
١. ابن منظور، محمد بن مكرَّم بن علي، لسان العرب، التعليق: علي شيري، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ ق.
٢. اجتهادي، أبو القاسم، "بررسى وضع مالى ومالیه مسلمین از آغاز تا پایان دوران اموى" [بالفارسية]، طهران، منشورات سروش، الطبعة الأولى، ١٣٦٣ش.
٣. البراقي النجفي، السيد حسين بن أحمد، تاريخ الكوفة، التحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ق.
٤. البلاذري، أبو الحسن، فتوح البلدان، التعليق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ق.
٥. جاسم الجنابي، خالد، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، بغداد، دار شؤون الثقافة العامة.
٦. جعيط، هشام، "كوفه پيدايش شهر اسلامى"[بالفارسية]، المترجم: أبو الحسن سرو قد مقدم، الطبعة الأولى، مشهد، مؤسسة الدراسات الإسلامية للعتبة الرضوية المقدسة، ١٣٧٢ش.
٧. جنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والأثرية، المقدمة: أحمد فكري، بغداد، المجمع العلمي العراقي، الطبعة الأولى، ١٣٨٦ق.
٨. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩ق.
٩. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، التحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ق.
١٠. الدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة، التحقيق: علي شيري، قم، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٣٧١ش.
١١. الزبيدي، محمدحسين، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، بغداد، جامعة بغداد، ١٣٨٩ هـ.
١٢. زكي صفوت، أحمد، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، مصر، مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ق.
١٣. زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، بغداد، جامعة بغداد، ١٣٨٩ق.

١٤. شريف القرشي، باقر، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، قم، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٧ق.
١٥. شريفي، محمود وآخرون، معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام التابعة لمكتب الإعلام الإسلامي، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، قم، دار المعروف، الطبعة الأولى، ١٤١٥ق.
١٦. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، القاهرة، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢ هـ
١٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٨. عابدين، محمد علي، الدوافع الذاتيّة لأنصار الحسين عليه السلام، قم، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ ق.
١٩. عابدين، محمد علي، حياة سفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، ترجمه إلى الفارسيّة: سيد حسن إسلامي، قم، مكتب الانتشارات الإسلاميّة، الطبعة الأولى، ١٣٧٢ش.
٢٠. عمر فوزي، فاروق، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلاميّة، بغداد، مكتبة النهضة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ق.
٢١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، صحّحه: محمد باقر بهبودي، طهران، المكتبة الإسلاميّة.
٢٢. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، التحقيق: عبدالحميد محمد، محيي الدين، بيروت، دار المعرفة.
٢٣. مسكوية الرازي، أبو علي، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، التحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، دار سروش للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٦٦ش.
٢٤. مقرّم، عبد الرزاق موسوي، مقتل الحسين عليه السلام، [قم]، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩ق.

# Anthropological study of Kufa

Nimatullah Safari Froshani[1]

## Abstract

The use of analytical study of history - especially in the field of Ahl al-Bayt history studies - is of great benefit to an unbiased researcher. Such studies show that many historical events related to the history of Ahl al-Bayt have never depended on one factor, and that being satisfied with a single factor in this field is considered a strategic mistake in the long run. Knowing more about the events related to the first three imams, especially the Ashura event, will give more depth to such studies. And what has been done in this article in a historical way, is the extension of the study to different political, social, economic, administrative and even psychological contexts so as to explore the reasons for the occurrence of Ashura, especially with focus on a strategic city like al-Kufah, and the use of the most relevant sources, especially the historical sources.

It is possible to conclude that relying entirely on texts in the studies related to the history of Ahl al-Bayt and neglecting various other things surrounding the issue will not help a lot in the discovery of the causes of Ashura or other similar events. To understand, events with multiple causes in a better way, we need to study history with analytical approach.
**Keywords**: Anthropology, Al-Kufah, Ashura, Imam Husain, analytical history, knowledge of historical background

Vol.4; Spring-Summer 2022

1. Department of History, Imam Khomeini Complex, al-Mustafa International University, Isfahan, Iran. Email: Nsafari8@gmail.com.

# Revival of Husaini rituals: An historical reading

Gholam Hasan Moharrami[1]

## Abstract

Whenever the Hijri year appears, Muslims are reminded with great sadness of the sufferings of the Prophet's family and what the Umayyad army did to them in terms of killing, abusing and mutilating. Muslims in most parts of the world get preparation to express their feelings about this bloody event, especially on the tenth day of Muharram. This expression of feelings of affection and pain towards the death of Imam Husain (peace be upon him) is not a new matter. Its history goes back to early Islam. The Messenger of Allah (may God bless him and his family) and his honorable companions were the first to weep for Imam Husain (peace be upon him). The infallible imams (peace be upon them) mourned for their martyred grandfather, secretly and publicly. The scope of the mourning rituals for Imam Husain (peace be upon him) expanded during the era of the Buyid family in Iraq and Iran. Finally, the Husaini mourning became wide-spread under the patronage of the Safavid state. As a result, the loyalists of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) gained freedom to express their feelings and commemorate the martyrdom of Imam Husain (peace be upon him).

**Keywords**: Husaini mourning, lamentation, Buyid era, Safavid era, history, Shiites

Vol.4; Spring-Summer 2022

1. Department of History, Al-Mustafa International University, Tabriz, Iran. Email: Moharami47@gmail.com.

# Imamite Shiites and mourning for Imam Husain from the rise of Safavid dynasty to contemporary times

Muhammad Reza Ziyai[1]

## Abstract

Shiites used to mourn for Imam Husain from the distant past. After the establishment of the Safavid Shiite government in Iran, mourning for Imam Husain spread in Iran and various Islamic countries. Analyzing the mourning methods of the Imamite Shias is important from the perspective of historical analysis. The problem of this research is the general investigation and analysis of Imamite Shiites' ways of mourning for Imam Husain in different regions.

This research has been done with the motive of learning about how Imamite Shiites mourned in different countries of the Islamic world, from the rise of the Safavid dynasty to the contemporary era. This goal can be achieved by describing and explaining the ways of mourning for Imam Husain in different societies and by collecting library data. This becomes possible by applying a descriptive and analytical method. The result of this research is the explanation and classification of Imamite Shia customs and traditions regarding the mourning for Imam Husain in different Islamic societies. All Imami Shias in different geographies mourn for Imam Husain during the days of Ashura, but the manner of Shia mourning in different countries is not the same. Rather, the mourning style of Shiites is different based on their lifestyles.

**Keywords**: Mourning, modes of mourning, Imam Husain, Imamite Shias

Vol.4; Spring-Summer 2022

1 . Department of Jurisprudence and Islamic Studies, Islamic History Branch, Al-Mustafa International University, Maidanshahr, Afghanistan. Email: Rezaiaee19@yahoo.com.

# A study of the development of Muharram mourning rituals

Sayyid Lutfullah Jalali[1]

Vol.4; Spring-Summer 2022

## Abstract

Among the Shia rituals, the Muharram mourning ritual has had an important place throughout Shia history and can be considered as a distinct feature of Shia as the religion of the followers of Ahl al-Bayt. Using a descriptive-analytical methodology, this article examines the development of the Muharram mourning ritual. According to the findings of this research, the Muharram mourning ritual is in principle rooted in the tradition of Ahl al-Bayt and has been confirmed and emphasized by the Imams. But throughout history, there have been many changes in the forms and ways of mourning. Most of these changes go back to the Safavid era and the periods following it. Some of these developments are based on the Imams' traditions the legitimacy of which is beyond any doubt. But others have been criticized by Shia scholars in some way. Muharram mourning has gradually become one of the most important Shia rituals taking place in public places as well as in especial places dedicated to it.

**Keywords**: Mourning, Imam Husain (a), rituals, reading elegy, remembrance of sufferings, Ta'ziyeh

1. Al-Mustafa International Research Institute, Al-Mustafa International University, Hilmand, Afghanistan. Email: syedlotfolah_jalali@miu.ac.ir

# Political analysis of the Ashura movement from the perspective of Orientalists (Germany and England)

Seyyed Muhsen Sheikhul Islami[1]
Amir Taimur Rafiei[2]
Seyyed Hasan Qureshi Crane[3]

## Abstract

The political view of German and British orientalists about Ashura school encounters many fluctuations and challenges. Germany and England, as the pioneers of Islamic studies in general and Ashura studies in particular, have tried to analyze and examine the character, goals and achievements of Imam Husain's uprising materialistically regardless of religion. Due to the fact that the Islamic world and the available sources have been under the control of the Sunnis since the beginning, and the Shia sources have been distorted or less trusted, we have mostly witnessed biased and less fair results. Most Orientalists consider Imam Husain as an opposition of the central government having anti-secularist ideas and confuse his religious ideas with his political and economic opinions. Few Orientalists, however, have managed not to be influenced by personal, national or religious emotions and to study this movement only from a scientific perspective.

**Keywords**: Imam Husain, uprising, Orientalists, political analysis

Vol.4; Spring-Summer 2022

1. Department of History, Islamic Azad University, Mahallat, Iran. Email: mpa9262@yahoo.com
2. Department of History, Islamic Azad University, Mahallat, Iran. Email: amirteymour_rafiei@yahoo.com
3. Department of History, Payam Noor University, Qom, Iran. Email: shhquorish@gmail.com.

In this research, we have discussed the obvious functions of Ashura in the field of organization and management from Medina to Karbala by using a descriptive-analytical method. The findings of the research show that Imam Hossein was good at all dimensions of management skills, including human, administrative and technical (military) skills. This research, while considering Imam's decision-making as arising from awareness, emphasizes that he did not act hastily or passively with his accurate prediction and special plan. He moved the movement towards the goal, with timely and deliberate decisions. He observed the principle of planning in all parts of his movement, even in the way his small army was arranged against the enemy's massive army.

**Keyword**: Management, Islamic management, planning, goal-setting, decision-making, organizing, human resources, control

# A review of managerial aspects of Imam Husain's movement

Abdul Mu'min Hakimi[1]

## Abstract

Islamic culture is full of the best and advanced methods of management. The power and influence of Islamic management was so good that during the era of the Holy Prophet and the era of the Imams, it changed a poor and weak society that was caught in ethnic and tribal wars over worthless things into a modern and superior society. In a short period of time it was able to defeat the biggest empires of his time and found its own great government and civilization. The best methods and instructions for managing and guiding people are available in the words and actions of the Holy Prophet and pure imams. Everyone has made use of according to his/her capacity. Books such as Siyast-namah by Khwaja Nizam al-Mulk, Nasihat al-Muluk by by al-Ghazali, -Qaboos nameh by Amir 'Unsur al-Ma'ali, Chahar Meqala by Nizami 'Arowzi, Shahnameh by Ferdowsi, Gulistan and Bustan by Sa'di etc., were each influenced by the guidance of the innocent leaders. The investigation and analysis of Imam Husain's political movement from the starting point in Medina to the end of his martyrdom in Karbala and the events that occurred in this space and time interval and the stages he went through until he reached the final point of his position is a subject that can only be understood by having correct history on the one hand and a comprehensive view on the other hand. We are also determined to pluck a flower from the garden of the Red Movement of Imam Husain in the matter of Islamic management.

1. Department of Quran and Management, Al-Mustafa International University, Aruzgan, Afghanistan. Email: Mohammadiya2020@gmail.com.

Vol.4; Spring-Summer 2022

# A political interpretation of the Ashura uprising from Imam Khomeini's point of view

Seyyed Asif Kazemi[1]

Vol.4; Spring-Summer 2022

## Abstract

Many studies and researches have been done about Imam Husain's movement. One of the important topics about this uprising is the topic of the Imam's movement. Certainly, the objectives of the Imam's uprising against the government were to realize the truth, enjoin the good and forbid the evil, establish justice, revive the tradition, etc. But was the Imam's departure from Medina to Kufa with the intention of forming a government or was he intending to be martyred?

The occurrence of the Islamic revolution and the establishment of the Islamic Republic under the leadership of Imam Khomeini in the fourteenth century of the historical and effective movement of the Ashura movement is the bright end and blessed achievement of that divine movement.

Imam Khomeini, as someone who considers Imam Husain's uprising as the driving force and cause of the victory of the Islamic Revolution of Iran, and who has a profound understanding of the matter, believes that Imam moved towards Kufa in order to form a government.

**Keywords**: Imam Husain, Ashura uprising, Imam Khomeini, government, movement, Kufa

1. Department of contemporary history of Islamic World, Al-Mustafa International University, Kabul, Afghanistan. Email: Kazimi. asaf@yahoo.com

# Relationship between 'no harm principle' in commanding good and forbidding evil and Imam Husain's behavior with emphasis on Imam Khomeini's theory

Mehdi Pourhusain[1]

## Abstract

The jurists consider the nonexistence of corruption or harm as one of the conditions for enjoining good and forbidding evil, but Imam Husain, despite the fact that he considered the nature of his uprising to be enjoining good and forbidding evil, revolted with the knowledge of that he will be martyred. He thus did not act in accordance with this condition. To justify this action of Imam Husain, the jurists have put forward a number of possibilities: he did not know that he would be martyred, there was no way other than being martyred, it is permissible to make peace with the enemy but it is not compulsory to do so, Imam's movement was mysterious and it is not necessary to observe this condition when the obligation is important. Imam Khomeini theorized the last possibility, turned it into a theory and acted accordingly.

**Keywords**: Imam Husain, enjoying good, importance, harm, prohibition of evil

Vol.4; Spring-Summer 2022

1. Islamic Azad University, Qom, Iran. Email: Poorhosein.mahdi@gmail.com

# Imam Husain's movement and Islamic unity

Alireza Alemi[1]

Vol.4; Spring-Summer 2022

## Abstract

Contrary to the claims of a few people, Imam Husain's movement did not cause division and separation among Muslims. Given the Quranic foundations and the prophetic model, the goal of this movement was the unity and cohesion of the Islamic society - the unity and coherence that at that point in time lost its Islamic foundations as a result of the prevalence of the jahili prejudices and was in crisis from the Islamic point of view. Imam Husain's move was to make people aware of the dire situation of the society and try to revive Islamic foundations in the society - an action that only he could do at that time and be successful.

**Keywords**: Imam Husain, Islamic unity, Quranic principles, prophetic model

1. Department of Shii'te History, Al-Mustafa International Research Institute, Al-Mustafa International University, Bamyan, Afghanistan. Email: Alemi.sar@gmail.com.

# The Husaini epic under the microscope of scientific investigation

Muhammad Sadiq Bu'laq[1]

## Abstract

Studying the Husaini sources and what has been written over the past centuries about the Karbala incident reveals that authors of the story of Karbala and the organizers of the Husaini processions committed - and still do - grave transgressions that harm the Husaini epic and impair its purity. This critical situation raises many questions, including:

- What is wrong with disrespecting the Husaini epic in the Ahl al-Bayt school?
- What is our duty and responsibility towards this offense?
- Is it possible to fix these abuses? And how?

In this article, we seek, with an analytical approach characterized by accuracy and objectivity, to put the events of the Husaini epic under the microscope of scientific investigation to provide an answer to the above important questions. We arrange our answer in the form of an integrated reform project that proposes a package of structural reforms and a set of practical solutions to purify the Husaini rituals and the Ashura culture from the effects of these abuses.

**Keywords**: Husaini rituals, Ashura culture, structural reform

Vol.4; Spring-Summer 2022

1. Tunisia University, A researcher of Islamic thought, Tunisia. Email: Bouallegue.m@gmail.com.

# Imam Husain and Movement of Moral Thought

Ali Al-Shuaibi[1]

Vol.4; Spring-Summer 2022

## Abstract

Ethics is the main pillar [of all religions.] Allah sent prophets to promote it making it an educational basis for building man. The Messenger of Allah (s) made morals the basis of religion by saying: "Religion is good manners." He even went further than this when he considered good manners as the objective of his prophecy. The Husaini movement is actually an extension of the thought of his noble grandfather and his moral approach. It has now become a moral constitution for free people around the world. This article refers to the soft [but hostile] policy that Mu'awiyah adopted against moral principles and their practitioners about whom the verse of purification was revealed and who were the symbols of morals. Hypocrisy took initiative to achieve its ambitions. The moral standard of depriving people of their will and freedom and buying them off rose to its climax in the era of his son Yazid, who first killed Husain, and finally demolished Ka'ba. Had it not been for the revolution of Imam Husain (peace be upon him), the Islam that was revealed to Muhammad (s) would have ended permanently or its features would have changed drastically. Showing historically that the society - at that time – was deviated from moral values, it aims to explain the constructive role of Imam Husain (peace be upon him) and his intellectual and moral movement in reforming the Islamic nation and restoring the moral values that were current in the era of his grandfather, the Messenger of Allah (s).

**Keywords**: Imam Husain, Ashura, moral thought movement, Islamic principles, values

1. Damascus University, A researcher of Islamic Studies, Damascus, Syria.

# Cultural, political and social roots of Imam Husain's uprising

Husain Abdulmohammadi[1]

## Abstract

The issue of the factors that contributed to the emergence of Ashura movement as the most important event in early Islam is one of the issues on which various views have been expressed. Some researchers have considered the main cause of Imam Husain's uprising to be the invitation of the people of Kufa, and others have considered Yazd's request for allegiance from Imam as the most important factor. While some consider political and cultural deviations to be the cause of the Ashura uprising, others have suggested that ethnic and tribal factors were important. Everyone has looked at this divine movement from a certain angle and has expressed something. Of course, all researchers and writers accept the influence of the mentioned factors in the emergence of the Husaini uprising, and there is no dispute in this regard. The difference is in the amount of influence and role that each of them had in the origin of the Ashura movement. But what we understand from the historical reports and the words of the leader of the Ashura movement is that the most important reason for Imam Husain's uprising was the change Yazid introduced in the nature of Islam and the fact that the Islamic society was detached from its lofty ideals designed by the Prophet. The main goal of the uprising was to block the deviance that had emerged in religious thinking from Saqifah onwards. Other factors also paved the ground for the Ashura uprising. In this research, which is organized on the basis of ancient historical sources and Imam Husain's words, the factors responsible for Imam Husain's uprising have been investigated.

**Keywords:** Imam Hossein's uprising, cultural roots, political roots, social roots, factors involved in Imam Husain's uprising

1. Department of History, Imam Khomeini Complex, Al-Mustafa International University, Qom, Iran. Email: Hoseinmohammadi31@yahoo.com.

Vol.4; Spring-Summer 2022

# Table of Contents

■ **Cultural, political and social roots of Imam Husain's uprising / 5**
Husain Abdulmohammadi

■ **Imam Husain and Movement of Moral Thought/ 6**
Ali Al-Shuaibi

■ **The Husaini epic under the microscope of scientific investigation / 7**
Muhammad Sadiq Bu'laq

■ **Imam Husain's movement and Islamic unity/ 8**
Alireza Alemi

■ **Relationship between 'no harm principle' in commanding good and forbidding evil and Imam Husain's behavior with emphasis on Imam Khomeini's theory / 9**
Mehdi Pourhusain

■ **A political interpretation of the Ashura uprising from Imam Khomeini's point of view / 10**
Seyyed Asif Kazemi

■ **A review of managerial aspects of Imam Husain's movement / 11**
Abdul Mu'min Hakimi

■ **Political analysis of the Ashura movement from the perspective of Orientalists (Germany and England) / 13**
Seyyed Muhsen Sheikhul Islami / Amir Taimur Rafiei / Seyyed Hasan Qureshi Crane

■ **A study of the development of Muharram mourning rituals / 14**
Sayyid Lutfullah Jalali

■ **Imamite Shiites and mourning for Imam Husain from the rise of Safavid dynasty to contemporary times / 15**
Muhammad Reza Ziyai

■ **Revival of Husaini rituals: An historical reading / 16**
Gholam Hasan Moharrami

■ **Anthropological study of Kufa / 17**
Nimatullah Safari Froshani

بسم الله الرحمن الرحيم

ISSN: 2783- 4298

# Al-Mustafa

**In Contemporary Islamic Thought**

**A Specialized Bi-Annual Journal ■ Vol.4; Spring-Summer 2022**

4

## Published by:

**Al-Mustafa International Academy**
**(All rights reserved to al-Mustafa International University)**
**In cooperation with the representation of al-Mustafa International University in Syria**

| | |
|---|---|
| **General supervisor:** | Dr. Sheikh Ali Abbasi |
| **Editor in chief:** | Dr. Sheikh Hassan Rezaei |
| **Editor:** | Seyyed Rasoul Alawi |
| **Coordinator:** | Seyyed Ja'far Hashemi |

## Editorial Board:

- Dr. Sheikh Nabil Al-Halbawi (Syria)
- Dr. Seyyed Hebat Allah Sadr Al- Sadat (Syria)
- Dr. Ali Al-Shuaibi (Syria)
- Dr. Ali Al-Sheikh (Iraq)
- Dr. Sheikh Muhammad Ali Mohsenzadeh (Iraq)
- Dr. Seyyed Ali Al-Moussawi (Lebanon)
- Dr. Sheikh Muhammed Hassan Zaraket (Lebanon)
- Dr. Sheikh Abdul Mohsen Al-Baqshi (Saudi Arabia)
- Dr. Sheikh Muhammad Ali Mirzayi (Iran)
- Dr. Sheikh Hassan Bustami (Persian Gulf)
- Dr. Muhammed Sadiq Boualak (Tunisia)
- Dr. Adel Laghrib (Algeria)
- Dr. Sidi Muhammed Ja'far (Mauritania)
- Dr. Ahmed Al-Majzoub (Sudan)
- Dr. Sheikh Abdullah Al-Daqqaq (Bahrain)
- Dr. Sawsan Al-Fadhli (Yemen)

**Fax:** 00982532133340 ■ **Tel:** 00982532133428 ■ **WhatsApp:** 00989123535176
http://j.journals.miu.ac.ir ■ **E-mail:** j.journals@miu.ac.ir

■ All correspondences should be addressed to the editor at the following address:
**Secretariat of "Al-Mustafa" magazine, al-Mustafa International Academy, Amin Complex, Amin Boulevard, Qom, Iran**

مركز المصطفى ﷺ الدولي للدراسات والبحوث
التابعة لجامعة المصطفى ﷺ العالمية

# Al-Muṣṭafā

## In Contemporary Islamic Thought

A Specialized Bi-Annual Journal ● Vol.4 ; Spring-Summer 2022

## Imam Husain(PBUH) and the Epic Ashura


- Editorial:The Quranic foundations of Imam Husain's movement
- Cultural, political and social roots of Imam Husain's uprising
- Imam Husain and Movement of Moral Thought
- The Husaini epic under the microscope of scientific investigation
- Imam Husain's movement and Islamic unity
- Relationship between 'no harm principle' in commanding good and forbidding evil and Imam Husain's behavior with emphasis on Imam Khomeini's theory
- A political interpretation of the Ashura uprising from Imam Khomeini's point of view
- A review of managerial aspects of Imam Husain's movement
- Political analysis of the Ashura movement from the perspective of Orientalists (Germany and England)
- A study of the development of Muharram mourning rituals
- Imamite Shiites and mourning for Imam Husain from the rise of Safavid dynasty to contemporary times
- Revival of Husaini rituals: An historical reading
- Anthropological study of Kufa


Fax: 00982532133340 ● Tel: 00982532133428 ● WhatsApp: +989123535176
http://j.journals.miu.ac.ir ● E-mail: j.journals@miu.ac.ir

● المراسلات توجّه باسم مدير التحرير على العنوان التالي:
ايران، قم، شارع الأمين، مجمَع الأمين، مركز المصطفى ﷺ الدولي للدراسات والبحوث،
الطابق الثالث، أمانة مجلة «المصطفى»